

ISSN: 2616-5864

# الآداب



مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية

تصدر عن كلية الآداب - جامعة ذمار

الرواية النسوية العربية - سلطة المركز وتمرد الهامش

الرمز والدلالة في البنية التصميمية لمسكوكات الإمام يحيى بن حميد الدين

اتجاهات طلبة جامعة صنعاء نحو العلاج النفسي

الجنس واللغة والثقافة في المجتمع اليمني

11



## الآداب

مجلة علمية فصلية محكمة - تصدر عن كلية الآداب

### الهيئة العلمية والاستشارية:

- أ.د. عبدالكريم إسماعيل زبيبة (اليمن)  
أ.د. نصر الحجيلي (اليمن)  
أ.د. عادل العنسي (اليمن)  
أ.د. أحمد الأكوع (اليمن)  
أ.د. حسين العمري (اليمن)  
أ.د. علي سعيد سيف (اليمن)  
أ.د. أحمد محمد شجاع الدين (اليمن)  
أ.د. إبراهيم الصلوي (اليمن)  
أ.د. عبده فرحان الحميري (اليمن)  
أ.د. رابح خوني (الجزائر)  
أ.د. خالص الأشعب (اليمن)  
أ.د. رقية حساني (الجزائر)  
أ.د. عبدالكريم أسعد قحطان (كوريا)  
أ.د. نعيمة سعديّة (الجزائر)  
أ.د. عاطف عبدالعزيز معوض (السعودية)  
أ.د. الطاف ياسين خضر الرواي (العراق)  
أ.د. محمد حمزة إسماعيل الحداد (مصر)

صحح هذا العدد لغوياً:

#### القسم العربي:

- د. عصام واصل  
د. عبدالله علي الغُبسي

#### القسم الإنجليزي:

- د. أمين الصل  
تنسيق وإخراج في:  
محمد محمد علي سبيع

[moh.sobai@gmail.com](mailto:moh.sobai@gmail.com)

موبايل: 0067+771322894

### الإشراف العام:

أ.د. طالب طاهر النهاري

#### رئيس التحرير:

أ.م.د. عبد الكريم مصلح أحمد البجلة

#### نائب رئيس التحرير:

د. عصام واصل

#### مدير التحرير:

د. فؤاد عبد الغني محمد الشميري

#### نائب مدير التحرير:

د. فضل العميسي

#### هيئة التحرير:

د. نجيب الورافي

د. خلدون نعمان

د. أمين الجبر

د. عبدالله علي الغُبسي

#### سكرتارية التحرير:

د. عبدالله أحمد الجرفي

ندى عزالدين العصيمي

#### المسؤول المالي:

علي أحمد البخراني



## الآداب

مجلة علمية فصلية محكمة

تصدر عن كلية الآداب

جامعة ذمار، ذمار،

الجمهورية اليمنية

العدد الحادي عشر

يونيو 2019

التقييم الدولي:

ISSN: 2616-5864

التقييم المحلي:

(551 لسنة 2018)

- جميع الحقوق محفوظة للمجلة.
- لا يحق إعادة نشر المواد المنشورة في المجلة دون إذن مسبق.
- لا يحق الاقتباس من المواد المنشورة في المجلة من غير ذكر المصدر.

## قواعد النشر

"الأداب" مجلة علمية محكمة، تعنى بنشر البحوث في مجال العلوم الإنسانية بالعربية واللغات الأوروبية، تصدر عن كلية الآداب، جامعة ذمار، وفقاً للقواعد الآتية:

- 1- أن تتسم الأبحاث بالأصالة والمنهجية العلمية السليمة.
- 2- أن تخضع البحوث للتحكيم العلمي حسب الأصول العلمية المتبعة.
- 3- تكتب البحوث بلغة سليمة، وتراعى فيها قواعد الضبط ودقة الأشكال –إن وجدت– بصيغة (Word)، بحجم (14)، وبخط (Simplified Arabic) بالنسبة إلى الأبحاث باللغة العربية، وبخط (Times New Roman) للأبحاث باللغات الأوروبية، وتكون العناوين الرئيسة بخط غامق، وبحجم (16). على أن تكون المسافة بين الأسطر (1,5سم)، وهوامش (2,5سم) من كل جانب.
- 4- ترسل الأبحاث بصيغتي Word و PDF باسم رئيس التحرير على البريد الإلكتروني للمجلة: D.Aladab2017@gmail.com.
- 5- أن يصحح لغوياً من قبل الباحث، ويرفق معه ملخصان بالعربية والإنجليزية.
- 6- لا يتجاوز البحث (30) صفحة، بما فيها الأشكال والجدول والملاحق، وفي حال الزيادة يدفع الباحث ألف ريال يماني عن كل صفحة.
- 7- توثق الهوامش في نهاية الأبحاث على النحو الآتي:
  - أ- المخطوطات: اسم المؤلف، عنوان المخطوط، مكان حفظه، رقمه، الورقة.
  - ب- الكتب: اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، مكان النشر وتاريخه، الطبعة، الصفحة.
  - ج- الكتب الجماعية: اسم المؤلف، عنوان البحث، عنوان الكتاب، المحرر، مكان النشر وتاريخه، الطبعة، الصفحة.
  - د- الدوريات: اسم المؤلف، عنوان المقال، اسم المجلة، رقم العدد وتاريخه، الناشر، الصفحة.
  - هـ- الرسائل الجامعية: اسم صاحب الرسالة، عناونها، الكلية، والجامعة، تاريخ إجازتها، الصفحة.
  - و- توثق البحوث النفسية والتربوية وفقاً لطريقة جمعية علم النفس الأمريكية APA.
- 8- تتولى المجلة إبلاغ الباحث باستلام بحثه، وقرار المحكمين حول صلاحيته للنشر من عدمه، أو إجراء التعديلات، ورقم العدد الذي سوف ينشر فيه.
- 9- ترتب الأبحاث عند النشر حسب تاريخ ورودها إلى المجلة.
- 10- يدفع الباحثون اليمنيون أجور النشر البالغة (25000) ريال يماني، ويدفع الباحثون من خارج اليمن (150) دولاراً أمريكياً أو ما يعادلها، في حين يدفع أعضاء هيئة التدريس في جامعة ذمار مبلغاً وقدره (15000) ريال يماني، كما يدفع الباحث أجور إرسال النسخ الورقية من العدد.
- 11- تورد المبالغ إلى حساب رقم (211084) في البنك التجاري اليمني – فرع ذمار، الجمهورية اليمنية. ولا يعاد المبلغ إذا رُفض البحث من قبل المحكمين.

للاطلاع على الأعداد السابقة يرجى زيارة المجلة عبر الرابط الآتي: <http://jthamararts.edu.ye>

عنوان المجلة: كلية الآداب – جامعة ذمار، هاتف (06-509584).

العنوان البريدي: ص.ب (87246) كلية الآداب – جامعة ذمار. ذمار، الجمهورية اليمنية.

## المحتويات

- الرواية النسوية العربية - سلطة المركز وتمرد الهامش
- د. عصام واصل.....5
- التعبير الإشاري في (الطرفة الذمارة) مقارنة تداولية
- أ.د. عبدالكريم مصلح البجلة، عبدالله علي عصبه.....46
- الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب) المنسوب لمحمد البسام التميمي مراجعة نقدية
- د. عبدالعزيز بن محمد العبدلله.....84
- الرمز والدلالة في البنية التصميمية لمسكوكات الإمام يحيى بن حميد الدين
- د. غيلان حمود غيلان.....108
- قراءة في جهود داود عبده النحوية التجديدية
- عبدالسلام محمد حسين الشناظي.....130
- التشاكل والتخالف في نسق الغزل من قصيدة (بانث سعاد) لكعب بن زهير- دراسة سيميائية
- أ.م.د.علي حمود السمحي، معاذ غالب قائد الجحافي.....167
- اتجاهات طلبة جامعة صنعاء نحو العلاج النفسي
- أ.م.د. بلقيس محمد جباري.....200
- موجّهات التأويل النحوي في تفسير القرآن الكريم: كتاب (البسيط) للواحدي نموذجًا
- سالم فضل عاشور باجري.....243
- السمات الشخصية لدى المتفوقين وغير المتفوقين دراسياً في الصف الأول من المرحلة الثانوية بمدارس أمانة العاصمة صنعاء
- أ.د. صلاح الدين أحمد محمد الجماعي.....269
- أثر الإيرادات الحكومية والدخل الفردي والسكان على الإنفاق في التعليم والصحة والدفاع والأمن في الجمهورية اليمنية "دراسة تحليلية قياسية"
- أ.م.د.محمد يحيى الرفيق.....305
- الجندر واللغة والثقافة في المجتمع اليمني
- د. أحمد الحسامي .....1

## الرواية النسوية العربية

### سلطة المركز وتمرد الهامش

د. عصام واصل\*

#### الملخص:

يشغل هذا البحث على مدونة روائية تنتمي إلى أجيال وأمكنة جغرافية متعددة، وهو، هنا، يؤكد أنه لم يلتفت إلى زمنها، أو البيئة التي تنتمي إليها، أو النوع الاجتماعي لمؤلفها، بقدر ما تم الالتفات إلى مضامينها، وتوافقها مع التيمات النسوية المشار إليها في مدخل البحث، وقد وجد البحث أنها مدونة متجانسة نسويًا، إلى حد ما، و حاول أن يستجلي في تلك المدونة سؤال المركز والهامش، واشتغال الهيمنة الذكورية، محاولًا توضيح دور ذلك في التمييز الجنوسي المؤطر ثقافيًا، وأدوات التسلط التي تساعد على الفرز والتمييز والهيمنة، فضلًا عن مناقشة سؤال التمرد والتحرر من الهيمنة والتبعية، على نحو ما سنرى لاحقًا.

---

\* أستاذ الدراسات الأدبية المساعد- كلية الآداب- جامعة ذمار- الجمهورية اليمنية.

## Arabic Feminist Novel

### Authority of Center and Rebellion of Margin

Dr. Esam Wasel

#### Abstract:

This research aims to analyze selected novels belonging to several generations and geographic regions. It is here confirmed that the research is not directed to their time, social environment or the gender of authors as far as it is directed to their contents and their conformity with the Feminist themes mentioned in the research introduction. The research has found the novels to be in conformity with feminism to some extent.

It tries to uncover a question of center and margin and the masculinity domination, trying to explain the gender discrimination that is culturally framed, and the dominion tools that enforce separation, discrimination and dominion. In addition to address the question of rebellion and liberalism in a way we will discuss later.

#### مدخل:

تعود نشأة النظرية النسوية إلى القرن التاسع عشر<sup>(1)</sup>، لكن إرهاباتها الأولى كانت قد بدأت قبل ذلك بأكثر من قرنين تقريبًا، حينما ظهرت أعمال تبشر بولادة حركة جديدة هي حركة ثورية بامتياز. حاولت المرأة فيها أن تنتصر على الفعل الإقصائي، وتفكك النظام الأبوي وعناصر الهيمنة الذكورية في المجتمع الأوروبي، الذي كان ينظر إلى المرأة من منظور ذكوري صرف، ويجعلها تابعًا وهامشًا يعاني من الإقصاء والمصادرة وهضم الحقوق، على صعيد الأجور والمواطنة<sup>(2)</sup>، وهو ما قاد المرأة إلى أن تثور كليًا وبشكل راديكالي الطابع في بادئ الأمر يجعل من المرأة مركزًا والرجل هامشًا. وقد وُصفت هذه المرحلة بالموجة النسوية الأولى، وهي مرحلة وقعت في مآزق تبادل الأدوار؛ إذ نادى بإقصاء الرجل وجعله هامشًا في مقابل صعودها إلى المركز، وهي حالة تجاوزتها في المرحلة اللاحقة التي وصفت بالموجة النسوية الثانية، حينما عادت إليها

الحقوق، وأصبحت تنادي في المرحلة الثالثة التي وصفتها بمرحلة ما بعد النسوية<sup>(3)</sup> بمراكز متساوية لا بمركز وهامش، ويمكن أن نطلق عليها «مرحلة التكافؤ».

هذا المدخل يعد ضرورياً لمعرفة النسوية أولاً، ومن ثم التفريق بين مصطلحاتها وما يجاورها ثانياً، من أجل الوصول إلى تحديد ماهية الكتابة العامة، والكتابة النسوية وسبب هذا التصنيف ومنطقيته.

لا يفرق كثيرون بين النسوية وما يرادفها من مصطلحات، وما يختلف عنها من حيث الماهية كالنسائية والأنثوية، وهما مصطلحان لا يتماثلان أنطولوجياً ولا أبستمولوجياً مع المصطلح الأول؛ ذلك أن فروقا فردية تحول دون ذلك. فالنسوية نظرية سياسية ثقافية اجتماعية ثأرية وثورية سعت إلى التحرر من سلطة النظام الأبوي، ووضع الخطوط العريضة لماهية وأدوات الدفاع عن المرأة وحقوقها وتصحيح المسارات الثقافية من الشوائب الذكورية التي رافقتها؛ في سبيل إعادة المرأة إلى سياقها الطبيعي الإنساني الفاعل. وتعرّف بام موريس النسوية بأنها «مفهوم سياسي مبني على مقدمتين منطقيتين أساسيتين: 1- إن بين النوعين مؤسسة تقوم على عدم المساواة بين النساء والرجال، وتعاني النساء بسببها من انعدام العدالة في النظام الاجتماعي، و2- إن انعدام المساواة بين الجنسين ليس نتيجة لضرورة بيولوجية، لكنه ناتج عن الفروق التي تنشأ الثقافة بين الجنسين»<sup>(4)</sup>. أما مصطلح النسائية فإنه دال على جنس المرأة فقط، ولا يدل على حركة ولا على نظرية، إنه اسم لمسمى ليس أكثر، ويطلق على ما تكتبه المرأة بمعزل عن النزعة الإيديولوجية أو عن الموضوع المشتغل عليه ليبدل على الكتابة التي تكتبها امرأة فقط، فهو دال على الذات لا على الموضوع، في حين أن المصطلح الأول يدل على الموضوع لا على الذات، إذ الذات تتحول إلى موضوع كتابي يعبر به وعنه في لحظة الكتابة<sup>(5)</sup>، وهدف النقد النسوي هو الكشف عن طرائق تشكيل هذا الموضوع الذي يعبر عن المرأة، ويعبر بها عن وضعها وقضيتها. في حين أن مصطلح الأنثوية دال على مجموع الخصائص والصفات البيولوجية والأيديولوجية الناتجة عن التنشئة الخاصة للمرأة من قبل المجتمع الذكوري كالحياء والخجل وغيرهما<sup>(6)</sup>، وتعرف سارة جامبل الأنوثة بأنها «مجموعة من القواعد التي تحكم سلوك المرأة ومظهرها، وغاية



القصد منها جعل المرأة تمتثل لتصورات الرجل عن الجاذبية الجنسية المثالية»<sup>(7)</sup>، ولا يمكن -بناءً على ذلك- أن نطلق على أي كتابة الكتابة الأنثوية.

بناءً على هذا التصنيف المصطلحي، يمكن التصنيف على صعيد الكتابة؛ من أجل تحديدها نوعياً، فإذا كان مصطلح النسوية دالاً على نظرية وحركة فإن ثمة كتابة تنتهي إليه حينئذ، وتسمى بالكتابة النسوية، وهي كل كتابة تعتمد خطأ معيناً يتبنى الدفاع عن المرأة، ويعبر عن كل ما ينتهي إلى عالمها، أي هي الكتابة التي تتخذ من المرأة وقضاياها موضوعاً لها حصرياً<sup>(8)</sup>، وهي كتابة تنطلق من مجموع الخصائص الموضوعية الكامنة داخل العمل الفني ذاته، وليس خارجه، بغض النظر عن إن كان المؤلف رجلاً أو امرأة، فما يهم هنا هو المكتوب لا جنس الكاتب. في حين تقتصر الكتابة النسائية على التفريق بين المؤلفين فقط رجالاً كانوا أم نساءً، بغض النظر عن المضامين التي تتمفصل في النصوص، فقد تكتب المرأة كتابة تنتهي إلى حقل النسوية وقد لا تنتهي إليه، وتقول القاعدة: «إن كل ما تكتبه المرأة نسائي وليس كل ما تكتبه نسوياً بالضرورة»<sup>(9)</sup>.

وإذا كنا نصنف هنا «كتابة نسوية» انطلاقاً من المصطلح الثقافي السياسي المشار إلى ماهيته آنفاً، وكتابة نسائية انطلاقاً من المصطلح الدال على النوع الاجتماعي، فإن المصطلح الأخير (الأنثوي) لا نستطيع أن ننسب إليه كتابة فنقول: "كتابة أنثوية" على اعتبار أنها كتابة تحتفي بالخصائص الأنثوية كالخجل والحياء والدلال الزائد وغيرها<sup>(\*)</sup>، فلدينا كتابة نسوية انطلاقاً من الموضوع، و"كتابة نسائية" انطلاقاً من الذوات وحسب، أي إن التركيز يكون على طبيعة النص وليس على جنس المؤلف. وبناءً على ما تقدم، فإن الحكم بعدمية الكتابة النسوية لا يستقيم، ومرده إلى غياب المعرفة بهذه النظرية ومعطياتها وإشكالياتها.

وسيعمد هذا البحث إلى توضيح هذه المفاهيم بوساطة الاشتغال على روايات تنتهي إلى الحقل النسوي، كتبها نساء (نسويات)، مبيّناً مجمل القضايا التي اشتغلت عليها وتنتهي إلى حقل النسوية أو تجعل منها متوناً نسوية، وهي متون منتقاة بعناية؛ لتمثل الفكرة التي يسعى إليها البحث. وهي على التوالي: «الغد والغضب»، خنائة بنونة<sup>(10)</sup>، «تاء الخجل»، فضيلة الفاروق<sup>(11)</sup>، «سيقان ملتوية»، زينب حفي<sup>(12)</sup>، «نساء بأقفال»، هيفاء بيطار<sup>(13)</sup>، «عام الفيل»، ليلي بوزيد<sup>(14)</sup>،

وهي روايات تتخذ لها خطأً دفاعياً مهموماً بحقوق المرأة وحرمتها، في إطار علاقتها بالآخر الجارح والمتسلط. وسيعمل هذا البحث على استجلاء سؤال المركز والهامش، واشتغال الهيمنة الذكورية فيها، محاولاً توضيح دور ذلك في بروز التمييز الجنوسي المؤطر ثقافياً، وأدوات التسلط التي تساعد على الفرز والتمييز والهيمنة، فضلاً عن مناقشة سؤال التمرد والتحرر من الهيمنة والتبعية، على نحو ما سنرى في الآتي:

### سؤال المركز والهامش / اشتغال الهيمنة:

يبدو سؤال المركز والهامش مدار المدونة السرديّة المشتغل عليها، إذ يستقطب حركة الذات، ويحدد علاقاتها، ويولّد أنماط التمييز الجنوسي الذي يشتغل نتيجة للوعي المهيمن على المجتمعات، وهو وعي له امتداداته الحضارية منذ زمن بعيد، وقد غدّته النظرة الأبوية التي تصنف الواقع على وفق قطبين محوريين: أحدهما حاكم (الذكر) والآخر محكوم (الأنثى)، والعلاقات بينهما هرمية، علاقة سيد بمسود؛ ذلك أن الثقافة الأبوية تؤثر الأخذ بأسلوب تدريجي في التفكير، يقوم على مجموعة من التعارضات، كالتعارضات بين الذكر والأنثى، والثقافة والطبيعة، والإيجابي والسلبي، مع تسيد الذكر على الأنثى، فالذكر هو الإيجابي وهو صاحب الرأي والنظر، مقارنة بالأنثى السلبية التي تنتظر رأي الآخرين<sup>(15)</sup>، وهي ثقافة تعمد إلى رسم مسارات المجتمع وتحديد أنماطه وكيفيات تحركاته، ولا يتوقف به الحال في رسم قواعد حركة المجتمع وعلاقاته فحسب، بل يعمد إلى التدخل المباشر وغير المباشر في رسم خطاطة (إستراتيجية) تحركات الأفراد وفقاً لخط مُعدٍ ومحسوم سلفاً، يقوم على التمييز، ويبدو ذلك النظام أكثر تجلياً في المجتمعات النمطية المُجَهَّلة التي ترزح تحت وطأة أنظمة ديكتاتورية، بالنظر إلى صورة المرأة وواقعها وإلى مجموع القوانين التي تحكم تحركاتها وتضبط إيقاعات تنقلاتها ووعيمها. ووفقاً للوعي بين الذات والآخر تكون العلاقة بينهما إما قائمة على الخضوع والاستلاب وإما قائمة على الثورة والسعي نحو تغيير الواقع ومحاولة استعادة المكانة وخلق التوازن.

ويتضاعف أمر التمييز الجنوسي حينما يتدخل النظام الأبوي؛ إذ يصبح مدخلاً للتنميط

والتدجين المضاعفين وبروز الفصل العنصري المركب، من حيث تغذيته لمجموعة من الأفكار التي

تصاحب التنشئة منذ الطفولة؛ إذ في بعض المجتمعات لا يزال يُنشأ الرجلُ بطريقة مضاعفة عبر زرع قيم ذكورية مصطنعة تعزز لديه حب التعالي والغرور والعنجهية واحتقار المرأة، وتوعز إليه أن على الرجل أن يكون صاحب سلطة وسيادة على المرأة والأسرة، وعليه أن يتحدث بصوت خشن، وأن لا يُظهِر ضعفاً أو ليناً أو رحمة؛ لأن ذلك كله من سمات المرأة، والمرأة كائن ثانوي ومستضعف ومستهنج، تُنشأ على الذل والمسكنة والاحتجاب وعدم الإسهام الفاعل في المجتمع، فهي عورة وشرف الرجل، وذلك يعني أن المجتمع يجعل المرأة أنثى مضاعفة التأنيث، في حين يجعل الرجل ذكراً مضاعفاً، فالذكر له هويته، وللأنثى هويتها، وتلك الهويات مصنوعة من قبيل المجتمع، مشروطة بمعايير أنضجها النظام الأبوي على مدى أزمنة طويلة حتى اكتملت، فالأنوثة والذكورة صناعة أبوية ناتجة عن التنشئة الاجتماعية في البيت والشارع والمؤسسة التعليمية... إلخ، وتتضاعف في حال استلاب المرأة وغياب وعيها بذاتها ووجودها وحقوقها، إذ إنها لا تؤسس فاعلة إلا في اللحظة التي تشعر فيها بوعيمها، إذ تبدأ الإشكالية لحظة وعي الذات بالوجود والاستلاب ومتطلبات خلق واقع مثال والخروج من حال المأزق المعاش؛ ذلك أن «الوعي وحده هو ما يحوّل الواقع الراهن إلى مشكلة تحتاج إلى تفكير وتدبر وصولاً إلى واقع أفضل»<sup>(16)</sup>.

يبدو ذلك جلياً في رواية خنائة بنونة «الغد والغضب» إذ يُظهِر الوعي فيها مقارعة النظام الأبوي والتنميط والنمذجة، وطمس هوية الذات/المرأة، وجعلها تبدو تابِعاً، أو مسخّاً، إذ يحاول الأب بـ«اهتمام مسعور»<sup>(17)</sup>، إذابة التمييز لصالحه عبر تنميطها وجعلها تبدو نسخة منه، بل «هي هو» كما يبدو في الحوار الآتي له مع الأم التي تقول له:

«ولكن لِمَ كل هذا التعلق بمستقبلها؟

"فيرد: لأنها أنا"<sup>(18)</sup>.

فهو ينظر إليها على أنها آخر، لكنه يحاول دمجها فيه أو تحويلها إلى نسخة طبق الأصل منه رغبةً في السيطرة والتملك، فهو ذكر، والبشرية -بحسب سيمون دي بوفوار- ذكر، والرجل يعرف المرأة ليس لذاتها وإنما منسوبة إليه، فهي لا تُعتبر مخلوقاً له حرية ذاتية، والرجل يمكن أن يفكر في نفسه بدون امرأة، بينما المرأة لا يمكنها أن تفكر في نفسها بدون رجل، وهي ببساطة ما يقرره

الرجل<sup>(19)</sup>، والرجل لا يقبل أن يكون امرأة لكنه يسعى إلى جعل المرأة نسخة منه، وفي ذلك دلالة على محاولة سلها شخصيتها، وحرمتها في الاختيار، وتحديد مستقبلها بذاتها، وهو ما ترفضه كلياً، تقول: «لن أقبل وضعاً أرفضه في الأشياء، لكي أكون مجرد وجه منسوخ لأجسد عملية التلقيح والتوليد للشيء نفسه»<sup>(20)</sup>.

إن محور فعل الذات قائم على رفض إعادة الاستنساخ للنمط الذكوري الأبوي، وهذا الوضع يدفعها إلى رد فعل رافض، ولكن بهمس «كنت أقول بهمس»<sup>(21)</sup>، وهو فعل يمكن رده إلى مرحلة بداية الوعي واكتشاف الاستلاب، كما يظهر من خلال تحديدها لثلاثة أطوار للتحويل بين الوعي واللاوعي بالتمييز والثورة عليه، هي: «الأمس، والآن، والغد»، كما يبدو من خلال العنوان والجملة البدئية للسرد، ففي الحالة البدئية ثمة ضياع، لكن ثمة إعلان للتمرد «كان ذلك في الماضي وحتى الآن»<sup>(22)</sup>، منذ العنوان «الغد والغضب»، بما يدل عليه من أن مستقبلاً سيولد هو مستقبلها هي، وأنه من اختياراتها وليس من اختيار النظام الأبوي بشتى أنماطه، فثمة غد/مستقبل، وثمة غضب/ثورة، وثمة إعلان بالتحويل إلى حالة ثانية، بعد التخلي عن حالة البدء والثورة على حالة الماضي (المسكوت عنه)، والآن (الثائر بصمت): «وأهيم.. أبحث بتيه عن حضور لم يشهد عملية الإجهاض والتلقيح بتتابع»<sup>(23)</sup>. كما توحى بأن ثمة فقداناً لموضوع القيمة (الأمس)، ومحاولة استعادته (الآن/الغضب) ومن ثم استعادته فعلياً (الغد)، فالأهل يختارون لها موضوع قيمة ترفضه وتصفه بالسراب: «أخوض بها سراياً معيناً اقتضت أسرتي أن يكون هدفاً لي»<sup>(24)</sup>. إذن، ثمة إعلان عن الوضع الزمني وما يترتب عليه من وضع اجتماعي، ثمة اختيار أسري لها (الماضي)، وثمة ترقب ومحاولة إعلان الثورة (الغضب)، وثمة موضوع يدفعها إلى القيام بهذه الثورة (خيار الأهل لها)، ويتضح الأمر أكثر في معرفة ملفوظ الأب الذي يختزل ذلك كله في قوله: «ستصبحين كابنة عمك.. مثقفة، وحازمة في تحفظ»<sup>(25)</sup>. إن ذلك يعني أن الذات (هدى) قد أصبحت على وعي بذاتها (الآن) في مقابل الآخر، بما يمثله من مصادرة ومحاولة للهيمنة وتذويب الذات وصهرها في بوتقته، وثمة إصرار على التجاوز من قبلها؛ من أجل تنفيذ برنامجها السردية الخاص بها بعيداً عن الأهل وتنميط النظام الأبوي، وتنفيذ برنامجها الخاص، وإنجاز فعل

التجاوز مشروط تمامًا بهذا الوعي، وإلا فالاستلاب سيظل هو الفاعل المنجز؛ لأن «أوضاع المرأة لا يمكن أن تتغير إلا إذا أدركت معنى الذات التي حرمت منها حتى الآن، وهو ما سيترتب عليه تحول داخلي»<sup>(26)</sup>. والوعي هنا ينتقل من مرحلة أولى (بهمس) ويمهد لمرحلة نهائية وهي مرحلة الوعي الثائر (الغضب)، ويبدو ذلك حدًا فاصلاً بين جيلين: جيل الأم وجيل الذات، فالجيل الأول خانع ومستسلم لا يتكلم ولو بهمس، وهو الجيل الخائف (مسلوب الإرادة والوعي)<sup>(27)</sup>، «كنت أقول هذا بهمس، بينما نظرته تنطلق من غور عينيه لتصبغه بنوع رجولة ترهبها أمي»<sup>(28)</sup>، دليل على أنها قد شبت عن طوق الخوف والرغبة، وتؤسس لجيل قادم، غاضب، ومتجاوز، يتنافى مع جيل مضى وربما مع أجيال مضت، وهي الأجيال التي أسهمت في خلق النظام الأبوي واستفحاله، وتواطأت معه.. ولا يتوقف الأمر هنا، بل إن الذات تبدو متسائلة مع الأب، ساخرة من محاولاته، وليست تساؤلات بسيطة بل تساؤلات إشكالية عن ماهية الثقافة: «ما هي الثقافة يا أبي»<sup>(29)</sup>، وترد على إجاباته التي تراها متحذقة لا تقدم ما ينبغي أن يُقدّم؛ لأنها تعتبر من يمتلك الثقافة عليه أن يغير الواقع الاجتماعي المشوه، وهو ما لا يحدث، وإنما يكشف زيف النظام الأبوي الذي يذكره الأب ولا يعمل على تفكيكه، تقول:

«أكاد أصفعه:

- لِمَ لا تفضح الوجه الاجتماعي في معاييرهِ البالية؟ ولم لا تقول: إنك بلا سلاح لأنك بلا إغراء، لأستطيع أن أحترمك أو أحتقرك؟»<sup>(30)</sup>.

فالساردة لا تقول للنسق المعاصر فقط: قف، بل تحاول أن تقول عصرًا بكامله وحضارة بأسرها، وتسعى إلى التشكيك فيه وإلى تعرية القوانين التي يشتغل بموجبها، وفضح التناقض الذي يعيشه، ولا تصل المرأة إلى هذا المستوى إلا عن طريق الوعي أولاً، والمعرفة ثانيًا، والقدرة على إحداث تحول حقيقي وجذري في الأنساق والمفاهيم ثالثًا. إنها تحتقر التناقض.

وفي رواية «تاء الخجل» يبدو الرجل مركزًا مهممًا ومتسلطًا، وتبدو المرأة هامشًا تابعًا، نتيجة لبروز إشكالية التمييز بشكل حاد وجارح للمرأة، ويبدو أن للبيت (حيث يحدث الفرز وضرب المرأة واستعبادها) دورًا في التنميط والنمذجة وتحديد أشكال التمييز، وللشارع أيضًا (حيث

يحدث التحرش والاختطاف ووأد المرأة طفلة وراشدة)، إذ يبدو دال التمييز منذ العتبة الأولى في الرواية؛ العنوان «تاء الخجل»، حيث إن دال التاء يفارق صفته التي وضع لها على مستوى السطح (تاء التأنيث) ليصبح «تاءً للخجل» على المستوى العميق؛ ذلك أن الخجل دالٌّ مدجج بالتمييز الذكوري والتأنيث المضاعف الناتج عن التنشئة والثقافة، لاسيما إذا عرفنا أنه أحد أهم إفرزات التنشئة الأبوية ذات الفصل العنصري بين مكوني الجنس البشري<sup>(31)</sup>: رجل/امرأة، وتجعلهما: ذكر/أنثى، تقول الساردة (خالدة):

«كنت في الغالب أحب أن ألعب مع خليل ويونس، كانا من سني تقريبًا، لكنهما صارا يتهربان مني عندما كبرا، وكان عمي بوبكر يكره أن يراني معهما... كنت ذكية وناجحة في المدرسة مثل ذكور العائلة. أما العممة "كلثوم" والعممة "نونة" فلهما تفسير آخر لهذا النجاح، فقد كانتا تقولان إن سيدي إبراهيم كتب حجابا لينجح الذكور، وكتب آخر ليجعل من الإناث ربات بيوت، أما أنا فيسكنني عفريت؛ لهذا اختلفت عن الأخريات، بل وتجرتنا أن تقولنا إن زهية (والدتي) تريد أن تجعل مني صبيًا أعوج»<sup>(32)</sup> فهذا الملفوظ يؤشر تماما إلى مسألة التمييز (ذكور، إناث، الأخريات، سيدي، صبيًا أعوج...)، ويفضح النسق الأبوي الذي يحدد الشروط والوجود ومسألة التعايش والاختلاط والتفريق بين قطبي الجنس، ويحيل إلى إفرزاته اللغوية وانعكاساتها، وهو نسق وُجِدَ ليسير بشكل مستقيم، ويمثل قانونًا لا مناص منه، وإذا خرج هذا القانون عن المؤلف فإن المجتمع يبحث له عن تفسير، ولا يجد له مسوغا يرتقي إلى مصاف خروجه وانتهاكه سوى التفسير الميتافيزيقي المتمثل في الـ"الحجاب" الذي يصنعه "سيدي إبراهيم"، وتَدخُلُ الغيبيات (العفريت)، وهو تبرير له بُعْدُهُ الإيديولوجي الخفي الرامي إلى المحافظة على "النمط/التقليد" واستمراريته من قبل النساء اللواتي يفتقدن إلى الوعي بالحقوق، ويعشن الاستلاب في أبهى تجلياته (استلاب الوعي واستلاب الإرادة). إن هذا الملفوظ ينهض على توضيح التمييز العنصري والفصل بين الذكور والإناث، والتحيز للذكور، وإسهام الوعي الثقافي والمخيلة المزدوجة من قِبَلِ المرأة (نساء العائلة) التي تسارع إلى حراسة التقليد الذكوري، وكذا من قبل الرجل (عمي بوبكر)، وهو تقليد يثير كراهية الساردة: «كنت أكره ذلك التقليد الذي يجعل منّا قطيعا من الدرجة

الثانية»<sup>(33)</sup>، وهو تقليد يجعل الحرية والعلم والذكاء والصدارة من نصيب الذكور (المؤسسة)، والعبودية والأمية والغباء والتخلف حكراً على النساء (الشيء). فهذا النسق الذهني منحاز - من وجهة نظر السرد- ويعمل على التوصيف والفرز لصالح الرجل، وهو صنعة ذكورية، ويهدف دوماً إلى استعباد المرأة؛ باعتبارها (الأخر)- من وجهة نظره- وجعلها تابعاً يقدم واجب الخدمة للرجال، وتتضح هذه الصورة بشكل جليّ في قول الساردة (خالدة): «أما ما يجعلني فعلاً أفقد أعصابي فهو فترة الغداء يوم الجمعة، إذ علينا نحن النساء أن ننتظر عودة الرجال من المسجد وبعد أن ينتهوا من تناول الغداء يأتي دورنا نحن النساء»<sup>(34)</sup>. فالمرأة مجرد خادم، والرجل في المقابل مخدوم (سيد)، يأكل في البداء، وتأكل المرأة في المنتهى ما يخلفه من طعام (البقايا)، بعد أن يشبع الرجال، وذلك يدفع الذات إلى التمرد أو إيجاد ما يجعلها تخرج عن فكرة العبودية للرجل، فهي تعي أن ذلك عبودية، وأنه صنعة ذكورية، وأنه مهين ويجعلهن قطيعاً من الدرجة الثانية؛ لذلك تظهر بوادر التمرد لديها، وحينما تعجز عن التمرد بشكل واضح وصريح تتمنى لو تمتلك ما يخرجها من تلك الدائرة، وتدرك أن ذلك لن يتحقق إلا بامتلاك ميزة ذكورية ك(للاعيشة) التي تختلف عن بقية النساء وتمتلك الحق في التحرك في الفضاءات والتحدث مع الذكور بحرية، ولكلمتها وزنها وقيمتها ولا يمكن أن يستعبدها أحد، تقول: «تمنيت أن أكون صبيّاً أو مثل لالا "عيشة"»<sup>(35)</sup>.

ذلك يعكس بجلاء صورة المرأة/الهامش من خلال مقابلتها بصورة الرجل/المركز الذي يمتلك القانون والقوة التي يستمدّها من الذهنية الأبوية ومساراتها الثقافية، والمرأة لا تصل إلى مرتبة الرجل إلا إذا مارست دوراً رجولياً ك"لالا عيشة"، أي إذا كان النسق الذكوري راضياً عنها، ف(لالا عيشة) لم تمتلك المكانة التي هي عليها إلا لأنها ورثت بعد زوجها عقارات، ولأنها انخرطت مع الثوار سابقاً في أداء مهامهم، ومع ذلك فإنها تدرك جيداً أنها تبقى في مركز ثانوي، حتى وإن كانت الطبيعة قد تفضل المرأة فإن المجتمعات كلها ستنحاز إلى الرجل<sup>(36)</sup>.

وفي المجمل يظهر التمييز في «تاء الخجل» وفقاً لأشكال متعددة، منها الفرز (ذكور/إناث)، وتسيد الرجل مقابل عبودية المرأة، لا لخصيصة بيولوجية أو لسمة من سمات المرأة موجودة فيها، بل لهيمنة الثقافة التي تعد مؤسسة ذكورية، فالمرأة أمة، والرجل حروسيد، وهي مقيدة لا

تستطيع أن تنتقل سوى في فضاءات محدودة داخل المنزل فقط، وعليها أن لا تتعلم، وهو صاحب الحل والعقد، وهي خلقت لتصغي وتنفذ فقط، وهو الجارح والرافض والقانون في النهاية، وهي المنبوذة والمطرودة والملغاة والقتيلة والمنتحرة بسبب الرجل وقانون الذكورة، إي إن الرجل يمتلك كل شيء، بما في ذلك المرأة والسلطة/القانون؛ لشرعنة ذلك.

يملك الرجل حق الوجود كاملاً بعيوبه ومزاياه دون أن يتأثر بمسألة التمييز، بل إنها مسألة وجدت لصالحه على حساب المرأة التي تدخل حيز ممتلكاته وأشياءه، ويستطيع أن يستخدم ضدها كل ما لا تستطيع فعله، ويتضح ذلك أكثر في رواية «عام الفيل» لليلى أبو زيد عبر فعل الطلاق، فهو فعل ذكوري يمارسه الرجل دون سبب، فالعصمة بيده، وبإمكانه في أي وقت أن ينهي العلاقة لسبب وجيه أو دون أي سبب، وكل ما عليه هو أن يدفع كل ما يترتب عليه من التزامات مهما كانت بالنسبة إليه بسيطة أو باهظة، ودون أي اعتبار للمآلات التي تؤول إليها الذات (زهرة)، فهو سيدفع، وينتهي كل شيء: «ستصلك ورقتك وما يخوله القانون»<sup>(37)</sup>. وإذا كان الطلاق فعلاً ذكورياً يمارسه الرجل فإن تبعاته مادية فقط عليه، أما على المرأة فإن تبعاته مادية وروحية تورث لديها الإحساس بالغربة والتهيه، كما أنه يشعرها بالعنصرية والتمييز، وهو ما يتجلى من خلال دال «ورقتك» في الملفوظ السابق الدال على تحقيق فعل الطلاق، فالطلاق ليس أمراً عادياً في الروية، بل هو عامل تحويل هائل، وانتقال من حالة الاستقرار إلى حالة التيه والضياع، وهو فعل رمزي «يتحول إلى قطيعة بين زمنين؛ زمن البراءة والسعادة الذي كانت تعيشه زهرة، وزمن الحاضر، زمن الخيبة والانكسار الذي أصبحت تحيا فيه، كما أن الطلاق/القطيعة يتمظهر على المستوى الجمعي بين مرحلتين: مرحلة الطموح في أفق التطلع إلى تأسيس مجتمع مستقل وجديد يحقق فيه الناس كرامتهم، ومرحلة الخيبة حيث يتحول من كان يعول عليهم في إحداث التغيير، إلى أشخاص يتنكرون للطموح والحلم الجماعي؛ بزوعهم إلى تحقيق المصالح الفردية، وبذلك تتحول قيمة الطلاق إلى مركز التلاقي الذي تتقاطع فيه بنية الحلم والخيبة، وإلى معادلة مشتركة بين مصير الجماعة والفرد، اللذين يتحدان في المسار الحكائي نفسه»<sup>(38)</sup>.



وتعيش زهرة بعد ذلك مفارقة بين لحظتين: ما قبل، وما بعد، وتشعر بالضياع، وتبحث عن مأوى، وتستعيد أيام طفولتها وأهلها الراحلين، وتشعر بالوحدة والاعتراب والغياب، إثر الطلاق الكارثة، كما تصفه الساردة: «الطلاق عندنا في حد ذاته كارثة»<sup>(39)</sup>، إنه يساوي الوحدة والحاجة والفاقة والغياب والانفصال والعدم، وهو عنصر يكشف التحول المهول على الصعيدين: الفردي والاجتماعي، إذ يبدو متلازماً مع الواقع السياسي، ويستدعي معه الحديث عن الثورة ورفاقها ومآلاتهم معاً (الثورة والزواج/الطلاق)، ويكشف التحول في الوضعيات (ما قبل/ما بعد)، على صعيد الذات والمجتمع والأحلام والواقع والقيم والمبادئ، ويصبح رفاق الثورة أدعياء اليوم، والمرأة طالق، وزوجها/الرجل مسئول، وهي/المرأة تائهة، ويُرمز إلى ذلك كله بفعل الطلاق الذي يعد رمزاً للقضية بين الماضي والحاضر، ولم يعد تعبيراً عن الشجن النسوي فقط، «فضلاً عن ذلك نجد دلالاته تنزاح عن مستواها الديني؛ لتأخذ دلالات أخرى توجي بطلاق رمزيّ بين لحظتين حاسمتين»<sup>(40)</sup>: لحظة نجاح الثوار وعطائهم، ولحظة انتكاسهم وانتكاسة الأحلام، وتعد زهرة تمثيلاً رمزيّاً لها<sup>(41)</sup>، إذ تحولت من فدائية ثائرة ومناضلة إلى مطلقة ومغترية وماسحة (منظفة) في بلاط المركز الثقافي للمستعر الفرنسي سابقاً، في الوقت الذي يتحول فيه الزوج إلى مسئول حكومي رفيع ومتناقض، ليس لكفاءته وليس لعدم كفاءتها، بل لأنه رجل ولأنها امرأة. إن الطابع الذكوري وهيمنته هو المحرك والفاعل والموجه، تقول الساردة/زهرة: «كل هذا لأنني امرأة»<sup>(42)</sup>. فالرواية تقدم نموذجاً للصراع بين الذات والآخر (المرأة/الهامش، والرجل المركز) المؤسس على قيمة التمييز، فالرجل (الزوج/سي محمد) يتنكر لزوجته (زهرة) «عندما يتحسن وضعه»<sup>(43)</sup>، فيدفعها إلى خارج حياته ليبدأ حياة الترف والنعيم السياسي والاقتصادي، وتبدأ هي حياة البحث عن مأوى ومعيل، فتظهر قوته مقابل عجزها المركب، نتيجة لعدم قدرتها على التأقلم مع الواقع الجديد، لاسيما أن ذلك قد أرساه التمييز وجسده الواقع، فهي امرأة، ووحيدة بلا أهل، وهو رجل، ولديه زوجة جديدة وخدم وحشم وسلطة ومال؛ لذلك تعتمد الرواية إلى إظهار المفارقة بين زميّي الفعل ونتائج الفعل، وتؤكد العبثية الواقعة وراء اتخاذ الرجل لقراراته، فالطلاق عبثي بلا سبب، فحينما تسأله: «لماذا؟ يرد: ليس عندي سبب»<sup>(44)</sup>. ومسألة التمييز الذكوري هنا مركّبة، فهي لا

تقتصر على التمييز بينهما بل بين المرأة وحالتها السابقة والراهنة وبينهما معا والعمال والخدم الذين يسخرهم الزوج لخدمتهما، لكنها لا تتعامل معهم وفقاً لذلك الاعتبار فتبقى قريبة منهم، رافضة الارتقاء إلى المرتبة الاجتماعية الجديدة التي فرضها الواقع الجديد وظروف الزوج السياسية، وترفض التمييز الطبقي وتكشف التمييز الجنوسي (العنصري) الذي انحاز إلى الرجل، ويدفعه إلى الضوء، في حين يتواطأ ضدها ويعيدها عنوة إلى الظل:

«- كل هذا لأنني امرأة.

المصائب ليست عنصرية. لو كنت رجلاً لكنت الآن قائداً أو على الأقل شيخاً. إننا نرد إلى الظل عنوة بعد كل ما كان»<sup>(45)</sup>.

فمهما قدمت المرأة من تضحيات في سبيل المجتمع والوطن والحرية والتقدم والتخلص من الاستعمار، فإنها لا تستطيع الخلاص من المنطق الذكوري الذي يعيدها إلى الظل، إنها لا تستطيع التخلص من استعمار الرجل، وإن أسهمت في التخلص من الاستعمار الأجنبي للوطن؛ ذلك أن استعمار الرجل مقرون بالنظام الأبوي<sup>(46)</sup>، وهو النظام الذي يحكم الواقع المحيط والعلاقات وشكل المجتمع ومحتواه ويتحكم بمصائر ذواته على نحو ما يظهر في الملفوظ السالف: «إننا نعود إلى الظل». إن مصير الرجل -أبويًا- هو الضوء/المركز، ومصير المرأة هو الظل/الهامش، والظل دال على العتمة والحجب، بل إنه دال على التهميش والإقصاء. أما الرجل، فإن مصيره مختلف، إذ سيصبح مركزاً يتمحور حوله كل شيء: المجتمع، والسلطة، والقانون، ونتائج الاستقلال وثماره، في حين تبقى المرأة مجرد هامش يُقصى بالضرورة بعد أن يستنفد خدماتها التي أرادها منها هذا المركز. وهو ما يدفعها إلى الإعلان صراحة عن القطيعة: «لا علاقة لي برفاق النضال ولكنني أعرف ما فعلته بهم رياح التغيير...»<sup>(47)</sup>.

وحين يتقبل المجتمع والوعي الذكوري المهيمن التغيير المتعلق بالرجل مهما كان زائفاً، فإنه لا يقبل أي تغيير يمس واقع المرأة ويصر على أن ترد إلى الظل. لذلك يتوازى الاستعمار الفرنسي مع استعمار الرجل/الزوج/المجتمع بموروثاته الفكرية وتحولاته، ولا فرق بينهما. فالمرأة حينما تظن أنها قد تحررت من واقع المجتمع تؤول إلى العبودية من جديد، وحينما تظن أن الوطن قد تحرر

يؤول به الحال إلى حفنة تتقاسم ثرواته، ويصبح ثوار الأمس مستبدي اليوم؛ لأنهم رجال/ذكور، ووحدها المرأة تبقى في الظل، ويؤول بها الحال إلى الضياع والتشرد والفاقة، ومن ثم تتحول إلى ماسحة في بلاط المستعمر؛ لأنها امرأة.

إذا كانت تيمة التمييز قد برزت في رواية «عام الفيل» عبر فعل الطلاق والتحول الاجتماعي الذي تلا الثورة، فإنها تظهر في رواية «نساء بأقفال» مرتبطة بالحديث عن الجسد والحرمان والعبودية والعذرية والحرية، وترى الرواية أن ذلك كله مبعث لبروز أشكال الصراع الناتج عن التمييز بين الذات والآخر وفقاً لمقولة المركز والهامش، وثمة علامات كثيرة على تمحور الرواية وحركات الذوات وانفعالاتها، إنما هو نتيجة لهيمنة مركزية الرجل مقابل هامشية المرأة، وهي مركزية خالقة لتمييز حاد يحدده ضمير الآخر/ الجمع (هم/ المجتمع/ الرجال: شرفهم، أخلاقهم، عاداتهم، كرامتهم، عفتهم...) مقابل ضمير الذات (أنا/ نحن/ هن: كرامتنا، قيمتنا، قيمتهن، كرامتي، وسمعتي، قيمتي هن، كيانهن، أفضاهن...)، وهي ضمائر تأتي في سياقات فائزة بين مركز مهيمن، وهامش مدجن ومستلب منذ خمسين عاماً، (عذراوات/ عوانس في الخمسين)؛ سياقات تقدم للمركز/ للرجل الحق في الحرية والفعل والحركة والتسلط والاستحواذ واقتراف المحظور مهما يكن، وعدم التبعية؛ لأنه رجل فقط، ويقدم للهامش/ على المرأة ضرورة الصمت والالتزام والبقاء تحت خط القفل/ التمييز الذكوري، وعاداته الأبوية بما للقفل من دلالات على العبودية والقيد والإغلاق والتوقيف والحبس والاستقرار والدوام والثبات والحجب.

إن التمييز يُظهرُ الرجل/المركز، في الرواية، فاعلاً ومفتاحاً، وسكيناً، وحرّاً، ويُظهر المرأة مفعولاً وقفلاً وجرحاً وكياناً مستلباً، «تحس بجرح عميق، لأول مرة تعي أن شكل عضو المرأة أشبه بجرح، جرح لا يمكن أن يلتئم.. ضحكك بمرارة وهي تخاطب نفسها بحنان، بعد كل مضاجعة يتمزق هذا الجرح. عضو المرأة جرح، وعضو الرجل خنجر»<sup>(48)</sup>. وتلك الامتدادات ودلالاتها تؤسس صراعاً بين المركز والهامش، وتجعل من الذات ساعية إلى إعادة التوازن لكنها تفضل؛ لأن الرواية مبنية على فرضية المركز والهامش منذ العنوان (نساء بأقفال) وهي الفرضية التي تظل متحكمة بمفاصل السرد وعلاقة الذوات التي لا تخرج عن إطارها، حتى وإن حاولت المرأة الخروج عليها -

على نحو ما سنرى في المبحث الثالث من هذا البحث- وفرضية المركز والهامش هي في الأساس فرضية التمييز والفرز التي تحاول المرأة أن تتفلسف من قبضتها، لكن المجتمع المفرط في ذكوريته لا يسمح لها، وهي بالمقابل تسهم في البقاء داخلها وتعمل على استمراريتها وهيمتها، تقول: «وتكمن خطورة هذا القمع المبارك من قبل الأهل والمجتمع، مدعومًا بالقوانين. تكمن خطورته في أن النساء أنفسهن يرغمن أنفسهن على الاقتناع به، حين تقتنع النساء أن المجتمع لا يقبل بهن إلا عفيفات عذراوات غير ملموسات، عندها يفقدن ذواتهن ويتحولن إلى كائنات ممسوخة، كائنات قبلت أن تتنازل عن حريتها. الحرية عنوان الوجود الإنساني، لا وجود حقيقي دون حرية»<sup>(49)</sup>.

ويتضح من هذا الملفوظ تواطؤ الذات مع المركز القامع والسالب لحريتها، وهي لذلك مستلبة؛ لأنها تفترض مسبقاً أنها شيء في عالم يصنعه الرجال، ويفرض من خلاله شروطه التي تصنع صورة الذكر مقابل صورة المؤنث، ومن ثم فإن لها يدًا في الإبقاء على شروط الذكر وإن حاولت أن تقترح شروطها وتغير قوانين اللعبة، وهي حينما حاولت الخروج من دائرة المركز والهامش المصنوعة ذكوريًا عادت إلى الرجل، وهذا مردّ فشلها وبقيائها تحت ظله؛ لأنها حينما حاولت تدمير النسق الذكوري الفارز (نسق العذرية) جعلت الرجل فاعلاً للنسق، وهو حينما فعل لم ينسف النسق بقدر ما أورثها الألم والحسرة في تجربة شعرت بعدها بالإهانة وفقدان الكرامة. إن المحور الذكوري يظل مهيمناً ما دامت المرأة تفكر بعقلية الهامش، وهو ما أكد أن الاستلاب أصيل مقابل تسلط الرجل -في الرواية-، فالمرأة بؤرة لغيرها، إنها شرفهم وأخلاقهم، ولا يمكن لهم القبول بها إلا إذا ظلت مقفلة عذراء في إطار مركزيتهم. ويدخل ذلك في إطار تشييء المركز لها، بمعنى أن المرأة ليست ذاتاً وإنما هي شيء يمتلكه الرجل أو يستهلكه ويفرض عليه سطوته<sup>(50)</sup>، إنها ليست مستقلة وإنما تابعة أو تحتل مكان التابع؛ إذ يمارس الرجل حياته معها على أنها شيء يمتلكه ويستهلكه، إنها سلعة تكاد تكون مملوكة للرجل الذي يسعى بدوره إلى فرض سطوته ويستهلكها كما يستهلك ملذاته<sup>(51)</sup>. تقول: «لأن الرجل الذي تنفس أخلاقاً معينة خلاصتها أن المرأة التي تسلمه جسدها خارج الزواج عاهرة، ويشعر بأن من حقه أن يكون الخصم والحكم، من حقه أن يضاجع تلك المرأة، وفي الوقت نفسه عليه أن يحتقرها ويؤذيها باحتقاره لها، عليه أن يعاقبها ويهينها أثناء وبعد

فعل الجنس (...) من حقه يا امرأة أن تعرفي رجلاً واحداً هو زوجك (...) وإن لم تتزجي فالبسي حزام العفة واهدي طاقاتك في الخدمة. أما الرجل فليضاجع ما يشاء له من النساء، فهكذا تكتمل رجولته»<sup>(52)</sup>.

وبالانطلاق من موقع الرجل، باعتباره مركزاً يحق له ما لا يحق لها، فهو يبدو المتحكم بها، وهي الخاضعة له، أو هكذا ينبغي أن تكون - من زاوية نظر ذكورية-، من حقه أن يشتمها ويمارس معها الجنس خارج حدود العرف والضوابط، وعليها أن تحافظ على شرفها الذي هو في الأصل شرفهم، ومن حقه أن يعاشرها وفي الآن ذاته يؤديها باحتقاره لها؛ لأنها سمحت له بالمعاشرة، إن الرجل يحل لنفسه ما يحرم عليها، ابتداء من الأب (يشاهد قنوات البورنو ويشفرها فور الانتهاء من المشاهدة حتى لا تشاهدها ابنته العانس في الخمسين)، مروراً بالأخ (لا يسمح لها بالاستقلال في منزل بعد الطلاق مع طفلها)، وصولاً إلى المجتمع الذي يخلق هذا الحق الرمزي منطلقاً من فكرة الفرز.

وفي المحصلة تكثف الرواية مسألة الفرز والتمييز الذي يؤسس الرجل فاعلاً للنسق الثقافي باعتماداً على الصراع بين الذات والآخر، في تكثيف للنسق الثقافي وامتداداته، بماله من دلالة تمييزية وفصل عنصري بين الذات والآخر والحرية والعبودية، وهو نسق يقمّ المرأة بما بين فخذها لا بما في رأسها - بحسب الرواية-، في حين يؤسس الرجل سلطة عليها.

ولا تبعد رواية «سيقان ملتوية» لزئب حفني، عن ذلك الخط كثيراً عند المعالجة، إذ تناقش مجموع القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية والدينية المتعلقة بالذات، ووطأتها عليها، من منطلق مقارنتها بعادات وتقاليد الآخر الأجنبي، في محاولة إظهار مدى الحرية التي تقترب بفضاءيهما "الهنا" (بريطانيا) و"الهناك" (السعودية/الرياض، جدة)، وهذه الحرية المتوفرة هنا والمنعدمة هناك تحدد بشكل واضح مدى الصراع بين الذات/ المرأة، والآخر/ الرجل، التابع من مدى سطوة التمييز بين الرجل والمرأة من نزعة ذكورية دينية اجتماعية، في حين تغيب كلياً نزعة التمييز، بشتى أشكاله عرقياً وفردياً وجنسياً، في فضاء لندن، فهو فضاء يرفض ذلك، وبحمية القانون<sup>(53)</sup>، وإن خالف ذلك شخص ما - مهما يكن مستواه السلطوي- فإنه سيُعاقب، ويكفي

المرأة في لندن أن تبلغ سن الرشد لترفض التمييز وما يدل عليه كلياً، كوصاية الأسرة، وتؤسس لها كيانا مستقلاً دون اللجوء إلى مسألة التمييز بين الذكر والأنثى، فما يعتد به هو بلوغ سن الرشد، وهو ما نهت سارة أباهما بشأنه، حينما استخدم العنف ضدها بعد غيابها خارج المنزل، وتوعدته إثر ضربها بالشكوى إلى الشرطة؛ لأن ذلك -من وجهة نظرها- اعتداء يعاقب عليه القانون وليس من حقه أن يمارسه ضدها<sup>(54)</sup>.

وتتقدم صورة التمييز في «سيقان ملتوية» بوتيرة متصاعدة لتتضح أكثر حينما تتحدث الذات مع ابنة عمها بشأن طلاقها، فالزوج يحق له أن يطلق زوجته دون علمها أو بعلمها، فهو رجل، ويحق له ما لا يحق للمرأة من وجهة نظر اجتماعية ذكورية مؤدلجة، فالعصمة في يديه، وإن قرر استخدامها لا يستطيع أحد أن يمنعه أو يسأله: لماذا؟ وكيفيه فقط أن يكون قد وصل به الأمر حد عدم رغبته بها، وذلك يكفي ليمنحه القاضي صك الطلاق وينتهي الأمر، أما إذا أرادت المرأة التطبيق فإنها تحتاج إلى تقديم مبررات مقنعة ووجهة للقاضي وإلا اعتبرت مستهترة:

«عندما سألتها عن سبب طلاقها، أجابني بنبرة ساخرة: في بلدنا لا توجد مبررات مقنعة للطلاق!! يكفي أن يقول الرجل إنه لم يعد راغباً في زوجته، حتى يمنحه القاضي صك الطلاق. في كلتا الحالين هو صاحب القرار!!»

"وماذا لو رغبت المرأة في الطلاق؟!"

أجابني بتهمك يجب عليها ساعتها تقديم مبررات مقنعة للقاضي وإلا اعتبرت امرأة مستهترة، رفست نعمتها برجلها. وقد تظل سنوات مثل البيت الوقف، لا يحل بيعه ولا شراؤه<sup>(55)</sup>.

ومن مظاهر التمييز المركب (جنسوي اجتماعي) في الرواية تأسيس الثقافة للرجل صاحب السلطة المطلقة يتحكم بمصير المرأة وحرمتها كلياً، فإذا ما أرادت أن تتزوج، فسوف يختار لها طبقة الزوج التي تتواءم مع طبقته أو تكون أعلى منها، وإن هي اختارت زوجاً أجنبياً فسوف يرفض، كما يبدو في حوار الذات مع ابنة عمها: «أنت بالتأكيد معتوهة، لن يزوجك عمي إلا من رجل سعودي وقبلي أيضاً، فكيف إذا كان من غير جنسيتك!! لا تعتقدي أن أباك كونه تعلم وعاش في الخارج أنه سيبارك هذه الزيجة. هذه علاقة موءودة من بدايتها<sup>(56)</sup>. إن الموضوع يحمل

طابعاً تمييزياً صرفاً ينبع من موروث ثقافي لا يأخذ التعلم والعيش في مجتمع متقدم ومتحرر من الموروثات وعناصر التمييز في حساباته، وهو علاوة على ذلك لا يقتصر على التمييز الجنوسي فحسب، بل يتجاوزه إلى العنصري المستمد من التصور الطبقي، الذي لا يسمح بزواج ذوي الطبقات الدنيا من الطبقات العليا، ولا للقبلي أن يتزوج من صاحب مهنة أو حرفة محتقرة، بل لا بد أن يكون قبيلياً؛ لينسجم الزواج عرقياً وطبقياً، وإلا فإن مصيره الوأد، فالقانون والقضاء يؤيد ذلك، ولا بد من تكافؤ النسب، فالذات تظن أنها حرة التصرف في بيئة لا تعرف الحرية. لذلك يأتي رد ابنة عمها (سلمى) حاسماً: «عن أي حرية تتحدثين يا ابنة عمي؟! ألم تسمعي عن الزوجين فاطمة ومنصور، اللذين فرق القاضي بينهما وحكم بطلاقهما لعدم تكافؤ النسب؟!»<sup>(57)</sup>.

فالذات (سارة) -كما يكشف الملفوظ- على وعي بذاتها وحريتها الخارجية على الشروط الاجتماعية والعرفية والجغرافية (الوطنية)، إذ تدرك تماماً أن الحرية منعدمة في الهُنا (الوطن) مقابل وجودها في الخارج (بريطانيا)، ومع ذلك تجد في الخارج شيئاً من الضبط والوصاية الأبوية من قبل الأب، لكنها تستطيع أن تتمرد عليها استناداً إلى قانون هذا البلد الذي يحد من الوصاية والمصادرة، عكس بلدها الذي تلاقي فيه الوصاية مساندة من قوانينه، إذ ثمة وصاية ذكورية يجسدها الأب، ثم الأخ إن رحل الأب «احمدي الله أنه ليس لك أخ. المرأة هنا تدور في ساقية الوصاية، فبعد أن تسقط ولاية الأب بوفاته، يتلقفها الأخ، وهكذا تدور الدوائر هنا»<sup>(58)</sup>. فالعبودية في الوطن لا تقتصر عند ذلك فحسب، بل تمتد إلى أمور في أشكال متعددة، كارتداء العباءة والحجاب و"منع السياقة"، عكس ما هو موجود في الفضاء الخارجي، فضلاً عن ملاحقة رجال الهيئة لهن، وهي ترى أن السيارة حرية والعبادة عبودية، فحينما يسألنها جماعياً: «ما قيمة السيارة بالنسبة إليك؟!»، ترد «مبتسمة: تحسبني باستقلاليتي مقدار ما تشعرني العبادة بعبوديتي»<sup>(59)</sup>. إنها تربية بيئة تعرف الحرية مقابل بنات عمها اللواتي تعودن على بيئة فازرة لا يعرفن فيها الحرية، بيئة تزرع فيهن قيم العبودية والتمييز حتى تصبح عندهن بمثابة المسلمات التي لا يمكن الخروج عليها أو التفريط بها، فالحرية بالنسبة إليهن لها حدود لضمان النتائج

الجيدة: «الحرية لها حدود يا ابنة عمي. أريد أن أتزوج ويصبح لي أبناء لا أريد أن أدفع حياتي ثمناً لهو بريء أشغل به في وقت فراغي وأبدد من خلاله زهقي»<sup>(60)</sup>.

إن المرأة محاطة بمحاذير شتى في المنزل وخارج المنزل، وإن حدث خطأ ما من قبلها، فإنها ستدفع حياتها ثمناً له، إن ضمان مصير آمن ومستقر مشروط بالتزام الذات بتلك القوانين والشروط الذكورية. فحركاتها وقراراتها البسيطة والمصيرية خاضعة لشروط المركز المذكور، وإن خرقتها فإنها تحتاج إلى الشجاعة لتتحمل تبعات ذلك الخرق، كقرار الزواج بأجنبي يحتاج إلى تحد ومجاهمة وحرية وقرار شجاع من قبل المرأة؛ لأن الحرية منعدمة والمرأة تخضع لقانون الأهل، وقيد العرف وقولبة المجتمع، تقول ابنة عمها لها: «هنا نتعلم الخضوع والاستسلام. كل شبر نسير فيه يجب أن يتم بمباركة ذكورية. المرأة هنا ينظر إليها على أنها شهوة متحركة، جل همها إغواء الرجال»<sup>(61)</sup>. وغياب الحرية في الوطن يلقي بشيء من ظلاله على الذات والآخر، وهو ما يؤكد (زياد) بقوله لها عند انهيارها جراء ما تعرضت له (هيا) ابنة عمها وانتحارها: «أطمع أن يملك حيناً الشجاعة الكافية للقفز فوق كل الحواجز ومقاومة الأعراف العقيمة»<sup>(62)</sup>. وذلك يحدث لأن الحرية بالنسبة إلى المرأة مصادرة كلياً من قبل الأعراف التي تصفها بالعقيمة التي تخضع وفقها المرأة لمشيئة الرجل وقانونه وقدره، ولا يمكن أن تحيد عن ذلك.

وفي المحصلة تتأرجح مسألة التمييز الذكوري في الروايات بين الوعي (الغد والغضب، تاء الخجل، نساء بأقفال، سيقان ملتوية) وغيابه (عام الفيل)، لكنها تستطيع أن تفضح النسق المهيمن، ومدى ما يجره على الذوات من نهايات مأساوية، ومدى ما يزرعه فيهن من انشراخات وعاهات روحية، وبناءً على ذلك يتحدد الوعي وتترتب عليه مسألة الوعي بأنماط التمييز وتحديدها، واتخاذ طرائق للمجاهمة والحد من شرستها، وفضح قوانينها التي تجعل المرأة عنصراً تابعاً وخاضعاً ومسلوب الإرادة انطلاقاً من مجموعة من الأدوات التي يشتغل بموجها المركز والهامش وتمثل أدوات للهيمنة والتسلط.



### أدوات اشتغال المركز والهامش/وسائل الهيمنة:

مما سبق يتضح أن التمييز والفرز يأتيان على وفق مركز وهامش، المشار إليهما سالفًا، نتيجة لهيمنة مجموعة من الأدوات التي ترسمها الثقافة وتجعلها تستحوذ على حياة المرأة وتسهم في تحديد سلوكها النمطي أو المتمرّد، وتتخذ هذه الثقافة مجموعة من الحيل والأدوات (الأنماط) التي يعمل الرجل/المجتمع، وفقها، على المغالطة وتزييف الوعي وجعل المرأة تابعًا له، ومن تلك الأدوات توظيف الدين وحرفه عن مساره، وجعله تابعًا للرجل وخادمًا للأعراف والتقاليد والإيديولوجيا، كما هو الحال في رواية «تاء الخجل»، و«سيقان ملتوية»، و«نساء بأقفال»... والتجهيل/منع المرأة وحرمانها من التعليم «تاء الخجل»، أو محاولة دفعها إلى دراسة ما يريد الرجل/الأب «الغد والغضب»، وكذا الإرث والعادات والتقاليد «نساء بأقفال، تاء الخجل، الغد والغضب»، على نحو ما نرى في الآتي:

#### أ- توظيف الدين

يبدو توظيف الدين أحد أهم الأدوات التي يسعى الفرد والمجتمع والأنظمة السياسية إلى امتلاكها والاستحواذ عليها؛ من أجل التحكم في التشريع والهيمنة والنفوذ والاستعباد والسيطرة على الآخرين؛ لعلو مكانته في النفوس والخضوع له دون نقاش؛ فهو القانون الأعلى والأسسى الذي تلجأ إليه البشرية للتطهر والنقاء الروحيين، وبالمقابل للتنميط والقبولية، وهو لذلك يتعرض لتفسير نصوصه المقدسة وتأويلها وفقًا لما تحتاجه كل جماعة وما ترمي إليه. ويدخل ما يمارسه الرجل من هيمنة وتسلط بحق المرأة في هذا الباب، كما يبدو بشكل جلي في «تاء الخجل»، و«سيقان ملتوية»، إذ يسعى كل منهما إلى طرح نقد للمعتقدات والممارسات الدينية القائمة، من منطلق الكشف عن التأثير المترتب على إثارة منظور معين، وهو -عادة- ما يكون منظورًا ذكوريًا<sup>(63)</sup>. ويشكل توظيف الدين وجعله -من وجهة نظر الروايات- أداة من أدوات قمع المرأة التي يستخدمها المجتمع ويشيعها بين الناس، والمقصود بالدين -هنا- هو المستخدم من قبل بعض المذاهب والجماعات الإرهابية التي تحرفه عن مساره وتجعله خادما لها ولتصوراتها السياسية، فالفتاوى والاستقطابات الدينية كانت مدخلًا إلى اختطاف النساء، ومن ثم اغتصابهن وتعذيبهن

وقتلهن كما في رواية «تاء الخجل»، أو تدجينهن ودفعهن، نتيجة لممارساتهم وإرهابهم، إلى الانتحار كما في رواية «سيقان ملتوية». ففي رواية «تاء الخجل» عدت الفتاوى الدينية مدخلاً إلى كسر المرأة، وجرحاً لها في أسوأ ما تملك، وتهديداً لحياتها وكرامتها وإنسانيتها، بعد أن أخذت تلك الفتاوى ذريعة لاختطافها واغتصابها وتعذيبها، ومن ثم قتلها، إذ سنّ الإرهابيون قانوناً يُعثر عليه في أحد الجبال التي كانوا يتمركزون فيها، وهو قانون يستمد شرعيته من فتاوى رجال دين انخرطوا في الجبهات للقتال مع الإرهابيين، وينظم عبودية المرأة، واستخدامها جنسياً من قبلهم، تقول الساردة/خالدة: «أصبح الاختطاف إستراتيجية حربية، إذ أعلنت الجماعات الإسلامية المسلحة "GIA" في بيانها... أنها وسعت دائرة معركتها: للانتصار للشرف بقتل نساءهم... في كل الجهات التي لم نعتز فيها لشرف سكانها، ولم نحاكم فيها (...). النساء وسنوسع أيضا دائرة انتصاراتنا بقتل أمهات وأخوات وبنات الزنادقة اللواتي يقطن تحت سقف بيوتهن واللواتي يمنحن المأوى لهؤلاء...»<sup>(64)</sup>، فالمفوض هنا يوضح القسوة، ويؤكد أن المرأة ضحية وإستراتيجية لحرب الرجال المتطرفين الذين ينتمون إلى الجماعات الإسلامية<sup>(\*)</sup>. ويحيل المفوض عبر مجموعة من الدوال التي ارتبطت بمعجم الصراع الديني بفترات سابقة (الزنادقة)، إلى التوقف الفكري عند ذلك الزمن وعدم الخروج منه، وعلى مدى تجذر الصراع وتجده، كما يحيل المفوض إلى مجموعة من المفردات التي تشير إلى مدى القسوة الناتجة عن هذه الإستراتيجية المتعلقة بالحرب/الصراع (قتل نساءهم، يحاربوننا،...)، وقتل المرأة يعد انتصاراً بالنسبة إليهم.

وتكشف الرواية عن إذعان المجتمع للمآذن باعتبارها رمزاً للإيمان المطلق، لها سطوتها في توجيه الناس، واستغلال بعض المذاهب أو الحركات لها في تثوير الرجال ضد النساء: «الناس هنا لا يخالفون ما تقوله المآذن حتى حين قالت: اللهم زبّ بناتهم قالوا: آمين، وحتى حين قالت: اللهم يّم أولادهم قالوا: آمين، وحتى حين قالت: اللهم رمل نساءهم، قالوا: آمين...»<sup>(65)</sup>، ويؤدي ذلك التسليم الأعم والإذعان الشعبي إلى ترميل نساء، وتزنيتهن وسفك دماهن، فئمة استغلال للدين من قبل الرجال/المنظور الذكوري، فهم «يفصلون الإسلام على أذواقهم»<sup>(66)</sup>، وهم جميعاً لا يعرفون رحمة الإسلام «من يعرف رحمة الإسلام من بين كل هؤلاء؟»<sup>(67)</sup>، وذلك يعني أن الرجل

يجعل من الدين أداة للقمع والسلب وطمس الهوية والنبد الذي يخلق أزمة المرأة بعد حرفه عن مساره ويجعلها أكثر تيمًا وانشراحًا. في إشارة إلى العنف الديني وفقًا لقانون الجماعات الإرهابية، فهم يسنون قانونًا يشرعن الاختطاف والاعتصاب ويجعل النساء جواري له<sup>(68)</sup>، وهو قانون يستند إلى تاريخ الاستعباد ومصطلحاته (جواري)، الذي يعيد إنتاجه المنظور الذكوري اللابس لبوسًا دينية، بصورة جديدة عنيفة وقاتلة، ويؤكد عبد الرحمن ترماسين أن هذا التدين هو الذي جاء إلى الوجود بثقافة جديدة، ثقافة سلطة الذكور على الإناث، فالذوات لا ترفض قيم الإسلام، وإنما ترفض القيم التي بالغوا فيها إلى أن وصلت درجة التحريف، إنها ترى أن نظرة الإسلام القويمة إلى المرأة قد حرفت وزيفت من قبل أدعيائه<sup>(69)</sup>.

إن الدين المحرف ثقافيًا يقف إلى جوار الرجل، ويعمل على تثبيت قواعده وإرسائها عبر إذلال المرأة وممارسة العنف ضدها (اختطافها، وقتلها، واغتصابها)، وتواطؤ المجتمع الذكوري. إن ترديد المجتمع أمين-بحسب الرواية-، يعد قبولًا بالدعاء الموصوف بالكارثة في الرواية، وهو ما يدل على غياب الوعي ومعرفة النتائج التي سيؤول إليها الحال بعد ذلك، إن نتيجة الاستخدام الديني بطريقة غير طبيعية يتسبب في وجود ضحايا بشكل كبير، وتكون نتائجه مأساوية (جرح، وخذش، واغتصاب، وانتحار، وموت).

وإذا كان توظيف الدين في «تاء الخجل» قد أظهر تحريف المنظور الذكوري له واستغلاله بتواطؤ المجتمع/الناس ضد المرأة، فإنه يظهر الرقابة في «سيقان ملتوية» وخلط الديني بالأمني والإفراط في حراسة الأخلاق، ومحاكمة المجتمع على وفقها، وتسعى الساردة إلى فضحه من جهة، وكشف آثاره ونتائجه على المرأة (إثارة الرعب، الخوف، الفزع، الانتحار...) من جهة أخرى، فهو يبدو أداة للتسلط والقمع؛ لذا تلجأ إلى استحضاره للتعبير عن الاضطهاد في بلادها الأصلية، إذ يرتبط في ذهنها بفضاءين اثنين: فضاء الهمناك الذي تنتهي إليه، وفضاء لندن الذي ولدت وترتبت وتشربت الحرية فيه، ويرتبط فضاء الهمناك بالتسلط الديني ومحاولة قولبة المرأة باسمه، ومدى الرعب الذي يقع في نفسها عند كل زيارة إلى هناك بمعية أهلها، فثمة شروط عليها أن تلتزم بها قبل الوصول إليها وأثناء الوصول وبعده حتى المغادرة؛ شروط يملها عليها الوعي الديني الأبوي

الذي يتحكم بمفاصل الحياة ويضبط إيقاعها، ويستبعد المرأة ويسلمها حرمتها بإلباسها العباءة التي ترفضها، ويسمح للرجال بالتحكم بحياتها باسم الدين<sup>(70)</sup>.

إن الرواية تكشف هيمنة رجال الدين، ووجهة نظرهم بالمقارنة مع وجهة نظر الأجنبي/(زياد) الفلسطيني، الذي لم ير السعودية، و(ريبيكا) التي تنتمي إلى أب سعودي وأم بريطانية ولم تزرها أيضاً، فزياد يرى أن السعودية محط سلب الحرية ومصادرتها والتدجين (العباءة)، أما ريبيكا فإنها ترى أن الدين في الوطن العربي تحركه العواطف على إثر خروج مظاهرة منددة بالرسوم المسيئة رفضت المشاركة فيها، معتبرة أن «أوروبا جميعاً تنظر إلى أنبيائها على أنهم من مخلفات الماضي»<sup>(71)</sup>. وتثار إشكالية النظرة الاستحواذية الدينية إلى المرأة، وهي نظرة ترفضها الذات، مستشهدة بكتاب المرنيسي الذي يرى أن الإسلام بريء من الممارسات باسمه؛ وذلك يؤكد أن الإسلام يصوغه الرجال خدمة لهم.

وترى ريبيكا أن الدين الإسلامي ينحاز إلى الرجل على طول الخط، ويمارس الآباء بموجبه جرائم شرف ضد بناتهم حيال اختيار الزوج/الشريك، والحب مصطلح شاذ في الإسلام، «الحب الذي هو متاح لجميع كائنات الأرض مصطلح شاذ في شريعتكم»<sup>(72)</sup>.

يظهر المنظور الديني المصنوع ذكوريا وسياسيا عبر رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذين يشترطون على المرأة شروطاً فائضة في الإفراط والمبالغة، كلفّ الجسد بالعباءة وارتداء الحجاب، وملاحقتهم وإلزامهم بمحدودية الحركة والتنقل والحرية والعلاقة مع الآخر وانضباط السلوك المحدد وفقاً لمنظورهم، وذلك كله يثير الفزع والخوف لدى المرأة على نحو ما يحدد الملفوظ الآتي: «فننظر إلى بعضنا ونطلق ضحكات مكتومة على هيئتنا، محاولات تبديد غيمات القلق الناتجة الجاثمة على أذهاننا تجاه الأشخاص الذين يطلقون عليهم هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»<sup>(73)</sup>. فرجال الهيئة مرتبطون بالفزع والقلق نتيجة للقمع الممارس والمحتمل تعرضهن له في أي لحظة من قبلهم؛ لأنهم الأداة السياسية الطولى لحراسة العقيدة والأخلاق، إذ يفصلون الدين على مقاسهم ووفقاً لإرادتهم، وينتج عن ذلك حكايات رعب كثيرة هم أبطالها بحسب الرواية<sup>(74)</sup>، فهم ينتهكون الخصوصية والحرية، ويبددون السكينة، إذ يقتحمون

الأسواق والأمكنة العامة والخاصة لملاحقة الرجال والنساء، ومحاكمتهم أخلاقياً على نحو ما حدث مع (هيا) وصديقها من اعتقال ومساءلة واحتجاز وعنف، وبعد الإفراج عنها تقودها تبعات ذلك إلى الانتحار<sup>(75)</sup>. والدين في مجتمع كهذا هو نوع من أنواع الإسقاط الذكوري على المحيط من أجل الهيمنة، وهو تحريف مفرط للتعاليم السماوية وجعلها قانوناً للهيمنة الذكورية التي لم يعد لها وجود في لندن.

لقد سعت الرواية إلى الخوض في المسكوت عنه والمكبوت الذي يمثل أداة للهيمنة والتسلط باسم الدين والأعراف والعادات والتقاليد، وسعت إلى تقويضها وفضحها وكشف الغطاء عنها وإدانتها، وتمردت على تعاليمها، وتفلتت من قبضة الأسرة وتعاليمها النمطية المستمدة من فضاءات الـ«هناك» في محاولة لتطبيقها في فضاءات الـ«هنا»/بريطانيا واستخدام حقها القانوني المصادر، ثم كشفت زيف التدين الذكوري وقسوته الذي طوع النصوص الشرعية لصالحه، وحولها إلى قوة مفرطة في القمع والابتدال ضد المرأة، واقفة إلى جوار الرجل فامتلك حق الزواج والطلاق والتعدد وفقاً لأهوائه، وقد نجحت الكاتبة في التعبير عن ذلك بصدق؛ لأنها تحدثت عنه من داخل مأساتها وواقعها، مستخدمة لفت الأنظار إلى الواقع غير المتكافئ بين المرأة والرجل في مجتمع لا يريد الخروج من دائرة الإرث الحضاري الثقيل وتركته الضاغطة<sup>(76)</sup>.

لقد كشفت الروايات عن كيفية توظيف الدين وحرّفه لصالح المنظور الذكوري، هذا المنظور الذي يجعل الدين سوطاً بيد الرجل/الإرهابي لجلد المرأة (تاء الخجل)، وقانوناً للمنع والاستعباد وإثارة الرعب لديها (سيقان ملتوية).

### ب- تجهيل المرأة

لا يتوقف المنظور الذكوري عند حد استخدام الدين لصالحه، وليّ أعناق نصوصه وإعنائها للسيطرة على المرأة أو نمذجتها فحسب، بل يسعى إلى استحداث أدوات متعددة، كالتجهيل<sup>(\*)</sup> (منع المرأة من التعليم)، والتجهيل يمثل أداة من أدوات التسلط والهيمنة وتغيب الوعي؛ لأن التعليم يمثل أهم مرحلة من مراحل الوعي بالذات والعالم، والوعي أولى مراحل الحرية والخروج من ربة الاستعباد وضروب الاستغلال والوصاية، إنه يعني المعرفة والتنوير، وفي

الذهنية الذكورية يأتي العلم حكرًا على الرجل، ولازمة من لوازمه، على عكس المرأة التي يسعى بكل ما أوتي من قوة إلى حرمانها منه في بعض المجتمعات؛ لأن ثمة مجموعة من القيم تتحكم في قبوله ورفضه لتعليمها؛ ولأنه يدرك أنه أداة الاستنارة والوعي، إن امتلكتها المرأة فإنها ستعلن الخروج من عباءته؛ لذلك يحرمها أو يسعى إلى حرمانها منه في المجتمعات التقليدية، «فإقصاء المرأة عن التعليم وحرمانها من الكتابة مقرون -تاريخيًا- بالتسلط الذكوري في إشاعته الحذر من تعليم المرأة الكتابة»<sup>(77)</sup>؛ لأن الاعتقاد الذكوري يتصور أن المرأة إن تعلمت تمردت، وخرقت الأنساق التي تعد قانونًا ينظم العلاقات بين الذات والآخر، ويشترط بقاء المرأة مُجَهَّلَةً مصمته صماء لا تفكر ولا تناقش. إن التجهيل (منع المرأة من التعليم) أداة ذكورية للسيطرة على المرأة وإبقائها في دائرة السلب والخضوع من قبل الرجل، فهو يحاول في رواية «تاء الخجل» منعها من الاستمرار في التعليم متخذًا وسيلة إقناعية مستمدة من مجموع محاذير صممتها الثقافة الذكورية، وجعلت منها قوانين لا يمكن الخروج عليها، إذ يشكك في «شرف وعفة» الطالبات وتصويرهن منحرفات، إذ يقول العم بوبكر للأب: إن كل بنات الجامعة يعدن حبالى: «ذات ليلة دخل العم بوبكر على والدي غاضبا، اختلى معه في غرفة الضيوف وقال له: كل بنات الجامعة يعدن حبالى فهل تنتظرها حتى تأتيك بالعار؟!»<sup>(78)</sup>، فالعم ورجال العائلة يحاولون حرمان الذات من التعليم، في محاولة لكسرها وإجبارها على التوقف؛ خشية من عودتها إليهم بالعار. وهو إصرار ذكوري على عدم تعلم المرأة، وإن حصل واستمرت في تعليمها وتفردت وأظهرت نبوغًا وبراعة في التعليم فإنهم يرجعون ذلك إلى تدخل شيطاني، أو معجزة، أو لوجود سمات ذكورية فيها، فالنبوغ والذكاء حكر على الرجل، والغباء والجهل حكر على المرأة -كما أشرنا سابقًا-. إن العار في هذا الملفوظ يستخدم حافزًا يدفع الرجال إلى منع المرأة من التعليم، وهو ناتج عن نزعة ذكورية أنضجتها، التصورات الذكورية، بهدف الإبقاء على المرأة تحت دائرة المراقبة والإشراف المباشر من قبل الأب والأهل، ويظل مستمرًا وفعالًا في الرواية بشكل غير معلن، هدفه الوحيد حرمان المرأة من التعليم بشتى الوسائل، على نحو ما يظهر في حوار ليمينة مع خالدة: «توقفت عن الدراسة حين صار عمري أربع عشرة سنة، لم يقبل والدي أن أدخل ثانوية أريس ذات النظام الداخلي»<sup>(79)</sup>.

فَتَوَقَّفُ تعليم الذات ناتج عن حرمان الأب لها بحجة نظامها الداخلي، وهو سبب يؤكد هيمنة الإرث على الأب؛ لأنه اعتاد عدم ابتعاد ابنته عنه، ويسعى إلى الحفاظ على شرفه وشرف العائلة فيها، لا الحفاظ عليها لذاتها، وذلك يؤدي إلى حرمانها من حقوقها ومنعها من التعليم وعدم تحقيق طموحها (كنت أتمنى أن أصير صحفية).

وفي حالات متقدمة ثقافيًا يسمح للمرأة بأن تتعلم، غير أن الأب، باعتباره صورة مصغرة للمجتمع وعاداته وتقاليده، يقرر التخصص الذي يريده، ويحاول السيطرة على ابنته، كما هو في رواية «الغد والغضب»؛ إذ يحاول الأب دفع الذات إلى تعلم ما يشاء هو لا ما تشاء هي، لكنها تدافع عن رغبتها ولا تسلم لمحاولاته، وتقاوم رغبته وتتمرد عليه، ولكنه لا ييأس ويستمر حتى وقت مرضه في محاولاته لدفعها لتكون نسخة منه وتلي رغبته في تعليمها -على نحو ما أشرنا إليه سابقاً-

إن محاولة حرمان الأب لابنته من اختيار تخصصها العلمي الذي تريده يمثل حافزاً رئيسياً للسرد، إنه محور الحركة السردية، إليه تؤول الأحداث ومنه تنطلق، إنه البؤرة التي تستقطب الأحداث وتوزعها، وبناء عليها تتخذ الذات موقفًا عدائيًا من الأب والمجتمع، ويدفعها إلى كشف تعارضات الزيف الذي تكتنفه. إن المنظور الذكوري يجترح التجهيل أداة لحرمان المرأة من الوعي؛ لإبقائها في دائرة النموذج المجهّل المستمر والمُسَيَّطَر عليه ذكوريًا، لكنها لا تخضع له -في السرد- في حالات، وتخضع له في حالات أخرى.

### ج- العادات والتقاليد

وثمة إرث تقليدي ممتد تعتبره المرأة تركة ثقيلة، وهو إرث العادات والتقاليد المتوارثة التي تنتظم التصورات وتحكم العلاقات بين الذات/المرأة والأخر/الرجل، وتصور كل منهما على هيئة محددة تفرضها وتجعلها قانونًا لا ينبغي الخروج عليه/عنه، وهي أفعال وقوانين من اختراع النظام الأبوي؛ لتحديد الوظائف والأفعال بكلٍّ من عنصري الجنس البشري، لكنها في الغالب تسهم في تأطير عملية الهيمنة الذكورية، وتعزيز مسألة التمييز والإقصاء. والإباحة للرجل ما يمنعه عن المرأة تحت مبرر أنها امرأة. وهذا الإرث هو الذي يجعل المرأة أنثى والرجل ذكرًا، إذ -بحسب

سيمون دي بوفوار- «المرأة لا تولد امرأة، بل تصبح امرأة»<sup>(80)</sup> نتيجة للتنشئة والموروث، وهو موروث يجد مبرره في النظام المسيطر، ويعزز نمطاً خطابياً، ونمطاً خطابياً استهائياً مضاداً يتفاوت في الوعي ومتطلباته وشروطه، ويعتبر خطاب المرأة ناتجاً عن وضع المرأة المستلبة والمستضعفة، بينما يعتبر خطاب الرجل ناتجاً عن وضع الذكوري وإمكانيات الهيمنة التي تجد تبريرها في النظام الاجتماعي المسيطر<sup>(81)</sup>.

وفي لحظة تتحول القواعد والقوانين الوضعية وغير الوضعية إلى عادات وتقاليد، بعد أن تختلط بتصورات الناس، خصوصاً التصورات الشعبية التي تخلط الإرث بالدين والنظام والقانون، وتجعلها جميعاً تقف إلى جوار الرجل لتخدم تصوراتها، وتعزز إمكانات هيمنته ومفصلة المجتمع طبقياً وتحديد علاقاته بناء على ذلك. تقول الذات في رواية «نساء بأقفال»: «ليست الجرائم الوحيدة هي جرائم الشرف التي لا يعاقب عليها القانون، بل ثمة جرائم كثيرة ترتكب بحق النساء تحت حماية عقلية اجتماعية واجتهادات دينية. جرائم صامتة تصير هي نسيج حياتنا، نسميها الحماية والشرف والاحترام»<sup>(82)</sup>. فالإرث والعادات والتقاليد في الروايات قيد الدراسة كلها موصوفة بـ«العقلية»، وهي في هذا الملفوظ تعتبر حامياً للرجل والمجتمع الذكوري من العقاب، إلى جوار الاجتهادات الدينية التي تصير منهجاً للحياة تحت مسمى الجناية والشرف والاحترام. فالإرث والاجتهادات الفكرية الروحية الفردية اختراع بشري، وهي جميعاً من أجل السيطرة وتحديد نمط سلوكي موحد يسميه المجتمع الشرف والاحترام، وهي جميعاً وسائل للقمع والتسلط والهيمنة في رواية «نساء بأقفال»، إذ تبدو فيها مجموع المثل والأفكار مهيمنة تخضع له المرأة ولا تتجاوزه، وإن هي فعلت فإنها تخرقه وتخرجه عنه، ولن يتقبلها المجتمع، إنها وجودياً محكومة بالالتزام بالإرث والعادات والتقاليد: «سمعتك العطرة أساس وجودك وقبولك في مجتمع النفاق»<sup>(83)</sup>. فالسمعة العطرة -من وجهة نظر المجتمع- قاعدة تلتزم بها المرأة، وهي في الأساس قوانين لا بد أن تحترم، تصوغها العقلية الذكورية، وهي عقلية استحواذية «تعطي لفئة ما في المجتمع -وهي رجال متنفذون- الحق في التحكم بأجساد النساء»<sup>(84)</sup>، فالسيطرة ذكورية والتحكم ذكوري، وهما ناتجان عن تصور الرجل، ومهمة المرأة هنا هي الكشف والفضح للقوى المهيمنة والمتسلطة،



والسعي إلى رفع المعاناة عن المرأة والخالفة للرعب والقلق والتصورات والاستغلالات المؤلمة، إنها تنشأ مذعورة وخائفة وقلقة على بكارتها وسمعتها وشرفها الذي هو في الأساس شرفهم، فالشرف والسمعة والبيكاره من وجهة نظرها قوانين تحكم المرأة، وتتحكم بها، وتجعلها تعيش حياة من الذعر والخوف إن هي خرقتهما أو تمردت عليها، فإن تمردت تتعرض للجرح والتهم في الشرف والأخلاق، «حياتنا في هذا الوطن العربي المعقد يمكن اختصارها بعبارة بسيطة: الحرمان هو القاعدة. ثمة أخلاق جامدة لا إنسانية تحكم حياة النساء، ومن تجرؤ وتتمرد قليلاً تحارب بقسوة وتوصف بالانحلال والاسترجال»<sup>(85)</sup>. فثمة أخلاق جامدة لا إنسانية تحكم حياة النساء، ومن تجرأ وتتمرد قليلاً تحارب بقسوة وتوصف بالانحلال والاسترجال، و«الحوار معدوم، إذ لا توجد سوى عقلية واحدة تحكم حياة الناس»<sup>(86)</sup>.

إن المرأة، في محصلة رواية «نساء بأقفال»، تزرع تحت وطأة جملة من العادات والتقاليد، وهي عادات تجعلها مستلبة، وإن تمردت فمحكوم عليها بالقسوة. لكنها تتمرد عليها وتدشن حريتها التي تختزلها في حرية الجسد، وبغض النظر عن ذلك فإنها تقدم فكرة استنطاقية لجانب من المسكوت عنه في الثقافة العربية، وهو الموقف الإيجابي لها ومنها، وهو -هنا- يتنافى مع الواقع الذي يغفل فاعلية المرأة، ويقدمها بصورة شبحية هامشية، أو في أنماط متكررة تتراوح بين النموذج الأعلى للملاك والشيطان<sup>(87)</sup>. إنها تنجح في تشخيص القيم الموروثة المهيمنة وتناقضها الذكوري. وهو ما تنجح فيه بالمقابل رواية «سيقان ملتوية» لزينب حفي التي تقدم حال تناقض العادات والتقاليد الحاصلة بين فضاءين الخارج/بريطانيا، والداخل/السعودية. ففي حين تنعدم سطوة العادات والتقاليد وتدخلها في شؤون الحياة والمجتمع لصالح النظام والقانون المبني على المساواة، بغض النظر عن الدين والعرق والهوية، تظهر بقوة في الداخل حيث يحكم على الإنسان طبقياً ونوعياً، ويحكم على المرأة بالخضوع لنسق ثقيل من العادات والتقاليد تختزله رمزياً في مسمى العباءة والحجاب، وهي عادات تقيد المرأة على صعيد الشكل (العباءة)، وعلى صعيد السلوك (عدم التنقل)، أو على الصعيد النفسي (عدم الخروج على العادات والتقاليد والأعراف)، ويكاد يتجلى ذلك في العمل الروائي منذ العتبة الأولى «سيقان ملتوية» الدال على التعثر في

المشي<sup>(88)</sup> وتخالف الأقدام تحت الجلباب، وما الجلباب ذو اللون الأسود سوى موروث ثقافي ألبس طابعاً دينياً بتواطؤ من القانون؛ لتزداد هيمنته وتجعل منه أداة قامعة تمارسها هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورجالها حراس العقيدة والأخلاق، والإرث الثقافي في البلد، وبقدر ما تثير ضحك وسخرية الذوات (الساردة وأخواتها) فإنها تمثل بالنسبة إليهن قيداً وعائقاً عن الحركة، ويشعرهن نفسياً بالقيود تجاهها<sup>(89)</sup>، إن المرأة في هذا الفضاء تخضع لمجموع القواعد التي تسنها العادات والتقاليد للهيمنة على المرأة ومنعها من الكلام والحركة والتنقل والسياسة، وهو سلب للحرية مقابل فرض العبودية، لكنها تنجح في الهرب من ذلك كله، وتتزوج من الفلسطيني زياد، زواجاً ثقافياً كما يقول المناصرة<sup>(90)</sup>، وثمة رمزية في هذا الزواج، فزياد فنان تشكيلي ناجح، لا يجد في العادات والتقاليد والهوية عائقاً، كالساردة تماماً التي ترفض الهوية والإرث أيضاً، فكلاهما لا ينظر إلى ما يقيد الإنسانية بقدر ما ينظر إلى الإنسان المنفلت من قبضة الموروث والهوية «لنخلع هويتنا»<sup>(91)</sup>، فالزواج هرب من العوائق التقليدية والقبلية والذاتية<sup>(92)</sup>.

تنجح الروايات في محاورة العادات والتقاليد الذكورية وتفكيكها والتفلت من إسارها، كما تنجح في تصويرها وتشخيص الخلل الذي يقف خلفها، وكانت النتيجة هي التمرد على ذلك الإرث في هجوم مضاد له، وكشف تناقضه على نحو ما سنرى في الآتي:

### سؤال التمرد والتحرر من الهيمنة:

يؤكد ما مضى أن ثمة أفعالاً جارحة أحياناً، ومذلة ومهينة أحياناً أخرى، تمس حرية وكرامة المرأة بتواطؤ الأعراف والتقاليد والتجهيل وتوظيف النصوص الدينية والقوانين وتحريفها، وهو ما يدفعها إلى اتخاذ ردود أفعال متباينة: منها ما يمس الرجل بالمقابل، كالإذلال والإهانة بشكل صريح أو ضمني أو متخيل، أو تمس ذاتها فقط، كالهرب أو المواجهة أو الصمت أو الانتحار؛ نتيجة العجز عن المواجهة والتواؤم أو البقاء على قيد الحياة، بعد أن مسها شيء من العار أو الانكسار أو الخذلان.

وعادة ما يكون للمرأة رد فعل على العنف والتسلط الذكوريين، وهو ما تطلق عليه سارة جامبل رد الفعل الرجعي<sup>(93)</sup>، ويتخذ أنماطاً كثيرة؛ إذ تعمد أحياناً الذوات إلى الهرب من الأهل

والتمرّد على الأب، وإدانة الإرث المهيمن وسطوة رجال الدين، أو الانتحار كما في رواية «سيقان ملتوية»، والتمرّد على المثل والعادات والتقاليد والقوانين الذكورية، واستئجار منزل خاص بها بعد الانفصال كما هو في رواية «نساء بأفقال»، أو الصراع مع تعاليم الأب والأسرة وفضح التناقض، وتحاول تشويه صورة الأب والرجل عمومًا كما في رواية «الغد والغضب» أو المهادنة المطلقة كما في رواية «عام الفيل».

ففي رواية «الغد والغضب» يكون رد فعل الذات واضحًا وصادمًا وصريحًا وجريئًا، يؤسس لرد فعل جيل برمته، وهو رد فعل مبني على الوعي بالذات وأسئلة الكينونة والوجود، وماهية الثقافة والحضارة ومعرفة الآخر/الأب/الرجل وما يستند إليه من زيف وتناقض؛ ذلك أن الوعي «يعني البحث عن الأنا، ومحاولة استكشافية، يعني السؤال، كما يعني التحول»<sup>(94)</sup>. وتمردها لا يبقى في نطاق الأسرة فحسب، بل يتجاوز «الأسرة إلى المجتمع الذي ينتقم على زيفه وثقافته وما تمثله أعرافه وقيمه المتوارثة من معوقات تحول دون تحرر المرأة وإثبات كيانها فتعمد إلى تحديها»<sup>(95)</sup> ابتداءً من تحدي تصورات الأب الذي يدّعي وعيًا بالثقافة ويعتبرها سلاحًا، في حين لا يستغل ذلك السلاح في فضح الأنساق الثقافية التي تهمين على المجتمع - من منظورها-، وتتخذ الذات إزاء ذلك فعل الفضح والكشف والتعرية والرفض الكلي والتام له، ولكل ما يحاول أن يزرعه فيها من قيم، وترفض نصحه في أن تكون مثله، وأن تحافظ على ميراث شرفه وسمعته ومكانته، متسائلة: وهل حافظ هو على سمعته ومكانته؟ وهل علي أن أكون أنا السوية منحرفة مثله ومتناقضة مثله؟<sup>(96)</sup> إنها لا تؤسس لفعل رافض فحسب، بل تقوم بصياغة فلسفة للرفض، فهي لا تفعل بقدر ما تقدم أفكارًا<sup>(\*)</sup> تؤسس للفعل في واقع مختلف ومغاير متسائل ومشكك ورافض لكل ما يرتكز على التناقض أو الزيف، لقد رفضت كل ما يمت بصلة إلى الأب وثقافته وعاداته وتقاليدته باعتباره رجلاً غير متصالح مع نفسه، وغير صادق مع المجتمع بل متناقض. لقد رفضت ميراث شرفه وتناقضه وإلهه الذي يقبل الزيف والتناقض الذكوريين<sup>(97)</sup>، ورفضت العادات والتقاليد التي تعيش تناقضًا غير مبرر، والرفض خلق وأداة تغيير وحرف للمسارات، لاسيما القائم منه على التشكيك والتساؤل وانتهاك الحجب ومعرفة الخبايا، ويتضاعف ذلك

الفعل حينما تمارسه المرأة، لاسيما التي تنتمي إلى مجتمع ذكوري ذي وعي تقليدي، وهو ما حدث هنا تماما، فهو رفض يثور على المفاهيم، ويعمد إلى تغييرها ويفضحها<sup>(98)</sup>، وليس على الأب فقط بل على كل ما يمكن أن يمثل ضميرًا أو يذكرها بأبيها أو يسعى إلى خلق التوازن لديها، إذ رفضت أن تكون سلى ضميرها الثاني، وأن تنوب مناب أبيها، فأبوها وسلى معًا يمثلان المجتمع، وهم جميعًا (الأب وسلى والمجتمع) يعيشون التناقض، ويخفون من وجهة نظرها العهر، ويظهرون الورع والتقوى، وهي تريد أن يعيش كل عنصر حقيقته لا أن يصر على تناقضه، تقول لسلى في حوار محتدم بينهما: «إنك تتشبهين بأبي، يعيش الجنس كضرورة دون أن يعترف؛ لأنه يريد أن يحتفظ له بلبوس السرية المجانية»<sup>(99)</sup>، فتد علمها سلى: «هناك الرأي العام يا هدى»<sup>(100)</sup>، فهدى كالأب محكومة بالعادات والتقاليد والموروثات البالية والرأي العام، من وجهة نظرها، وهي محكومة بالعقل ومنطق العصر «ومالي أنا والمفاهيم، مجتمع يتبجح كثيرًا، فهو يعيش عهارته وينادي بالطهارة.. يجب أن يدين نفسه أو يطهرها قبل أن يتكلم.. قبل أن يكون هناك رأي عام يستطيع أن يدين»<sup>(101)</sup>، وتقول: «لكن مرحلة البداوة في عمر الإنسان انتهت، والتطور التدريجي أثمر في تكوينه عواطف معينة»<sup>(102)</sup>.

إن علاقة الذات بالأب قائمة على الصراع الحاد، وهو صراع يقوم على تناقض فلسفة كل منهما، فمفهومه للحياة والسعادة والجمال والعلم والإحساس بالأشياء والقيم... إلخ يقوم على الظاهر، فهو لا ينحو نحو الأعمق؛ لذلك يبدو سعيدًا، والسعادة -من وجهة نظره- هي القهقهة العالية، بينما هذه القهقهة -من وجهة نظرها- وقاحة حادة، ثم إنها تكرهه؛ لأنه رجل؛ ولأن الرجل بداخله يظل يمارس سلوكًا متناقضًا، في إشارة إلى ممارسته للتحرش وخيانة الأم، وانتهاك المثل والقيم التي يتفاخر بها، ف«الرجل فيه يلاحقهن»<sup>(103)</sup>، كما أنه يحمل في النساء في الشاطئ<sup>(104)</sup> ويحمل في زوجة جاره التي تبدو أجمل من زوجته<sup>(105)</sup>، وهو متناقض، ظاهره غير باطنه، يبدو راهبا وداخله على خلاف ذلك، إنه جيل يمارس ذنوبه ومباهجه كلها في الظلام كأنه يهرب الصباح<sup>(106)</sup>، فضلا عن التسلط، ومحاولة تنميطها ومحاولة تكييفها على هواه علميا ومعرفيا، وتكره فيه الرجل المتسلط والمتناقض «الذي يعيش فحولته بالتمام... إنسان منشطر... لم يعد

أبي أبي: إنه ازدواجية محيرة»<sup>(107)</sup>، وهو الذي أورثها ملامح القبح، فأصبحت أنثى بلا أنوثة، أو كما تصف نفسها «أنثى بلا رصيد»<sup>(108)</sup>، فتأثرت بذلك، أما هو فلم يتأثر؛ لأنه في «مجتمع يقدر الذكر»<sup>(109)</sup>. وحينما يموت ترى أن في خلوده «خلود العيب»<sup>(110)</sup>، فالأب هنا لم يعد يمثل فقط الأب البيولوجي، بل الموروث الأبوي كله وسياقاته الحضارية الممتدة، فالأب قد توفي لكن موروثاته التي توارثها وأراد أن يزرعها فيها لا تزال باقية لأجيال قادمة، لقد «كان حرًا بالوهم»<sup>(111)</sup>، أما هي فتريد «حرية مطلقة»<sup>(112)</sup>؛ لذلك تثور عليه وتدين تصرفاته. إن رد فعل الذات (هدى) تجاه الأب يقوم على الرفض والصراع والمكاشفة، وهو رفض وتشويه للعادات والقيم الذكورية المهيمنة وصراع مع المنظومة الأبوية المتسلطة والمتناقضة الخالقة لتعارض الحرية والعبودية.

وتعارض الحرية هو المسيطر في رواية «تاء الخجل» أيضًا، إذ يبدو الآخر (فردًا ومجتمعًا) تقليديًا يصنف الحياة ومعطياتها على وفق ثنائيي: المركز/الهامش؛ لذا تجتري المرأة/الهامش فعل التمرد ردًا على ذلك، مستندة على فعل الهرب من سطوة هذا التعارض في مراحل تشكّل وعيها الأولى: «كانت تلك أولى بوادر تمرد، ومقاومة العائلة!»<sup>(113)</sup>، وهو تمرد على عادات المجتمع وتقاليدته التي تعمل على الفرز والقولية وخلق أزمة المرأة... ثم تقرر الرفض لقرار العائلة الذي يفرض زواجها بأحد ابني عمها، وفي آخر المطاف تقرر التخلي عن المواجهة، والفرار من الوطن، إذ تحزم حقائبها لتفر إلى خارج البلد بحثًا عن الطمأنينة والتوازن المفقود، بعد أن كانت تقرر المقاومة في بداية حياتها:

«يا ابنتي سيكسررك رجال العائلة.

سأرى من سينكسر أنا أم هم.

قلت لها ذلك ومقولة لـ"غي دي كار" تحضرني "أمام رجل نواجه كل الأخطار"، فكيف لي أن أواجه والدي وأعمامي وشبان العائلة؟.

كانت في يدي قوة واحدة لا يمكن أن تقهر: "حب والدي للعلم"<sup>(114)</sup>.

لكن المجتمع يكسرها، ولا يتوقف الأمر على القوة المستمدة من حب الأب للعلم، بل على الضعف وعدم القدرة على مجابهة المجتمع بموروثه وجبروته. فخالدة هنا تبدو على وعي بالموروث

الذكوري، لكن وعيها لم يُجد في المجابهة؛ ذلك أن الوعي لا يجدي في مجتمع مفرط في ذكوريته وعنفة واستبداده ضد المرأة، أما يمينه ورزيقة وكنزة... فلم يكن على وعي، ولم يجابهن أو يسعين إلى التغيير. فقد بقين خاضعات مستسلمات غير واعيات بالحقوق؛ نتيجة للسياج الاجتماعي المفروض عليهن وطرائق التنشئة التي تشبعن بها طيلة حياتهن، فيمينه استسلمت للموت بعد آثار التعذيب والاعتصاب الذي تعرضت له من الإرهائيين، ورزيقة انتحرت، ويمينه الصغرى أخرست، فكان رد فعلهن سلبيا نتيجة لذلك الغياب ولا يعرف التساؤل ناهيك عن التساؤل الإشكالي بل استسلمن لأقدارهن الذكورية دون رد تجاهها، وإن حدثت ردود فإنها ضد ذواتهن (الانتحار أو الصمت أو الهرب). وحالهن يعني أن المرأة باعتبارها ذاتا تسعى إلى إنجاز فعل التحويل من أجل امتلاك الحرية، لكنها لا تنجح في ذلك؛ لأنها لا تمتلك القدرة على الإنجاز؛ نتيجة لعدم امتلاكها للوعي (المعرفة) بالحقوق بشكل كلي (معرفة الفعل والقدرة على إنجازه) وهو ما جعلها مستلبة كلياً، أو لمعرفتها التي لا تجدي حيال صلف المجتمع وجبروته (كنزة، خالدة)، وهو ما جعل خالدة تفر إلى خارج البلد، وكنزة تغادر إلى بلدتها متخفية عن فعل التنوير الثقافي عبر المسرح، وهناك تزوج زواجا تقليدياً يورثها الحزن والتعاسة.

وغياب الوعي باعتباره مساعداً على الاستلاب هذا يظل محرراً رئيسياً في رواية «عام الفيل» وهو ما جعل الذات (زهرة) تركز إلى الاستسلام وعدم إبداء رد فعل مقابل فعل الرجل المتغطرس، فحينما صفعها استسلمت ولم تقاوم، وحينما أعلن طلاقها لم تدافع عن نفسها، بل تساءلت لماذا؟ ثم استسلمت وغادرت منزلها عائدة إلى بلدتها للضياع والتهيه، ثم حينما شعرت بالتهيه المركب في بلدتها قررت الرحيل -أيضا- للبحث عن عمل، وعملت لدى المحتل ماسحة لبلاط مركزه الثقافي، بعد أن كان يشار إليها بالبنان، وكل همها الحصول على السكنينة فقط «أريد عملاً يضمن لي لقمة العيش فقط»<sup>(115)</sup>. ومع ذلك تفضح الرواية النظام الأبوي والواقع الذكوري ووسائل الهيمنة والنفاق الاجتماعي والتغوّل السياسي والإقصاء الذي يقع على المرأة فقط، لكنه لا يجعل المرأة ثائرة عليه بل يقدمها ضحية من ضحاياه ليس إلا.

ويرمي رد فعل المرأة في «نساء بأقفال» إلى غاية واحدة هي التمرد على سلطة الرجل وعادات المجتمع المؤطرة ذكورياً؛ من أجل الخروج من طوق التعاليم والعادات والتقاليد البالية التي تُحبس داخله، إذ تعمل على الخرق وتدعو إلى تأسيس ثورة فكرية تتنافى مع تلك العادات، «كانت ألف فكرة وفكرة تتقاطع في عقل ناديا وقد بدا عليها أنها تدشن أكبر ثورة فكرية في حياتها»<sup>(116)</sup>. فيبدو أنها كانت مستسلمة بفعل الآخر/هم/المجتمع طيلة خمسين عامًا، لكنها قررت أخيراً التحول والانتقال من حال الاستسلام إلى حال التمرد، هذا التمرد الذي يبدو للوهلة الأولى مجرد تمرد عبيثي، لكنه تمرد مقرون بمجموع قيم ومبادئ متناقضة يمارسها المجتمع الذي تصفه بالمنافق، إنه تمرد على النسق الاجتماعي المهيمن على المرأة ووعمها وخرق لثوابته المزيفة، وانتهاك لمعايير العفة والمبادئ التي يبيحها لذاته ويحرمها عليها، وفضح لما يعتمل في المجتمع من تناقضات. وتقدم الرواية مجموعة من النساء المعطوبات الواقعات في مأزق العنوسة والكبت، يكتشفن، بعد مضي عمرهن، أن ما التزمن به من حفاظ على البكارة الموصوفة في العنوان والمتن بـ«القفل» ما هو إلا مجموع تعاليم ذكورية وعادات وتقاليد أبوية بالية، لذا يسعين إلى التمرد عليها وكسرها، ونسفها، ولكل واحدة من الذوات طريقتها في التمرد والكسر والنسف (رد الفعل) للعدرية باعتبارها رمزاً - في الرواية- للقيم والمبادئ الذكورية، ولأنها تمثل عائناً وحاجزاً، في البدء تمرد الذات (ناديا) على الأب وتعاليمه وتحاول أن تضع ذاتها في لحظة المواجهة لكنها لا تجرؤ على استكمال قوانين اللعبة، إذ تقاوم بينها وبين نفسها في الخيال<sup>(117)</sup>، فقد حاولت صفع الأب لكن في ذهنها فقط، فهو رد فعل صامت، لكنها على صعيد الواقع تعمد إلى التمرد وكسر تعاليم الأب والأسرة والمجتمع والأخلاق التي ترى أنها حُبست فيها خمسين عامًا، وهي ممارسة جارحة -من وجهة نظرها- اكتشفت فيها معنى الذل وانتهازية الرجل الذي أورثها عقدة مضاعفة أضيفت إلى عقدة الكبت التي تمردت عليها. أما تغريد فقد جاء رد فعلها على هيئة نكوص شكلي، إذ كانت ترتدي الملابس القديمة والمهلهلة والرثة؛ لأنها من وجهة نظرها تتلاءم مع روحها البالية والمنهكة، وهي ثورة على الرجل والمجتمع بطريقة ما: «ربما كنت أثور عليهم بطريقة ما حين أريهم أن حياتي التي شوهوها بعاداتهم الصارمة وأخلاقهم المتحيزة للرجل والمنافقة أشبه بالأسمال البالية، فهذه

الثياب التي يخجلون منها هي مرآة حياتي»<sup>(118)</sup>. وبالمقابل أصيبت دعاء بالجنون نتيجة لتسلط العادات والتقاليد وهيمنة الأسرة والتنشئة «في أسرة تقليدية متدينة، أساس تربيتها للأولاد قائم على ثنائيتي الحلال والحرام.. الطعام، واللباس والنظر والسمع والعادات كل شيء يخضع لتصنيفين»<sup>(119)</sup>. وهو رد فعل عكسي يؤكد عدم قدرة الذات (دعاء) على صراع وتجاوز المعوقات وتفكيك سلطة الواقع. وهو ما ينطبق على «أمل» التي انتحرت، لكن مع فارق أن أمل تبدو واعية بالفعل الذي ترى أنه أداة لمقارعة الرجل كما تزعم، إذ ترى أن الموت حرية لها من هيمنهم وهيمنة تصوراتهم، فهي عذراء وقد اعتذرت الطيبة عن أخذ عينة من رحمها لفحص مرض سرطاني محتمل، بحجة العادات، والشرف، وهو ما أورثها خيبة وجعلها تتمزق من الداخل وتمضي صوب النهاية متصورة في ذلك خلاصًا من العبء الذكوري، تقول: «صرت أجد في الموت غواية، فهو يعني أن الحياة الرتيبة ستوقف. الموت يعني أنني أجردهم من سلطتهم علي، أي أكسرهم، أي انتصر عليهم، والأهم أنني أتحرر من هيمنتهم على حياتي... كم هو محزن ومهين أن أجد نفسي مضطرة للاعتراف بأنني لا أستطيع أن أتحرر منهم إلا بموتي»<sup>(120)</sup>.

لقد نجحت الرواية في تشخيص مكان من الخلل نسويًا، وتمردت عليها، تارة بكسر التعاليم الذكورية وأخرى بالجنون والانتحار.

وتجرح الذات (سارة) في رواية «سيقان ملتوية» تمرّدًا مختلفًا في الهُنا/لندن يتمثل في الهرب مع العشيق الفلسطيني (زياد) والزواج منه، وهو هرب من مجموع الموروثات والعادات والتقاليد التي شاهدها في زيارتها إلى السعودية، ومحاولة لكسر قانون «عدم تزويج المرأة بأجنبي»، وتدشينًا للحرية بعيدًا عن الأب والمجتمع وتعاليمهما، وقد جاء ذلك الهرب تويجًا لرفض مباشر لضرب الأب لها، وتقوم بتهديده بالقانون، وهو بالمقابل لم يقبل هذا الرد من قبلها، بل ازداد عنفًا. أما الذوات الأخرى (بنت عمها والنساء عمومًا) في الهناك/السعودية فيعمدن إلى العشق بسرية مطلقة نظرًا إلى انعدام الحرية، أو إلى الهرب مع من تحبين، والتفلت من ضغط العادات والتقاليد كما فعلت فوزية التي أحبت لبنانيا وفرت معه إلى باريس وتزوجته هناك، وهي الآن تعيش معه في سعادة غامرة<sup>(121)</sup>. والفرار من الوطن يعني الحرية وليس كرهًا للوطن ذاته بقدر ما هو كره لعاداته وتقاليد الذكورية: «أبغض الجحود، ولا أحمل كرهًا لوطني، لكنني أرفض أن



أحيا في أرض تلتهم حريتي وتصادر كينونتي باسم الأعراف والتقاليد»<sup>(122)</sup>. إن رد فعل الذوات مؤسس على الوعي (فوزية، سارة) ولدى الأخريات مؤسس على غياب الوعي؛ لذلك يظهرن مهادانات مستسلمات. ويظهر الرفض من قبل "ريبيكا" التي نشأت في البلد نفسه (بريطانيا) لأم بريطانية وتكتشف لاحقاً أنها لأب سعودي، أكثر حدة ترفض العادات والتقاليد، كما ترفض العودة مع الأب إلى بلاده حينما يحاول إقناعها بالعودة معه، فترفض بعد معرفة الجرح الذي سببه لأمها. فالذات خارج السعودية تمارس حريتها دون الرجل وموروثاته. أما في السعودية فإنها (باستثناء فوزية) تعيش عبوديتها وتسهم فيها دون رد فعل، فجلُّ ما تتمناه ابنة عمها (وهي رمز للنساء جميعاً) هو الالتزام؛ لكي تحظى بزواج وتكوين أسرة في المستقبل، أو تنتحر "هيا" هرباً من الخدش والجرح الروحي الذي تعرضت له من قبل رجال الهيئة ورجال العائلة بعد ذلك.

لقد جاء تمرد المرأة في الروايات المدروسة مؤسساً على الوعي ومعرفة فعل الآخر وهيمنته، مما جعلها تتخذ فعلاً ثورياً ظاهراً تارة ومضمراً تارة أخرى، لكنه أنتج ثماره في تأسيس ذوات متحررات من السلطة والتبعية والسطوة إلى حد كبير.

وخلاصة ما مضى أن الموروثات والعادات والتقاليد التي تتحكم بالسلوك والسلوك المضاد في المجتمع، هي موروثات تتكيف معها القوانين ورجال الدين وتخضع لها، وتعمل على تقييد المرأة وسلها حريتها، وتوكل الوصاية عليها إلى الرجل بشكل مبالغ فيه، غير أن تلك الوصاية ونتائجها تتفاوت من مجتمع روائي إلى آخر، بناء على الفضاء الذي تنتهي إليه الرواية، ونوع الإشكاليات النسوية المهيمنة عليه، لكنها في المجمل تقدم صورة لنساء مقموعات ومهمشات ومجروحات، في مقابل صورة لرجل قانع وجارح ومتسلط يتحرك وفقاً لسلوك ينميه لديه النظام الاجتماعي الموبوء بالأبوية والإفراط في التمييز.

### الهوامش والإحالات:

- (1) ينظر: ستيفاني هودجسون، بواكير النسوية، ضمن كتاب: سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ترجمة أحمد الشامي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص 21-38.
- (2) ينظر: ريان قوت، النسوية والمواطنة، ترجمة: أيمن بكر، سمر الشيشكلي، مراجعة وتقديم: فريدة النقاش، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط: 1، 2004م.

- (3) ينظر سارة جامبل: النسوية وما بعد النسوية، ص 21، 39، 77.
- (4) ينظر بام موريس: الأدب والنسوية، ترجمة سهام عبد السلام، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص 29.
- (5) ينظر: عصام واصل، في خصوصية الكتابة النسوية، مجلة فكر العربية، جمعية مدرسي اللغة العربية للتنمية الثقافية والاجتماعية، الدار البيضاء، المغرب، ع: 2، السنة الأولى، ماي، 2016، ص 174، 175.
- (6) ينظر توريل موي: النسوية والأنثى والأنوثة، ترجمة كورنيليا الخالد، الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع 76، س 19، خريف 1993، ص 24، 25.
- (7) سارة جامبل: النسوية وما بعد النسوية، ص 337.
- (8) ينظر عصام واصل: الرواية النسوية العربية، مساءلة الأنساق وتقويض المركزية، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، 2018، ص 11.
- (9) ينظر: نفسه، ص 28.
- (\* هناك من يفرق بين مصطلحي الأنوثة والأنثوية من حيث الماهية وما يترتب عليهما، لكننا لا نرى فرقاً بينهما؛ ذلك أنهما معا يدلان على مجموع الخصائص والسمات الناتجة عن التنشئة، أما ما يحمله مصطلح الأنثوي من دلالة على القضايا فإنه يدخل ضمن مصطلح النسوية.
- (10) خنانة بنونة: الغد والغضب، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط 2، 1991.
- (11) فضيلة الفاروق: تاء الخجل، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط 2، 2003.
- (12) زينب حفي: سيقان ملتوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2008.
- (13) هيفاء بيطار: نساء بأقفال، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008.
- (14) ليلى أبو زيد: عام الفيل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2011.
- (15) ينظر أندرو إدجار، وبيتر سيدجويك: موسوعة النظرية الثقافية، المفاهيم والمصطلحات الأساسية، ترجمة هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009، ص 499.
- (16) سماهر الضامن: نساء بلا أمهات، الذوات الأنثوية في الرواية النسائية السعودية، مؤسسة الانتشار، بيروت، النادي الأدبي بحائل، السعودية، 2010، ص 240.
- (17) خنانة بنونة: الغد والغضب، ص 6.
- (18) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (19) ينظر: النوع، الذكر والأنثى بين التمييز والاختلاف: ترجمة محمد قدرى عمرة، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط: 1، 2005، ص 178.
- (20) خنانة بنونة: الغد والغضب، ص 6.

- (21) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (22) المصدر نفسه، ص5.
- (23) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (24) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (25) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (26) سماهر الضامن، نساء بلا أمهات، ص64.
- (27) ينظر: المرجع نفسه، ص243.
- (28) خنائة بنونة، الغد والغضب، ص6.
- (29) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (30) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (31) ينظر سارة جاميل، النسوية وما بعد النسوية، ص337.
- (32) فضية الفاروق، تاء الخجل، ص21، 22.
- (33) المصدر نفسه، ص24.
- (34) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (35) المدر نفسه، ص22.
- (36) ينظر: مجموعة مؤلفين، النوع، ص35.
- (37) ليلى أبو زيد، عام الفيل، ص8.
- (38) رشيدة بنمسعود، جمالية السرد النسائي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط: 1، 2006، ص105، 106.
- (39) ليلى أبو زيد: عام الفيل، ص15.
- (40) رشيدة بنمسعود: جمالية السرد، ص106.
- (41) ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (42) ليلى أبو زيد: عام الفيل، ص8.
- (43) المصدر نفسه، ص155.
- (44) المصدر نفسه، ص8.
- (45) المصدر نفسه، ص106.
- (46) ينظر: بيل أشكروفت، وآخرون: دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية، ترجمة: أحمد الروبي وآخرين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط: 1، 2010، ص177.
- (47) ليلى أبو زيد: عام الفيل، ص112.
- (48) هيفاء بيطار: نساء بأقفال، ص31.

- (49) المصدر نفسه، ص149.
- (50) ينظر: سيد محمد السيد قطب وآخران: في أدب المرأة، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، القاهرة، 2000، ص73.
- (51) ينظر: المرجع نفسه، ص106.
- (52) هيفاء بيطار: نساء بأقفال، ص30.
- (53) ينظر: المصدر نفسه، ص106.
- (54) ينظر: المصدر نفسه، ص7.
- (55) زينب حفي: سيقان ملتوية، ص102، 103.
- (56) المصدر نفسه، ص107.
- (57) المصدر نفسه، ص107، 108.
- (58) المصدر نفسه، ص108.
- (59) المصدر نفسه، ص108.
- (60) المصدر نفسه، ص107.
- (61) المصدر نفسه، ص115.
- (62) المصدر نفسه، ص120.
- (63) ينظر: أليسون جاسبر، النسوية والدين، ضمن: سارة جامبل: النسوية وما بعد النسوية، ص234.
- (64) فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص36.
- (\* ثمة فرق بين دالي (الإسلامي) و(الإسلاموي)، فالأول طبيعي، والآخر دال على العنف والإرهاب والجماعات الإرهابية المتطرفة التي تستخدم الدين تنفيذًا لتعاليم إيديولوجية بشكل مفرط في العنف.
- (65) فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص51، 52.
- (66) المصدر السابق، ص51.
- (67) المصدر السابق، ص55.
- (68) ينظر المصدر السابق، ص60، 61.
- (69) ينظر: عبد الرحمن تيرماسين، بين التواء المربوطة والتواء المفتوحة موت في تاء الخجل، ضمن: السرد وهاجس التمرد في روايات فضيلة الفاروق، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2012، ص142.
- (70) زينب حفي، سيقان ملتوية، ص56.
- (71) المصدر نفسه، ص94.
- (72) المصدر نفسه، ص96.
- (73) المدر نفسه، ص101.
- (74) ينظر: المصدر نفسه، ص120.

- 75) ينظر: المصدر نفسه، ص 104.
- 76) ينظر: نعيمة هدي المدغري، النقد النسوي- حوار المساواة في الفكر والأدب، منشورات فكر، الدار البيضاء، 2009، ص 152، 153.
- (\* يعتبر التجهيل أداة تمارسها الأنظمة السياسية ضد المجتمع، إستراتيجية سيطرة عابرة للذكورة عمومًا، لكننا نقصد بها هنا ما يمارسه الرجل (فردًا ومجتمعًا) ضد المرأة من منع، انطلاقًا من التعاليم الذكورية المهيمنة.
- 77) صالح زياد، القصة النسائية الخليجية والوعي النسوي، مجلة (فصول)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ع: 75، شتاء-ربيع 2009، ص 67.
- 78) فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 28.
- 79) المصدر نفسه، ص 47.
- 80) ينظر سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ص 435.
- 81) ينظر مجموعة مؤلفين، قضايا المرأة- الشريعة، السلطة، الجسد، دار بدايات، سوريا، 2008، د.ط، ص 74.
- 82) هيفاء بيطار، نساء بأقفال، ص 127.
- 83) المصدر نفسه، ص 120.
- 84) المصدر نفسه، ص 148.
- 85) المصدر نفسه، ص 144.
- 86) المصدر نفسه.
- 87) ينظر: إعتدال عثمان، التراث المكبوت في أدب المرأة، دفاتر نسائية، سلسلة تشرف عليها زينب الأعوج، الجزائر، 1990، ص 11.
- 88) حسين المناصرة، مقاربات في السرد، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2012، ط: 1، ص 114.
- 89) ينظر زينب حفي، سيقان ملتوية، ص 101.
- 90) ينظر حسين المناصرة، مقاربات في السرد، ص 114.
- 91) زينب حفي، سيقان ملتوية، ص 101.
- 92) ينظر المناصرة، مقاربات في السرد، ص 114.
- 93) ينظر سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ص 275.
- 94) سوسن ناجي رضوان، الوعي بالكتابة في الخطاب النسائي العربي المعاصر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004م، د.ط، ص 59.
- 95) بوشوشة بن جمعة: الرواية النسائية المغربية، المغربية للنشر، 2003، د.ط. ص 59.
- 96) ينظر خنانة بنونة: الغد والغضب، ص 103.

- (\* يؤكد عبد القادر الشاوي على أن هذه الرواية رواية تصورات لا رواية أحداث وتطورت. ينظر: نزيه أبو نضال، تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية وبيولوجرافيا الرواية النسوية العربية (1885-2004)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004، ط: 1، ص 21.
- (97) خنائة بنونة، الغد والغضب، ص 44.
- (98) ينظر: المصدر نفسه، ص 56، 61.
- (99) المصدر نفسه، ص 81.
- (100) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (101) المصدر نفسه، ص 78.
- (102) المصدر نفسه، ص 80.
- (103) ينظر: المصدر نفسه، ص 23.
- (104) ينظر المصدر نفسه، ص 21.
- (105) ينظر: المصدر نفسه، ص 4.
- (106) ينظر: المصدر نفسه، ص 26، 27.
- (107) المصدر نفسه، ص 26.
- (108) المصدر نفسه، ص 27.
- (109) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (110) خنائة بنونة، الغد والغضب، ص 217.
- (111) المصدر نفسه، ص 218، 219.
- (112) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (113) فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 24.
- (114) المصدر نفسه، ص 29.
- (115) ليلى أبو زيد، عام الفيل، ص 110.
- (116) هيفاء بيطار، نساء بأقفال، ص 5.
- (117) ينظر: سيد محمد السيد قطب، في أدب المرأة، ص 45، 46.
- (118) هيفاء بيطار، نساء بأقفال، ص 63، 64.
- (119) المصدر نفسه، ص 64.
- (120) هيفاء بيطار، نساء بأقفال، ص 132.
- (121) ينظر: زينب حفني، سيقان ملتوية، ص 108، 109.
- (122) المصدر نفسه، ص 127.



## التعبير الإشاري في (الطرفة الذمارية)

### مقاربة تداولية

أ.م.د. عبدالكريم مصلح البجلة \*

عبدالله علي عصابة \*\*

الملخص:

في هذا البحث سنحاول تحديد أهمية الإشارات في تحليل الظواهر التداولية للملفوظ القولي داخل الخطاب، وقد تم اختيار (الطرفة الذمارية) مثلاً ومجالاً للبحث، لما تحويه من إشارات متنوعة، ولما يتميز به التعبير الإشاري فيها من أبعاد تداولية مختلفة؛ وسوف يتم تناول إشارات الطرفة الخطابية الثلاث؛ الشخصية والمكانية والزمانية، كون هذه الإشارات تحمل دلالات ومعاني وأشكالاً متعددة، ولا يمكن كشف وظائفها إلا من خلال تحديد السياق القولي، والقصد التبليغي.

\* عميد كلية الآداب- أستاذ اللسانيات المشارك- قسم اللغة العربية- جامعة ذمار- الجمهورية اليمنية.

\*\* مدرس - قسم اللغة العربية، كلية الآداب- جامعة ذمار- الجمهورية اليمنية.

## The Indicative Expression in ( Thamarian joke)

### Deliberative Approach

Prof. AbdulKareem Musleh Al-Bahla

Abdullah Ali Asabah

#### Abstract:

In this research we try to identify the importance of indications in analysing deliberative phenomena in spoken verbal included in speech. Thamarian joke is selected as an example and research field as it includes varied indications and for the different deliberative dimensions that characterise the Indicative Expression. This research will study the three indications of joke expression; the personal, the locational and the temporal. These three indications carry signs , meanings and different forms. The functions of these indications can be discovered only through the speech context and the informative purpose.

#### مدخل:

ليست الطرفة، مجرد حدث عابر يمر ثم ينتهي سريعا؛ ولكنها تعبير إنساني يكمن في ثناياه كثير من الحقائق النفسية والاجتماعية والفكرية، والسياسية واللغوية المرتبطة بالإنسان ومجتمعه وثقافته. وإذا كان الابتسام والضحك، يعدان من مظاهر الغريزة الإنسانية؛ فإن الفكاهة - وإن كانت تصدر عن الفرد- تعبير عن وجدان الجماعة، وهي انعكاس لمستوى ثقافة المجتمع، وتحمل في طياتها همومه وأحزانه ومسراته؛ فهي لون أدبي، لا يقل أهمية عن غيره من أشكال التعبير الأخرى، إن لم يتفوق عليه، لسهولة تداوله، وقربه من النفوس، وما يشيعه من بهجة ومرح وسرور بين متداوليه.



تدل الطرفة في كثير من الأحيان على البهجة والمرح، لكنها في أحيان أخرى قد تدل على آلام كامنة في غور النفس البشرية، فتعمل الطرفة على إعادة توازن تلك النفس، عن طريق رؤية تلك الآلام من خلال بعد نفسيّ مختلف، يعمل على تحويل ما هو مؤلم إلى شيء مضحك، يحرر النفس من وطأته.

تمثّل الطرفة مظهراً من مظاهر النشاط الثقافي والسلوكي للمجتمع الذماري؛ وكثير من الطرف المنتجة ذمرياً، يتم تداولها على نطاق واسع، فهي عابرة لحدودها الجغرافية، متجاوزة للمحظورات كلها، معبرة عن وجدان الشعب اليمني، حاملة لقضاياها، ناقدة لأخطائه ونقائصه. إن الطرفة في كثير منها ناقدة، ولكنها - في الغالب - لا تنقد أشخاصاً، أو فئات، وإنما تنقد أفكاراً وسلوكيات، وهي في نقدها قد تكون مستفزة، كونها تصفع النمطية الاجتماعية والسياسية والدينية وغيرها، بيد ناعمة تدغدغ أفكار المتلقي وحواسه؛ وقد تحاشت الدراسة إيراد كثير من الطرف الساخرة جداً، تجنباً لما يمكن أن تثيره من مواقف من قبل بعض الناس، مما لا يخدم الدراسة، وما ورد هنا من طرف تنقد سلوك فرد أو جماعة، أو تنقد فكراً، أو اتجاهاً ما، لا يعني تبني الدارس لما تحمله من نقد، أو غيره، أو أنه مع أو ضد؛ ولكن إثباتها في الدراسة يأتي أولاً: لأنها متداولة في ذمار، وثانياً: لغرض البحث والدراسة، ولا شيء غير ذلك.

### التعبير الإشاري في الطرفة الذمارية:

إذا كانت اللغة أنساقاً إشارية في المناهج اللسانية الحديثة<sup>(1)</sup>، فإن مصطلح الإشارات في التداولية يشير إلى مكون لا يتحدد إلا في سياق الخطاب التداولي؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، فبالرغم من ارتباطها بمرجع، إلا أنه مرجع غير ثابت. فهي تعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه، ولا يستطيع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه<sup>(2)</sup>، فلا يمكن إسناد دلالة ما إلى ملفوظ معين دون الوقوف عند الإشارات من جهة، وعند سياق إنتاج الملفوظ من جهة أخرى<sup>(3)</sup>؛ حيث تعد الإشارات أمثلة واضحة على جوانب من اللغة لا تفهم إلا بمعرفة السياق الذي وردت فيه<sup>(4)</sup>، انطلاقاً من نقطة ارتكاز يجسمها إلقاء القول؛ كونه حدث تاريخي لغوي، يحصل في زمان محدد، ومكان محدد، بوساطة متكلم محدد؛ كما يشير إلى ذلك (ديكرو)<sup>(5)</sup>.

### أنواع الإشارات:

تنقسم الإشارات كما يذهب أغلب الباحثين إلى خمسة أنواع: إشارات شخصية، وإشارات زمانية، وإشارات مكانية، وإشارات اجتماعية، وإشارات خطابية أو نصية<sup>(6)</sup>. وكل خطاب لابد أن تجتمع فيه على الأقل ثلاث إشارات، هي: (الضمير، المكان، الزمان). وتكون حاضرة في بنية الخطاب العميقة، رغم أن المرسل لا يضمها خطابه شكلا في كل لحظة؛ لأنه يعول على وجودها بالقوة، في كفاءة المتلقي<sup>(7)</sup>. فمثلا الطرفة الذمارية التي جاءت بشكل نصيحة، تقول<sup>(8)</sup>:

"لا تنخدعشُ بثنتين: القات في يد المِقْوَت، والمِرَّة من بعد يد المِكُوْفِرَة".

نجد في بنيتها العميقة ثلاث إشارات؛ الأول ضمير المتكلم الذي هو ملقي الطرفة، (أنا) حيث الخطاب في بنيتها العميقة هو: أنا أقول، أو أنا أروي، أو أنا أنقل عن غيري: "لا تنخدعش... إلخ" لذلك كل ملفوظ يتضمن في بنيتها العميقة ضمير المتكلم الذي يحيل على المرسل، باعتباره صاحب القول المتلفظ به أو ناقله. ولا يحتاج ملقي الطرفة إلى ذكر ضمير المتكلم حتى يعلم المتلقي أنه صاحب القول، فهو يعتمد على الكفاءة التداولية لدى المتلقي، التي تسمح له باكتشاف صاحب الملفوظ دون تصريح من المتكلم<sup>(9)</sup>.

أما الثانية والثالثة فهما الإشارتان المكانية والزمانية، وهما حاضرتان بالقوة في البنية العميقة للقول، فيكون القول هو: أنا أقول الآن وهنا: "لا تنخدعش... إلخ" فهذه هي الإشارات التي تكون حاضرة في كل قول في بنية الخطاب العميقة.

إن أكثر الإشارات تمثيلا للمرجعيات الملفوظية كما يقول (جان سيرفوني) هي: أنا، أنت، هنا، الآن، باعتبارها كلمات تشير من داخل الملفوظ إلى تلك العناصر الأساسية المكونة للملفوظية، وهذه العناصر هي: المتحدث، والمخاطب، ومكان وزمان التحدث<sup>(10)</sup>. وبعبارة أخرى هي الإشارات الشخصية والمكانية والزمانية، وهي التي سوف يتم تناولها في دراستنا لإشارات الطرفة الذمارية في أبعادها التداولية.

### أولاً: الإشارات الشخصية

هي بشكل عام الإشارات الدالة على المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب<sup>(11)</sup>؛ وتختلف إحالتها حسب السياق الذي ترد فيه، فهي -كما تقول (فرنسواز أرمينكو)- "تشير في البداية إلى التمثيل اللساني الذي تنبثق عنه، قبل إحالتها على فرد (متكلم)"<sup>(12)</sup> وقد تطرق العلماء العرب لموضوع الإشارات الشخصية من خلال باب الضمائر، فقد ذكر السكاكي أن الضمير "عبارة عن الاسم المتضمن الإشارة إلى المتكلم أو إلى المخاطب أو إلى غيرهما بعد سابق ذكره"<sup>(13)</sup> وفي قوله: "بعد سابق ذكره" دلالة على أن الإضمار يحيل إلى شيء هو في ذهن المتلقي، وقد صار عنده معرفة، وقد أشار إلى ذلك سيبويه بقوله: "وإنما صار الإضمار معرفة لأنك إنما تضمرا اسما بعدما تعلم أن من يحدث قد عرف من تعني وما تعني، وأنت تريد شيئاً يعلمه"<sup>(14)</sup> وبذلك أيضاً قال المبرد<sup>(15)</sup>، هذا عندما يكون الضمير ضمن سياق محدد، وأحيل إلى مرجع محدد في ذلك السياق؛ أما عند كونه دون مرجعية، فهو اسم مهم مثل وعاء فارغ، يتسع لزيد أو لعمرو أو غيرهما، حسب ما تسمح به اللغة.

### 1- ضمائر التكلم

تعد الضمائر الشخصية الدالة على الحاضر، سواء أكان متكلماً أم مخاطباً، مفرداً أم مثنى أم جمعا، مذكراً أم مؤنثاً، من أوضح العناصر الإشارية؛ لأن مرجعها يعتمد على السياق الذي تستخدم فيه، ويشتراط في العناصر الإشارية أن تكون العلاقة بينها وبين مراجعها حقيقية، إذ يضيف فلاسفة اللغة شرط الصدق؛ فإذا قالت امرأة مثلاً: "أنا أم نابليون" فليس بكاف أن يكون مرجع الضمير هو تلك المرأة، بل لا بد من التحقق من مطابقة المرجع للواقع، بأن تكون تلك المرأة هي أم نابليون فعلاً، وأن تكون الجملة قيلت في الظروف التاريخية المناسبة، فإن لم يتحقق شرط الصدق كانت الجملة كاذبة<sup>(16)</sup>.

#### أ- المتكلم المفرد

ما من شك أن الضمير (أنا وأنت ونحوهما) له دلالة في ذاته على المتكلم أو المخاطب، ومعرفة السياق ضرورة لمعرفة من المتكلم، أو المخاطب الذي يحيل عليه الضمير (أنا أو أنت).

وهذه ال (أنا) ترد في الطرفة الذمارية بصيغ متنوعة، فتأتي ضميرا منفصلا، ومتصلا، ومستترا، وكذلك تأتي للإحالة على أكثر من متكلم، لأغراض تداولية مختلفة -ستكتفي الدراسة بإيراد بعض نماذجها- وإن كنا في أغلب الطُرف لا نعرف مرجع الضمير معرفة كاملة، إلا أننا من خلال السياق قد نستقي بعض معلومات عنه، في إطار حادثة محددة لا يخرج السياق عنها، وهذا هو الملاحظ على كثير من الطرف موضوع الدراسة، فغالبا ما يكون مرجع الضمير في الطرفة هو (واحد) وهذا الواحد ينطبق على أي إنسان، ولكنه في سياق طرفة محددة شخص محدد، لفعل محدد، في زمن محدد، هو فضاء الطرفة التي يتم روايتها، كما نرى في هذه الطرفة التي ورد فيها الضمير (أنا) المحال على (واحد):

"قال لك<sup>(17)</sup>: واحد لطم واحد، فسار الملطوم اشتكى بذي لطمه لا قيسم الشرطة، وبعد حضور اللأطم تم مواجهته بالتهمة، فقال: ما الملطام أنا ذاري إني لطمته.. شي معه شهود؟"<sup>(18)</sup>

في هذه الطرفة جاء ضمير المتكلم المنفصل (أنا) في قوله: "ما الملطام أنا ذاري إني لطمته" لينجز فعلا إخباريا، هو إقرار المتكلم، واعترافه بصفع (لطم) المشتكى على وجهه. ومن خلال السياق، فالضمير "أنا" هو في الواقع يطابق المرجع "واحد" الأول من العبارة "واحد لطم واحد" ويحيل عليه كفاعل للفعل "لطم"، فيكون شرط الصدق هنا متحققا، من حيث الإحالة على الفاعل، لا من حيث إزالة إبهام الفاعل وغموضه الذي اكتفت الطرفة بتقديمه فاعلاً فقط- لحدث محدد، كما هو شأن شخصيات الطرف في الغالبية العظمى منها؛ وباعترافه يكون المتكلم قد قدم (سيد الأدلة) الذي هو (الاعتراف) كما هو مشهور؛ ولكنه لغفلته لا يدرك أن اعترافه حجة عليه، فهو بسؤاله: "شي معه شهود؟" ينجز فعلا استفهاميا، ولكنه ليس استفهاما حقيقيا، فله غرض آخر تحمله القوة الإنجازية التي تضمنها السؤال، وهي الإنكار، ولكنه إنكار جاء بعد اعتراف تم عند سلطة رسمية.

وقد يرد الضمير (أنا) للإحالة على أكثر من متكلم، وقد يكون لكل متكلم (أنا) غرض إنجازي

مختلف عن الآخر كما في هذه الطرفة:

"قال لك<sup>(19)</sup>": اجتمع الأخوة الثلاثة حين وفاة والدهم، يوزعون مهام وتكاليف الدفن والعزاء فيما بينهم، وكان اثنين منهم ما لهم شيء؛ أما الثالث -وكان اسمه صالح- فكان فقير، فقال الأول: أنا عليّا الكفّن وحق القبر، وقال الثاني: وأنا عليّا الصالة وحق الماء، ونظر الاثنان لا عند صالح وقالوا له: وانت؟ قال: وأنا عليّا لعنة الله!"

هذه ال (أنا) رغم تعدد ورودها في هذه الطرفة، إلا أنها لم تكن تشير وقت التلفظ بها إلا إلى مرجع واحد، هو المتكلم، "فبين (أنا) وبين فرد يتحدث عن نفسه في لحظة معينة تكون العلاقة علاقة حقيقية، هي العلاقة الناتجة عن لفظ هذا الفرد لكلمة (أنا)"<sup>(20)</sup>. ويؤكد (بنفنيست) أن الضمائر لا تنتمي إلى طبقة واحدة متجانسة، فضمير المتكلم والمخاطب لا يحيلان إلى واقعة ما، أو وضعيات موضوعية، وإنما إلى ملفوظ ذاتي منفرد، ومعناه أن ضمير المتكلم واحد لكنه حرفي، بإمكان أي متحدث أن يستعمله ويطبعه بسماته الخاصة، وأن يحيل من خلاله إلى خطابه الخاص<sup>(21)</sup>؛ ورغم استعمال المتكلمين الثلاثة أداة إشارية واحدة، فقد كانت الإحالة تتغير بتغير المتكلم (المرجع)، وتصطبغ ال(أنا) بأناه الخاصة، وقد يتغير معها الغرض الإنجازي؛ فالأول والثاني قاما بتحقيق غرض إنجازي واحد هو الوعد والالتزام، بينما الغرض الإنجازي الذي تحقق بعبارة الأخ الثالث، "وأنا عليّا لعنة الله" هو التخلص من الوضع الذي وجد نفسه فيه، والتملص من أي التزام أراد أخواه أن يعد به.

وكما يرد ضمير المتكلم في الطرفة الذمارية منفصلاً فإنه يرد أيضاً متصلاً ومستتراً كما في هذه الطرفة:

"قال لك<sup>(22)</sup>": وَاحِدٌ فَقِيرٌ وَقِعَ فِيهِ جَلْطَةٌ قَلْبِيَّةٌ، فَقَالَ لَدِي بِيْرُوه: رَوَّحُونِي أَموت فِي بِيْتِي. قالوا: ما بلا نسعفك المستشفى. قال لهم: لي مَنَعَكُم، الموت فِي الْمَسْتَشْفَى غالي قوي، وَامْكَانِيَاتِي ما تَسْمَحُنْ لي أَموت هناك... رَوَّحُونِي الْبَيْت... الموت فِي الْبَيْت أسهل لي، وَآخْرَجْ لِعِيَالِي"<sup>(23)</sup>

تناوب حضور الذات المتكلمة في هذه الطرفة، ما بين ضمائر الفاعلية والمفعولية، والضمائر المجرورة، وهي ضمائر مهمة لا مرجع لها سوى هذه الذات ال "واحد فقير وقع فيه

جلطة قلبية" وهي ذات منكسرة مسلوقة الفعل، يتبين ذلك من خلال هيمنة الضمائر المجرورة والمفعولية، وهي سبعة ضمائر؛ فضمير المفعول به ورد في الفعل "رَوَّحُونِي" الذي تكرر مرتين، والمجرورة بالإضافة وردت ثلاث مرات في العبارات "بيتي، إمكانياتي، لعياالي" والمجرورة بالحرف "ما تسمحش لي، أسهل لي" وردت مرتين، وهي في هذا السياق ضمائر ذات طبيعة خنوعية، استسلامية؛ حتى ضمائر الرفع المستترة<sup>(24)</sup> في الفعل "أموت" الذي تكرر مرتين، نجد أن المتكلم بها فاعل شكلا لا حقيقة، والضمير في عبارة "لي منعكم" قوتها الإنجازية التوسل والرجاء، وهذا موقف ضعف لا موقف قوة. كما أن كثرة حضور ضمير المتكلم يحمل بعدا تداوليا، وهو شدة تماهيه في السياق التواصلية من خلال الموقف الذي يمر به، وهو يحاول إقناع المخاطبين بمعرفته المصير الذي سيؤول إليه، وحتميته من خلال عدد من العلاقات، يوفرها تنوع ورود الضمير لهذه الذات التي ترى في الذهاب إلى المستشفى مصيبة أكبر من مصيبة الموت، مع أن الموت واقع في كلتا الحالتين؛ حالة الذهاب إلى المستشفى، وحالة عدم الذهاب. ويبقى الفرق بين الحالتين هو في تكلفة هذا الموت، فالموت في المستشفى يتطلب تكاليف إضافية باهظة، لا تسمح بها إمكانيات الذات المتكلمة.

#### ب- المتكلم الجمع

يعد استعمال المرسل للضمير (نحن) -أو (احنا)<sup>(25)</sup> في اللهجة الذمارية- دليلاً على حضور الطرف الآخر أو استحضاره، حتى لو كان غائبا عن عينه، وتقسّم (لاكوف) دلالة (نحن) إلى صنفين رئيسين: الأول: نحن الشاملة. والثاني: نحن القاصرة، أو الحاصرة. حيث يدخل المرسل إليه في إطار الصنف الأول، وهي بهذا تعادل (أنا وأنت أو أنتم) أما نحن في الصنف الثاني فهي تستبعد المرسل إليه، ولذا فهي تعني أنا وآخرون<sup>(26)</sup>.

الصنف الأول: من أمثله هذه الطرفة التي من أغراض ضمير الجمع فيها، إلى جانب الإستراتيجية التضامنية، إزالة الفوارق الموضوعية بين الجنسين:

"قال لك<sup>(27)</sup>: واحد يشتي يتزوج فوق مرتته، قالت له مرتته: أيش ناقص عليك لوما تشتي

تتزوج؟ قال لها: عاد في نفسي. قالت: ما هذا عاد في نفوسنا كلنا."

إن الرغبة التي قد تكون لدى الرجل في اشتهاى زوجة ثانية، قد يوجد لدى المرأة مثلها؛ هذا ما تثيره هذه الطرفة، في عبارة "ما هذا عاد في نفوسنا كلنا." حيث تتحول بعض العناصر الإشارية في السياق الاجتماعي، من وظيفتها الدلالية للدلالة على المرجع، إلى وظيفتها التداولية بانعكاسها مؤشرا على القصد<sup>(28)</sup>؛ كما نلاحظ في هذه الطرفة التي حضر فيها الضمير المتصل (نا) مرتين، وليس المقصود منه الدلالة الحرفية:

الأولى: في "نفوسنا" الذي جاء لغرض تداولي، هو المساواة في الرغبات بين الجنسين، وإلغاء "الفارق التصنيفي"<sup>(29)</sup> بينهم، الذي لا يعني شيئا في سياق كهذا، من وجهة نظر الطرفة، أو الزوجة على حد سواء؛ ففي هذا السياق البنية العميقة لهذا الضمير هي (أنا، وأنت) متساوون في الرغبات.

الثانية: في "كلنا" الذي جاء لتأكيد المساواة، وتأكيد الإلغاء للفارق بين الجنسين.

الصف الثاني: وهو الذي يستبعد المرسل إليه، وتدل عليه هذه الطرفة:

"قال لك<sup>(30)</sup> : قالوا لواحد حوثي: بِنَفَجِرُوا بيوت خصومكم، وبتَقْتَلُوهُم رصاص، لِيَه ما

تَذْبِحُوهُم دَبْح، سَاع ما بتفعل القاعدة والدواعش؟ قال: احنا سادة، ما احناش جَزارين."

جاءت "احنا" في هذه الطرفة تعني أنا وآخرون، وهم فئة الـ"سادة" حسب تعبير الطرفة، مع استبعاد المرسل إليه، كونه لا ينتمي إلى هذه الفئة. وإلى جانب دلالة "احنا" على الانتماء إلى الجماعة، فقد دلت كذلك على موافقتها للرأي، والاتفاق معها على ما تقوم به. ويبدو المرسل هنا وكأنه يمارس شيئا من السلطة والصلاحيّة، وذلك بإشراكه عددا من الآخرين معه في إرسال الخطاب، مما يوحي بسلطته على آرائهم<sup>(31)</sup>.

## 2- ضمائر التخاطب

### أ- المخاطب المفرد

الضمير (أنت) -ومشتقاته المنفصلة والمتصلة- لا يمكنه الإشارة إلا إلى الفرد الذي خاطبه المتحدث بهدف الحديث إليه، باعتباره مخاطبا.<sup>(32)</sup> كما يشير إلى أن المشاركين في الخطاب يعتبرون أنفسهم ذوي علاقة حميمة من الناحية الاجتماعية، ويمكن تعريف العلاقة الحميمة بأنها

التعابير عن: القيم المشتركة، والقرباة، والجنس، والجنسية، والموقع الوظيفي، وتكرار التواصل<sup>(33)</sup>، ورغم أهمية العلاقة الحميمة في التخاطب، إلا أن هناك حالات لا يكون لمثل هذه العلاقة حضور، وينبني فيها التخاطب على التصورات الذهنية للمتكلم تجاه المخاطب، التي قد تتغير في الموقف الواحد، كما في هذه الطرفة:

"قال لك<sup>(34)</sup>: كان به واحد مسنّب يشترى قات، وفجأة واحد ديس على رجله وأوجعه، فأبسر له الرجال، وسأله: أنت شيخ؟ قال: مع. قريب لشيخ؟ قال: مع. قال: صاحبك شيخ؟ قال مع. فمسك برقبتة، وقال له: ما دام وانت هكذا يا ابن الكلب.. ليّه داعس على رجلي."<sup>(35)</sup>

اقترن العنصر الإشاري (أنت) بالاستفهام، في محاولة من المتكلم لمعرفة من يكون المخاطب، قبل أن يقدم على ردّة فعل قد يكون لها عواقب وخيمة؛ فرغم أن الرجل داس على قدمه، وتسبب في إيلامه، إلا أنه لم يكن حراً في التعامل معه وفق ما تسبب له من إيذاء، وإنما وفق مكانة الرجل الاجتماعية، فهو قبل أن يطلب من الرجل رفع قدمه التي داس بها عليه، سأله: "أنت شيخ؟" باعتبار أن هذه الصفة غالباً ما تكون ذات سلطة اجتماعية ونفوذ كبير، ومن الأفضل للمواطن العادي أن يكون أمامها مظلوماً خائفاً حتى يتجنب أذاها. ولما كان الجواب بالنفي، تدرج السؤال إلى قرابة، الشيخ ثم صحبتة. وعندما لحق كل ذلك النفي، اكتشف صاحبنا أن هذا الذي يدوس على قدمه هو مواطن عادي مثله، فأحس بشدة الألم في قدمه، وأمسك برقبة الرجل يشتمه ويؤدبه؛ ولسان حاله إلى جانب مقاله: "ما دام وانت هكذا..." فأنت غير مؤهل لتفعل بي ما فعلت.

يمكننا أن نلاحظ كيف تغير التصور للشخص الواحد بمجرد تغير صفته، وهذه (الأنث) كيف تدرجت -في تصور المتكلم- عبر عدد من المراتب ذات النفوذ والحصانة، حتى وصلت إلى مرتبة الاحصانة، التي يتم فيها القصاص على الفعل، وزيادة. يفهم من هذه الطرفة أن الظلم قد يتقبله بعض الناس ممن هو أقوى منه، ويرفضه عندما يكون الظالم مساوياً له في القوة، أو أضعف منه.

وقد يأتي ضمير المخاطب بغرض إلزامه بشيء ما، كما في هذه الطرفة:



"قال لك<sup>(36)</sup> : جاهلٌ جلسُ يخرأُ باب حانوت واحدٍ نَزِقُ، فقال له: أَيُشْ بتفعل؟ قال الجاهل: ما عَلَيكش. قال له: وَدَ مَنْ انت؟ قال الجاهل: وَدَ اللهُ. فشَلَّهَ الرَّجَالُ، لا أَقربُ مسجدًا، وجَلَّسَهُ في المِحْرَابِ، وقال له: اخْرَأْ هانا.. في بيت ابوك"<sup>(37)</sup>.

بسؤال الرجل الطفل "ود من أنت؟" فإنه ينجز غرضاً استفهامياً، يسعى من خلاله معرفة من يكون هذا الطفل، حتى يرجع إليه، ويشتكي به؛ ويبدو أن الطفل أدرك مرمى الرجل فحاول أن يضلله، فانتسب إلى من لا يستطيع الرجل أن يدركه بشيء، فقال: "وَدَ اللهُ" ولكنه بهذا الزعم يكون قد دلَّ على أب يعرف الرجل بيته تمام المعرفة، فحمل الطفل إلى بيت أبيه المزعوم الذي هو المسجد، وقام بتوظيف هذا المعطى الإشاري لغرض تداولي ألزمه به: "اخرا هانا.. في بيت ابوك." ففي هذه الجملة ورد ضمير المخاطب مرتين؛ الضمير المستتر (أنت) في فعل الأمر "اخرا" الذي يحيل إلى الطفل، وكاف الخطاب المضاف إليه في قوله: "ابوك" فطالما أنت تحتاج القيام بهذا الفعل، فبيت أبيك أولى بهذه الفعلة من باب دكاني.

الإحالة العكسية على الذات المتكلمة، كما في هذه الطرفة:

"قال لك<sup>(38)</sup> : كان بهُ واحدٌ مجنون يدعي ربه: يا ربّ... يا ربّ... وبعدما يكررها أربعَ حَمْسِ مَرَّاتٍ، يَغَيِّرُ نَبْرَةَ صوته، وَيَجَوِّبُ على نفسه بصوتٍ مَجْلَجِلٍ فيه هيبَة ووقار: أَيُشْ تَشْتِي يا عبدي...؟ فيقُلُ: أَشْتِي أوقع غني، يا ربّ. ويجوِّب على نفسه ثانية: مِثْلَ مَنْ -يا عبدي- تَشْتِي تُوقِعُ غَنِي...؟ فيقُلُ: مِثْلَ بيت مَيَّاس. فيجوِّب على نفسه: ما شِي يا عبدي. فيقُلُ بمسكنة: لِيَهْ يا ربّ...؟ فيجوِّب على نفسه: عتبوووق"<sup>(39)</sup>

تتميز هذه الطرفة من غيرها من الطرف بأن المتكلم والمخاطب فهما واحد، وهو هذا المجنون، وهو رغم جنونه فقد استطاع أن ينشئ حواراً بين ذاتين، كان فيه هو المتكلم الأول، إلى جانب قيامه بتقمص حوار المخاطب، فأنشأ خطابين مختلفين كل الاختلاف.

الأول: يطرح فيه رغبته وإلحاحه في أن يصبح غنياً غني فاحشاً، ويتم ذلك عن طريق استعماله: "يا ربّ... يا ربّ... إلخ" وهذا الخطاب هو في بنيته العميقة: أنا أدعوك يا ربّ... إلخ،

وكذلك في قوله: "أشتي أوقع غني"، وفي قوله: "مثل بيت مياس" التي كانت أغنى الأسر الذمارية في زمن هذا المجنون.

الثاني: يطرح خطابا مفترضا أن يطرحه المخاطب، وهو الرب، ذلك كله هو من وجهة نظر المجنون، حيث توقع الاستجابة للنداء: "أيش تشتي يا عبدي...؟" وقد قام المجنون بتغيير نبرة صوته؛ لينسجم مع ما يفترض أن يصدر من المخاطب، كما يتخيله المجنون، وقد لمّح بتحقيق رغبته، بسؤاله: "مِثْل مَنْ -يا عبدي- تشتي توقع غني...؟" فقوة هذا السؤال الإنجازية هي إظهار الاستجابة لرغبة المجنون، وتخييره بين عدد من الأغنياء، أيهم يريد المجنون أن يصبح في مثل غناه، وقد مثّل النداء "يا عبدي" ذروة الخطاب المزدوج بين الذات الواحدة، باعتبار أن النداء "ضميمة اسمية تشير إلى مخاطب" (40)، هو هنا الذات المتكلمة عينها. غير أن المفاجأة هي أنه بعد إفصاحه عن مثله الأعلى في الغنى، يأتي الرفض "ماشي يا عبدي" فيطل السؤال المتعجب من هذا الرفض بمسكنة خانعة "ليّه يا رب...؟" ورغم الخنوع الذي اكتسى به هذا السؤال الدال على تقبل الرفض، إلا أن الجواب جاء صريحا وواضحا ومعللا "عتبوووق" أي إنك سوف تبطر إذا أصبحت غنيا مثل "بيت مياس".

وقد يرد ضمير المخاطب المفرد الموجه إلى شخص ما، أو شيء ما، والمراد سواه، كما في هذه الطرفة:

"قال لك" (41): واحد سُرِقَتْ عليه دَبَّةٌ غَازٌ مِنْ بَابِ المَحَلِّ حَقِّه، فَاخْتَرَفَ يَدْوَرَهَا، فابسر واحد عَفْط، سَايِرُهَا، وَهِيَ فَوْقَهُ، فَبَشَلُ عِصْبِيَّةٍ وَلِحِقِ العُفْطِ، وَوَصِلَ يَضْرِبُ الدَبَّةَ الغَازُ، وَهُوَ يَقُلُّ لَهَا: كَمْ مَرَّاتٍ قُلْتِ لِيْشْ، مَا تَسِيرِيْشْ مَعَ نَاسٍ مَا تَعْرِفِيْمَشْ، يَا كَلْبَةُ يَا بِنْتَ الكَلْبِ، وَيُنْثِي وَيُنْثِلُ الكَلَامَ وَهُوَ يَضْرِبُ الدَبَّةَ. والعفط مستغرب منه، فطرح الدبة، وهرب" (42).

لقد وجه المتكلم خطابه في هذه الطرفة إلى دبة الغاز "كم مرات قلت ليش" و "ما تسيريش مع ناس ما تعرفيمش" و "يا كلبة يا بنت الكلب" لغرض تداولي هو إشعار السارق بوجوده، وأن عليه (السارق) أن يترك أسطوانة الغاز؛ فالرجل في يده عصا، وهو يضرب الأسطوانة، وبإمكانه

أن يوجه الضرب إلى السارق بدلا منها، ولكنه لا يريد المواجهة مع السارق الذي قد يؤذيه، كونه أقوى منه؛ لذلك هو يؤثر طريق السلامة له وللسارق؛ لينتهي الأمر لا سارق، ولا مسروق.

أما في هذه الطرفة:

"قال لك<sup>(43)</sup>: واحد سار يزور اخته، المزوَّجَة في منطقة بعيدة، وحين وصل عندها، وبيجأبرها، قال لها: يا اختي في الطريق ابسرت لَشِ عِنَب.. سبحان الله والعنب، وابسرت لَشِ فرسك.. يا سلاااام والفرسك، كنت شاشترِي تَنكَة في تَنكَة، لكن هميت من ذي عَيِزَهِن. قالت اخته: حين تكون تَجِيء، لا تكلف نفسك بشيء، تكفيني جيتك. قال لها بصوت فيه سخاء واهتمام: إنّا خَلِي العيال يكلوا<sup>(44)</sup>"

نلاحظ تنوع الغرض المستخدم لأجله ضمير المخاطب، فمن خلال السياق يظهر ثلاثة

أغراض، هي:

الاهتمام بالمخاطب: يظهر ذلك من خلال قول الأخ: "أبسرت لش عنب.. وابسرت لش فرسك" فهو ينجز فعلا إخباريا عن الرؤية؛ رؤية العنب، ورؤية الفرسك، ولكن هذه الرؤية لم تكن من أجل المتكلم أو لمصلحته، وإنما هي من أجل ومصلحة المخاطبة التي هي أخت المتكلم، فهو بقوله: "أبسرت لش.. وابسرت لش" وقد كررها مرتين للدلالة على اهتمامه بها، كما أنه لم يكتف بإخبارها بما رأى، ولكنه أخبرها بطريقة فيها كثير من التشويق "سبحان الله والعنب...، يا سلاااام والفرسك".

الإشفاق: يبدو أن سياق الموقف السابق قد أثربقوة في بنية الملفوظ، ففي قول الأخت: "حين تكون تَجِيء، لا تكلف نفسك بشيء، تكفيني جيتك" تكرر ورود ضمير المخاطب خمس مرات، منها ثلاث مرات الضمير المستتر (أنت) في "تكون، تَجِيء، تكلف" ومرتين في الضمير المضاف إليه في "نفسك، جيتك" متجاوزا البعد اللغوي، ومحتكما إلى البعد التداولي، للدلالة على إشفاق الأخت على أخيها، والاكتفاء بمجيئه، في مقابل الحماس والاهتمام اللذين أبدهما الأخ.

الاحتجاج على التقصير: "إِنَّا خَلَّيَ الْعِيَالُ يَكْلُوا" في اللهجة الذمارية يلاحظ أن القول الذي يستفتح بـ"إِنَّا" التي تستعمل للتنبيه، ويأتي للرد على قول سابق، يكون فيه كثير من الاحتجاج على المخاطب بسبب ذلك القول، وهو هنا يحمل احتجاجا شديدا على الأخت= المخاطبة، ويوحى بتقصيرها، تجاه "العيال"، وكأنها تحاول منعهم من أكل ما أحضر لهم من "عنب" ومن "فرسك"، وكأنه -بالفعل- قد أحضر لهم ما ذكر أنه رآه، مع أنه لم يحضر شيئا؛ وهذا يبيّن أن هناك تفاعلا بين اللغة والموقف، أثر فيه هذا الأخير، يتضح ذلك من خلال العودة إلى سياق التلطف.

لقد قدمت لنا هذه الطرفة ذاتا ذات سخاء مفرط، تأبى شهامتها وكرامتها إلا أن يكتمل الجميل الذي أرادت القيام به، وإصرارها على اكتماله بقولها: "إِنَّا خَلَّيَ الْعِيَالُ يَكْلُوا" وإن لم يكن في الواقع من ذلك شيء.

#### ب- المخاطب الجمع

يعد ضمير جمع المخاطب (أنتم) مؤشرا على الاحترام والبعد الاجتماعي<sup>(45)</sup>، كما أنه قد يستعمل لمخاطبة المرسل إليه المفرد، إذا كان ذا مرتبة أعلى، لأن هذا الاستعمال يجسد الاحترام والرسمية، ومن ثم فهي تتضمن درجة أقل من التضامن<sup>(46)</sup>. ومما يستخدم فيه ضمير الجمع لمخاطبة المفرد؛ لغرض الاحترام وإظهار الاهتمام الزائد، هذه الطرفة:

"قال لك<sup>(47)</sup>: واحدٌ كان يشتري حَوَائِجَ من محل عطار، وكان العطار كثير المجاملة ومقرّع في نفس الوقت، وهو يزّججه، كان يجابره ويمكّنه: سمعتوا يا ضياء.. ظهر لكم يا ضياء...، ابسرتوا يا ضياء...، وهكذا ناوله من هذا الكلام. وابسره الرجال إنوه ببقّرعه في الحوايج، فقال له: هيا... قلّوا الضياء، وزيّدوا الحوايج"<sup>(48)</sup>!

إلى جانب مناداة المفرد بصيغة الجمع لغرض الاحترام والتبجيل، هناك أيضا عدد من الألقاب تستعمل لهذا الغرض، يختص بها عدد من الأسماء؛ من ذلك (العزي) لمن كان اسمه محمدا، و(الوجيه) لمن كان اسمه عبد الرحمن أو عبد الوهاب وما شابههما، و(الجمالي) لمن كان اسمه علي... إلخ ومن ذلك (الضياء) الذي يطلق على من كان اسمه صالحا. وكما نلاحظ في هذه

الطرفة فإن المتكلم قد جمع بين النوعين؛ مخاطبة المفرد بصيغة الجمع، وال (ضياء) لإظهار الاحترام الزائد تجاه المخاطب، والاهتمام الشديد به، ولكنه احترام كاذب، واهتمام زائف الغرض منه تخدير الرجل، والضحك على ذقنه، بمثل هذا الكلام، حتى يتم إلهائه عن ملاحظة الغبن الذي يلحق به، فيما يشتره من العطار. غير أن الرجل لاحظ أن الاهتمام به أكثر مما يجب، و"المهارات" التي يجهزها له العطار أقل مما يجب، فتمه إلى هذا الخلل، وطلب منه إعادة الأمر إلى ما يجب أن يكون عليه، فقال: "هيا... قَلّوا الضياء، وزَيّدوا الحوايج!" وهو بهذا إلى جانب تنبيهه إلى ما يجب، فإنه قد حيّاه بنفس التحية التي حيّاه العطار بها، إذ خاطبه بصيغة الجمع "قلّوا... زيّدوا" ومن المحتمل -أيضاً- أنه قد ناداه باللقب الذي يختص به اسمه، وإن لم تذكر الطرفة ذلك.

### 3- ضمير الغائب

اختلف الباحثون بشأن ضمير الغائب هل يدخل ضمن الإشارات، أو لا؟ وخلاصة ما قالوه يمكن إجماله في ثلاثة آراء، هي:

إنه إشارات مثله مثل (ضمير المتكلم، وضمير المخاطب).

لا يشكل جزءاً منها في حال من الأحوال.

يشكل جزءاً منها في بعض استخداماته<sup>(49)</sup>، فيدخل في الإشارات إذا كان حراً، أي لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي، فإذا عرف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشارات<sup>(50)</sup>.

يستعمل ضمير المفرد الغائب، للدلالة على غائب عن العين، حاضر في الذهن وقت التلطف، كما في هذه الطرفة:

"قال لك<sup>(51)</sup>: واحد اُزسَلْ ناسٌ يسيروا يراجعوا له في تخفيض فاتورة الماء، فساروا لا عند المسئول حق الماء، وكان يعرف صاحب الفاتورة، إنوّه غني وصاحب أملاك، لكن بخيل- فقال لهم يستفسر عن صاحب الفاتورة -رغم معرفته به-: هُو بيخزن قات؟ قالوا: مَع. قال: هُو بيشتري لحمه؟ قالوا: مَع. قال: هُو يبروخ فاكهة لعياله؟ قالوا: مَع. قال: هُو بيكل (يأكل) رواني؟ قالوا: مَع. قال: خلوّه يسدّد قيمة الفاتورة... أيش عيفعل بالزلطُ ذي مِعِه...؟".

ورد العنصر الإشاري الدال على المفرد الغائب في هذه الطرفة سبع عشرة مرة، وذلك لقوة حضوره في الذهن، وقد تم فيها توظيف كل أنواع هذا الضمير؛ المنفصلة والمتصلة والمستترة، وكلها تحيل على مرجع واحد، لم يذكر بالاسم، اعتماداً على كفاءة المرسل، والمرسل إليهم التداولية؛ وقد تداخلت في هذه الطرفة -إلى جانب المعرفة المشتركة- عوامل سياقية وتداولية أهمها:

معرفة المرسل بحال المُرَاجِع له، بأنه غني وبخيل، وأن مراجعته في تخفيض الفاتورة مرجعه البخل، وليس قلة ذات اليد، وكلهم يعرفون هذه الحقيقة؛ لذلك قام المرسل بسؤال (المراجعين) عدداً من الأسئلة ليصل بهم إلى ما يريد، وهذه الأسئلة هي: "هو يبخن قات؟ هو بيشتري لحمه؟ هو يبرّوح فاكهة لعياله؟ هو بيكُل رواني؟" وقد كانت الإجابة عنها جميعاً بالنفي، وهذا الجواب يعرفه المرسل، وهو ما قصد استخراجاً من المرسل إليهم من خلال الأسئلة.

التأدب في الحديث، فالمرسل لم يقل -صراحة- إن الذي تدافعون عنه، رجل بخيل لا ينفق على نفسه، ولا على عياله، ولثيم لا يريد أن يدفع ما عليه من مستحقات لمشروع المياه، على الرغم من أنه غني وصاحب أملاك، بل جعلهم يحكمون عليه بأنفسهم، من خلال الإجابة على أسئلته المطروحة عليهم، التي تصل بهم إلى هذه النتيجة، دون الإفصاح عنها. وبعد أن أوصلهم إلى تلك النتيجة التي يريد إيصالها إليهم، قال: "خلّوه يسدّ الفاتورة... أيش عيفعل بالزلط ذي معه..؟" واستخدام المتكلم لهذه الإستراتيجية، محاولة منه للوصول بالمخاطبين (المراجعين) إلى قناعة أن هذا الرجل عليه أن يدفع ما عليه من مستحقات لمشروع المياه، بطريقة مهذبة.

وقد يأتي استعمال ضمير الغائب المفرد لغرض التملص من مسئولية الخطاب وتضليل المتلقي، كما في هذه الطرفة:

"قال لك<sup>(52)</sup>: كان به واحد يبيع قشّر، وكان معه شاقّي يهودي، كان يخليّه يبيل (يرش)

القشّر بالماء، من سبّ يزداد وزنه في الميزان، وعندما كان يقل له ذي بيشتروا القشّر: هذا القشّر مبلول ماء. يقل: يهودي ذي بيبلّه"<sup>(53)</sup>.

عبارة "يهودي ذي بيبلة" لها معنيان:

المعنى الأول: أنها تشبه القسم في الدلالة على نفي القيام بالفعل الذي هو هنا (غش القشر بالماء من أجل زيادة وزنه) وهذا المعنى هو الذي يتبادر إلى ذهن المخاطب، وهو في بنيته العميقة (أنا أخرج من دين الإسلام وأصير يهوديا، إذا كنتُ قد غششت القشر بالماء من أجل أن يزيد وزنه).

المعنى الثاني: (القشر) مرشوش بالماء، ولكن الذي يقوم بعملية الرش هذه هو يهودي، وليس أنا. وهذا المعنى هو الذي حدث في الواقع بتوجيه من المتكلم، والمتكلم يعرف أن هذا المعنى لن يتبادر إلى ذهن المتلقي؛ لأن هذه العبارة كثيرة التداول في المجتمع الذماري بالمعنى الأول الذي يشبه القسم، وهو المعنى الذي يريد المتكلم إيصاله إلى المتلقي. فالتكلم هنا يحاول تضليل المتلقي، ويأتي بعبارة لها معنيان؛ تداولي وحرفي؛ الأول تداولي كاذب يريد به إقناع المتلقي، والثاني حرفي صادق، يضمه في نفسه؛ ليبرر لها الكذب.

وقد يستعمل ضمير الغائب لمخاطبة الحاضر، كما في هذه الطرفة:

"قال لك<sup>(54)</sup>: كان به واحد يشتغل في بوفية، وما يترؤخش يتغدى في البيت؛ فكانت أمه ترسل له غدا مَع بنت الجيران؛ فكان الجار حقّ صاحب البوفية يقرب ممّها وهي راجعة بعد توصيل الغدا، ويلخون عليها؛ ما احنا ما فتحناش في عيونهم يدوا لنا غدا، ما احناش خالين.. أيش؟ ويمكّنها لحونته من ذيه الكلام كلّمّا جت بالغدا. فاشتكت البنية لامّها؛ فالأم كلمت الجار المّلخون: عيب عليك.. ما بلا تعين البنية وتشغلها بكلامك ذيه، لا عاذ تخايرش بنتي. قال لها الجار: ولا ازيد احابرها من ذيه الكلام ثانية. يوم ثاني جت البنية بالغدا، وقديه راجعة، فُرب ممّها الجار، وقال لها: وبعدا يفل لامّه"<sup>(55)</sup>.

في هذه الطرفة تم استعمال ضمير الغائب في مخاطبة الحاضر أربع مرات، كما في عبارة "ما احنا ما فتحناش في عيونهم يدوا لنا غدا" فقد استعمل فيها ضمير الغائب المتصل مرتين، بصيغة الجمع، (هم) في "عيونهم" و(الواو) في "يدوا" كما استعمل ضمير الغائب المفرد أيضا مرتين في عبارة "وبعدا يفل لامّه" الضمير المستتر في "يفل" الذي تقديره (هو) والمتصل في "لامّه"

وكلها تحيل إلى المخاطب، لغرض تداولي هو: أن هذا الرجل يبدو أنه مهتم بهذه الفتاة، ولكنها تتجاهله، فهو يرد لها هذا التجاهل عن طريق مخاطبتها وهي حاضرة بضمير الغائب، وكأنها غير موجودة. إن استعمال ضمير الغائب في مخاطبة الحاضر يعد تغييراً وإقصاءً له، باعتبار أن ضمير الغائب لا يظهر إلا في حال غياب الشخص، أو كما يقول (آلان بيريندونييه) إن اللسان "لا يسمح له بالظهور إلا عن طريق العدم"<sup>(56)</sup> فهو يسميه شيخ الحقيقة، أما (إميل بينفينيست) فيعتقد أن ضمير الغائب "عبارة عن (لا شخص)"<sup>(57)</sup>.

عبارة "مَا فَتَحْنَا شُ فِي عِيُونِهِمْ" غالباً ما تستعمل عندما يؤمّل شخص ما من شخص آخر شيئاً ما، ثم لا يناله، بينما يناله آخرون، فهذه العبارة قوتها الإنجازية هي: لوم واحتجاج على تقصير تجاه شخص ما من قبل الآخر؛ ثم إن الجار أشار إلى سبب عدم نيله ما يريد من أنه لا يتمتع بالجمال الكافي، والقبول: "ما اخْتَأَشُ حَالِيَيْنِ.. أَيْش؟" وقد كان هذا يحدث مع الفتاة بشكل يومي، وهذا جعلها تشكو الجار إلى والدتها، وقد وعد الجار الأم أنه لن يقول لها هذا الكلام الذي اشتكت منه "البنية" مرة أخرى "ولا أزيد اخبارها من ذيه الكلام ثانياً" وقد أوفى الجار بوعده فعلاً، فهو لم يعد يقول لها من ذلك الكلام الذي اشتكت منه بنصّه، ولكنه قاله لها بعبارة أخرى هي: "وبعداً يقولُ لأمّه" وهذه العبارة فضلاً عن ما فيها من سخرية وتهكم، فيها أيضاً إشارة واستحضار للكلام السابق الذي وعد بأنه لن يقوله لها مرة أخرى.

#### 4- اسم الإشارة

تعد أسماء الإشارة من ضمن الضمائر حسب ما ذهب إليه تمام حسان<sup>(58)</sup>، واسم الإشارة في الطرفة الذمارية قد يحيل إلى كائن حي، أو إلى كائن غير حي، فمما ورد فيه اسم إشارة يحيل إلى كائن حي هذه الطرفة:

"قال لك"<sup>(59)</sup>: حين كان الكوريين يشتغلوا في طريق ذمار- الحديدية، اعتدى واحد من القبائل على واحد منهم، وبعد إرسال طقومات وعساكر على قبائل المعتدي، ساروا يحكمّوا الكوريين ويراضوهم، فطرحوا الثور بذبحوه، فصاح الكوري: لا لا لا... هذا ثور مسكين: أيش



ذنبه؟! وأشّر بيده لا عند القبيلي ذِي اعْتَدَى عليه، وقال: هذا ذِي اعْتَدَى عليّ، اذبحه هُوَ<sup>(60)</sup> .

ورد اسم الإشارة "هذا" في هذه الطرفة مرتين؛ الأولى يحيل فيها إلى كائن حي غير عاقل، وهو الثور، والأخرى يحيل فيها على كائن حي عاقل، وهو الرجل المعتدي على الكوري؛ وبينهما بون شاسع فيما حضرا لأجله، الأول حيوان بريء لم يرتكب أي جرم يستوجب عليه العقاب، "هذا ثور مسكين؛ أيش ذنبه؟!!" ولكنه أضرّ للقصاص منه بدلا من الجاني. الثاني رجل عاقل ارتكب جرما، وبدلا من معاقبته على الجرم الذي ارتكبه، حضرت القبيلة مجاهدة في دفع العقاب عنه، وتقديم الثور بديلا عما يستحقه الجاني من عقاب؛ ولأنه لا يعرف العادات القبلية في اليمن، فقد استُفِز المعتدى عليه (الكوري)، واستشعر أن هناك خطأ وقعت فيه القبيلة عند طرح الثور للذبح، فليس الثور هو الجاني، لذلك أشار إلى الجاني وقال: "هذا ذِي اعْتَدَى عليّ، اذبحه هو". محاولا تصحيح الخطأ الذي اعتقد أن القبيلة وقعت فيه.

تطرح هذه الطرفة قضية من أخطر القضايا الاجتماعية الموجودة في مجتمعنا اليمني، وهي أن الجاني في كثير من القضايا التي يتم حلها قبلها لا يعاقب على ما ارتكبه من جرم، وإنما يعاقب الثور، أما الجاني في حال تم ذبح الثور؛ فإنه لن يدفع من ثمن الثور أكثر مما سيدفعه أي شخص آخر من قبيلته. إلى جانب أن الاعتذار عن الحادثة المرتكبة لا يكون فرديا من قبل الجاني حتى يحس بالخجل من الذنب الذي ارتكبه، وإنما يتم الاعتذار جماعيا؛ مما يمنح الجاني نوعا من التضامن الذي قد يؤدي إلى تشجيع أحداث العنف الشائعة في المجتمع اليمني، ويجعل الجناة بمنأى عن العقاب.

ومن دلالة اسم الإشارة على شيء غير حي هذه الطرفة:

"حدث<sup>(61)</sup> ان واحد من اللصوص المعروفين بظرفهم، سرق مرّة ريفية جت مدينة ذمار، ورجع يراقبها أَيْشٌ بَتَفَعَلْ، فَلِقِمَهَا بِتَبْكِي، فِقْرُبْ لا عندها وقال لها: أَيْش فيش؟ قالت: سرقوا زَلْطِي، ذِي جِبْتْ بَهَا، وما بَشْ مَعِي غيرها، قال لها: جِي مَعِي، وسازبها السوق يجمع لها تبرعات من التجار. وبعدها جَمَعْ زَلْطُ أكثر من ذِي سَرَقْ عليها. سَلَّهَا لا بُفَعَةُ، وَخَرَجَ الزَلْطُ ذِي سَرَقْ

علمها من جيبه، وقال -وهو يناولها- تَيْهَ الرَّلْطُ حَقَّشَ، وأشْرَ للزلط ذي جمعها من التجار، وقال: وَتَيْهَ حَقِّي".

استعمل المتكلم العنصر الإشاري "تَيْهَ" = (هذه) مرتين للدلالة على شيئين من جنس واحد، للتفريق بينهما، فهو الذي سرق فلوس المرأة الريفية، وهو الذي أشفق عليها حين وجدها تبكي، مما أيقظ فيه المروءة ليتطوع ويجمع لها تبرعات من التجار، كي يعوّضها ما سرقه منها، ولكنه اكتشف أن ما جمعه لها من مال هو أكثر مما سرق منها؛ فكيف تأخذ هذه المرأة أكثر مما أخذ منها؟ فقاده تفكيره إلى أن يرجع لها ما سرقه منها "تَيْهَ" الأولى، وأن يحظى هو بما جمعه لها "تَيْهَ" الثانية.

### ثانيا- الإشارات الظرفية

تنقسم الإشارات الظرفية إلى قسمين: مكانية وزمانية، وهي لا يمكنها الإشارة إلا إلى مكان وزمان حدوث التلفظ الذي تشكلان جزءا منه<sup>(62)</sup>، وبناء على ذلك يمكن تناولها كالاتي:

#### 1- الإشارات المكانية:

لا ينفك المرسل عن المكان عند تلفظه بالخطاب، وهذا ما يعطي الإشارات المكانية مشروعية إسهامها في الخطاب<sup>(63)</sup>، فهي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع<sup>(64)</sup>. وهي تختص بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقا من الحقيقة القائلة: إن هناك طريقتين رئيسيتين للإشارة إلى الأشياء هما: التسمية أو الوصف من جهة أولى، أو بتحديد أماكنها من جهة أخرى<sup>(65)</sup>؛ كما أن معرفة مكان التلفظ يقدم معرفة سياقية خاصة بالمكان تساعد على فهم الخطاب وتأويل الأحداث، كما في هذه الطرفة:

"قال لك<sup>(66)</sup>: واحد دَخَلَ عيادة الدكتور يحيى في ذمار- وهو مَاسِكُ عَلَى أَحْقَاوِهِ -، وقال له: يا دَكْتُورُ، أَشْتِي علاجٍ مِنْ حَقِّ الاحْقَاوِ. قال له الدكتور: اجلس فوق القِعَاذَةُ، وَجَهَّزْ الدكتور إبرَةُ، وقال له: امْتَدِّ عَلَى بَطْنِكَ. قال: مَا شُوهُ العلاج لي!! هُوَ لِلْمَرَّةِ. قال الدكتور -

والإبرة مرفوعة في يده اليمنى -: والمرّة فينّيه؟ قال: في القرية. قال الدكتور: وفين القرية هذه ذي المرّة فيها؟ قال: في الحدّاء. سار الدكتور لا عند الطّاقّة، وكانت شرقية صلّى الحدّاء، وقال: هذا الاتجاه صلّى الحدّاء؟ قال: أيوّه يا دكّتور. فخرّج الدكتور يده من الطّاقة وفيها الإبرة، وفرّغها في الهواء باتجاه الحدّاء، وقال له: يا الله ترّوح القرية، قد المرّة بخير.<sup>(67)</sup>

تحمل هذه الطرفة عناصر إشارية مكانية تعطي صورة مسبقة لنوعية الخطاب الذي قد يتم فيه الحدث، أولها "عيادة الدكتور يحيى" فمن خلال التأشير المكاني "عيادة" يتضح لنا نوعية الحديث الذي يمكن أن يجري فيه، وهو لا بد أن يكون عن حالة مرضية، ثم يأتي تأشير آخر يبين لنا نوع الحالة المرضية "ماسك على احقاوه" للتأشير على موضع الألم، فنحصل من ذلك على أن الرجل يشكو من ألم في خصره، ويتأكد ذلك بقول الرجل: "أشتي علاج من حق الاحقاو" وقد تضافر التأشير على الخصر بأكثر من طريقة؛ الأول إيمائي "ماسك على احقاوه" والثاني لفظي بقول الرجل: "أشتي علاج من حق الاحقاو" فلم يبق شك في أن الرجل يعاني من ألم في خصره. وبعد أن أعد الدكتور حقنة العلاج ليعطيها للرجل، تأتي المفاجأة أنه لا يطلب العلاج له، وإنما لزوجته المريضة، ثم إن زوجته هذه ليست حاضرة معه، وإنما هي في "القرية"، وهذا عنصر إشاري ذو مرجعية عامة غير محددة، يحيل إلى عدد غير قليل من الأماكن، ولكننا نراه يقترب من التحديد بتضافره مع غيره؛ فبالعنصر الإشاري "الحدّاء" إلى جانب التأشير الجهوي "شرقية" انحصر موقع "القرية" في منطقة محددة استطاع الدكتور أن يرصدها، ومن ثم يقذف بالدواء الذي في الحقنة إلى تلك الجهة التي تمكث فيها الزوجة، ليؤكد بعدها للرجل "ياالله تروح القرية، قد المرّة بخير".

وقد تحفل طرفة ما بعدد من المؤشرات المكانية، تشير بجموعها إلى ما هو أكثر عمومية، وقد يخرج منها بعضها، أو ما هو في قلبها، كما في هذه الطرفة:

"قال لك"<sup>(68)</sup>: كان الرئيس اليميني السابق أثناء زيارته إلى محافظات الجمهورية، مثل تعز وإب والبيضاء، يمر من ذمار، دون أن يزورها، أو يقف بها. وعند مروره بها في إحدى المرات،

خرج أهل ذمار لاستقباله، وقد رفعوا لوحة مكتوب عليها: (أهلا وسهلا بالرئيس اليمني في ذمار)".

تحفل هذه الطرفة بعدد من الأماكن، التي تم التأشير إليها عن طريق التسمية، وهي (ذمار، تعز، إب، البيضاء) وقد استدعى التأشير إليها تأشيرا إلى مكان هو أكثر شمولا، وأكثر عمومية مما ذكر، وهو (اليمن) الذي ينطوي تحت مسماه كل المحافظات والمدن اليمنية، ومن ضمنها (ذمار)، هذه المدينة التي تقع في قلب اليمن من حيث الموقع الجغرافي، وتمثل نقطة وصل بين العاصمة صنعاء، وبين عدد من المحافظات الأخرى؛ وبرغم ذلك فقد كانت تُرَكَّنُ على هامش اهتمامات القيادة السياسية، إلى درجة أن المسؤولين كانوا يمرون منها في زيارتهم لتفقد المحافظات الأخرى، ثم لا يكفون أنفسهم عناء النزول فيها، أو تفقد احتياجات أهلها، فقد كانت خارج اهتمامات الرئيس اليمني السابق؛ التي كان أهلها يتوقعون زيارته لمدينتهم كلما مرَّ بها، ولكنه لم يكن يفعل ذلك، مما جعل أهل ذمار يعتقدون أن مدينتهم خارج نطاق دولة الجمهورية اليمنية<sup>(69)</sup>؛ لأنها خارج اهتمامات مسؤولي هذه الدولة، ومن ثم فهي ليست ضمن الجمهورية اليمنية؛ وعليه فإن الرئيس اليمني هو رئيس دولة شقيقة بالنسبة إليها؛ ومن باب حسن الجوار، وكذلك من أجل تمتين العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين، فإن ذمار تعلن ترحيبها بالرئيس اليمني أثناء مروره من أراضيها، وكأنها هي أيضا دولة أخرى. إن هذه الطرفة في بعدها التداولي تطرح: إن التهميش يُقَابَلُ بالإقصاء، وإذا تخليتكم أيها المسؤولون عن مسؤولياتكم تجاهنا، فنحن سوف نتخلى عنكم بوصفكم مسؤولين علينا، على الأقل من الناحية الوجدانية. هكذا كانت وجهة نظر الطرفة، في طرحها موقف أهل ذمار ردا على إهمال المسؤول الأول في الدولة لمدينتهم.

وقد لا يتم التأشير في الطرفة إلى مكان وقوع الحدث، ولكن يتم معرفته من خلال السياق،

كما في هذه الطرفة:

"قال لك"<sup>(70)</sup>: واحد رَعَوِي دخل مدينة ذمار يشكي بالعائل حَقَّ قَرَبَتِهِ. إنَّوَهُ نَهَبَ عليه

ثُتَيْنِ غَنَمٍ، فِيساز لا عند الحاكم، مَعَ وَكَيْلٍ شَرِيعَةً (محامي) استأجره للمطالبة بحَقِّهِ، فِقام

الوكيل يترافع عند الحاكم ويقل: إن (فلان الفلاني) قد أخذ الغنم حَقَّ مَوَكَّلِي، ونهب المال

حَقَّ مَوْكَلِي، وَشَرَّدَ أَهْلَهُ، وَاسْتَوَى عَلَى حَقُوقِهِ وَمُكْتَسَبَاتِهِ الَّتِي أَفْنَى عَمْرَهُ فِي جَمْعِهَا بِالْكَدِّ وَالْعَمَلِ...، وَهُوَ مُسْتَمِرٌّ فِي الْمِرَافَعَةِ، مَا ابْسَرَ الْا وَالرَّجَالَ الْمَهُوبِ بِيَبْكِي بِمَرَارَةٍ قَاسِيَةٍ. فَقَالَ لَهُ وَكَيْلُ الشَّرِيعَةِ: أَيُّشْ فَيْكُ بِيَبْكِي؟ فَرَدَّ عَلَيْهِ بِصَوْتٍ يَقَطِّعُ الْقَلْبَ: مَا أَنَاشُ دَارِي إِنِّي مَظْلُومٌ هَكَذَا!".

في هذه الطرفة لم يتم التصريح بالمكان الذي يقع فيه الحدث، وهو (المحكمة)، وقد أمكن معرفته من خلال السياق، ومن خلال مجموع الألفاظ "يشتكى، نهب، الحاكم، وكيل شريعة (محامي) موكلي، المرافعة، مظلوم" فالحاكم بهذا الوصف الوظيفي لا يكون إلا في المحكمة، وفيها يتم التقدم بالشكوى إليه، وكذلك المحامي لا يتراعى أمام الحاكم إلا في محكمة، والمظلوم في الغالب يلجأ إلى المحكمة طلباً للإنصاف، وبذلك تكون هذه الألفاظ قد أغنت عن ذكر مكان التلطف.

وكما تُغني بعض الألفاظ عن ذكر المكان، فإن هناك ألفاظاً تستحضر ذهنياً مكاناً محدداً بمجرد ذكرها إلى جانب أمثالها، كما في هذه الطرفة التي رواها الذماري:

"قال لك: واحد سار مَقِيل قات، وبدأ يتعرَّف على الحاضرين، فقال الأول اسمه علي نمر، والثاني حميد أسدي، والثالث ضُبُعِي، والرابع تُعَلِي، والخامس حَنْش، والسادس ثُور، فقال: هذا مَقِيلٌ أَوْ حَدِيقَةُ حَيَوَان؟!"

ورد في هذه الطرفة عنصران إشاريان، الأول "مقيل" الذي ورد مرتين، وهو يحيل إلى المكان الذي تم فيه التلطف، وهو مكان غير محدد، قد يكون أي مكان يلتقي فيه عدد من الناس، أو الأصدقاء لتعاطي (القات) ومناقشة بعضهم بعضاً في كثير من الأمور العامة أو الخاصة. الثاني "حديقة حيوان" وقد تم استدعاء هذا المكان إلى ذهن المتكلم بإيحاء من أسماء الحاضرين في المقيل، التي هي مأخوذة من أسماء حيوانات (نمر، أسد، ضبع، ثعل، حنش، ثور) ومثل هذه الأسماء نجدها منتشرة في مدينة ذمار، وفي غيرها من المناطق اليمينية؛ وربما أن المتكلم لم يكن متعوداً على سماعها مجتمعة معاً، فتعجب من وجودها في مكان المقيل، حتى التبس عليه أي

مكان هو فيه، فقال: "هذا مقيل أو حديقة حيوان؟! " غير أن البعد التداولي للطرفة هو: بما أنكم تحملون هذه الأسماء، فلا يصح أن تكونوا هنا، وإنما أن تكونوا في "حديقة حيوان".

وقد يستعمل التأشير المكاني استعمالاً مجازياً كما في هذه الطرفة:

"قال لك<sup>(71)</sup>: كان به اثنين يهود أخوة، خابروا انفسهم يسلموا، وبقيا مترددين على أي مذهب يسلموا، على المذهب الشيعي، أو المذهب السنّي، واتفقوا في الأخير إن واحد منهم يُوقَع شيعي، والثاني يُوقَع سنّي؛ وبعدهما اسلموا، كان ذي وقَع شيعي يلقاه سنّي، ويقول له: ما شاء الله.. قالوا اسلمت... على أي مذهب؟ فيقول له: شيعي. فيرد عليه السنّي: أيش الفائدة، ما بلا انتقلت من زوّة لا زوّة. أي ما بش فرق بين المذهب ذي اسلمت عليه، والمهوّدة ذي كنت عليها. وكان ذي وقَع سنّي يلقاه شيعي، ويقول له: قالوا اسلمت... على أي مذهب؟ فيقول له: سنّي. فيقول له الشيعي: ما استفدت أنت شيء.. ما بلا انتقلت من زوّة لا زوّة. وعندما كان يجتمع الأخوة، ويخابِر كل واحد منهم الثاني أيش قالوا له المسلمین، قالوا: إذا كان إسلامنا هو نقلّة من زوّة لا زوّة، مثل ما بيقولوا، فزوّتنا الأولى اخرج<sup>(72)</sup>."

لقد تم استعمال التأشير المكاني "من زوّة لا زوّة" في هذه الطرفة استعمالاً مجازياً، فالـ"زوّة" وهي الركن أو الزاوية في مكان ما، لم تستعمل هنا لما وضعت له في اللغة، وهو التأشير على المكان؛ وقد انتقلت من الإحالة إلى ما هو حسي (المكان)، إلى الإحالة إلى ما هو معنوي (الدين أو المذهب)؛ والطرفة هنا تطرح قضية أن المسلم السنّي، أو المسلم الشيعي لا يرى في المذهب الذي يخالف مذهبه إلا أنه لا فرق بينه وبين الديانة اليهودية.

وقد يحيل التأشير المكاني إلى أجزاء من بدن الإنسان<sup>(73)</sup>، ومن ذلك هذه الطرفة:

"اعتاد<sup>(74)</sup> الناس أن يبسروا صاحبهم بشنّب، وفي يوم من الأيام حلق شنّب؛ وحين لقيه واحد من أصحابه وهو محلوق الشنّب، حبّ يمزح معه، فقال له: فین شلّيت شنبك...؟! فتِحسّس مكان شنّب، وفَتّش في جيوبه، وما لقيش، فقال بثقة واطمئنان: الظاهر نسيته في البيت".

"الشنب" عنصر إشاري يحيل إلى الشعر الذي ينبت في المكان ما بين الأنف والشفة العليا بامتدادها من وجه الذكر البالغ، والذي يجعل هذه الدراسة تذهب إلى اعتبار "الشنب" مرجعاً مكانياً للتأشير، هو ورود السؤال عنه في الطرفة بلفظ "فين" = (أين) الذي يأتي للسؤال عن المكان، "فين شلّيت شنبك..؟!".

## 2- الإشارات الزمانية

هي إشارات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمن التلفظ، فزمان التلفظ هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فإذا لم يُعرف زمان التلفظ، أو مركز الإشارة الزمانية، التبس الأمر على المتلقي<sup>(75)</sup>. ولإدراك أهمية معرفة زمان التلفظ في فهم الخطاب وتأويله وتأويلاً صحيحاً، ننظر إلى هذه الطرفة:

"قال الذماري: الشعب اليميني يعيش هذه الأيام أفراح ومسرّات مستمّرة. قالوا له: كيف؟ قال: إذا جاء الماء فِرْح، وان لقي شويّة بترول فِرْح، وان عباً دبة غاز فِرْح، وان سرّجت الكهرياء فِرْح، وان شحّن التلفون فِرْح، وهكذا صارت أيامه كلها أفراح ومسرّات."

دلالة الزمن "هذه الأيام" في هذه الطرفة لا تتحدد بزمن الفعل، أو الظرف في حد ذاته، وإنما بزمن التلفظ<sup>(76)</sup>، وهو زمن مرتبط بـ "أفراح ومسرّات مستمرة" يعيشها الشعب اليميني، فما هي بواعث هذه الأفراح والمسرّات الدائمة؟ إنها تتمثل في الحصول على الحد الأدنى من المتطلبات المعيشية. فما الذي يجعل الحصول على هذا الأقل باعثاً للأفراح والمسرّات؟ إنه الحرمان الكامل من هذه المتطلبات، فأقلّ القليل، هو كثير عند من ليس عنده شيء.

لقد وردت لفظة "فِرْح" العائدة على الشعب اليميني خمس مرات، وكانت في كل منها جواب لشرط متقدم، ويتحقق كل فعل من أفعال الشرط الخمسة الواردة في الطرفة يتحقق فرح، وتتم مسرة؛ وهكذا بتعدّد الحرمان، تعدّدت الأفراح والمسرّات.

إن التأشير الزماني في عبارة "أيامه كلها أفراح ومسرّات" يؤدي وظيفة مزدوجة؛ فإلى جانب إحالته إلى المرجع الزمني، فإنه باقتترانه بضمير الغائب المتصل، العائد على الشعب اليميني، جعله

يحمل دلالات أخرى، هي كل حالات الحرمان التي يعيشها الشعب اليمني، المتمثلة في أفراحه ومسراته عند الحصول على القليل منها.

أما عند تجاهل زمان التلفظ، فإن الخطاب يشوبه الإبهام، كما في هذه الطرفة:  
"قال لك<sup>(77)</sup>: واحد كان عنده للدَّرْبِي زَلَطُ، وكلّما سار الدربي يطالبه بها، قال له: غُطُوَّةٌ مِنْ عَيْني، وحين يسير له اليوم الثاني، يُقُلُّ له غُطُوَّةٌ من عَيْني؛ وعلى هذا الحال أسابيع وأشهر، وفي يوم قال له الرّجال: من عَيْني غُطُوَّة. فقال الدَّرْبِي: أنا أني... عاز غُطُوَّة هذا ذي مَا جَاشُ نِتَخَارِجُ أنا وَاَنْتُ، وَقَالَ للرّجال: مَا عَادَ انْتَاشُ غَرِيمِي، غَرِيمِي قَدُوهُ دَيَّهْ غُطُوَّة المَطَّالُ، ذَلِّحِين اسِير الشرطة اشْتِي بِغُطُوَّة دَيَّهْ، يَطْلِبُوهُ وَيَحْسُوهُ عِنْدِهِمْ، لَوْما انت تَحِي تَسَلِّمْ زَلَطِي<sup>(78)</sup>."

إن غدا يعني اليوم التالي لزمان التلفظ، وليس اليوم التالي لكل يوم؛ لأن غدا بالمعنى الثاني لن يأتي، وهذه هي الورطة التي وقع فيها الدربي، حين ظل صاحبه يكرر عليه "غطوة". وفي كل يوم كان الدربي يذهب إلى الرجل يطالبه بأن ينجز وعده، ويدفع له ما عنده من مال، يقول له: "غطوة"، وهو يعني به اليوم الذي ليس له حضور في الحاضر، وإنما في المستقبل. ولهذا فإن "غطوة" لن يأتي أبداً، فهو لا يكون له حضور إلا باعتبار أن أمس هو زمن التلفظ، فيكون هو اليوم التالي لزمان التلفظ، أي أنه اليوم إذا كان تلفظنا به يوم أمس؛ ولكن الرجل يستثمر تداولية هذا التأشير للمماثلة، من خلال نقل المركز الإشاري إلى إطار زمني جديد، متجاهلاً إطاره السابق الذي تلفظ فيه بالوعد.

وقد يعتمد التأشير الزمني على زمن الفعل وليس التلفظ كما في هذه الطرفة:  
"قال لك<sup>(79)</sup>: اعتاد كثير من أصحاب ذمار أكل البطاطا في السوق في وقت الظهر من كل يوم. فإذا حدث شيء في هذا الوقت، وسألوا واحداً منهم: أيحين وقع هذا؟ قال: وقت البطاطا. أو يُقُلُّ الواحد لصاحبه إذا رَقَدَ: قَوْمِي وقت البطاطا."



حيث نجد أن الزمن يتحدد فيها بزمن الفعل، وليس زمن التلفظ، وقد أصبح "وقت البطاطا" مرجعاً إشارياً يعتمد عليه أصحاب ذمار في تحديد الزمن، وهو يعني الوقت الذي اعتدنا فيه أن نأكل البطاطا.

وقد يجيء التأشير الزمني للدلالة على وقت محدد من نهار كل يوم، ويكون فعل شيء ما فيه، سبباً لحدوث شيء آخر، كما في هذه الطرفة:

"قال لك<sup>(80)</sup>؛ كان به مسافرٌ فقيرٌ دَخَلَ مسجدَ يَصَلِّي العَصْرَ، وبعد الصلاة جلس يرقُدُ في المسجد، فجاء له القِيمُ حقَّ المسجد وقال له: لا تَرُقُدْش هانا. قال له الفقير: أنا مسافر وتاعب؛ خَلِينِي أَفْعَلْ نَعْسَةَ يَرِيحُ التعب. قال له القِيم: بنقل لك: ما يَصْلِحْش الرَقْدَةَ ذَلْحِين. قال الفقير: أَيْشُ المشكلَةُ لا رقدت ذلحين. قال القِيم: الرَقْدَةَ بعد العَصْرِ ضَرَّ عليك. قال الفقير: يعني أَيْشُ عيوقع؟ قال القِيم: الرقدة بعد العَصْرِ تَدِي الفقر. فتوضَّع الفقير على جَنْبِهِ، وقال: خَلِينَا نَجْرِبُ الفقر الثاني<sup>(81)</sup>".

تضم هذه الطرفة عنصرين إشاريين يدلان على الوقت نفسه، هما "العصر" و"ذلحين"، فقول قِيم المسجد للرجل الفقير: "ما يصلحش النوم ذلحين" هو نفسه في دلالة التأشير الزمني "الرقدة بعد العَصْرِ ضَرَّ".

وبما أن التلفظ يتم الآن أو "ذلحين" حسب تعبير الطرفة؛ فإنه لا يؤخذ بحرفيته، أي (الآن) لحظة التلفظ فقط، وإنما يعني لحظة التلفظ وما يلها من لحظات، أو ما يصدق عليه "بعد العَصْر" ولكن ما هي المشكلة التي يمكن أن تحدث إذا رقد الرجل في هذا الوقت؟ إنها حدوث الفقر، وقد أفصح (قِيم المسجد) عن الفعل الذي يتسبب بها، وهو "الرقدة بعد العَصْر" حسب تعبيره.

إن الفقر مشكلة قديمة قدم الإنسان، يعاني منها كثير من الناس، على الرغم من أن أكثرهم إن لم يكن جميعهم لا ينامون بعد العَصْر؛ إلا أننا نجد أن (قِيم المسجد) يهدد به الفقير. إنه يهدد بالفقر من قد عاش الفقر وخبره؛ مما جعل الفقير يحس بأنه ربما يكون هناك فقر آخر،

يختلف عن الفقر الذي يعرفه تمام المعرفة؛ فما هو هذا الفقر الذي لم يعرفه الفقير ولم يخبره بعد؟ الجواب عن هذا السؤال لا يستطيع الفقير الإجابة عنه إلا بعد أن يعايشه ويختبره بنفسه؛ لذلك فقد قال: "خلينا نجرب الفقر الثاني" فربما يكون له نكهة مختلفة، وطعم مغاير لهذا الفقر الذي عاشه وخبره، والذي قد يكون ورثه عن أبيه عن جده... إلخ.

قد توجد في الطرفة فجوات زمنية مختلفة بين أجزاء الحوادث التي يمكن أن تحصل خلالها حوادث أخرى<sup>(82)</sup>، كما نلاحظ في هذه الطرفة:

"قال لك<sup>(83)</sup>: كَانَ بِهِ وَاحِدٌ مَعَهُ بَقْرَةٌ، مَرَضَتْ عَلَيْهِ، فَتَذَرُ إِن تَبَاخَرَتِ الْبَقْرَةَ أَنْ يَصُومَ لِلَّهِ عَشْرَةَ أَيَّامٍ؛ وَبَعْدَمَا صَامَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، مَاتَتِ الْبَقْرَةَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ هَكَذَا فَعَلْتُ بَنِي؟ هَذَا رَمَضَانَ قَرِيبًا، وَاللَّهِ مَا أَخْصَمَ إِلَّا مِنْ تَحْتِ أَيْدِي"

الفجوات الزمنية في هذه الطرفة تقع بين "فندرن إن تباخرت البقرة أن يصوم عشرة أيام لله" وبين "وبعدما صام عشرة أيام، ماتت البقرة" فإن الأحداث التي تخللت هذه الفجوات تقديرها (تباخرت البقرة، فتوجب عليه أن يصوم عشرة أيام حتى يوفي بنذره الذي نذره، وقد أوفى بنذره الذي نذره، وصام عشرة أيام...).

وهناك من الأحداث ما يحتاج إلى سنوات حتى يتم، ولكنه في مكان ما، قد يتم في زمن قصير جدا يدعو إلى الدهشة والاستغراب، كما في هذه الطرفة:

"خَرَجَ<sup>(84)</sup> بِسَيَارَتِهِ وَمَعَهُ وَلَدُهُ إِلَى مَحْطَّةٍ بَتْرُولٍ، وَعَبَّأُ ثُنْتَيْنِ دَبَبٍ، وَتَفَاجَأَ حِينَ قَالَ لَهُ عَامِلُ الْمَحْطَّةِ: ثَمَانِيَةَ أَلْفِ رِيَالٍ، فَقَالَ لَوْلَدُهُ: كَمْ لَبِئْنَا فِي نَوْمِنَا، قَالَ لَهُ: لَيْلَةٌ وَنَصٌّ.. قَالَ عَامِلُ الْمَحْطَّةِ: قَدْ السَّعَرَ رَسْمِي رَفَعُوهُ لَيْلَةً أَمْسَ. قَالَ لَهُ: أَهْلُ الْكَهْفِ رَقَدُوا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ، وَقَامُوا وَالْأَسْعَارُ عَادِيَةٌ نَفْسَهَا، وَاحْتِنَا مَا رَقَدْنَا إِلَّا لَيْلَةً وَنَصٌّ، وَقُمَّنَا وَقَدْ اقْتَلَبَتِ الْأَسْعَارُ قَلْبًا."

تتناول هذه الطرفة قضية من أهم القضايا التي ظل -ولا يزال- يعاني منها المواطن اليمني، وهي قضية ارتفاع الأسعار بين ليلة وضحاها، حيث ينام المواطن على سعر، ويصحو على سعر

مختلف، هذا الارتفاع الذي يحدث يكون في العادة غير مبرر، وغير طبيعي؛ حيث يصل في بعض الأحيان إلى مائة في المائة. إنه ارتفاع إذا كان لا بد منه، فإنه يجب أن لا يتم إلا تدريجياً وخلال سنوات أو عقود، لكنه كان يتم بشكل عشوائي ومفاجئ؛ مما جعل بطل الطرفة يتفاجأ عند سماعه السعر الجديد قائلاً: "كم لبثنا في نومنا" حيث توهم الرجل أنه ربما نام سنوات طويلة، ظلت خلالها الأسعار ترتفع، وترتفع حتى وصلت إلى ما وصلت إليه عن آخر مرة عرفها. إن طرح السؤال بهذه الصيغة "كم لبثنا في نومنا" يستحضر في ذهن المتلقي قصة أهل الكهف التي فيها: {قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} {الكهف: 19} وفي مدة لبثهم قال تعالى: {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} {الكهف: 25}؛ وقد كانت المفاجأة الأخرى للرجل أنه لم يلبث في نومه سوى ليلة ونصف، فكيف يحدث كل هذا الارتفاع في السعر خلال ليلة ونصف؟! ماذا لو رقدنا ثلاث مائة سنة -مثلاً- كما فعل أهل الكهف؟ مع أن أهل الكهف رقدوا أكثر من ثلاث مائة سنة، وقاموا من نومهم والأسعار ما زالت نفسها لم تتغير، كما تذكر الطرفة. وفي كثير من الأحيان يعتمد فهم التأشير الزمني اعتماداً كبيراً، إن لم يكن كلياً، على المعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب، كما نجد في الطرفة التالية:

"قال لك<sup>(85)</sup> : في أول يوم في رمضان، يجي الدمي للغدا وقت ما هو متعود في الفطري، وما يلقاش غدا، ويجلس مُطَبَّنْ جاعٍ يراقب الناس أَيْشْ هم عليه، لَوْمًا يعرف التوقيت الجديد حق رمضان، وبعدا ينتظم عليه طول الشهر، وبعدا يجي أول يوم في العيد وعاد الدمى راكن على ذيك الوقت ذي اعتاد عليه، فيجي وقت المغرب يَشْتِي العشاء، وما يلقاش عشاء، ويجلس الدمى جاعٍ مُطَبَّنْ يراقب الناس أَيْشْ هم عليه، لَوْمًا يعرف اليوم الثاني بالدوام الجديد... فيقول أهل ذمار: في رمضان للصائم فرحتان، وللدمى زَقْرَتَانْ؛ الأولة في أول يوم في رمضان، والثانية في أول يوم في العيد<sup>(86)</sup>."

تتضمن هذه الطرفة عدداً من الإشارات الزمانية، التي تم توظيفها لوصف المقلب الذي يقع فيه القطّ "الدمى" في "أول يوم في رمضان" وفي "أول يوم في العيد" وبدونها لا يمكن فهم الطرفة، كون الإشارات الزمانية عناصر سياقية يحدد مراجعها سياق التلفظ، والمعرفة المشتركة

بين طرفي الخطاب؛ فمن المعروف أنه في شهر رمضان تتغير مواعيد الطعام عما هي عليه في أيام الفطر، ولكن "الدمي" في الطرفة لم يتم إشعاره بذلك، لذلك فهو يأتي في أول أيام رمضان وقت الغداء غير مدرك لهذا التغيير الجديد، فلا يجد غداء، فيبقى جائعاً حائراً يراقب الناس ماذا سيفعلون، حتى يكتشف الأمر بنفسه، ويدرك التوقيت الجديد، ثم يستمر عليه. وعند انتهاء شهر رمضان، ومجيء العيد لا أحد يخبره أيضاً بالمواعيد الجديدة للطعام، فيستمر مجيئه وقت العشاء، فلا يجد عشاء، ويبقى جائعاً حائراً يراقب الناس حتى يكتشف الموعد الجديد للطعام بنفسه، ثم يستمر عليه حتى رمضان التالي، حيث يتكرر معه المقلب من جديد؛ لذلك يقول أهل ذمار "في رمضان للصائم فرحتان، وللدمي زقرتان".

وقد تخلو الطرفة من التأشير إلى زمن تحيل إليه، ويتم تحديد الزمن من خلال الرجوع إلى

أحداث الطرفة؛ لمعرفة زمن التلفظ كما في هذه الطرفة:

"قال لك<sup>(87)</sup>: واحد سار يطلب معونة من الإمام يحيى، فأعطاه الإمام ريال فرانصي

واحد، فخرج من عند الإمام حزين، فلقبه يهودي يعرفه، فسأله: مالك؟ فقال قصته مع الإمام، وكان اليهودي حالته ميسورة، فأعطاه عشرة ريال فرانصي، فشلها من اليهودي وخلأها في يده اليمنى، وريال الإمام في يده اليسرى؛ وسار بين الناس يصيح: أين اليهودي..؟ ذي أدى هذه... وهزّ يده اليسرى ذي فيها الريال، أو لا ذي أدى هذه... وهزّ يده اليمنى ذي فيها العشرة؟ والناس يقولوا ذي أدى ما في اليد اليسرى. فبلغ الإمام ذلك، فصيح له، واذى له تسعة ريال توفية العشرة، وقال له: ما ترجعش تقول إن اليهودي أدى لك أكثر من الإمام. فخرج صاحبنا من عند الإمام، وعشرة الإمام في يده اليسرى، وعشرة اليهودي في يده اليمنى، ويقول - وهو يهزّ يده اليمنى:- لولا هذا، -ثم يهزّ يده اليسرى- ما وقع هذا."

في هذه الطرفة نرى أنه لا يوجد تأشير زمني يعين زمان التلفظ، وبدون معرفة زمان

التلفظ يبقى الكلام مهماً، فلا بد أن يدرك المتلقي لحظة التلفظ، حتى يتخذها مرجعاً يحيل إليه، ويؤول مكونات التلفظ اللغوية بناء على معرفتها<sup>(88)</sup>. وقد يتبين هذا المرجع، بالرجوع إلى

سياق الأحداث، فمن خلال جملة "يطلب معونة من الإمام يحيى" يتعين الزمن الذي قيلت فيه، وهو الزمن الذي حكم فيه الإمام يحيى حميد الدين اليمن، وهي الفترة من 1918-1948م، التي كانت العملة المتداولة فيها ما كان يعرف عند اليمنيين بالريال (الفرانصي) وهي عملة نمساوية مسكوكة من الفضة، كان مرسومها عليها صورة (ماري تريزا)<sup>(89)</sup> وإذا كنا لا نستطيع تحديد فترة التلفظ بدقة، فإنه يمكننا القول إنها قد تكون ما قبل هجرة اليهود من اليمن؛ بدلالة ذكر "اليهودي" في هذه الطرفة، وهذا القول للتقريب وليس للجزم.

من الملاحظ تميز هذه الطرفة بشيء مهم، وهو التأشير الحركي، من خلال "يمزّ يده اليسرى" و "يمزّ يده اليمنى" حيث تم توظيف الحركة الإيمائية للإحالة على ما أعطى الإمام، وما أعطى اليهودي، وهي إشارية مكانية وليست زمانية.

#### الخلاصة:

كانت تلك هي الإشارات الحاضرة في الطرفة الذمارية، وقد تميزت تداولية الإشارات فيها بالتالي:

أولاً- الإشارات الشخصية: كانت المرجعيات في كثير منها تحيل إلى (واحد) وهو مرجع ينطبق على أي شخص، دون تعيين شخص محدد، مما يجعل السخرية، أو النقد الذي تحمله الطرفة يتجه نحو السلوك -يهدف تقويمه- وليس الأشخاص، مما يسهل عملية تداول الطرفة بين أفراد المجتمع، ويعزز لديهم تقبل النقد أو التقويم، ويسهم كذلك في ترابط وتقوية العلاقات الاجتماعية، دون الإساءة إلى فرد معين من أفرادها، إلى جانب تحديد علاقة المرسل بالمتلقي، وبيان نوعها.

من خلال استقراء استخدام الإشارات الشخصية المختلفة الأنواع، تبين أبعاد العلاقات بين المتخاطبين، وتطور تلك العلاقات، ومقاصد المتخاطبين، وتأثير الأحداث الطارئة على استعمال الإشارات.

تنوع ورود الضمائر في الطرفة الذمارية، ما بين المنفصلة والمتصلة، وقد كان لكل دلالاته.

استعملت الطرفة ضمير الجمع لمخاطبة المفرد لإشعاره بالتبجيل والاحترام، وأما الغرض فهو الضحك عليه وتضليله.

استعملت الطرفة ضمير الغائب في مخاطبة الحاضر، للدلالة على تجاهله، وتهميشه. ثانيا- الإشارات الظرفية: حملت الطرفة الذايرية عددا من الإشارات الظرفية، وقد تميزت تداوليتها بالتالي:

قدمت الإشارات المكانية معرفة سياقية خاصة بالمكان، ساعدت على فهم الخطاب وتأويل الأحداث، كما تضمنت بعض الطرف أحداثا أدت إلى معرفة المكان.

استعملت الطرفة التأشير المكاني استعمالا مجازيا، ساعد على فهم المعنويات وتصورها، إلى جانب تضمن التأشير المكاني أجزاء من جسم الإنسان.

تنوعت استعمالات الإشارات الزمانية ودلالاتها، منها ما يتحدد بزمن التلفظ، ومنها ما يتحدد بزمن الفعل، ومنها ما يأتي للدلالة على وقت محدد من نهار كل يوم، ويكون فعل شيء فيه سببا لحدوث شيء آخر.

كان للمعرفة المشتركة بين المتخاطبين أثر في فهم التأشير الزمني، إلى جانب أن فهم الأحداث ساعد على تعيين الزمن إذا لم يكن مذكورا.

تضمنت بعض الطرف فجوات زمنية مختلفة، يتم إدراكها من خلال السياق.

### الهوامش والإحالات:

- (1) حسين عمران محمد، شعر أبي نواس (دراسة تداولية)، أطروحة دكتوراه (مخطوطة)، إشراف علي متعب جاسم، جامعة ديالى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، نيسان 2015م، ص: 122.
- (2) ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002م: 16-15.
- (3) جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016: 76.

- 4) ينظر: جورج يول، معرفة اللغة، تر: محمود فراج عبدالحافظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية-مصر، ط1، 1999: 137.
- 5) ينظر: جاك موشلر- أن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، ط2، 2010م: 110.
- 6) ينظر: محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي: 71.
- 7) ينظر: عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004م: 81-82.
- 8) رواها الذماري.
- 9) محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي: 18.
- 10) ينظر: جان سيرفوني، الملفوظية، تر: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998: 27.
- 11) ينظر: عبدالهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب: 82.
- 12) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي: 41.
- 13) السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م: 66.
- 14) سيويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988: 6/2.
- 15) ينظر: المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، مصر، القاهرة، ط2، 1979: 280/4.
- 16) ينظر: محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي: 17-18.
- 17) رواها إسماعيل الدولة، من أهالي مدينة ذمار.
- 18) معاني الألفاظ: لطم: صفع على الوجه. بذى: بالذي. لا قسم الشرطة: إلى قسم الشرطة. شي معه: هل يوجد لديه.
- 19) رواها علي يحيى جابر، من أهالي مدينة ذمار.
- 20) جان سيرفوني، الملفوظية، 28.
- 21) ينظر: جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها: 79.
- 22) رواها الذماري.

- (23) "بيزّوه": يبرز. فعل مضارع معناه: يحمل. والواو: واو الجماعة. والهاء: ضمير مفعول به. والباء في أول الفعل للدلالة على استمرار الفعل وقت التلطف. "ما بلا": لازم، أو ضروري. "لي منعكم": عبارة ذمّارية تدل على الرجاء، وهي في بنيتها العميقة: أنا أرجوكم. ما تسمحش: لا تسمح، والشين تأتي آخر الفعل المنفي. "اخرج لعيالي": أفضل وأقل كلفة، أو مناسب.
- (24) الضمائر المستترة في النحو العربي ضرب من الإشارات التي تدرك الإحالة عليها من السياق، فلا يتلفظ بها المرسل لدلالة الحال عليها. استراتيجيات الخطاب: 83.
- (25) احنا: في اللهجة الذمّارية ضمير المتكلم الجمع: مذكرا كان أو مؤنثا، وللمثنى بنوعيه، وهو يقابل في الفصحى (نحن).
- (26) ينظر: عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب: 292-293.
- (27) رواها الذمّاري.
- (28) ينظر: عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب: 287.
- (29) نفسه: 293.
- (30) رواها محمد حمود العمدي من ساكني مدينة ذمار.
- (31) ينظر: عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب: 293.
- (32) ينظر: جان سيرفوني، الملفوظية: 27.
- (33) ينظر: عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب: 288.
- (34) رواها الذمّاري.
- (35) معاني الألفاظ: مسنب: واقف. دعس: داس. ابسر: نظر. شيخ: كبير القبيلة ومرجعها، أو جماعة من الناس. مع: لا. ليه: لماذا.
- (36) رواها: علي أحمد الدفيني، من أهالي مدينة ذمار.
- (37) معاني الألفاظ: جاهل: ولد صغير. أيش: ماذا. ودّ من: ولد من؟ فشله: أخذه. لا أقرب: إلى أقرب. هانا: هنا.
- (38) رواها الشاعر الكبير إبراهيم الحضرائي (رحمه الله)، والحاج محمد محمد مياس من أعيان وأهالي مدينة ذمار.
- (39) معاني الألفاظ: أيش: ماذا. تشتي: تريد. أوقع غني: صير غنيا. بيت مياس: إحدى الأسر الذمّارية، كانت الأغنى في عهد المجنون. ماشي: بمعنى لا، للتعبير عن الرفض. عتبوق: سوف تبطر.



- (40) محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي: 19.
- (41) رواها عبدالله زيد العرشي، من أهالي مدينة ذمار وظرفائها.
- (42) معاني الألفاظ: احترف: التفت. يدورها: يبحث عنها. أبسر: رأى. واحد عفت: رجل قوي، مفتول العضلات. ساير بها: ذاهب بها. فشل عصية: فأخذ عصا. لش: لك، والشين تحل محل كاف المخاطبة المفردة. ما تسيريش: لا تذهبي. ما تعرفيمش: لا تعرفينهم.
- (43) رواها الشاعر الكبير إبراهيم الحضرائي (رحمه الله)
- (44) معاني الألفاظ: بيجابر: يأخذ ويعطي معها في الكلام. تنكة في تنكة: التنكة وعاء من حديد لحمل الفواكه والخضروات، وهو تنكة من هذا وتنكة من هذا. هميت: شغلي الهم. عيژهن: سيحملهن. خلي العيال يكلوا: اتركي الأولاد يأكلون
- (45) ينظر: عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب: 288.
- (46) ينظر: نفسه: 290.
- (47) رواها علي يحيى جابر.
- (48) معاني الألفاظ: حوايج: مجموع بهارات. مقرع: فاعل الفعل قرع، وهو الغبن الشديد. يزلجه: يجهز له ما يبيعه له. يجابره: يتجاذب أطراف الحديث معه. يمكنه: يلقي عليه كلاما من نوع معين.
- (49) ينظر: جان سيرفوني، الملفوظية، 29.
- (50) ينظر: محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي: 18.
- (51) رواها قيس محمد النجعي، من أهالي مدينة ذمار.
- (52) رواها علي يحيى جابر، من أهالي مدينة ذمار.
- (53) قشر: هو قشور حبوب البن، يصنع منها قهوة. شاق: عامل بالأجرة. يخليه بيل القشر: يوجهه برش القشر بالماء. من سب: من أجل. يهودي ذي بيبله: عبارة تشبه القسم يقولها الشخص لدلالة على أنه لم يقم بالفعل.
- (54) رواها الحاج: أحمد الباز، من أهالي مدينة ذمار، وظرفائها.
- (55) معاني الألفاظ: يلخون، ولحونة: من لحن القول، وهو الميل بالكلام إلى نحو من الأنحاء من غرض من الأغراض، كالتعريض والتورية. ذبه: هذا. ما احناش: لسننا. ما بلا: ما إن. تعين: تنظر، والمراد هنا (تلقى). لا عاد تخابرش بنتي: لا تعود تتكلم مع ابنتي. وقديه: وقد هي.
- (56) جان سيرفوني، الملفوظية: 32.

- (57) نفسه: 29.
- (58) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، 1994: 108-110.
- (59) رواها محمد الدربي، ومحمود يحيى جابر.
- (60) يحكموا: من التحكيم، تحكيم المجني عليه من قبل الجاني ليحكم بما يراه على الجاني، وهو عرف قبلي. هوه: ضمير المفرد الغائب (هو) هاء تليها واو مد، ينظر: قد اليمينية: 49، والهاء الأخيرة هاء السكتة.
- (61) رواها يحيى محمد الكبسي، ومحمد علي إبراهيم، من أهالي مدينة ذمار، واللفظ للكبسي.
- (62) ينظر: جان سيرفوني، الملفوظية: 27.
- (63) ينظر: عبدالهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب: 84.
- (64) محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي: 21.
- (65) عبدالهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب: 84.
- (66) رواها د. يحيى بجاح، وهو طبيب وجراح معروف، وأحد ظرفاء مدينة ذمار.
- (67) معاني الألفاظ: احقاوه: خصره. تكتور: دكتور بلهجة ريفية قديمة. أشتي: أريد. القعادة: السرير. ماشوه: ليس. المرّة: الزوجة. فينيه: أين هي. الحدا: إحدى مديريات محافظة ذمار تقع شرق مدينة ذمار، تضم عددا كبيرا من القرى. لا عند الطاقة: إلى عند النافذة. صلّي: اتجاه.
- (68) ينظر: ملتقى الأحاب والأصدقاء <http://fouad7yn.grafbb.com/t353-topic>،  
موقع أخبار البلد: <http://www.albaldnews.com/news5534.html>،  
موقع المجلس اليمني <http://www.ye1.org/forum/threads/37803>،  
منتديات نور الشباب <http://www.n-shbab.com/vb/t21022.html>، واللفظ للذماري.
- (69) ينظر: موقع أخبار البلد: <http://www.albaldnews.com/news5534.html>.
- (70) رواها الذماري.
- (71) رواها محمد حمود العمدي، من ساكني مدينة ذمار، وهو عالم وأديب. بتصرف.
- (72) معاني الألفاظ: خابروا انفسهم: تشاوروا فيما بينهم. يسلموا: يعتنقون الإسلام. بقبوا: ظلوا. يوقع: يصير. ذي: الذي أو التي. أيش: ما هي. زوة: ركن أو زاوية في مكان. ما بش: لا يوجد. اخرج: أفضل وأولى من غيرها.

(73) في حديثه عن الإشارات المكانية ذكر عبدالهادي بن ظافر الشهري أنها "تختص بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقاً من الحقيقية القائلة إن هناك طريقتان رئيستان للإشارة إلى الأشياء هما: التسمية، أو الوصف من جهة أولى، أو بتحديد أماكنها من جهة أخرى" استراتيجيات الخطاب: 84. فيما سبق ذكره نجد أنه ذكر أن هناك طريقتان رئيستان للإشارة إلى الأشياء، بمعنى أن الإشارات المكانية تشير إلى أشياء، ولا شك أن أعضاء بدن الإنسان هي أشياء؛ إذ يمكن أن يشار إليها بالتسمية، فيقال الرأس والصدر والقدم، أو الوصف، العين اليسرى والأذن اليمنى، وكذلك يمكن تحديد أماكنها، فنقول تقع العينان في الوجه، والقدمان أسفل البدن، كما يمكن أن تضاف إلى الظروف المكانية، كما في قوله تعالى: {إِنِّي أَرَانِي أَحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا} [يوسف: 36] وقد يأتي السؤال الدال على المكان (أين تشعر بالألم) ويكون الجواب في البطن أو الظهر أو غير ذلك، ويمكن أن يشار إلى موضع الألم فيضع الشخص إصبعه أو يده على مكان الألم، ويقول (هنا) وهكذا من خلال ما مررتين لنا أن أعضاء بدن الإنسان يمكن أن تكون مرجعيات للتأشير المكاني.

(74) عن الذماري.

(75) ينظر: محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي: 19.

(76) ينظر: جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها: 80.

(77) رواها الذماري عن الدربي.

(78) معاني الألفاظ: زلط: فلوس. غطوة: غدا. ذي ما جاش: الذي لم يأت. نتخارج: ننتهي من هذه القضية ونفصل فيها.

(79) رواها الذماري عن المرحوم أحمد عايض السنباني. بتصرف.

(80) رواها الشاعر الكبير/إبراهيم الحضرائي (رحمه الله).

(81) معاني الألفاظ: قيّم المسجد: المسؤول عن إدارة شؤون المسجد. لا ترقدش: لا ترقد، حيث يتم في اللهجة الذمارية إلحاق الشين آخر الفعل المنفي. أيش: أداة استفهام تعني ما، أو ماذا. دلحين: الآن. عيوقع: العين للاستقبال، يوقع: يحدث. تدّي: تجلب. خلينا: دعنا.

(82) ينظر: فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، 1999: 294.

(83) رواها محمد الشدادي من أهالي مدينة ذمار، وظرفائها.

- (84) رواها الدكتور محمود علي عصبه.
- (85) رواها الذماري، ومحمد الدربي، واللفظ للذماري.
- (86) معاني الألفاظ: الدمّي: القط أو القطة. الفطري: أيام الفطر. ما يلقاش: لا يجد. مطّئن: متحير. جاع:  
جائع. لوما: حتى. راكن: معتمد. ذيك: ذلك. يشتي: يريد. زقرتان: مفردها زَقْرَةٌ وهي المقلب، أو أخذ شيء  
بواسطة الحيلة.
- (87) رواها الذماري، عن أبيه.
- (88) ينظر: عبدالهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب: 83.
- (89) وقد تأكد ذلك من خلال الرجوع إلى السياق الخارجي وإفادة راوي الطرفة بذلك.



## ”الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر” (قبائل العرب) المنسوب لـ محمد بن بسام التميمي مراجعة نقدية

د. عبدالعزيز بن محمد العبدلله\*

### الملخص:

يتناول هذا البحث بالدراسة والنقد نموذجًا لأحد المصنفات التي يترجّح لدى الباحث أنها وُضعت في حقبة زمنية معينة، ونُسبت إلى مؤلفين مختلفين في أزمنة شتى، وتحمل هذه المصنفات خصائص موضوعية وفنية مشتركة، واضحة الدلالة، على أنها تصدر عن منهل واحد. وهذا الكتاب هو بعنوان: ”الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر”<sup>(1)</sup>، المنسوب لمحمد بن بسام التميمي النجدي، وقد قمت بدراسته من نواحٍ موضوعية وفنية، متحدثًا في البداية عن المؤلف الذي يُنسب إليه الكتاب، وبيان حقيقة هذه الشخصية، ثم تحدثت -بعد ذلك- عن عنوان الكتاب ومقدمته، تلا ذلك دراسة لهذا الكتاب من محورين، وهما: العجائب والغرائب، ثم الإملاء واللغة، التي حاولت من خلالها أن أتلّمس النقاط المشتركة التي تنتظم هذه العملية بشكل عام، وإن كان في الحديث عن عنوان الكتاب والمؤلف ما يدل -أيضًا- دلالة قوية جدًا على أن هذا الكتاب من ضمن الأمور المختلف فيها، ثم ذكرتُ رأيي مختصرًا في نهاية هذا البحث.

\* أستاذ الأدب القديم المساعد -قسم اللغة العربية وأدائها- كلية الآداب. جامعة الملك سعود -المملكة العربية السعودية.

## THE BOASTS PEARLS OF THE LATEST ARABS' NEWS

(Arab tribes) attributed to Mohammad Al-Bassam Al-Tamimi Al-Najdi.

### Critical Review

Dr. Abdulaziz bin Mohammed Al-Abdullah.

#### ABSTRACT:

This study deals with the study and criticism of a model of one of the works that the researcher is likely to have developed and written in a certain period of time and attributed to different authors at different times. These works bear common objective and technical characteristics, with a clear semantics, like it was originating from one source.

This book is entitled "THE BOASTS PEARLS OF THE LATEST ARABS' NEWS" attributed to Mohammad bin Al-Bassam Al-Tamimi Al-Najdi, I've studied this book in substantive and technical aspects, speaking at first about the author to whom the book is attributed, and the fact of this character, and then spoke about the title of the book and its introduction, followed by a study of this book from two axes, namely: Wonders and oditties, then dictation and language, through which I tried to touch the common points - as I mentioned - which organize this process in general, although talking about the title of the book and the author, which shows a very strong indication that this book is among these apocryphals, and then I mentioned my opinion briefly at the end of this research.

#### توطئة:

إن إعادة قراءة كتب التاريخ و الأدب ومختلف العلوم بعين ناقدة فاحصة أمر في غاية الأهمية، وقد تحدث العلماء والباحثون عن الاختلاق، والعبث قديماً وحديثاً، وألفت في ذلك المصنفات، والاختلاق في كتب التاريخ والأدب و الأنساب وغيرها له تبعاته السيئة وعواقبه الوخيمة، حيث تُبنى عليه تصورات خاطئة وأحكام جائزة ويستشهد به على صحة كثير من الأمور، ذلك أن للمادة المكتوبة سلطانها على أذهان كثير من الناس مهما كانت درجتها من الضعف والتهافت، فبمجرد أن المعلومة وجدت في كتاب منسوب إلى مؤلف معلوم أو مجهول

اكتسبت قدراً من الأهمية وأصبحت قولاً يعتد به لدى بعض المثقفين وأكثر العوام، وإن كانت مخالفة للبدعيّات والمسلمات، واضحة الاختلاق، بينة الزيف، وقد وجدت من خلال قراءاتي المتكررة أن هناك عملية كبيرة من العبث حدثت في حقبة زمنية قريبة لا تتعدى القرن، طالت كثيراً من الفنون والعلوم، ورأيت في هذه المصنفات من أوجه التشابه ما يدل بوضوح على أنها صدرت عن منهل واحد، وفي هذا البحث سأتناول بالدراسة النقدية واحداً من هذه المؤلفات التي يترجح لدي دخولها ضمن هذه العملية المشار إليها، هذا الكتاب هو كتاب الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، المنسوب لمحمد بن بسام، والمعلومات الموجودة لدينا عن هذا الكتاب ومؤلفه، من خلال مقدمة المحقق هي:

1- المؤلف: هو محمد بن بسام التميمي النجدي.

والبسام أسرة تميمية شهيرة معروفة بنجد، كانت تعد من أكثر الأشراف في الجزيرة العربية، وكانت قوافلها التجارية تجوب الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر في وقت من الأوقات، كما برز فيها عدد من العلماء وطلبة العلم، فهذا المؤلف ينسب إلى هذه الأسرة الكريمة.

2- إن بلد المؤلف الأصلي هو الدرعية، وانتقل إلى ثادق<sup>(2)</sup>، ثم إلى بغداد، حيث ألف كتابه هذا واستقر هناك، ولم يعد إلى نجد حسب كلام المحقق.

3- أورد المحقق أن العزاوي صاحب كتاب "عشائر العراق"، قد ذكر أن أولاد الشيخ محمد البسام وأحفاده موجودون في بغداد، وذكر أسماء الموجودين آنذاك من أولاده، وأحفاده، ومنهم ولده حمد بن محمد البسام الذي تجاوز عمره المائة عام كما ذكر العزاوي.

4- نقل محقق الكتاب عن أحمد وصفي زكريا مؤلف "عشائر الشام" أن اسم مؤلف الكتاب هو محمد بن حمد البسام التميمي النجدي، فذكر اسم أبيه.

5- كما ذكر في هذه المقدمة أن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام أورد في كتابه "علماء نجد خلال ثمانية قرون" اسم محمد البسام الذي توفي بالطاعون في مكة عام 1246هـ، وأنه شخص غير المؤلف، وأنه ليس بصاحب علم، وإنما وجيه وعين من أعيان البسام في عنيزة.

وعند الرجوع إلى أهل الشأن وهم أسرة آل بسام فإننا نجد الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام رحمه الله يذكر في رده على الدكتور محمد الشويعر في مجلة الدارة<sup>(3)</sup> عندما استدرك عليه الشويعر أنه لم يترجم لهذا المؤرخ في كتابه "علماء نجد" ما نصه:

"ص 43- قال الدكتور: إني سهوت عن ترجمة للمؤرخ: محمد بن حمد البسام مؤلف كتاب (الدرر المفخرة في أخبار العرب الأواخر)، وأنا لم أسه عن المؤرخ المذكور فإني أول من اطلع على كتابه الذي جاءني صورته من بغداد قبل أن يعثر عليه المتحف البريطاني<sup>(4)</sup>. أما الذي حملني على إهماله فهو عدم تحقيقي من نسبه. ولا زلت لم أصل إلى حقيقة أمره. فمن قرأ كتابه يستبعد أن يكون من الدرعية ثم انتقل منها إلى ثادق، ثم انتقل إلى العراق للقرائن الآتية:

الأولى: أنه يلقب الدولة السعودية بالوهابية، وهذا النزلا يكون من نجدي موال للدعوة السلفية، وإنما يكون من عدوهم، على أنه في حروب محمد علي وابنيه مع آل سعود هو تحت الراية السعودية ويثني عليهم ويمجدهم ويذكر أئمتهم بألقاب العظمة<sup>(5)</sup>.

الثانية: إنه يعبر -بسيدينا الحسين- وأهل نجد لا يسودون أحداً في خطابهم ولعل المذكور تأثر بإقامته في العراق.

الثالثة: أنه أهدى كتابه إلى المعتمد البريطاني بالعراق بعبارات تبجيل له بأنه السيد السعيد فخر أقرانه وعمدة زمانه وشهاب الملة العيساوية وقوة الدولة الإنقرزية. وأهل نجد لا يوالون الكفار هذه الموالاتة، لا سيما في تلك الأيام التي هي شباب الدعوة.

الرابعة: قدّم القبائل القحطانية في كتابه وعني بها عناية لم يولها القبائل العدنانية.

الخامسة: لم يذكر قبيلة تميم إلا عند ذكر قبائل العراق ولعل عذره أنه ليس لتمييم في نجد بادية.

السادسة: أنه لم يوثق نسبه بشيء من البيانات عدا ما كتبه: المعتمد البريطاني ريتش من نسبة الكتاب إلى محمد البسام التميمي النجدي. وعدا ما ذكره المهندس: أحمد وصفي زكريا في كتابه (عشائر الشام) من أن اسمه محمد بن حمد البسام، وأنه توفي بمكة عام 1246هـ، وهذا



هو كل ما اعتمد عليه محقق الكتاب العجبي، وهو -أيضاً- مرجع الأستاذ الزركلي في أعلامه وبسبب هذا الغموض وعدم التحقق عنه لم أترجم له.

قلت<sup>(6)</sup>: وإنه لمن الغريب جداً أن الأستاذ المهندس: أحمد وصفي زكريا صاحب كتاب (عشائر الشام) الذي عاش حتى 1384هـ، وهو بحائثة منقّب، لما عثر على كتاب (الدرر المفخرة) لمؤلفه محمد البسام سأل بعض أعيان أسرتنا المقيمين تجاراً في سوريا عن محمد البسام الذي عاش كما جاء في تاريخه في النصف الأول من القرن الثالث عشر حيث خاض المعارك التي دارت في وادي الصفراء بين جيوش آل سعود وجيوش الترك بقيادة طوسون.

ولما سأل عن محمد البسام أفيد بما هو معروف عندهم من أن محمد بن حمد البسام توفي بمكة عام 1246هـ. وجدي الثالث هو: محمد بن حمد البسام توفي بمكة حاجاً عام (1246هـ) من وباء عام أصاب الحجاج ذلك العام. فالمهندس: أحمد وصفي استقر في ذهنه هذا فعزا التاريخ إليه. وجدنا محمد بن حمد البسام أشهر أهل نجد في زمنه بالغنى والإحسان، لكنه ليس بعالم ولا مؤرخ، ومن المتيقن أنه لا يوجد في أسرتنا في تلك الأيام من اسمه محمد بن حمد البسام غير جدي هذا. والقصد أني حتى الآن لم يظهر لي حقيقة هذا المؤرخ، فإن وجدت شيئاً يكشف الغطاء ترجمت له في الطباعة التالية لعلماء نجد إن شاء الله تعالى".<sup>(7)</sup> أ.هـ، ونستطيع القول ونحن مطمئنون، بناء على كلام الشيخ رحمه الله، إن هذه الشخصية لا وجود لها في الحقيقة.

5- أَلّف البسام هذا الكتاب بناء على طلب كلوديس جيمز ريتش المقيم البريطاني بالبصرة وبغداد، وكان يتقن اللغات: العربية، والتركية، والفارسية، وقد اقتنى عدداً من المخطوطات النفيسة المحفوظة بالمتحف البريطاني في لندن، وهذا المقيم هو الذي كتب اسم المؤلف الحقيقي على الكتاب.

6- قدمت المخطوطة السيدة ريتش زوجة المقيم إلى مكتبة المتحف البريطاني عام 1825م مقابل سبعة آلاف جنيه إسترليني، وهي في المتحف البريطاني تحت رقم A77358.

### عنوان الكتاب والمقدمة:

عندما ننظر إلى عنوان الكتاب فإننا نجده (الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر). وفي كلمة (الدرر المفاخر) ضعف لغوي، فلو قال درر المفاخر بمعنى عيون الفضائل، وغرر المكارم أو المناقب، أو الدرر الفاخرة بمعنى النفيسة لكان أولى.

وكلمة (أخبار) توحى بأن المؤلف سيتحدث عن شيء من أخبار ووقائع وتاريخ القبائل العربية، وعند تصفح الكتاب ترى أنه يقتصر على إحصاء لعدد الفرسان والمشاة لكل قبيلة مع إطلاق بعض الأوصاف المسجوعة المملة، أما الأمر العجيب اللافت للنظر فهو أن المؤلف المزعوم ينسب الكتاب إلى القنصل البريطاني، أي أن القنصل هو مؤلف الكتاب، فيقول<sup>(8)</sup>:

"تأليف السيد السعيد فخر أقرانه، وعمدة زمانه، شهاب الملة العيساوية، وقدوة الدولة الإنقرزية مصطريك....."، وهذه العبارات من الممكن أن تكتب بعد وفاة المؤلف من قبل شارح أو ناشر أو غيره، أما أن يكتبها من يفترض أنه المؤلف عن نفسه في حياته فهذا أمر عجيب.

ثم يذكر مقدمة بعد ذلك مباشرة، وفيها يقول<sup>(9)</sup>:

"وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أشرفت نجومها من أفق التوحيد ساطعة

الشعاع، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أرسله والناس كالهجمج الرعاع".

ويقول في آخر المقدمة<sup>(10)</sup>:

"مع أي في تلك الأيام السعيدة الداعية لهذا المرام وتسويده، مشغول البديهة **من غير بكم**

موكل بجزء من أجزاء الحكم".

ويعني بذلك أنه يشغل منصب القنصل، وفي هذا تأكيد نسبته الكتاب إلى ريتش، فلا يقال

إنه نسي.

فهذا شهاب الملة العيساوية<sup>(11)</sup>، ينطق بشهادة التوحيد، والله الحمد والمنة. فلا تدري

أتعجب من مسلم يمدح نصرانياً بأنه شهاب الملة العيساوية، أم من هذا النصراني الذي ينطق

بالتوحيد وشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ؟! ولا أدري لماذا لم يذكر عيسى بن مريم عليه السلام

على الأقل ويصلي عليه، وليس في ذلك محذور شرعي إذا كان مؤلف الكتاب هو (شهاب الملة العيساوية)؟!، ثم يقول في نهاية الكتاب<sup>(12)</sup>:

"وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الأكرمين وأصحابه الغر الميامين، والحمد لله رب العالمين".

ويستشهد في نهاية هذه المقدمة بقول الله جل وعلا:

"ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه"

وحسب كلام المحقق فإن الذي نسب الكتاب لصاحبه هو القنصل البريطاني وكتب ذلك بخط يده على غلاف الكتاب.

إنك تجد التناقض بين المقدمة ومحتوى الكتاب، حيث نسب تأليف الكتاب للقنصل كما ذكرنا في مقدمته، ثم يقول<sup>(13)</sup>:

"قال المؤلف أيد الله سعوده، وأنجز له بالصالحات وعوده، قد عزمت على تكميل هذه الكراريس بالإبداع في صحايفها بالأراجيز والتجنيس، فاعترض علي صاحبها الأجل وقال: أقنع من الخمرة بالخل...". ويقول في خاتمة الكتاب:

"وهذا ما منّ الله سبحانه ببلوغه وضم شمل المتنافر من فصوله وسجوعه..... إلى أن يقول: فحال دون ذلك الاهتمام من صاحبه المقترح علي إيجاد فرايده وعجايبه".

فنسب التأليف لنفسه وأن ذلك بطلب من شخص آخر، وهو القنصل !!، ومن التناقض، أيضاً، ما ذكره المؤلف عند حديثه عن نجد بأنه سيأتي على صفة الدرعية وأهلها وصورتها وعساكرها وأنسابهم، ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك، ويعلل محقق الكتاب ذلك بأنه "ربما نسي، وتشوشت أفكاره بسبب الغزو الغاشم على الدرعية ونجد، وبسبب محنة الغربية في العراق والبعد عن الأهل والوطن ومشقة المعيشة".

قلت: من المستبعد أن يأتي بهذه التفاصيل الدقيقة التي أوردتها في كتابه وينسى أهم حدث عايشه كما يرى المحقق ورآه بعينه. المفترض أن يكون هذا الأمر هو المسيطر على ذهنه ووجدانه<sup>(14)</sup>.

ونستعرض هنا بعض النقاط والسمات التي تبين تهافت هذا الكتاب، وأنه يدخل ضمن دائرة العبث التي تحدثنا عنها.

### أولاً: العجائب والغرائب<sup>(15)</sup>

يحفل هذا الكتاب بصنوف من الغرائب التي تثير الشك في صحته، ومن ذلك:

1- أنه يشتمل على هذه المعلومات الدقيقة المفصلة عن أعداد الفرسان والمشاة لهذه القبائل الكثيرة على تباعد ديارها، فقد ذكر قبائل نجد والأحساء وعمان وسواحلها واليمن والعراق والشام!!!، ولو أن صانع هذا الكتاب عندما نسبه إلى هذا المؤلف وضع له ترجمة ذكر فيها أنه كان كثير التنقل والأسفار في بوادي العرب كثير الاحتكاك بقبائلها حتى يضي شيئاً ولو يسيراً من الثقة والتسويغ لهذه المعرفة الدقيقة<sup>(16)</sup>.

2- يذكر في سبب تأليف الكتاب أنه جاء بناء على طلب المعتمد أو القنصل البريطاني في بغداد، ومعلوم أن القنصل يريد معلومات دقيقة يرفعها إلى حكومته، فما الحاجة إلى هذا الهذر وملء الصفحات بهذا الكلام الذي لا طائل من ورائه!؟

3- ثم إن هذه الصفات تأتي بطريقة مسجوعة مملة واضحة التكلفة والصناعة، ليس لها ضابط معين، فمرة يطنب ويسهب في إطلاق هذه الأسجاع على بعض القبائل، وإن لم تكن من القبائل الكبيرة أو حتى ليس لها وجود، وأحياناً يصيبه الكل والتعب فيمر مروراً عابراً على قبائل ذات عدد وشهرة، وترى هذا التناقض الصارخ أيضاً في أعداد هذه القبائل فرساناً ومشاة، فنجد قبائل صغيرة وفي مناطق قد يندر فيها وجود الخيل نظراً إلى طبيعتها الجغرافية تتضخم في هذا الكتاب عددياً وتتضاءل قبائل كبيرة العدد، تحل نجداً حيث تكثر الغارات والحروب وتكون الحاجة ملحة لاقتناء الخيول.

ومن الأمثلة على هذه الأوصاف المسجوعة التي ليس فيها كثير غناء<sup>(17)</sup>:

"ومنهم بنو نهد، ذي<sup>(18)</sup> العز والمجد والوفاء بالعهد، النازلون من العلياء أرفعها، والتاركون مساميمهم بأوضعها، شم الأنوف كرام الأنفس، الأخذين من الثناء الأنفس، باعهم في المجد أطول، وبقاعهم في الأرض من ساير البقاع<sup>(19)</sup>، أسود إذا كروا، رماة إذا فروا، جيادهم خمس ميتين

عددها، وألف من الرماة مددها، نعم الكرام إذا نزلوا ولكن الويل إذا نزلوا، أحلام إذا غضبوا  
أعلام إذا نصبوا، معادلهم أميل ومطاعهم أعزل، تقول السنة الهيجاء والفرسان ناطقة في شأنهم  
إلا أنهم هم الشجعان.

ومنهم: بنوا جعدة ذوي<sup>(20)</sup> البأس والشدة والغياث والنجدة، جيرانهم محبوبة ونيرانهم  
مشبوبة، قاصدهم لا يضل، وحاسدهم لا يثل، إذا حيعل داعي الحرب الزبون إجابته كماء تنذر  
بوقع المنون، كتايهم خمسمائة فارس ونصرتها من الراجلين ألف ممارس، ذو صبابة للحرب وكآبة  
للطعن والضرب، شعارهم الغضب ولكن في الحروب، وديارهم اليلب المعدود لتفريج الكروب  
وهؤلاء أقدم، كما أن مبارزهم أحجم".

وبعد جعدة هذه يذكر قبيلة أدهم في رصف هذه الأسجاع المتكلفة قائلاً<sup>(21)</sup>:

"ومنهم: المعروفون بأدهم ذي العزم الميم والحصان الأدهم (!! ) الذين هم ساق الحرب إذا  
قامت، وغياث السنون إذا صامت النازلين من الهيجاء أيمنها والأخذين من العلياء أئمنها، المنفقي  
سليح الجود والمنفقي من الموجود، وما ذلك إلا أنهم أحزم واتباعهم هذا الصراط في الحقيقة ألزم،  
فكما سلكوا هذه الطريقة المستقيمة، وملكوا بطباعهم هذه الشريعة القويمة، جالوا بميادين  
الحرب مرح (!)، ومالوا لتعاطي الموت فيها كما يتعاطى القرح وأما عددهم فرساناً وتشخيصهم  
إنساناً فإنساناً فألف ومئتان وألف وخمسمائة إنسان، وأعظم سيرهم في المهمات وأن منهم لمن  
يشترى الموت بالحياة".

فأنت ترى هنا هذا السجع المتكلف الذي ليس منه أي فائدة، وإنما هو ملء الصفحات  
وتسويدها.

ثم يذكر الصيعر بعد ذلك في حوالي 10 أسطر، ثم يأتي الفصل الثاني وهو (فصل في ذكر  
قبائل صنعاء). والفصل الأول كان في ذكر قبائل اليمن وهذا من عجائب التقسيمات.

بل إنه يطنب ويفيض في المديح لقبائل مخترعة لا وجود لها إلا في خياله، كما ذكر في  
السلطين<sup>(22)</sup> والنوى قائلاً<sup>(23)</sup>:

"ومنهم السلاطين الأخذين الثناء قسراً والمتعاطين. القول في هؤلاء الطائفة التي سلبت أزاهر المجد ولطائفه، إنهم أكرم من الراح إذا هبت....."، إلى قوله: "فوارس عددها ثلاثة ألوف وثلاثة آلاف مبدق، بين مخيف ومخوف.....". ثم يذكر قبائل النوى (!!) قائلاً<sup>(24)</sup>: "ومنهم: النوى، ذوي الشوق للمكرمات والجوى..." إلى آخر هذا الكلام. ثم يأتي إلى قبائل ذات عدد وفير، ووقائع وفرسان مثل قبيلة "عبدة" التي تعد جذماً عظيماً من قبيلة شمر، فيكتفي بأن يقول فيهم<sup>(25)</sup>:  
"ومنهم: عبدة غير الماضي ذكرهم"<sup>(26)</sup>، أقول فيهم كما قال من قبلي، ما أشبه الليلة بالبارحة، والغادية بالرايحة (!!)، وأما عددهم سقمناً<sup>(27)</sup> فتلاثة آلاف وألف فارس"، والدليل على أنه يقصد عبدة من شمر أنه أردفها بذكر زوبع والأسلم. فما معنى قوله: ما أشبه الليلة بالبارحة، والغادية بالرايحة؟ وما مناسبتها؟!

4- كما أسلفنا، فقد ذكر أسماء لقبائل لا وجود لها، وقد علق المحقق على بعضها وترك بعضاً، ومن ذلك على سبيل المثال:

السلاطين والنوى<sup>(28)</sup>، وبنو الأصفر<sup>(29)</sup>، وأزهر<sup>(30)</sup>، وبنو ذباب<sup>(31)</sup>، وبنو قريضة<sup>(32)</sup>، والكرومة<sup>(33)</sup>، وبنو نسعة، وغيرها.

وهذا من مظاهر الشذوذ والنعارة في هذه المختلقات حيث يذكر معلومات لا أصل لها، توحى بالتفرد والتميز، وهي خزعات وخرافات نسجها الخيال.  
5- تبدو سمة العبث والسخرية واضحة، ويبلغ هذا الاستخفاف بالقارئ مداه حينما يقول<sup>(34)</sup>:

"منهم: أهل سبأ الذين نطق في شأنهم القرآن الحميد، على لسان رسول الله المجيد، قال الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه: (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية، جنتان عن يمين وشمال) الآيات. لكن لم أعرف اسم القبيلة ولا أميرها، وهم أربعين<sup>(35)</sup> ألف سقماني ولا يعتنون بالخيول. كبيرهم اسمه: الهدهد (!!!) وهؤلاء من قبيلة بلقيس، وهي المرأة الذي<sup>(36)</sup> نطق في شأنها القرآن العزيز، وأسلمت مع سليمان بن داود عليه وعلى محمد أفضل الصلاة والسلام والتكريم".

فهذه القبيلة التي لا يعرف اسمها ولا اسم أميرها عددها أربعون ألف رجل وليس فيها فرسان، ولكن كبيرهم اسمه الهدهد لأنهم من بقية قوم بلقيس الذي دل عليهم الهدهد فلا بد أن يكون كبيرهم بعد آلاف السنين اسمه الهدهد!!!

كما قلنا من قبل، فإن شخصية المؤلف التي تمتزج فيها السخرية بالعبث والتهويل تتبدى لنا في كثير من المواضيع، ومن ذلك ما ورد في وصف مدينة صنعاء حيث شبهها بامرأة حسناء، فذكر الشعر الداجي، والطرف الساجي، والثغور والوجنات والجيد، والنهود، ثم الكشح... إلى أن قال<sup>(37)</sup>:

"ودعوا الأوراك فما أدراك يا طالب الجم أن يغشك<sup>(38)</sup> اليم، فأعرض عن هذا وأنت يا ذا طلبت النفوذ بين الفخوذ"<sup>(39)</sup>!!!.

وعندما ذكر قبيلة الحباب<sup>(40)</sup>، وصف أكلهم ولباس نسائهم حيث قال: وأكلهم حب الذرة يقضموه<sup>(41)</sup> قضمًا، ولباسهم الأردية السود ونساءهم ما تلبس شيئاً إلا مندبل أسود طولهُ ذراعين<sup>(42)</sup> وعرضه ذراع تضعه المرأة على عورتها!!!.

قلت: وطول هذا اللباس ثابت طالَت المرأة أم قصرت!!

مع أنه لم يتطرق إلى اللباس والطعام في الحديث عن القبائل إلا ما كان في هذا الموضع، وعند حديثه عن المحلف حيث قال<sup>(43)</sup>:

"وهم فيهم خصال ما اتفقت في أحد مثلهم فمئنا أنهم إذا طرقيهم ضيف، فأعظم ما يكرمونه أن يأتوه بأخشن زادهم وهو المعروف بالذرة ولكن يجعلونه أخبازاً كالمدارات، واللحم، والحنطة والألبان عندهم ما تقوم مقامه.

قلت: فعند المحلف لا يقضمون الذرة قضمًا كما يفعل الحباب بل يجعلونه أخبازاً

كالمدارات!!". ولا أعلم لِمَ لَمْ يذكر الطعام إلا في هذين الموضعين فقط؟!

6- ومن درر هذه "الدرر" وعجائبها أنه يذكر فرسان ومشاة هذه القبائل بهذه الدقة

المتناهية حتى يقول عند ذكر قبيلة الموالي في الشام<sup>(44)</sup>:

"أما الآن فألف فارس وثمانمائة، وأما سابقاً فعشرة آلاف فارس"، فقد ذكر عدد فرسانهم في زمانه، وفي الزمن السابق لزمانه أيضاً، ولا أدري ما صنع الله بالبقية وهم ثمانية آلاف ومائتا فارس؟! ولا متى كانوا عشرة آلاف قبلها بسنة أو سنتين أو أقل أو أكثر؟! ولم يذكر عدد المشاة هنا<sup>(45)</sup>.

ويقول وهو يتحدث عن قبائل تهامة عن بني أسد الذين لا يوجدون إلا في مخيلته<sup>(46)</sup>:  
"أن عدد سقمانهم ثلاثة آلاف وخمسون، وفرسانهم خمسمائة أو يزيدون". "وخمسون" جاءت هنا لأجل تحقيق السجع مع "يزيدون" فقط<sup>(47)</sup>.  
إنها مجرد ترهات يسردها واضع هذا الكتاب، فمما شيء من الاستخفاف الملحوظ أحياناً بعقلية القارئ.

7- احتفت هذه "الدرر" بذكر البنادق، ومن ذلك أنه يذكر بعض القبائل أحياناً بأنهم لا يستخدمون البنادق في حروبهم أو لا يتعاطون الرمي بالبنادق. وهذه من العجائب. فما الذي يجعل قبيلة بأكملها محاطة بالقبائل من كل جهة في حياة قائمة على الغزو والسلب والنهب لا تستعمل البنادق التي يستعملها جميع من حولها!!

أعتقد أن هذا من باب التنوع فقط، وطرد بعض السامة والممل عن القارئ كما مر في مسألة "قضم الذرة"، ومن أمثلة ذلك ما ذكره عن الرفيع<sup>(48)</sup> من قبائل العراق، وأنهم لا ينقلون البنادق، وشمر بالجانب الشرقي من الدحلة بعد الثناء عليهم قال<sup>(49)</sup>:  
"ومع هذا كله لم يعرفوا الرمي بالبنادق، ولكن سقمانهم بالرماح، المعدودة للكفاح"،  
والعنقية قال عنهم<sup>(50)</sup>:

"ولم يتعاطون (كذا)<sup>(51)</sup> الرمي بالبنادق سوى أنهم إذا نادى منادي الويل أجابته الجرد السوابق".

وقال عن قبائل العبيد بالعراق أيضاً<sup>(52)</sup>:

"وهم ألفين<sup>(53)</sup> فارس ولم يتعاطوا الرمي بالبنادق"<sup>(54)</sup>.

وقال عن طيء<sup>(55)</sup>:



"وهم لا يستعملون البنادق".

والذي يبدو أن فكرة عدم استعمال البنادق لم ترد في ذهن صانع الكتاب إلا في هذه الصفحات المتتاليات من الكتاب، فلم نجده ذكرها من قبل، وإنما تحدث عن عسير في أول الكتاب بأن:

"أعظم أجناسهم الرمي بالبنادق"<sup>(56)</sup>، ولم أدر ما معنى أعظم أجناسهم.

بل ذكر في الحديث عن قبائل اليمن أن منهم: "بنو شداد، الغلاظ الشداد"، وذكر أن كبيرهم هو "البندقاني".

قلت: لعله من كثرة استعماله للبنندقية!!!

8- نجد في هذا الكتاب من التهويل والمبالغة وعدم الدقة والمنطقية في أعداد الجيوش والقتلى، نجد هذا الأمر يتكرر هنا أيضاً ومن ذلك:

أ- ما ذكره في الحديث عن المعركة بين الإمام عبد الله بن سعود -رحمه الله- ولاسيما الجيش الذي أرسله بقيادة أخيه فيصل بن سعود -رحمه الله- وبين محمد علي باشا في "بسل" قرب الطائف، سنة 1230هـ، ففي هذا الخبر أن فيصلاً كان معه أربعون ألفاً وتوجه إلى تربة، وكانت عساكر غالية سبعة عشر ألفاً في تربة، وقدم محمد علي وكان معه ألف مقاتل، فخرج إليه فيصل، وكانت الدائرة على فيصل ومن معه، فتوجه قاصداً غالية في تربة.  
يقول صانع الكتاب<sup>(57)</sup>:

"فلما علمت بذله ونصرة الروم عليه، غلقت الأبواب دونه، وأخذت ترميه بالبنادق والأطواب (!!))، ففر إلى أخوه (كذا) منهزماً، وأما هي فاختلفت الأقوال عنها، فقليل أنها أخذت موثيقاً<sup>(58)</sup> وعهوداً من الوزير على نفسها وملكها، وما تملك من آلة الحرب من خيل وركاب وأسلحة، وأنه أعطاهما على ذلك، وبقيت، والقول الآخر إنها لما انهزم فيصل وأيقنت بالقهر أخذت ماعز<sup>(59)</sup> وتوجهت إلى بلد الوهابي المسماة بالدرعية، والأصح أنها توجهت إليه، وملك الوزير أرضها وديارها وأموالها. وأما عدد عساكرها فسبعة عشر ألف ولم يتبعها منهم أحد، والله أعلم" انتهى.

قلت:

يحفل هذا الخبر بعدد من العجائب المخالفة لبدهيات العقل، ومن ذلك:

1- جيش محمد علي قوامه ألف مقاتل، وهزم جيش سعود بن فيصل الذي عدده أربعون ألفاً، سوى من معه من عساكر غالية الذين تبلغون سبعة عشر ألفاً<sup>(60)</sup>، لقد كان أهل بدر في يوم الفرقان يوم التقى الجمعان يزيدون على الثلاثمائة بعدد يسير لا يتجاوز بضعة عشر رجلاً، أمام ألف من المشركين، وقد أيدهم الله بالملائكة، وامتن على المسلمين بذلك، وقد ينتصر المسلمون في بعض المعارك وهم أقل بكثير، ولكن أن ينتصر جيش قوامه ألف مقاتل على حوالي سبعة وخمسين ألفاً، فهذا من العجائب<sup>(61)</sup>.

2- والعجيب الثانية في هذا الخبر أن غالية لما علمت بذلّ فيصل ونصرة الروم عليه - كما يذكر صانع الكتاب - غلقت الباب دونه (ولا أعلم ما هذه الأبواب، والمعروف أنها وقومها في البادية) وأخذت ترميه بالبنادق والأطواب (أي المدافع)، ففر إلى أخيه<sup>(62)</sup> منهزماً.

فالعجب أنها عندما أقبل إليها ترميه بالبنادق والمدافع، ومن أين لها بهذه المدافع؟!

3- ولكن الأعجب من ذلك أنه يذكر بعد هذا مباشرة أن الأقوال اختلفت في ما آل إليه أمر غالية، ورجح أنها أخذت ماعزاً (!! وتوجهت إلى بلد الوهابي المسماة بالدرعية، فكيف ترمي أخاه بالمدافع والبنادق ثم تتجه بعد ذلك مباشرة إلى الدرعية!!

والطريف في الأمر أنها أخذت معها عدداً من الماعز، وهي هاربة تسوقها من تربة إلى الدرعية!!

4- لو افترضنا جدلاً أن جيش سعود يبلغ أربعين ألفاً، فمن أين لغالية أن تحشد سبعة عشر ألف مقاتل؟!

ب- ما ذكره في الحرب بين الشريف حمود أبي مسمار<sup>(63)</sup> والقائد السعودي عبدالوهاب أبي نقطة، حيث ذكر أن عسكر الشريف أبي مسمار عشرة آلاف، في حين أن عسكر أبي نقطة خمسة وعشرون ألفاً!! ومع هذا هزمه أبو مسمار.

ج- ذكر أن الذي قطعه جيش محمد علي من نخيل الرس خمسون ألف نخلة، وأنه أعطى الذين يقطعونها ريالين عن النخلة فأخذهم الطمع، وقد حدثه بعض الذين حضروا وقايعهم

(كما يعبر)، أن الرجل يقطع في الساعة الواحدة حوالي ثمان نخلات، وأتى بطريقة عجيبة في كيفية قطعهم لهذا النخل.

9- موقف المؤلف المزعوم من الدولة السعودية والدعوة متأرجح، بل متناقض بشكل واضح، فمع انحياز المؤلف الواضح ضد الدولة السعودية والدعوة، وهو ما يتبين بجلاء في مواضع كثيرة من الكتاب، تجده في عبارة أخرى يثني عليهم ويصفهم بالشجاعة والإقدام.

فمن المواضيع التي يظهر فيها هذا التناقض العجيب قوله عن قبائل عسير ما نصه<sup>(64)</sup>:  
"وكانوا حين تغلب عليهم الوهابي يكرههم في غزواته حتى أنهم يمشون على أرجلهم طال المسير أم قصر وكبيرهم اسمه طامي، وهو من الملوك الذين أسرهم الوزير الأسعد محمد علي باشا عزيز مصر والمالك له والمقيده<sup>(65)</sup> ليس الوزير بذاته بل إنما هو ابنه السيد السعيد القادم إلى رحمة العزيز الحميد أحمد طوسون باشا"، فهنا يذكر أن "الوهابي"<sup>(66)</sup> يكره قبائل عسير على المشي في غزواته، وهذه بلا شك من ترهات صانع هذا الكتاب، فهذا أمر يستحيل حدوثه، وكيف يصنع بجنوده وأنصاره هذا الصنيع بل كيف يكون عادة له وديدنا، كلما غزا بهم؟!، وهل يمشون هم فقط بينما يحق لغيرهم من الجيش الركوب؟!، هذا أمر مخالف للعقل، ولو قلنا إن أحداً عاقب طائفة من جنده بأن جعلهم يمشون لخطأ ارتكبه يوماً من الأيام، فإنه من غير المعقول أن يجعلهم يمشون أبد الدهر، طال الطريق أم قصر حسب زعمه، لأنه بذلك سيوغر صدورهم عليه، وسينفضون عنه، ثم إنه سيعيق تقدم جيشه، هذه من الخزعبلات الواضحة، ثم إن فيها تشويهاً للدولة، وإساءة لتاريخها، وإيغاراً للصدور.

وبعد هذا بعدة أسطر يقول<sup>(67)</sup>:

"... وهو أول عسكر درج على أرض الحجاز متوجه لقتال الوهابي، فعدد العسكر الذي معه سبعة آلاف، والعرب يومئذ ما توجهوا إليه حتى تغلب على ساير أراضي الحجاز وباديتها، ثم جهز الملك الأعظم سعود بن عبد العزيز عساكر ما يقوم بحققها قائم وأمر ابنه عبد الله....."، إلى أن يقول بعد ثلاثة أسطر عن الجيش السعودي<sup>(68)</sup>:

"ولا والله تغلب عليهم صاحب مصر عن ضعف منهم أو جبن، بل خيانة من العربان ورضى من ساكني البلدان"، ثم يقول بعد هذا الكلام مباشرة وبدون أي فاصل<sup>(69)</sup>:

"فساق الوزير عساكره إلى الوهابي في سبعة آلاف، فلقية الوهابي بأربعين ألف مقاتل<sup>(70)</sup>. قال المؤلف: وأنا منهم، وقد حفر الوهابي على عسكره الخنادق وعمل المتاريس في ثلاثة أيام حتى توجهت سبعة الآلاف إليه. فأخذ الحرب بينهم ثلاثة أيام، لم يجد عسكر الوزير مدخل إلى عسكر الوهابي لأجل أن السهل خندق والجبل مترس، فضاقت الأرض بما رحبت على الوهابي وعساكره، وكان مسعود بن مضيان المذكور ما يأمنه الوهابي أن يخون عليه، فلما نفذت ذخائر الوهابي واوازغته واحتاج إلى رجوع النفس بعث على بن مضيان".

.. ويكرر لفظة "الوهابي" 6 مرات في هذه الصفحة فقط.

إلى أن قال في آخرها<sup>(71)</sup>:

"فسار الوزير أحمد إلى المدينة المقدسة، فحاصر الوهابية الذين هم مجعولين<sup>(72)</sup> فيها حراس<sup>(73)</sup> لها ومدافعة عنها، فقدمهم الوزير بعسكره فنازلهم مدة شهر أو أدنى وأعطاهم عهد الله وذمة السلطان فأبوا إلا عتواً، ونفورا، فإذا هو قد نصب السور على الباروت (!! ) فلما برت ذمتهم وأشهد الله ورسوله على عصيانهم أحرقهم بالنار، فسار العسكر إليها فاحتصروا في القلعة الصغيرة، وأعطاهم الأمان فخرجوا، فإذا هم خمسمائة وهم قبل اثني عشر ألف<sup>(74)</sup>، وأعطاهم الوزير إبلاً وزاداً وماء وأكرمهم، وتعجب الوهابي لكرمه ووفاه....."، إلى أن يقول في آخر الصفحة متحدثاً عن الجيش المصري<sup>(75)</sup>:

"ثم ساعدتهم العز والنصر حتى فعلوا ما يعجز كسرى وقيصر وهمهم الآتية تستهزئ بالماضية، وحال هذا التاريخ أخذوا في سفرهم عشر سنين ولا شكوا ذلاً ولا نصب ولا وصب ولا مخمصة في سبيل الله تعالى ولو قصدهم نجد وأهلها ما فعلوا ما فعلوا" (!!).

فالناظر في هذه النصوص المتتالية يحار كيف يصنف هذا المؤلف؟ وماذا يريد بالضبط؟ فمرة يضيف الألقاب الفخمة وأوصاف التعظيم والتبجيل على محمد علي وأبنائه، ويصف مخالفه بالوهابي ويشوه سيرته وأنه يضطهد جنوده ويصف أنصاره بالعتو والنفور، وأنهم برئت

منهم الذمة، وأنهم تعجبوا من كرم محمد علي ووفائه!!، ويصف محمد علي وجيشه بأوصاف لا تليق إلا بالصحابة -رضوان الله عليهم- من أنهم ما شكوا ذلاً ولا نصباً ولا وصباً ولا مخمصة في سبيل الله تعالى. وفي داخل هذا النص نفسه يصف سعود بالملك الأعظم، ويقول عن أصحابه إنه ما تغلب عليهم صاحب مصر عن ضعف منهم أو جبن، بل خيانة من العريان ورضى من ساكني البلدان.

ويذكر السلطان العثماني الذي بعث الجيوش لحرب أتباع الدعوة السلفية بجميع أوصاف التعظيم والإجلال، ومنها قوله<sup>(76)</sup>:

"رئيس دار الدنيا، رافع الإسلام إلى الذروة العليا، سالك مسالك الأنبياء الهازي بقيصر فما كسرى....." إلى أن يبالغ في وصفه بما قد يقدح في عقيدته حيث يقول: "من شخصت أعيان المشارق والمغرب لأوامره، وقضت الأفلاك الدواير بحركاتها أن مقاليدها إليه صايره....." وهذا لا ينبغي إلا لله عز وجل.

ثم يفيض في مدح الإمام سعود بن عبد العزيز -رحمه الله- في عدة أسطر، وأن جميع القبائل الوارد ذكرها هي تحت ملكه<sup>(77)</sup>، فيقول<sup>(78)</sup>:

"قال المؤلف -أنجز الله آماله وأرشد للدارين أعماله- كل هؤلاء القبائل الماضي ذكرها والمشاد في الطروس فخرها على اختلاف طبقاتهم وتشابه لغاتهم في قبضة الملك الأفخم والصنديد الأقدم، سيد العرب ورئيسها وفريدها ونفيسها، رب المواهب ومسديها ونجم الكتايب وهادياها، عمدة أبناء الزمان والحجة القاطعة والبرهان، من غرب صيته وشرق، وتلسن في الدياجي بدره وتألقي، الحايض قصبات السبق عن أقرانه، والفايز بالقدح المعلى عن ملوك زمانه، معذرة الدهر من ذنوبه ومقدرة العاجز على استيفاء مطلوبه، ذي الغزوات المتواترة واليமானيات الباترة".

وكانه نسي أنه هو الوهابي الذي كان يتحدث عنه سابقاً و برئت منه ذمة السلطان فاستحق أن يحرق أصحابه بالنار بعدما أبوا إلا عتواً ونفوراً والذي يكره جنوده على المشي في غزواته طال الطريق أم قصر!!

والعجيب أنه يذكر أنه كان من ضمن الجيش السعودي كما مر معنا في قوله<sup>(79)</sup>:

"فساق الوزير عسكره في سبعة آلاف، فلقية الوهابي بأربعين ألفاً، قال المؤلف: وأنا منهم"، فهل كان في عسكر الوهابي، كما يقول، ثم انشق عنهم بعد ذلك، وصار ينعت بالوهابي، أو ماذا؟! إن هذا كلام فيه من التناقض والعبث ما لا مزيد عليه.

وقد يكون صانع الكتاب أراد من ذكر هذه المواقف المتناقضة بين المدح والقدح، والموالة والمعاداة، أن يبين أن الذم والأخبار التي تهدف إلى تشويه الدولة والدعوة ليست صادرة من عدو خالص، هدفه محاربة الدعوة والدولة، ليكسبها بذلك مزيداً من القبول والثقة لدى المتلقي، ذلك أن الذم الخالص الصادر ممن يتبنى حرب جماعة أو جهة من الجهات، أو دولة من الدول، لا يحظى بكثير من القبول.

فالمؤلف هنا كان من جيش الدولة السعودية، وحارب معهم وكانت بلدته الدرعية، ثم هو يتحدث عنهم بهذه الطريقة، وكأن صانع الكتاب يقول: إنه شاهد من أهلها وليس من الأعداء، ولا يرد على الذم أنه قال هذا الكلام تملقاً أو تقريباً من الدولة العثمانية، حيث كان في بغداد؛ لأنه صنع هذا الكتاب بطلب من القنصل البريطاني بل نسب تأليفه إليه، وأهداه له كما يقال.

### ثانياً: الإملاء واللغة

يحفل هذا الكتاب بعدد كبير جداً من الأخطاء النحوية، والإملائية التي تبدو للقارئ في أغلب النصوص التي نقلناها، ومن ذلك:

- 1- يكرر كلمة ذي بمعنى ذوي، أو ذوا<sup>(80)</sup>.
  - 2- يورد الذي بمعنى الذين، فيقول: ومنهم بنوا الأصفر الذي معروفون بالمكر والخدع.
  - 3- وتجده أحياناً يكتب الكلمة بشكل صحيح وأحياناً يخطئ فيها، يكون ذلك في كلمات واضحة، مثل قوله: الكلمات المشهورون، والحمامات المذكورون<sup>(81)</sup>.
- ويأتي في مواضع أخرى ويكتبها: الحماة، ومن الواضح جداً لمن يتمعن في أسلوب الكاتب أن هذه الأخطاء متعمدة، كما ذكرنا، والله أعلم.

- 4- تجد التناقض واضحاً بين أسلوب الكاتب في بعض المواضع وبين أسلوبه في مواضع أخرى حيث تجد أسلوباً رفيعاً يدل على سعة اطلاع على كتب الأدب، وحسن إنشاء، أحياناً، كما

في قوله<sup>(82)</sup>: "ولولا الحذر من الإطالة، والتوقي عن الإضجار والملالة، اثبتت الرسالة الغراء والفريدة الزهراء، التي ما سمحت بمثلها البداية"<sup>(83)</sup> والقرايح، ولا قرع الأسماع مثل خالب لفظها الهازي بهمول الروايح، وكفاه فخراً وجاهاً وإكراماً وتعزيراً وتوقيراً واحتراماً أن رب الرسالة ومنشئها والموشح الصدر منها وحواشئها".

وبعدها يقول<sup>(84)</sup>:

"دامت مراقي علاه تزامم العيوق، ولا زالت الأقدار موافقة لنوافذ حكمه ما طلب عاشقاً معشوق"، فالذي يعرف البدائيه والقرائح، والعيوق، لا يمكن أن يكتب مثل هذا الهراء ويخطئ مثل هذه الأخطاء، إلا عن عمد!!، ونجد البداية، والقرايح، كما قلنا في قلب الهمزة ياء، وهو كثير هنا، ومنه قوله: عجايبه، وفرايده، وصحافيه، وسبعمايه، ومايه، وغيرها كثير.

5- كما يذكر هنا لفظة "ذخاير" بالياء بمعنى المؤن، وهي تتكرر في هذه المؤلفات.

6- يتعمد الكاتب أحياناً إسقاط كلمة من السياق كما في قوله: "باعهم في المجد أطول، وبقاعهم في الأرض من ساير البقاع"، فالواجب أن يكون هناك خبر لكلمة "بقاعهم" يوحى بالفضيل<sup>(85)</sup>:

7- من أمارات هذا الاختلاق هذا السجع المتكلف، الذي يضيع معه الهدف، فيأتي بالكلمة لأجل السجع فقط، وهو هنا كثير جداً لا تكاد تخلو منه صفحة، فيقول مثلاً عن الظفير: "عدد سقماتهم سبعة آلاف، وفرسانهم ألفين بل أضعاف!!" فماذا استفاد القارئ هنا، وكم عدد الفرسان بالضبط؟!، ومثل قوله عن بني رشيد: الجايدون إذا الجود عدم، والصادمون الحرب إذا لم يجد أهلها منصدم!!، وقوله عن سبيع: عددهم سقمناً عشرة آلاف، وثمانمايه فارس ضفضاف، فلا أدري ما معنى ضفضاف هنا؟!.

وقوله عن بلي: عدد سقماتهم ثلاثون ألف مطلق، وفرسانهم سبعة آلاف بطل، فما معنى مطلق، ثم إن هذه الأرقام التي ليس لها أي ضابط، فعدد فرسان بلي سبعة آلاف<sup>(86)</sup>، وعدد فرسان بعض القبائل الكبيرة التي لا تقل عنها عدداً أو تفوقها مائتان!!، وفي ذوي رشيد أيضاً: عدد سقماتهم عشرة آلاف، ولا أظن لهم من الخيل مطاف!!.

والذي يظهر أن صانع هذا الكتاب يتعب ويمل أحياناً من كثرة السجع، أو تعجزه المفردات فيضطر إلى وضع أي كلام كالذي مر بنا، وكقوله عن الفزع: "وهذه العشيرة، التي لفضلها الرجال مشيرة، مولعون بطلب الشكر، ومطلعون على أخبار البر والبحر!!"، وقوله عن سليم ويافع<sup>(87)</sup>: "ولكن هؤلاء المذكورين في جميع فعالهم مشكورين" وهذه الخصلة التي اختصت بها هاتان القبيلتان، ومنهم: الرمثين، القائمون في الحجاز مقام الناظر من العين، عددهم سقماناً عشرين ألف، ولا سمعت لهم فرساناً سوى مائة وضعف، ويمضي على هذا المنوال من الهراء. وفي ختام هذا البحث، ومن خلال ما أوردناه من دلائل وبراهين، فإن الذي يظهر للباحث أن هذا الكتاب لا تصح نسبته إلى مؤلفه وأنه يدخل ضمن دائرة اختلاق وعبث حدثت في حقبة زمنية قريبة، وقد ذكرنا في أكثر من موضع أن هذه النتيجة ستكون أكثر وضوحاً عند إخراج بحوث أخرى متعلقة بهذا الأمر وعقد المقارنات بينها.

### الهوامش والمراجع:

- (1) وقد اعتمدت تحقيق سعود بن غانم الجمران العجمي، الصفاة، الكويت، ط2، 2010م.
- (2) وهذا مأخوذ من حاشية المؤلف، كما أشار المحقق إلى ذلك في ص 194.
- (3) مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة العاشرة، المحرم 1405هـ - سبتمبر 1984م.
- (4) المذكور في مكتبة المتحف البريطاني أن المتحف اشترى الكتاب عام 1825م، أي قبل حوالي 193 سنة، ونحن نعتقد بعدم صحة ذلك، وأن الكتاب ألف في المدة التي تحدثنا عنها في بداية البحث، ولعل الشيخ -رحمه الله- كان لديه معرفة بوقت وصول هذا الكتاب إلى المتحف كما يدل عليه كلامه. وهذا دليل على أن ما ذكر من تاريخ دخول الكتاب للمتحف غير صحيح.
- (5) هذا الأمر يبين أن موقف المؤلف من الدولة السعودية في غاية التناقض، وسيتبين ذلك في ما يأتي بشكل أكثر وضوحاً.
- (6) الكلام لا يزال للشيخ عبدالله البسام رحمه الله.
- (7) مجلة الدارة، مصدر سابق، ص: 100 - 102.
- (8) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص: 25.



- (9) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص 26 من الكتاب.
- (10) المصدر نفسه، ص: 27.
- (11) يعني النصرانية نسبة إلى عيسى بن مريم عليه السلام.
- (12) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص: 394.
- (13) المصدر نفسه، ص: 44.
- (14) وهذه التناقضات الواضحة تتكرر في عدد من المصادر التي سنتناولها بإذن الله في بحوث أخرى، والحقيقة أن كثيراً من دلائل الزيف لا تتبين إلا عند جمع هذه البحوث ومقارنتها بعضها ببعض.
- (15) سننقل النصوص كما هي بدون تصحيح - إلا نادراً - لكثرة هذه الأخطاء ووضوح الصواب في أغلب الأحيان.
- (16) وقد ذكر المحقق في ص 13 ما نصه: "إن القارئ الحصيف والمتفحص بعد قراءة هذه المخطوطة ستصيبه الدهشة والاستغراب من قدرة وإحاطة الشيخ البسام بمعرفة هذه القبائل الكثيرة والمتفرقة في أنحاء المشرق العربي، رغم انعدام وسائل المواصلات ووسائل الإعلام!! فهل الشيخ البسام قام في حياته بزيارة تلك البلدان والقبائل وتعرف عليها عن كثب؟ وكيف كان ذلك؟ إنني أجزم أن الشيخ لم يزر في حياته إلا نجداً والحجاز والعراق الذي قضى فيه بقية عمره". قلت: إذا كان المحقق يجزم بذلك أفلا يدعو ذلك إلى الشك في هذه المعلومات خصوصاً أن هناك أدلة أخرى واضحة فضلاً عما ذكر تدعو إلى الشك وتثير الأسئلة حول صحة هذا الكتاب.
- (17) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص: 30، 31.
- (18) كذا والصحيح: ذوو
- (19) هنا كلمة ساقطة.
- (20) كذا والصواب: بنو، ذوو.
- (21) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص: 31، 32.
- (22) وقد علق المحقق على "السلطين" في الحاشية بأن المؤلف لم يذكر اسم هؤلاء السلطين إلا إذا كان هناك قبيلة تسمى السلطين، ولم يتطرق المحقق إلى النوى ولم يعلق عليها.
- (23) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص: 37، 38.
- (24) المصدر نفسه، ص: 38.
- (25) المصدر نفسه، ص: 219.

- (26) ولم أره ذكر هذا الاسم من قبل!!
- (27) لا أعلم أصل هذه الكلمة التي يكررها كثيراً في هذا الكتاب
- (28) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص 37، 38.
- (29) المصدر نفسه، ص 67 ولم يعلق المحقق هنا.
- (30) المصدر نفسه، ص 68.
- (31) المصدر نفسه، ص 153 وقد علق المحقق بقوله: بنو ذباب هؤلاء لم أجد لهم ذكراً في المراجع المتاحة، ولا أعلم هل لهم وجود أصلاً، ويبدو أن المؤلف يستعين بخياله أحياناً. ولكن ابن خلدون ذكر أن بني ذباب من بطون سليم في المغرب.
- (32) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص 155 وذكر أنهم ستة آلاف مجالد، وفارس معاند.
- (33) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص 354.
- (34) المصدر نفسه، ص: 161.
- (35) الصواب (أربعون).
- (36) صوابها التي.
- (37) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص: 43.
- (38) والصواب: يغشاك
- (39) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص 43.
- (40) المصدر نفسه، ص 76.
- (41) الصواب: يقضمونه، وهذه الطريقة خاصة بقبيلة الحباب!!!
- (42) والصواب ذراعان.
- (43) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص 78.
- (44) المصدر نفسه، ص: 377.
- (45) ويتكرر عدم ذكر المشاة في مواضع عدة من هذه "الدرر".
- (46) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص 153.
- (47) وكثيراً ما يضطر إلى السجع صانع الكتاب لتحديد العدد فيقول في ص 36: "جيادهم ألفين، ورماتهم خمسة آلاف ومائتين".

- (48) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص: 340.
- (49) المصدر نفسه، ص: 343.
- (50) المصدر نفسه، ص: 352.
- (51) الصواب: يتعاطوا.
- (52) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص: 395.
- (53) الصواب: ألفا فارس.
- (54) ونؤكد هنا ما ذكرناه سابقاً من أن كشف عملية الزيف يعتمد بشكل كبير على مقارنة كثير من هذه المؤلفات بعضها ببعض.
- (55) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص: 360.
- (56) المصدر نفسه، ص 54.
- (57) المصدر نفسه، ص 170.
- (58) الصواب: موثيق لأنها صيغة منتهى الجموع فتمنع من الصرف.
- (59) الصواب: ماعزاً.
- (60) وقد تعجب المحقق أيضاً من هذا الأمر.
- (61) ولعل هذا بسبب انحياز صانع الكتاب الواضح إلى جانب أعداء الدعوة في هذا الكتاب، وسنين ذلك لاحقاً بإذن الله.
- (62) كتبت "أخوه" كما مر.
- (63) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص: 81.
- (64) المصدر نفسه، ص 54.
- (65) جاءت هكذا، ولعله خطأ مطبعي صوابه: "المقيد له"، أو "الذي قيده".
- (66) وهو يكرر هذه اللفظة في كتابه، ومن المعلوم أن من يطلقها هم أعداء الدعوة السلفية، وانظر أيضاً: ص 253، 254.
- (67) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص: 55.
- (68) المصدر نفسه، ص: 55 - 56.
- (69) المصدر نفسه، ص: 56.
- (70) وهنا أيضاً يضحخ جيش الدولة السعودية مقارنة بجيش محمد على.

- (71) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص: 56.
- (72) والصواب: مجعولون.
- (73) الصواب: حراسا.
- (74) الصواب: اثنا عشر ألف، وهذه من المبالغات والخيالات حيث صاروا خمسمائة فقط بعد أن كانوا اثني عشر ألفاً، أي قتل منهم في الحصار أحد عشر ألفاً وخمسمائة!!!
- (75) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص: 57.
- (76) المصدر نفسه، ص: 82.
- (77) والسياق يوحي بأن الإمام سعوداً -رحمه الله- لا زال موجوداً وقت كتابة هذا الكلام، لكنه يقول في آخر ذلك السجع: برد الله ثراه، ثم يذكر ابنه عبد الله وانتهاء ملكهم!!
- (78) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص: 303.
- (79) المصدر نفسه، ص: 56.
- (80) المصدر نفسه، ص: 29، وغيرها كثير.
- (81) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص: 325.
- (82) المصدر نفسه، ص: 82.
- (83) كذا وردت والصحيح: البدائه (جمع بديهة) ولكنه يقلب الهمزة ياء كعادته.
- (84) محمد البسام التميمي النجدي، في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، ص: 83.
- (85) وتكرر هذه الأمور المذكورة في جميع هذه النقاط في مؤلفات أخرى بالطريقة نفسها تماماً.
- (86) بل إن عدد سقمان عدوان خمسة وعشرون ألف وفرسانهم ثمانية آلاف!!!
- (87) وقد جعلهما جميعاً وذكرهما في قبائل الحجاز، وسليم قبيلة حجازية عدنانية، ويافع قبيلة يمنية قحطانية.



## الرمز والدلالة في البنية التصميمية لمسكوكات

### الإمام يحيى بن حميد الدين

د. غيلان حمود غيلان \*

#### الملخص:

يعنى هذا البحث بدراسة الرمز والدلالة في البنية التصميمية لمسكوكات الإمام يحيى، لما لها من أهمية في تسليط الضوء على مكان عناصر الجمال من خلال عملية تنسيق العناصر وترتيبها، بناءً على علاقات تنتظم بأسلوب تصميمي هادف، يتحقق من خلاله الهدفان الوظيفي، والجمالي، لقد جاء البحث للكشف عن تلك الرموز وتوضيح دلالاتها، ولتحقيق ذلك تم اختيار عينة الدراسة بشكل قصدي، تمثلت في خمسة نماذج، مثل كل أنموذج منها فئة من العملة التي سكت في الفترة (1918: 1948م)، وقد أتبع المنهج الوصفي التحليلي، للوصول إلى تحقيق الأهداف، حيث أظهرت الدراسة نتائج علمية سوف ترفد الباحثين في مجال المسكوكات والآثار الإسلامية، خاصة الباحثين في التصميم العام للمسكوكات الإسلامية، وكذلك مفردات النصوص المأثورة، والرموز التي وردت عليها، كما أوضحت الدراسة براعة الأداء الفني للنقاشين في اليمن، وأبرزت مهارتهم في تنفيذ الخطوط وفقاً لإخراجها التصميمي، ورجحت أن ثبات النص المأثور والمنفذ على ظهر المسكوكات كان شعاراً غير معلن لدولة الأمام يحيى بن حميد الدين.

\* أستاذ الآثار والفنون الإسلامية المشارك- قسم الآثار- كلية الآداب- جامعة صنعاء- الجمهورية اليمنية.

## Symbol and Significance in Design Structure of

### Imam Yahya bin Humaid al-Din Coins

Dr. Ghilan Hamood Ghilan

#### Abstract:

This research concerned in the study of symbol and significance in design structure of Imam Yahya coins, because its importance in the highlighting of beauty elements reservoirs through the process of ordering and arranging items. Based on a relationship organized the purposeful design style, which achieved through it the objectives of career and aesthetic. This propose of this research was to uncover these symbols and clarify their significance. To achieve this, the study was chosen intentionally in five models, such as each mode, one of which was the currency that remained silent during the period (1918-1948).

Following the descriptive analytical approach to achieved the goals where the study showed the scientific results with provided the researcher in the general design of Islamic coins, as well as the vocabulary of texts and symbols that were received, as the study showed the skill performance of the discussions in Yemen, where they highlighted their skills in implementing of lines according to their design output and suggested the stability of the old text, which executioner on the back of the coins was an undeclared motto of the state of Imam Yahya bin Humaid al-Din.

#### المقدمة:

تعد النقود المعدنية من المشغولات التي تحمل في -الأساس قيمة- وظيفية تتمثل في التبادل السلعي بين الناس<sup>(1)</sup>، غير أن تصميم هذه المسكوكات قد حمل مفردات وعناصر تشكيلية استأثرت باهتمام الباحثين في الفنون والآثار<sup>(2)</sup>، لاسيما أن النقاشين قد نفذوا تصاميمهم على النقود المعدنية بما يحقق الغايتين: النفعية والجمالية معا<sup>(3)</sup>.

لقد نالت دراسة البنية التصميمية اهتمام بعض الباحثين؛ لما لها من أهمية في تسليط الضوء على مكان عناصر الجمال، من خلال عملية تنسيق العناصر وترتيبها، بناءً على علاقات تنتظم بأسلوب تصميمي هادف<sup>(4)</sup>.

تشير الدلائل التاريخية والأثرية إلى أن الإمام يحيى بن محمد حميد الدين منذ أن تولى قيادة الثورة بعد أبيّة ضد الوجود العثماني في اليمن سنة (1322هـ / 1904م) وهو يسعى بكل الوسائل إلى تدعيم سلطته، ليس ذلك فحسب، بل كان حريصاً في مواقفه كلها، ورسائله التي يبعثها للآخرين على إبراز سيطرته وقوته، حتى تمكن من عقد صلح دعان في (1329هـ / 1911م)، ومكنه هذا الصلح من دخول صنعاء في عام (1337هـ / 1918م)<sup>(5)</sup>، وعندها تطلع الإمام إلى تأسيس دولته في ظل تردي أوضاع الدولة العثمانية، وتأكيداً منه على تنظيم شؤون الدولة، وترتيب أوضاعها، أدرك أهمية النقود من الناحية السياسية، بوصفها إحدى شارات الملك، ومظهراً من مظاهر الحكم والسيادة، فعندما يتم ضرب نقود تحمل اسمه، فإن ذلك تعبير عن كيانه السياسي الجديد، ومن ناحية أخرى وسيلة إعلامية ناجحة تمكن اتصال الحاكم بالشعب، وتذكيرهم بوجود سلطة مسؤولة عليهم<sup>(6)</sup> فمن خلالها يعرف الجميع أنه الحاكم، والإمام الشرعي لليمن، لاسيما إذا ما علمنا أن في بداية القرن العشرين لم تكن ثمة نقود تسك محلياً، أو في الجزيرة العربية، بل كانت العملة المتداولة في اليمن والجزيرة العربية هي النقود العثمانية، والنمساوية، والإنجليزية، والروبية الهندية، مما حدا بالإمام إلى سك عملته التي عرفت بـ(عمادي) وهو اسم (الريال) الذي تم سكه في بداية الأمر في لبنان، بحسب ما يشير بعض المصادر، أي قبل دخول الإمام يحيى بن محمد حميد الدين مدينة صنعاء<sup>(7)</sup>، غير أننا لم نعثر على هذا العمادي، ولهذا لا نتفق مع هذا الرأي؛ لأنه من الصعوبة بمكان وصول المسكوكات من لبنان إلى خزينة الإمام في اليمن، بسبب ما يحيط به من صراعات سياسية وعسكرية، إلا أنه من المرجح أن الإمام يحيى قد اعتمد الريال النمساوي (ماريا تريزا)، وما يؤكد ترجيحنا هو العثور عبر شبكة (الإنترنت) على صورة للريال النمساوي وقد تم السك عليه مباشرة النص المأثور ( أمير المؤمنين المتوكل على الله يحيى بن محمد نصره الله). (لوحه 1، 2).



لقد عرف هذا الريال باسم (عمادي) نسبة إلى كنية اسم الإمام (يحيى) في اليمن، حيث يكنى حامل هذا الاسم بعماد الدين، لكنه اختصر بعد ذلك إلى (العماد)، وقد تم سكه من معدن الفضة ولم يسك الريال من الفضة فحسب، بل سكت أجزاء منه كالربع، والعشر، ونصف العشر، بينما سكت النقود الأصغر من ذلك من معدن النحاس، غير أن الجدير بالذكر أن الإمام يحيى لم يسك عملة نصف العمادي، ولا نعرف السبب، كما تم تقسيم الريال العمادي على أربعين (بقشة)<sup>(8)</sup>.

مشكلة البحث: تتجلى مشكلة البحث في معرفة الدلالات الرمزية للبنية التصميمية المنفذة

على المسكوكات المضروبة في عهد الإمام يحيى.

أهمية البحث: تنطلق أهمية البحث من كون المسكوكات التي ضربت في عهد الإمام يحيى

لم تدرس من قبل، فضلا عن تسليط الضوء على أحد الجوانب المهمة في البنية التصميمية لها،

حيث يوجد نقص معرفي للرمز ودلالاته على المسكوكات اليمنية.

هدف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

1- تحديد الرموز في البنية التصميمية لمسكوكات الإمام يحيى.

2- الكشف عن دلالات هذه الرموز.



### حدود البحث:

1- الحدود الزمانية: يغطي البحث المسكوكات التي سكت خلال الفترة من (1918 إلى 1948م).

2- الحدود المكانية: المسكوكات المضروبة في مدينة صنعاء.

منهجية البحث: اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي، لوصف وتحليل تصاميم المسكوكات؛ للوصول إلى تحقيق الأهداف.

### تحديد المصطلحات:

1- الرمز: ورد الرمز باعتباره مصطلحاً صريحاً في القرآن الكريم (أَيُّكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَمْزَأً) سورة آل عمران الآية (41). تنويه من الخالق عز وجل إلى زكريا بكف لسانه عن الكلام، والرمز تعبير اصطلاحى يحل محل غيره، ويصبح بديلاً عنه كعلاقة اصطلاحية رمزية تستخدم استخداماً متصاعداً؛ لتمثل مجموعة من الأشياء، أو نوعاً من أنواع العلامات<sup>(9)</sup>، ويعرف الرمز عند الجمالين، ومن ضمنهم الفيلسوف الألماني هيغل (1770-1831م) بأنه أول مراحل الفن المبتكر في الشرق<sup>(10)</sup>، بينما ترى (سوزان لانكر) أن الفن ليس إلا رمز<sup>(11)</sup>، أما الرمز عند يونك فإنه (أفضل صبغة ممكنة للتعبير عن حقيقة مجهولة نسبياً، ولا يمكن أن توضح أكثر من ذلك بأية وسيلة أخرى)<sup>(12)</sup>، ويعرفه معجم (ويبستير)<sup>(13)</sup> بأنه ما يشير إلى شيء آخر بسبب العلاقة، أو الارتباط، أو المشابهة، أي أنه يهدف إلى تمثيل الأشياء وليس نسخها<sup>(14)</sup>، كما ينبغي أن تحمل الرموز في تعبيرها شحنة عاطفية، تخاطب الحس (السيكولوجي) في الذات الإنسانية، (فهي تعمل على إحداث تأثير عاطفي وجداني، واستجابة سريعة بتقريبها الفكرة إلى المتلقي)<sup>(15)</sup> إذ يمكن التعبير من خلال التصميم عن فكرة لها تأثيرها الإيجابي في المجتمع، بينما يري مذهب "الجشالت" أن الرمز ما هو إلا الجزء الذي يقوم مقام الكل، فعندما يقوم الجزء بتمثيل الكل يمكن اعتباره رمزاً للكل<sup>(16)</sup>.

أما المعاجم اللغوية فقد عرفت مصطلح الرمز بأنه الإشارة والإيماءة، وجمعه رموز<sup>(17)</sup>، في حين أن الرمزية هي الابتعاد عن التعبير المباشر، والاتجاه نحو مخاطبة الوجدان الإنساني؛

ليصبح للمتذوق نصيب في استكمال علاقته التفاعلية مع العمل التصميمي، فقد تحول الرمز من مجرد إشارة إلى معنى علم ودراسة، وذلك بظهور علم (السيموطيقا)، وهو علم ظهر في بدايات القرن العشرين، واختص بدراسة الرموز والعلامات وما تحمله من دلالات<sup>(18)</sup>.

2- الدلالة: الدلالة لغة: هي لفظ مشتق من مادة (د، ل، ل) والدلالة: اسم مصدر من

(دل) والبال، والدليل: المرشد، والكاشف، وقد (دلُّهُ على الطريق يدلُّه ذلاله ودلاله ودلاله) أي أرشده<sup>(19)</sup>.

والدلالة اصطلاحاً: هي (كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم أو الظن بشيء آخر أو من الظن به الظن بشيء آخر)<sup>(20)</sup>. أما علم الدلالة فهو علم دراسة المعنى<sup>(21)</sup> ويبحث في الدلالة اللغوية، أي العلاقات اللغوية، والمعنى، هو الموضوع الأساسي لهذا العلم، ولا ينكر أحد قيمة المعنى بالنسبة إلى لغة، حتى قال البعض: إنه بدون المعنى لا توجد لغة<sup>(22)</sup>.

### 3- البنية التصميمية

أ- البنية: اصطلاحاً لنشاط ذهني يهدف إلى إدراج الأشياء في نظم مفهومة واضحة

التركيب، وبنية الوظائف محكومة في علائقها، وهي كل مكون من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على الآخر<sup>(23)</sup>.

ب- التصميم: هو عملية تنظيم العناصر التصميمية داخل بنية اللوحة التشكيلية في

رسوم الفن البصري؛ من أجل التعبير عن الأفكار جمالياً ووظيفياً<sup>(24)</sup>.

ج- البنية التصميمية: هي عملية تكوين يغير من خلال الشكل أو الهيئة، وعليه فإن البنية

التصميمية تشكل على وفق زمان، ومكان، وفضاء، مستندة على فكرة معده مسبقاً، وهذا ما يؤكد أن العمل الفني هو عمل منظم من العلاقات البنائية التي تمتلك قدرات تعبيرية وجمالية، تنتظم وفق أنظمة تقترح الفعل التصميمي، وتؤسس بناها الوظيفية والجمالية، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

4- التعريف الإجرائي: هي المنظومة التصميمية التي يسير وفقها مصمم المسكوكات

(النقاش)<sup>(25)</sup>، ضمن قواعد وأسس التصميم؛ لتحقيق الهدفين: الوظيفي، والجمالي.

على الرغم من أن ابن خلدون قد قدم لنا تعريفاً جامعاً للسكة بأنها الختم على الدنانير والدراهم بطابع حديد، يُنقش فيها صور وكلمات مقلوبة، ويضرب بها على الدينار والدرهم، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة صحيحة<sup>(26)</sup>، إلا أن هذا اللفظ يعبر عن معانٍ متعددة تدور كلها حول النقود التي تعاملت بها الشعوب العربية والإسلامية من دنانير ذهبية، ودراهم فضية، وفلوس نحاسية، وقد يقصد بلفظ السكة أحياناً تلك النقوش التي تزين بها هذه النقود على اختلاف أنواعها، وأحياناً أخرى يعني بها قوالب السك التي يُختم بها على العملة المتداولة<sup>(27)</sup>.

إن تصميم النقوش والزخارف على القالب هو أول خطوة من خطوات السك، إذ يعد صب القالب وإنتاجه من الفنون التطبيقية، سواء نفذت النقوش عليه بالصب، أم تم حفرها مباشرة، فقد حظي بعض القوالب بالدراسة، بعد أن احتلت النقوش والكتابات المنفذة على النقود المعدنية مكانتها، لاسيما أن الكتابات والزخارف التي تحتويها أسطح المسكوكات قد تنوعت، وتضمنت نصوصاً وخطوطاً فنية دقيقة عبرت عن تطور العناصر الزخرفية، والخط العربي<sup>(28)</sup>، ومن جهة أخرى كشفت لنا دراسة القوالب ما تتطلبه عملية حفر النقوش والكتابات من مهارة فنية عالية، خاصة وأن الكلمات سوف تكتب بشكل مقلوب في حيز صغير من الصلب<sup>(29)</sup> (لوحة 3، 4، 5، 6، 7، 8).



		
لوحه (8) قالب سك	لوحه (7) قالب سك	لوحه (6) قالب سك

إن وظيفة النقاش أو معد قوالب السك، تعد من أهم الوظائف بكافة دور السك الإسلامية، بل وتتوارث هذه الوظيفة عائلات بعينها، لما ينبغي أن يتوفر فيهم من الأمانة والمهارة، وقد انعكس ذلك على تطور المستوى الفني وتصميم المسكوكات، إذ اعتمدوا في تصميمها العام على الاستدارة، وهو التصميم الأول الذي ظهر منذ عهد عبد الملك بن مروان (65-86هـ/ 604-705م) عندما قام بتعريب السكة<sup>(30)</sup>، كما استخدموا الدوائر في زخرفتها، حيث نجد أن مركز المسكوكة يحتوي على دائرة نقش بداخلها كتابة موزعة على أسطر أفقية، ونقشت كتابات الهامش على شكل دائري حول دائرة المركز، وأحيط بكتابة الهامش على محيط المسكوكة رسم لدائرة عرفت باسم الحرز، وقد سميت بالحرز لأن لها وظيفة قضائية، حيث جعلت هذه الدائرة مقياساً لعقوبة من يقوم بقرض الدرهم أو الدينار، بحيث إذا تجاوزها من يقوم بالقرض حكم عليه بحد السرقة، أما إذا لم يتجاوز الدائرة فلا يقام عليه الحد، لذلك كان يتم التشديد عند عملية سك النقود لإخراجها بصورة متقنة، بحيث لا يوجد فيها مساحة خارج دائرة الحرز فيتمكن أحد من قرضها<sup>(31)</sup>، وهذا يوضح أن عملية سك النقود كانت تخضع لرقابة شديدة، ومقاييس دقيقة، سواء في وضع التصميم العام لها أم أثناء عملية سكها.

عينة الدراسة: لقد تم اختيار عينة الدراسة بشكل قصدي، وتمثلت في خمسة نماذج، مثل كل أنموذج منها فئة من العملة، حيث تم الاختيار وفق الاعتبارات التالية:

أ- تنوع المسكوكات وتسلسل قيمتها.

ب - اختيار المسكوكات الواضحة نسبياً واستبعاد التالفة، سواء من حيث السك، أم كثرة

الاستخدام.

### وصف وتحليل العينات:

1- عمادي: وهو مسكوكة من الفضة، وزنه: 28 جم، أما قطره فيبلغ 40 مم، بينما سمكه 4 مم، إن البنية التصميمية المنفذة على وجه الريال العمادي قد جاءت ذات عناصر شكلية وكتابية، وهو ما أوجد علاقة فنية بين عناصر التصميم، إذ نجد أن وجه المسكوكة قد شغلته مجموعة من المفردات البنائية والنصوص الكتابية بشكل متراكب، أدت إلى إيجاد إيهاً بالحركة والعمق.

لقد اتجه النقاش إلى تنظيم عناصر التكوين الخطي بشكل متراكب لضرورات المساحة المتاحة، وقام بتقسيمها لغرض الموازنة الشكلية في الهيئة العامة، وعلى هذا الأساس فإن عناصر التكوين الخطي قد تم ترتيبها على نحو يجعلها ذات قيمة فنية عميقة، إذ نجد مركز المسكوكة قد توزع عليه نص في أشرطة عرضية قوامها عبارة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ويلاحظ أن النقاش قد عمد إلى تجزئة النص من خلال توزيعه في أشرطة عرضية بما يحقق جماليات فن الخط من تناسق وانسجام وتوازن وتراكب؛ ليمكن من بلوغ الأهداف الجمالية والدلالية<sup>(32)</sup>، إذ تم انتقاء النص المأثور بعناية وقصدية، وليس ذلك فحسب، بل نفذ النص في مركز المسكوكة في إشارة إلى أن لهذه المسكوكة مدلولاً روحياً، كما اعتمد التقسيم المساحي الذي يفرضه التكوين الخطي؛ لما له من أهمية في دلالة النص، فالبنية التصميمية هنا تؤدي وظيفة جمالية إلى جانب وظيفتها الفكرية العقائدية.

أما الهامش فقد نفذ فيه ما نصه: (ضرب بدار الخلافة بصنعاء سنة 1344)، وقد جاءت العبارة قوية في صياغتها فضلاً عن قوة النبوة والانفعال، وليس ذلك فحسب، بل وفي قوة اللفظ وتماسكه، في إشارة رمزية إلى عودة الخلافة ودارها من جديد، وهو الأسلوب الذي كان متبعاً عبر العصور المختلفة، حيث كان العديد من ولاة المسلمين يفضلون تسجيل النصوص التي تربطهم

بالخلافة على مسكوكاتهم، ليضيفوا على حكمهم صفة الشرعية بتمسكهم بالعلاقة الروحية التي تربطهم بالخلافة<sup>(33)</sup>.

لقد وضع البناء العام للتكوين على شكل دائري؛ مما جعل النص يوجي بالدوران حول المركز، وحقق بذلك تطابق الشكل مع المضمون، فضلاً عن الإحساس بالإيقاع والتنوع الشكلي المتحرك، إذ حافظ النقاش على تتابع النص من اليمين إلى اليسار بعد كتابته بخط الثلث، فنشأ عن ذلك تناسب بصري، مما أوجد دلالات البلاغة البصرية، كما أن القصديّة في تنظيم وترتيب الكلمات قد جاء لغرض إيصال المضمون من خلال التوزيع المكاني لها، فقد وظف النقاش رسماً لأغصان نباتية تكتنف اسم العملة الذي نسب في الأساس إلى كنية الإمام يحيى (عمادي) الذي تمظهر عنواناً للمسكوكة، وكتب بأسلوب يتوافق دلالياً مع المضمون، حيث تم تنفيذه في موقع سيادي كنقطة استقطاب بصري (لوحة 9 ، شكل 1).

		<p>الوجه المركز: الله لا اله إلا محمد رسول الله الهامش: عمادي ضرب بدار الخلافة صنعا سنة 1344</p>
<p>شكل (1)</p>	<p>لوحة (9)</p>	

أما ظهر العمادي فقد تشكلت البنية التصميمية فيه من أربعة مستويات، فقد اختار المصمم هذا التكوين لإظهار بنية علائقية باستخدام رموز ذات بعد وظيفي وتعبيري، إذ قام بتقسيم المساحة الدائرية بواسطة ثلاثة أهلة، فمن المعروف أن رمز الهلال وبصحبه نجمة ذات خمسة رؤوس قد ظهر في نقوش النقود التي يرجع سكها إلى سنة (65-86 هـ / 684-705م) في زمن الأمويين كما ظهرت في زمن العباسيين أيضاً<sup>(34)</sup>.

لقد مثل الهلال والنجمة رمزاً من الرموز التي تنسب إلى المسلمين، فهو يرمز إلى النور الذي كان يبدد ظلمات الأرض عند ظهوره، ويشير البعض إلى أن الهلال يرمز إلى (ظهور الإسلام نفسه الذي أخرج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الحق والايمان)<sup>(35)</sup>.

لقد شغل الهلال الأسفل نقش قوامه غصنان نباتيان يمثلان غصنين من شجرة البن وضعا بشكل متدابر، تفصل بينهما نجمة خماسية الرؤوس، وحقق المصمم بهذا النقش أهدافه الوظيفية والتعبيرية، حيث ارتكز على توظيف نقش معبر ودال، فيه من الترميز الشيء الكثير؛ لأن الفكرة ماهي إلا كناية عن الاستمرار في زراعة البن وما يمثله من مردود اقتصادي مهم، إذ يمثل محصول البن واحداً من أشهر المنتجات الزراعية التي تساهم في دخل الدولة<sup>(36)</sup>، وتكمن أهمية هذا المنتج في جودة البن اليمني، لاسيما أن جودته تجعل منه المشروب المفضل لدى الناس في كثير من البلدان، مما أسهم في دخوله ميدان التجارة الدولية<sup>(37)</sup>.

أما سطح الهلال الذي يعلوه فقد شغله نقش كتابي نصه: (أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين) (لوحة 10) وقد جاء هذا النص تأكيداً على الأبعاد التعبيرية في البنية التصميمية للمسكوكة؛ لما له من توطيد العلاقة بين شكل الهلال وما يشغله من نص مكتوب، أي بين الشكل والمضمون؛ لأن الهدف من هذا النص إيصال رسالة إعلامية دون معوقات بصرية، لأنّ إمارة المؤمنين لها أهمية كبيرة في حياة المسلمين، فبالإمارة تستقيم أمور الناس، ويتحقق الأمن والاستقرار في البلد، كما أنّ لأُمير المؤمنين دوراً في متابعة تطبيق شرع الله تعالى وأحكامه، ورعاية مصالح المسلمين، وغير ذلك من المهمّات<sup>(38)</sup>.

بينما نجد أن سطح الهلال الأوسط قد شغله اسم الإمام (يحيى بن محمد حميد الدين) (لوحة 11) ويتضح أن البعد الدلالي في نص المسكوكة قد نتج عن طريق التركيب في مكونات الفضاء من خلال الكلمات المكونة للجمل التي تحمل تلاحمها وتآصرها، فضلاً عن وحدتها الدلالية، وتجسدت في كتابة الحروف بخط الثلث، وهذه الكتابة هي تمظهر لفكرة معنى النص<sup>(39)</sup>.







فقد توج أعلى المسكوكة كلمة (نصره الله)، فالدعاء لولي الأمر من الواجبات، ولذلك حرص العلماء والدعاة على الدعاء للحاكم بالتوفيق والصلاح؛ لأنّ في صلاحه خيراً للناس، وفي ضلاله وغوايته شراً للناس وخسراناً، كما أن الدعاء من أعظم أسباب النصر على الأعداء، والمراد من هذا الذكر تخصيص الدعاء للأمام يحيى بالنصر؛ لأنّ النصر لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى، لأسما أن الإمام يحيى يحيط به اعداؤه من كل جانب<sup>(40)</sup> (لوحة 12، شكل 2).

مما سبق يتضح أنه قد تم الاستفادة من البنية التصميمية المنفذة على ختم الإمام، وكذلك النصوص الماثورة الواردة فيه، في رسم الخارطة البنائية للمسكوكات، وليس ذلك فحسب، بل ونفذ هذا التصميم على البوابة الخشبية الرئيسية لدار السعادة (دار الخلافة) مما يؤكد أن هذا التصميم صار شعاراً معتمداً بشكل رسمي في عهد الإمام يحيى للدولة، حتى وإن لم يفصح عنه (لوحة 13، 14)، فالشعار ما هو إلا علامة (سيموطيقية)، ويكون بمثابة رسالة تحمل مضامين ومعاني، ويعتمد على الإيجاز في نقل الفكرة أو الرسالة الموجهة إلى المتلقي، وهذه الرسالة عبارة عن دالة بصرية تثير المشاهد بمدلولات ومفاهيم تؤثر في إدراكه الحسي والعقلي والوجداني بأسلوبها البنائي، والفني<sup>(41)</sup>، فعند البحث في وثائق الدولة والمعاهدات والاتفاقيات لم نجد شعاراً يحمل اسم (المملكة) وإنما ألفاظاً مثل: حكومة الإمام، دولة اليمن، مملكة اليمن، مما جعلنا نرجح اتخاذه شعاراً للإمام يحيى بن محمد حميد الدين، غير أن النقاش أضاف بعض التضمينات والإشارات على الريال (عمادي) لتعزيز الأبعاد الجمالية والدلالية، التي جاءت بشكل



منسجم ومتناسق ضمن تحقيق إنشائي واضح ومنظم، حسب مبدأ الاتساق<sup>(42)</sup> والجمالية في هذا المجال، فضلاً عن أن استخدام أشكال الأغصان النباتية، قد أدت دوراً في تنظيم حركة العين، وبما يخلق حركة مستمرة غير متقطعة، كما أن وظيفة نظام التوزيع الخطي تجسدت في تحقيق الأداء الأمثل لوظيفة النص الدلالية.

		<p>الظهر المركز: الله نصره يحيى بن محمد حميد الدين أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين الهامش: غصنان نباتيان متناظران تتوسطهما نجمة خماسية</p>
<p>شكل (2)</p>	<p>لوحة (12)</p>	
		
<p>لوحة (14) نقش خشبي على بوابة دار السعادة</p>	<p>لوحة (13) صورة لطبعة الختم</p>	

2- ربع عمادي: وقد سك من الفضة وجاء وزنه (5,6 جم)، بينما بلغ قطره (25,5 مم).



لقد عكست البنية التصميمية لوجه مسكوكة (ربع عمادي) وجود خارطة بنائية ابتكارية عند مقارنتها بالمسكوكات الأخرى، فقد شكل استخدام تقاطع الأقواس التوظيف الأهم في تمثيل بنية التصميم، من خلال تقسيم المساحة الأساس على أربعة مقتطفات مكانية، ومهد هذا الإجراء

لتأسيس أربعة حقول، شغل كل حقل منها كلمة مثل (ربع، عمادي، بصنعاء)، أما الحقل الرابع الذي يقع في الأسفل فقد شغله (ضرب سنة 1344)، واستوعب مركز المسكوكة بشكل مركب عبارة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، حيث قام النقاش بتوزيع لفظ الجلالة في أعلى التراكيب وأسفله؛ ليعطي التصميم نوعاً من التوازن، على الرغم من قدسية اللفظ، وبناء على ذلك فإن كل ما قام به النقاش هو عملية تنظيمية للوحدات في علاقات متبادلة فيما بينها، وفي إخراج متكون يرتبط بشكل أساسي بالهدف التصميمي، من خلال عملية تنسيق العناصر وترتيبها، بناءً على علاقات تنتظم بأسلوب هادف، فالتباين والتوازن والتكرار في البناء التصميمي يعد من طرق التنظيمات الجمالية والوظيفية الهادفة، لأن العمل أو النتاج الفني الخطي يماثل تماماً القصيدة في الشعر، أو اللوحة في الفن التشكيلي<sup>(43)</sup>. (لوحة 15، شكل 3).

		<p>الوجه المركز: الله لا إله إلا محمد رسول الله الهامش: ربع، عمادي، بصنعاء، ضرب سنة 1344</p>
<p>شكل (3)</p>	<p>لوحة (15)</p>	

أما ظهر المسكوكة (ربع عمادي) فنجد أن البنية التصميمية قد تأسست وفق البناء التصميمي الذي ظهر على الريال العمادي، لاسيما من حيث الشكل العام، إلا أن بعض المتغيرات قد حدثت فيه، حيث أضاف النقاش على محيط المسكوكة إطاراً مكوناً من تراص مجموعة من الأهلة الصغيرة، التي جاءت على هيئة سعف النخل، لتضفي على المسكوكة نوعاً من الحركة والإيقاع، كما قسم النص على ثلاثة مستويات متراكبة، إلا أن من الملاحظ اختصار اسم الإمام إلى (يحيى بن محمد) فقط، وحذف كلمة (حميد الدين) بسبب صغر المساحة، ولاعتبارات عدة، منها أن الإمام بات معروفاً للجميع، مما جعل النقاش يتبع هذا النمط من التصميم للخروج من

الرتابة في البنيات التصميمية السابقة، وفي الوقت نفسه الإفصاح عن جماليات الخط العربي، وإبراز مدى قدراته في إنتاج مثل هذه التصميمات، إذ استفاد من خصائص الحروف العربية على المطاوعة، وقام بتوزيعها في تلك المساحات المتباينة بشكل منسجم ومتوازن، ففي هذا النوع من التكوين يركز النقاش على الجانب الجمالي (التزييني) بحيث يكون متوازناً فيما بين الأجزاء (المقاطع والكلمات) بغية إظهار هيئة التكوين الخطي، فالتكوين بمفهومه العام ليس إلا تصميم لبناء العمل الفني يظهره بأبهى صورة جمالية؛ ليؤدي دوره الوظيفي والجمالي على أكمل وجه (لوحة 16، شكل 4).

		<p>الظهر المركز: الله نصره 1322 يحيى بن محمد أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين</p>
<p>شكل (4)</p>	<p>لوحة (16)</p>	

3- عشر من الفضة: يبلغ وزن العشر 1,9 جم، وقطره 24 مم.

إن الشكل العام لوجه مسكوكة (عشر) قد عكس وجود خارطة بنائية مغايرة لما سبقها من تصميم وجه العملات، إذ شغلت وسط المسكوكة دائرة نفذ بداخلها نص كتب بشكل متراكب (إلا إله إلا الله سنة 1345) ولم يتم استكمال النص (محمد رسول الله)، ونفذ في الهامش (ضرب / بصنعاء / عشر) حيث فصل بين الكلمات بنجمتين خماسيتي الرؤوس، وقد اعتمد النقاش كتابة النص بخط الثلث، لتحقيق الوضوح والمقروئية؛ انسجاماً مع غايتها الوظيفية، فضلاً عن تحقيق الانسجام، مما أضفى صفة جمالية على المسكوكة، فقد أظهرت هذه الكتابة مهارة النقاش الخطية من خلال ضبطه ورسمه الحروف، فضلاً عن حفاظه على انتظام الكلمات، مما

أعطى التكوين الخطي بعده النموذجي، فضلاً عن التوازن، من خلال التوزيع المتكافئ للمساحات الخطية على وجه هذه المسكوكة (لوحة 17، شكل 5).

		الوجه المركز: الله لا إله إلا سنة 1345 الهامش: ضرب/ بصنعاء/ عشر
شكل (5)	لوحة (17)	

أما ظهر المسكوكة (عشر) فإن البنية التصميمية له قد تأسست على وفق ما جاء في البنية التصميمية في ظهر المسكوكة (ربع)، لاسيما من حيث الشكل العام ومأثورات النص، إلا أن ضيق المساحة قد دفع النقاش الى استبعاد الإطار المحيط والاكتفاء بإطار الحرز (لوحة 18، شكل 6).

		الظهر نصره الله 1323 يحيى بن محمد أمير المؤمنين المتوكل على الله
شكل (6)	لوحة (18)	

4- نصف عشر: من الفضة/ الوزن 8,5/ القطر 16مم.

على الرغم من أن البنية التصميمية المنفذة على وجه المسكوكة (نصف عشر) قد تأسست على وفق ما جاء في وجه المسكوكة (عشر)، إلا أن النقاش قد قام بمعالجة النص المنفذ في

الهامش، حيث اكتفى بنجمة واحدة ذات خمسة رؤوس لتفصل بين الكلمات، فأظهرت هذه المسكوكة المهارة الخطية من خلال ضبط النقاش لرسم الحروف، فضلاً عن حفاظه على انتظام الكلمات فضلاً عن التوازن الذي اتسمت به الكتابة من خلال التوزيع المتكافئ للمساحات الخطية. (لوحة 19، شكل 7)

		<p>الوجه المركز: الله لا اله إلا 1344 الهامش: ضرب بصنعاء نصف عشر</p>
<p>شكل (7)</p>	<p>لوحة (19)</p>	

أما ظهر المسكوكة (نصف عشر) فإن البنية التصميمية له قد تأسست على وفق ما جاء في البنية التصميمية في ظهر المسكوكة (ربع)، لاسيما من حيث الشكل العام ومأثورات النص، إلا أن ضيق المساحة قد دفع النقاش إلى استبعاد الإطار المحيط والاكتفاء بإطار الحرز. (لوحة 20، شكل 8).

		<p>الظهر: الله نصره 1322 يحيى بن محمد أمير المؤمنين المتوكل على الله</p>
<p>شكل (8)</p>	<p>لوحة (20)</p>	

5- ربع عشر: من النحاس / الوزن 5,8 جم / القطر 30,5 مم.

على الرغم من أن سك النقود النحاسية يساعد في الأساس على مرونة العملية التجارية، وعلى شراء بعض الحاجيات البسيطة، إلا أنها حظيت بالاهتمام نفسه الذي كان لغيرها من الفئات المسكوكة الأخرى<sup>(44)</sup>، حيث نجد أن البنية التصميمية التي نفذت على المسكوكات الفضية قد نفذت أيضاً على وجه المسكوكة (ربع عشر)، إلا أن الكتابة في الهامش قد تبادلت مع أغصان نباتية، إلا في أسفل المسكوكة فقد فصلت بين كلمتيه نجمة خماسية الرؤوس، إن هذا الأسلوب قد أوجد حركة التكرار بالتبادل، فضلاً عن الصعود والتزول المتسلسل لمقروئية النص، كما أن من معالم جمال التناسق في العلاقات، وجود حركة ذهنية واضحة في تكرار دوري منتظم، وهو ما يعرفه خبراء التصميم باسم التنغيم أو الإيقاع (لوحة 21، شكل 9).

		<p>الوجه: المركز: الله لا إله إلا سنة 1344 الهامش: ضرب/ بصنعاء/ ربع * عشر</p>
<p>شكل (9)</p>	<p>لوحة (21)</p>	

أما ظهر مسكوكة (ربع عشر) فإن البنية التصميمية له قد تأسست على وفق ما جاء في البنية التصميمية في ظهر المسكوكة الفضية (ربع) لاسيما من حيث الشكل العام ومأثورات النص، مع أن مساحة ربع العشر أكبر من غيرها. (لوحة 22 شكل 10)

		<p>الظهر: الله نصره 1322 يحيى بن محمد أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين</p>
<p>شكل (10)</p>	<p>لوحة (22)</p>	

#### نتائج البحث:

- بعد دراسة البنية التصميمية لمسكوكات الامام يحيى يتبين لنا ما يأتي:
- لقد حافظت المسكوكات اليمينية على التصميم العام للمسكوكات الإسلامية في تصميمها، وفي النصوص الماثورة التي وردت عليها، وخالفت ما كان منفذاً على المسكوكات العثمانية.
  - أوضحت براعة الأداء الفني للنقاش وبرزت مهارته في تنفيذ الخطوط وفق إخراجها التصميمي.
  - تعدد مظهر الخارطة البنائية للمسكوكة والتقسيم المساحي لها، مما أكسبها تنوعاً في تنظيمها الشكلي، وقد كان لتوظيف رموز كغصن من شجر البن الأثر الفاعل في شد انتباه المتلقي.
  - ثبات النص الماثور المنفذ على ظهر المسكوكات مما يرجح أنه كان شعاراً غير معلن للدولة، كما مثل النص مظهراً لأبعاد دلالية ورمزية وجمالية.
  - صبغ مضمون النصوص بالجانب الروحي (ديني عقائدي).

#### الهوامش والإحالات:

- (1) فيكتور مورجان، تاريخ النقود، ترجمة نور الدين خليل، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1993م، ص39.

- (2) الاب انستاس الكرمل، رسائل في النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، مكتبة الثقافة الدينية، ط 2، القاهرة 1987م، ص. 147-154.
- (3) عاطف منصور محمد رمضان، النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2008م، ص 394-403.
- (4) ولاء خضير طه، البنية التصميمية للزخارف النباتية في مزار الإمام القاسم (ع)، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 50، لسنة 2018م، ص189.
- (5) ينظر: سيد مصطفى سالم، تكوين اليمن الحديث: اليمن والإمام يحيى، ط4، القاهرة 1993م، ص185-186. وكذلك، فؤاد عبد الوهاب علي الشامي، علاقة العثمانيين بالإمام يحيى في ولاية اليمن، (1322-1337هـ / 1904-1918م)، ص364.
- (6) فؤاد عبد الغني محمد الشميري، تاريخ اليمن سياسياً وإعلامياً من خلال النقود العربية الإسلامية، للفترة ما بين القرنين (الثالث والتاسع الهجريين / 9-15م)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004م، ص 14.
- (7) البنك المركزي اليمني، النقود في اليمن عبر العصور، ط2، مطابع المتنوعة، 2008م، ص214.
- (8) البُقْشَةُ هي وحدة نقدية مسكوكة من البرونز، كانت تستخدم جزءاً من الريال العمادي، بحيث تساوي (40) بقشة ريالاً واحداً ريال، وقد اشتق اسمها من اللفظة التركية (بوغجة)، بمعنى الخنق وهي قطعة من القماش تلف بها الأغراض. ينظر: صبان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م، ص63.
- (9) يوسف خياط، معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، المطبعة العربية، 1974م، ص289.
- (10) هيغل، الفن الرمزي، ترجمة جورج الطرايبيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1987م، ص11، وكذلك: ديوي، جون، الفن خبرة، ترجمة إبراهيم زكريا، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963م، ص255.
- (11) راضي حكيم، فلسفة الفن عند سوزان لانكر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م، ص 10.
- (12) برنارد مايزر، الفنون التشكيلية وكيف نتذوقها، القاهرة، 1966م، ص 7، 23.
- (13) قاموس ويبستر: صدر من قبل نوح ويبستر عام (1828م)، وهو مؤلف أمريكي سبق غيره في تقديم التهجئة الأمريكية وأدخل الكلمات الجديدة في العلوم والفنون.
- (14) Webster's Dictionary of English Usage Merriam-Webster, Publishers Springfield, Massachusetts (1989), p300.



- (15) رغد منذر، دلالات الرموز في الملصق السياسي في العراق، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، 2002م، ص 80.
- (16) محمد حسن حسن، الأسس التاريخية للفن التشكيلي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة 1979م، ص 113، 120.
- (17) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4، تحقيق أحمد عبد الغفار عطار، دار الملايين، ط 3، بيروت، 1984م، ص 1998.
- (18) جميل حمداوي، الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، مؤسسة المثقف العربي، ط 1، سدني، أستراليا، 2015م، ص 26-30.
- (19) ابن منظور، لسان العرب، ج 11، دار صادر، بيروت، (بدون تاريخ)، ص 249.
- (20) علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، 1985م، ص 72.
- (21) جون لاينز، علم الدلالة، ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرين، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 1980م، ص 5.
- (22) أحمد مختار العمر، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط 1، الكويت، 1982م، ص 5.
- (23) صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشئون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1987م، ص 23.
- (24) محمد علي علوان، عباس جاسم الربيعي، جماليات البنى التصميمية في الفن البصري، مجلة الأكاديمي، العدد 59، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، 2011م، ص 107.
- (25) النقاش: مصطلح اتسع مدلوله خلال العصر الإسلامي فقد أطلق على الملون والمصور والمزخرف بالألوان سواء على الورق أو على القماش أيضا، كما أطلق مصطلح النقاش على من يقوم بالحفر في العديد من المواد الصلبة مثل الحجر والخشب والمعدن. ينظر: هدى محمد السيد عبد الفتاح، معجم مصطلحات الحرف والفنون في كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعي (ت 789هـ) بلنسية للنشر والتوزيع، ط 1، المنوفية، 2008م، ص 130.
- (26) ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، دار الفكر، (بدون مكان وتاريخ الطبع) ص 261.
- (27) احسان العر، الكتابة في النقود المعدنية بين الناحية الوظيفية والجمالية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد الثلاثون، العدد الثاني، 2014م، ص 179.
- (28) ناهض عبد الرزاق دفتر، المسكوكات، جامعة بغداد، كلية الآداب، (بدون تاريخ)، ص 66-67.
- (29) نايف بن عبد الله الشرعان، التعدين وسك النقود في الحجاز ونجد وتهامة في العصرين الأموي والعباسي، ط 1، الرياض، 2007م، ص 139.
- (30) عبد الجبار محسن السامرائي، حركة التعريب في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان (65-68 هـ/ 684-705م)، مجلة سامراء، المجلد 3، العدد 8، السنة الثالثة، كانون الأول، 2007م، ص 69. وكذلك:

- لطوف، نوري عزاوي حمود، تعريب النقود في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، المجلد 17، العدد 1، كانون الثاني، 2010م، ص 202.
- (31) ابي الحسن علي بن يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، المجلد السادس، العدد 1-2، 1958م، ص 136، وكذلك: عاطف منصور محمد رمضان، النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، مكتبة زهاء الشرق، ط1، 2008م، ص 393-401.
- (32) محمود شكر الجبوري، الخط العربي (قيم ومفاهيم) والزخرفة الإسلامية، دار الأمل، أريد الأردن، 1998م، ص 198.
- (33) محمد باقر الحسيني، تطور النقود العربية الإسلامية، ط1، دار الجاحظ، بغداد، 1969م، ص 58.
- (34) فاطمة الزهراء رشوان، الشعار في الفن التشكيلي، عالم الكتب، القاهرة، 2011م، ص 10.
- (35) عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 2000م، ص 318.
- (36) أروى أحمد أحمد عبد الله الخطابي، تجارة البن اليمني ( ق 11-13هـ / 17-19 م) المتحدة للطباعة، صنعاء (بدون تاريخ)، ص 87.
- (37) نفسه، ص 147.
- (38) فاطمة أحمد الجطلابي، الإمارة العامة وأحكامها، مجلة البحوث الاكاديمية، العدد التاسع، (نسخة إلكترونية)، ص 379.
- (39) أبي الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدياء، ط3، دار الغرب الإسلامي، 1986م، ص 19.
- (40) نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز) المجلد الثاني، 1916م، دار الساق، ط2، 2002م، ص 232.
- (41) أمينة رشاد، دراسة لعنصر الشكل ودوره في تصميم الشعار، رسالة ماجستير، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، القاهرة، ص 21.
- (42) يعني الاتساق الكيفية التي يحدث بها التماسك النصي بترابط عناصره، وهو مفهوم دلالي يحيل العلاقات المعنوية القائمة داخل النص.. ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991م، ص 15.
- (43) أدهام محمد حنش، فقه المصطلح الفني في الخط العربي، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 34، العدد 2، عمان، الاردن، 2007م، ص 219.
- (44) محمد باقر الحسيني، تطور النقود العربية الإسلامية، ط1، دار الجاحظ، بغداد، 1969م، ص 61.



## قراءة في جهود داود عبده النحوية التجديدية

عبد السلام محمد حسين الشناظي\*

الملخص:

تتلور فكرة هذا البحث في تتبع جهود عالم اللغة الكبير داود عبده النحوية، بهدف معرفة آرائه التجديدية في بعض القضايا النحوية التي عالجها في دراساته وأبحاثه، وعرض بعض ما قدمه من تصورات ورؤى في تلك القضايا التي اتسمت في مجملها بالأصالة والابتكار، إذ جعلت من القديم معياراً يجب توحيه وإعادة شرحه وتفسيره وفق منهجيات بحثية رائدة في دراسة النحو العربي، فما آراؤه النحوية التجديدية التي دعا إلى اعتمادها؟ وما القضايا النحوية التي عالجها؟

### Reading the Contributions of Dawood Abdu's Grammatical Renewal Efforts

Abdul Salam Mohamed Hussein Alshanadby

#### Abstract:

The idea of this reading crystallizes in tracking efforts The great linguist Dawood Abdo In order to know his innovative ideas in some grammatical issues that he dealt with in his

\* طالب ماجستير- كلية الآداب -قسم اللغة العربية -جامعة الملك سعود- الرياض -المملكة العربية السعودية.

studies and research, and presented some of the old visions and visions in those issues which were characterized in their entirety by originality and innovation, making the old standard to be considered and reinterpreted and interpreted according to leading research methodologies in the study of Arabic grammar , What his innovative grammatical views that he called for adoption, and what grammatical issues he dealt with?

#### توطئة:

كان النحو وما يزال مجال اهتمام كثير من أرباب اللغة العربية، وقد بدأ الاهتمام به منذ عهد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه<sup>(1)</sup>، حين كلف أبا الأسود الدؤلي بخط أوليات هذا العلم، كما تشير بعض كتب أهل اللغة<sup>(2)</sup>؛ ليتوج الاهتمام بظهور علماء سخّروا كل جهودهم في سبيل اللغة العربية جمعًا وتأليفًا وتقعيدًا، ومن أبرزهم: عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر، والخليل بن أحمد، وسيبويه، والكسائي، والفراء، وغيرهم من الطبقات المتوسطة كأبي علي الفارسي، وابن جني، أو المتأخرة كابن مالك، وابن هشام، وابن عقيل، وغيرهم من علماء النحو العربي، وهؤلاء جميعاً كانت جهودهم قيمة أثمرت في تطور كبير في هذا الميدان الواسع من علم العربية.

وعلى الرغم من أن التأليف النحوي مر بفترات من الركود وعدم الاهتمام في مراحل من التاريخ العربي، إلا أنه ما لبث أن عاد لما كان عليه وأكثر، فقد شهد تطوراً ملحوظاً في بداية القرن العشرين؛ نتيجة لتطور العلوم والآداب في عصر النهضة لا سيما في أوروبا وتقارب الأمم؛ نتيجة لظهور عوامل اتصال حديثة أهمها: البعثات العلمية، والاستشراق، والترجمة، ودخول الاستعمار، وظهور ظاهرة الاغتراب وغيرها من العوامل التي جعلت علماء العربية يتأثرون بالطفرة العلمية في مختلف العلوم والفنون فتنهوا إلى أهمية تراثهم وقيمتهم، وهبوا إلى تحقيقه وشرحه، وكان للدراسات اللغوية نصيبها من ذلك الاهتمام.

وقد دفع الاهتمام باللغة العربية كثيرًا من علمائها إلى مراجعة قواعدها في مستوياتها جميعاً، وخاصة مستواها النحوي أو التركيبي، ودليل ذلك ظهور طفرة في التأليف النحوي على مستويات عدة، كان أهمها: التجديد والتحديث، حيث كان التأليف في النحو العربي يهدف إلى محاولة سبر قضاياها الغامضة وتفسيرها.

وقد أقبل العلماء والمفكرون العرب المحدثون على إعادة قراءة ما وصل إليهم من علم النحو العربي، ومحاولة تجديده وتطويره، وقد كان التجديد لديهم يبدأ بإعادة قراءة بعض القضايا النحوية بما يتناسب مع المناهج الحديثة، لاسيما تلك التي أثارت جدلاً وخلافاً واسعين بين القدماء، وقد خرجوا بأفكار ورؤى جريئة شكلت هجوماً عنيفاً على العلماء الذين لم يؤمنوا بالتجديد والتحديث، وعلى الرغم من ذلك أضحت أفكارهم التجديدية معالجات أسهمت في إشعال فتيل الخصومة النحوية من جديد، فقد أقبل عليها كثير من رواد التجديد والتطوير، وكان من بين هؤلاء كوكبة من العلماء العرب في القرن العشرين وبدايات القرن الحالي<sup>(3)</sup>.

ويأتي داود عبده ضمن تلك الكوكبة، فقد أسهم في ميدان الدراسة النحوية بأبحاث ودراسات في جانب اللغة التركيبي معتمداً المنهج التوليدي الذي اشتهر في نهاية العقد الخامس من القرن الماضي على يد عالم اللغة الأمريكي تشومسكي<sup>(4)</sup>، وهو المنهج الذي شكل أساساً لدراسته اللغوية عامة والنحو خاصة، فهو "يعتبر واحداً من أوائل اللسانيين العرب الذين استلهموا مبادئ النظرية التوليدية، تشهد على ذلك دراساته الصوتية على وجه التحديد، وهي دراسات ركزت على تجاوز القصور الذي طبع الاتجاه الوصفي، واعتماد التفسير منهجاً بديلاً، ويعني ذلك ضمناً الانخراط في المنهج التوليدي"<sup>(5)</sup>.

إن المتتبع لآراء داود عبده النحوية يجدها تتسم بالتجديد والتطوير، يؤيد ذلك أن جميع معالجاته ومناقشاته للغة قد سعت إلى تسهيل وتوضيح قواعد اللغة العربية، وجعلها ميسرة؛ ليتسنى للجميع فهمها، فمنهجها في دراستها اتسم بالجمع بين استلهاج القديم وربطه بالحديث،

وهو أمر سيظهر عند عرض آرائه النحوية والقضايا التي عالجها، فهي كفيلة بالتدليل على جهوده في المستوى التركيبي، وقد تميزت في مجملها بمخالفة القدماء، فمعظمها شكل مخالفة صريحة وواضحة للمشهور في كتب النحو، القديمة منها و الحديثة، وهو الأمر الذي يدل على امتلاكه حساً لغوياً ناقداً ومبدعاً، تشهد بذلك طريقة عرضه وتفسيره للقضايا التي ناقشها، وتدعيمه لآرائه بكثير من الأدلة والبراهين المؤيدة، فقد كانت نبراساً في طريق البحث في اللغة وقواعدها، وهذه الأدلة سأعرضها؛ لأن ذلك من شأنه توضيح رأيه في القضية التي ناقشها.

ونظراً إلى صعوبة الإحاطة بجهوده النحوية التجديدية كلها، سأقتصر في هذه القراءة على تتبع بعض آرائه التجديدية في بعض القضايا النحوية؛ فإنها كافية في التدليل على جهده النحوي التجديدي، وخاصة تلك التي توصل فيها إلى مخالفة جمهور النحاة، وهو الأمر الذي سيتضح عند عرض تلك القضايا وطريقته في مناقشتها وإيجاد الحلول المناسبة لها، وسأتبع في ذلك المنهج الوصفي الذي يصف الظاهرة، مستعيناً بالمنهج التاريخي المقارن الذي يوازن بين القديم والحديث، ومدعماً هذه الآراء بما يتوافق مع رؤية بعض علماء النحو العربي، وخاصة المحدثين، وتدعيمها بإشارات بعض القدماء.

### أولاً: قضية التقدير وأنه التفسير الأمثل للتغلب على معوقات التحليل النحوي

يجد المنتبع للدراسات اللغوية الحديثة أن علم اللغة تطور في القرن العشرين تطوراً كبيراً، وقد كان من علامات هذا التطور ظهور مدارس لغوية رائدة<sup>(6)</sup>، كالمدرسة التاريخية، والبنوية، والتوليدية، وقد تبنى كل مدرسة منهجاً خاصاً بها، فمثلاً: البنوية اتبعت الوصف باعتباره أساساً في دراسة اللغة وسر أغوارها، في حين اعتمدت المدرسة التوليدية التقدير أو الافتراض باعتباره المنهج الأمثل في دراسة اللغة فنتجت دراسات تفسيرية تحليلية للغة، وكان داود عبده من أوائل اللسانيين العرب الذين اتبعوا هذا المنهج، وقد ظهر تبنيه للمنهج التوليدي في دراسته للغة العربية بمختلف مستوياتها<sup>(7)</sup>، والمنهج التوليدي هو منهج تفسيري تحليلي يقوم على الافتراض

والتقدير، وقد ظهرت ثمار ذلك في مؤلفاته اللغوية، ومن أهمها: كتابه (أبحاث في اللغة العربية) وكتابه (أبحاث في الكلمة والجملة) وكتابه في علم الصوت (دراسات في علم أصوات العربية)<sup>(8)</sup>.

وقد شكلت كتبه سאלفة الذكر أهمية بالغة في حقل الدراسات اللغوية الحديثة، خاصة في الجانبين الصوتي والتركيبى؛ لأنها أسهمت في ظهور المنهج التوليدي إلى العلن في ميدان الدراسات اللغوية الحديثة في الدراسات العربية، وهو منهج أعاد إلى ميدان الدراسة النحوية الحديثة فكرة القدماء الذين جعلوا من التقدير -حسب رأي داود عبده- أصلاً من أصول النحو العربي، فقد بين أنهم عالجوا كثيراً من قضايا النحو العربي وفقاً له، وإن كان منهجاً مرفوضاً عند علماء اللغة الوصفيين، فقد رفضوا التقدير رفضاً قاطعاً، ورأوا أنه جانب فلسفي في دراسة اللغة، وأشهرهم: إبراهيم أنيس، وإبراهيم مصطفى، وعبدالرحمن أيوب، وكمال بشر، وتمّام حسان، وغيرهم من رواد المنهج الوصفي<sup>(9)</sup>.

فالتقدير -لدى داود عبده- منهج قديم حديث، قديم؛ لأن أغلب تحليلات النحاة كانت نتيجة لاستعانتهم به، وحديث؛ لأن أحدث المدارس اللغوية اتخذته منهجاً لتفسير اللغة وتحليلها؛ لأنه يسهم في إيجاد حلول مناسبة لكثير من مسائلها في جميع مستوياتها، خاصة في قواعدها التركيبية، وقد اعتمده داود عبده معيماً نظرية القدماء في دراستهم للغة العربية، خاصة دراستهم النحوية التي عنوا فيه بالتقدير والتفسير، مشيداً بما قدموه في هذا الجانب، الذي يظهر في معالجتهم لبعض إشكالات اللغة في جانبها التركيبى، مؤيداً أن التقدير -أو ما عرف عندهم بالأصل المقدر الذي يفسر الظواهر اللغوية- التي لا تكتفي بالوصف فقط- لهو من أهم ما توصل إليه العلماء الأوائل في ميدان دراستهم للغة العربية بمختلف مستوياتها، لاسيما المستوى النحوي<sup>(10)</sup>.

إن التقدير باعتباره طريقة نحوية قيمة أسهمت في تحليلات النحاة القدماء؛ لذا يجب أن يكون من المبادئ أو الأصول المهمة في دراسة النحو العربي بحسب رأي داود عبده؛ لأنه يتميز بوضع تصورات من شأنها أن تبين التحليل الحقيقي للغة في جانب قواعدها النحوية، وهو الأمر

الذي اتضح من تمسك داود عبده به والاستعانة به في تفسير كثير من القضايا التي ناقشها، فالمتتبع لأبحاثه ودراساته اللغوية يجد أن مبدأ التقدير من المبادئ التي ارتكز عليها في تفسيراته التي عالج بها قضايا مختلفة في اللغة العربية، ومنها القضايا النحوية، حيث كان لمنهج التقدير أهمية كبيرة في فكره اللغوي عامة والنحوي خاصة، فكيف تشكلت فكرة هذا المنهج لديه؟ ومن أين استمدتها؟ والجواب عن ذلك يتضح من أنه استلهمه من أمرين: الأول من تقديرات القدماء التي استعانوا بها في دراستهم للنحو العربي، والثاني بفعل تأثره بنظرية المدرسة التوليدية التحويلية التي جاء بها تشومسكي فيما عُرف بافتراض بنية عميقة للبنية السطحية الظاهرة عند تحليل اللغة وتقديرها<sup>(11)</sup>.

ولست مبالغاً لو قلت: إن التقدير احتل أهمية كبيرة في فكر داود عبده، فقد نادى في أكثر من بحث بضرورة معالجة معظم قضايا النحو وفقاً له، بل إنه ذهب إلى أن التقدير لا مناص منه في كثير من القضايا النحوية؛ لأن العربية تميل إلى الإيجاز، وذلك يتطلب الحذف والتقدير، مؤكداً أن التقدير في اللغة ليس مرفوضاً من حيث المبدأ، مشيداً بأن كثيراً من تقديرات لغويينا القدماء يحتمها واقع اللغة العربية وتركيبها، فالتقدير المقبول هو التقدير الذي يفسر التراكيب التي خرجت عن أنماط اللغة<sup>(12)</sup>. ويُفهم من ذلك أن التقدير يمكن تقسيمه في اللغة إلى قسمين: تقدير مرفوض، وتقدير مقبول، فالمرفوض هو التقدير الذي يؤتى به لتبرير حركات أو آخر الكلمات التي شذت عن قواعد النحاة، وأما التقدير المقبول فهو الذي يتماشى مع واقع اللغة ويحتمه معنى الجملة، وفي هذا التقسيم يتفق مع إبراهيم مصطفى، فقد قسمه إلى نوعين: الأول يؤتى به لأنه يفهم من السياق فهو يفيد الإيجاز، والثاني لا مسوغ لوجوده، لأنه يأتي لتصحيح الإعراب، ولهذا انتقد تقدير القدماء الذي يأتي من أجل اكتمال نظرية العامل، فيما عرف عندهم بالتقدير الصناعي، وهو ما يراد به تسوية صناعة الإعراب<sup>(13)</sup>.

وبالرغم من إنكار الوصفين لظاهرة التقدير، فإنها تعد ظاهرة بارزة وقديمة في درس اللغة العربية ولا سبيل إلى إنكارها؛ لأن اللغة تستدعي ذلك وخاصة التقدير المقبول، وهو أمر نبه إليه



داود عبده حيث اعتمد عليه في معالجة بعض قضايا النحو التي صعب حلها، وعليه؛ فالتقدير المقبول هو الذي يتطلبه واقع اللغة ويحتمه التركيب والمعنى، أي أنه التقدير الذي ينبغي أن تدرس هذه المسائل وفقاً له.

وإذا كان التقدير اللغوي مهمًا في فكره، فإنه في المقابل منهج غير قويم عند آخرين، وهو الأمر الذي برز عند علماء اللغة العربية الوصفيين، فقد رفضوا فكرة التقدير جملة وتفصيلاً، بل رأوه عيبًا من عيوب منهجية القدماء في دراستهم للغة، بحجة أنه جاء بفعل تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي والفلسفة الأفلاطونية، ومن هؤلاء عبد الرحمن أيوب، فقد قال: "يلعب التقدير دورًا كبيرًا في النحو العربي، لأن النحاة كثيرًا ما يلجأون إليه لتصحيح رأي قالوا به، والتقدير ولا شك أمرٌ غير واقعي"<sup>(14)</sup> فالتقدير عنده ليس واقعيًا، بل يجب رفضه باعتباره منهجًا في دراسة اللغة، مستدلًا أنه منهج غير لغوي، منتقدًا نظريته بشدة قائلاً: "ونحن حين نرفض نظرية التقدير نرفضها لعدم واقعيها هذه، فالكلمة التي يلحظها النحوي أو يقدرها ليست بكلمة على الإطلاق؛ لأن الكلمة في حقيقتها مجموعة أصوات الملفوظ لا المملحوظ في الذهن،... وأن السبب الذي من أجله رفضنا نظرية التقدير أن ما دعا النحاة إلى التقدير ليس أمرًا لغويًا لفظيًا بل دلاليًا"<sup>(15)</sup>.

وممن رفض تقديرات النحويين من المحدثين إبراهيم مصطفى، فقد عاب على نحاة العربية إسرافهم في التقديرات النحوية الصناعية، بل رأى أنها منهجية حولت النحو العربي من منهج واضح إلى منهج يشيع بالمنطق والفلسفة، وفي ذلك يقول: "لقد اضطروا في سبيل تسوية مذهبهم وطرد قواعدهم إلى التقدير، وأكثروا منه يبحثون عن العامل في الجملة فلا يجدونه فيمددهم التقدير بما أرادوا"<sup>(16)</sup>.

ويمكن الرد على من أنكر هذه المنهجية بأنهم وقعوا في خطأ التعميم، ولو تنبهوا لشرح داود عبده للتقدير وتقسيمه له، لكان انتقادهم على هذه المنهجية قد تحول إلى ثناء وقبول، فداود عبده أوضح في حديثه عن التقدير أن التقدير نوعان: الأول التقدير المرفوض، وهو الذي يؤدي به من أجل تبرير علامة إعرابية، والثاني التقدير المقبول، وهو الذي يؤدي به من أجل وصف حقيقي

لواقع اللغة، وذلك يُفهم من قوله: "إن التقدير منه ما هو مقبول ومنه ما هو مرفوض، فالمقبول هو الذي يتطلبه التركيب اللغوي ويحتاجه، والمرفوض الذي يأتي لتبرير حركة أواخر الكلمات وهذا غير مقنع"<sup>(17)</sup>.

ومما سبق يتبين أن داود عبده كان متمسكاً بالتقدير النحوي الذي يصب في خدمة اللغة وخدمة مكوناتها الجمالية، أي: التقدير الذي يتوصل إلى معرفة البنية العميقة للوصول إلى فهم البنية السطحية، وهو ما أسماه بـ(التقدير المقبول) فهو التقدير الذي يكون غرضه الأساسي الوصول إلى معرفة خفايا وأسرار التركيب اللغوي، فذلك النوع من التقدير لا بد منه عند معالجة اللغة في مستواها التركيبي، وهو بذلك يتفق مع نحاة العربية القدماء في بعض تقديراتهم، لكنه في المقابل يفرض رفضاً قاطعاً ذلك النوع من التقديرات غير المقبول، وهي التقديرات التي يكون هدفها الأساسي الانتصار لقاعدة نحوية ليست صائبة، أو تبرير حركة إعرابية وجدت في غير ما يجب أن تكون عليه<sup>(18)</sup>، فوجود هذه التقديرات أمر غير مقبول؛ بل إن ذلك النوع من التقدير الذي يؤتى به لتبرير الحركات الإعرابية ليس سوى ترفٍ نحوي لا طائل من ورائه سوى التعقيد للمسائل النحوية<sup>(19)</sup>؛ لأنها في حقيقتها تقديرات تهدف إلى غايات غير مقنعة ولا مفيدة في دراسة اللغة.

ومهما يكن من أمر، فمن يتتبع قضايا النحو التي وقف عندها داود عبده وناقشها يجد أن منح التقدير سمة فيها، فقد جعله نبراساً يهتدي به من أجل الوصول إلى حلها، وكان في تقديراته يحاول ربطها بتقديرات القدماء<sup>(20)</sup>، ويظهر ذلك جلياً في أنه ذكر "أن التفسير اللغوي (التفسير لا الوصف) لكثير من التراكمات اللغوية، سواءً على مستوى الكلمة أم الجملة يتطلب التقدير، ففي جملة مثل: (جاء الذي زارنا أمس) لا بد من تقدير كلمة (الشخص)، فالأصل هو (جاء الشخص الذي زارنا أمس)؛ لأن الذي ليست سوى أداة<sup>(21)</sup> تعريف"<sup>(22)</sup>. وكلامه السابق يبين بجلاء أهمية التقدير في تناول وتفسير القضايا النحوية، على العكس تماماً من رؤية علماء اللغة الوصفيين الذين رفضوا فكرة التقدير وانتقدوا طريقة القدماء في تفسيرهم للقضايا النحوية وفقاً له<sup>(23)</sup>. بل

إنه شكل منهجاً متبعاً في إعادة تحليلات كثير من آراء علماء العربية المحدثين، وخاصة الوصفيين؛ لأنهم رفضوا منهجية التقدير ورأوا أنها وراء الخلل الحاصل في قواعد النحو العربي.

قضايا نحوية تدل على أهمية التقدير وأنه من أصول علم النحو العربي:

لم يكتفِ داود عبده ببيان أهمية التقدير في ثقافة القدماء النحوية، بل ذهب إلى أنه كان يشكل منهجاً أصيلاً لديهم، فقد كانوا يلجأون إليه في تفسير كثير من القضايا التي شذت عن قواعدهم المطردة، والدليل على ذلك أنهم استعانوا في تفسيرها وتحليلها به، فليس التقدير سوى صورة من صور المنهج التفسيري لديهم، وهو الأمر الذي يؤيده الكثير من الأدلة التي بدورها تكشف أنه كان أصلاً من أصول النحو العربي، بل لا يخلو باب من أبواب النحو إلا وله ارتباط به، ومن تلك الأدلة الحاجة إليه في القضايا النحوية الآتية:

- أهمية التقدير في فاعل فعل الأمر، فالتقدير هو المفسر في تركيب فعل الأمر، وإن كان بعض علماء اللغة المحدثين قد ذهبوا إلى عدم أهميته كما صنع إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي؛ لأنهما رأيا عدم الحاجة في تقدير الفاعل إلى تركيب فعل الأمر<sup>(24)</sup>.
- ما يتطلبه منهج التفسير الذي يقتضي التقدير في نحو (إن الشرطية) مع فعلها المضارع موجباً أو منفيّاً في جملة مثل: (ادرس تنجح، ولا تهمل تنجح)، إذ التقدير: (ادرس، إن تدرس تنجح)، (ولا تهمل، إن لا تهمل تنجح)<sup>(25)</sup>، فهذا التقدير هو ما يسمى في علم اللغة الحديث بافتراض بنية عميقة لبنيتها السطحية.
- إن التركيب اللغوي هو الذي يتطلب وجود الفاعل في بعض الجمل، لا الفكرة الفلسفية التي ذهب إليها عبد الرحمن أيوب<sup>(26)</sup> عند معالجته لنظرية العامل في النحو العربي، فالضرب حدث والفكرة الفلسفية التي تقول باستحالة وجود حدث دون أن يكون له محدث تنطبق على ضرب، فليس هناك ضرب دون وجود ضارب،

ومع ذلك لم يقل النحاة بأن هناك فاعلاً مستتراً في جملة (الضرب موجه)، وكذلك (الحرب حدث)، ولكن لا يتطلب التركيب اللغوي في جملة: (الحرب طويلة) أن يكون لكلمة حرب فاعل، مع أنه ليس هناك حرب دون وجود محاربين<sup>(27)</sup>.

يتضح بعد عرض القضايا النحوية التي استدل بها داود عبده أن التقدير كان ظاهرة بارزة؛ ولذا رأى أنه يمكن عده أصلاً من أصول النحو العربي، بدليل أنه منهج موجود في الدرس النحوي قديماً؛ ولذا فهو المعيار والطريقة المثلى في تفسير كثير من قضايا النحو العربي وتحليلها، ولعل ذلك هو الأمر الذي دفع به إلى اعتماده في مناقشة قضايا النحو والتجديد فيها، والدعوة إلى اتباعه في دراسة مستويات اللغة، وخاصة مستواها التركيبي، ولذلك فقد دعا إلى إعادة النظر في مسائل اللغة وقضاياها الشائكة وفقاً له؛ لأنه منهج يقوم على التفسير والتحليل، فالتقدير وسيلة للوصول إلى حل تلك القضايا والمسائل.

ولكن، وعلى الرغم من دعوته إلى اتباع هذه المنظومة التي تتوافق مع القدماء في معظم تقديراتهم وتحليلاتهم وتفسيراتهم، إلا أنه وجه بعض الانتقادات إلى بعض تلك التفسيرات والتحليلات التي قدمها القدماء في بعض قضايا اللغة؛ لأنها لا تقوم على التقدير المقبول، بل تقوم على تقدير مرفوض غايته تبرير حركة إعرابية أو نحوها، ومن ثم ينبغي ردها وعدم قبولها؛ لأنها لا تتطابق مع واقع اللغة، فقد عاب عليهم بعض التقديرات التي تفتقر إلى سند لغوي، ومنها: تقدير النحاة لخيرٍ محذوف في جملة (إن حراسنا أسداً)، بحجة أنهم لجأوا إليها لتبرير حركة النصب في (أسد)، وتقدير الفاعل في جملة (الرجل ذهب) ضمير مستتر (هو) للحفاظ على قاعدتهم التي تنص على وجوب وقوع الفاعل بعد الفعل، بالرغم من عدم وجود أي مانع لغوي من وقوع الفاعل قبل الفعل<sup>(28)</sup>، ومن ذلك أيضاً تقدير النحاة لفعل محذوف يفسره الفعل الموجود في (زيداً ضربته)، لا لسببٍ سوى نصب زيد (باب الاشتغال)، كما وضعوا قاعدة لا مبرر لها تنص على أن أدوات الشرط والعرض والتحضيض لا يليها إلا الفعل، فقدروا فعلاً آخر في نحو قوله تعالى: {إذا السماء انشقت} فقالوا الأصل: {إذا انشقت السماء انشقت}، كذلك اعتبرهم لكلمة محذوفة هي

(جحره) في نحو (هذا جحر ضبٍ خربٍ)، فالأصل عندهم (هذا جحر ضب خرب جحره)؛ لأن خرب رويت بالجرم مع أنها صفة لاسم مرفوع<sup>(29)</sup>.

وبانتقاده السابق لبعض تقديرات القدماء يكون قد استدرك على نفسه التعميم المخل بهذا الأصل النحوي؛ لأنه بين أن التقدير الذي تحتاجه اللغة وتتطلبه قوانينها التركيبية هو المقصود، لا ذلك التقدير الذي يأتي لتبرير حركة إعرابية من رفع ونصب وخفض ونحوها.

وحقيقة الأمر، فالتقدير أدى دورًا مهمًا وبارزًا في ميدان الدراسات النحوية العربية قديمًا، فقد ظهر دوره في أن نحاة العربية استعانوا به في معظم أبواب النحو، بل كان هو العلاج الناجع لكثير من القضايا النحوية، وخاصة التي كانت تخرج عن قواعد النحو المسنونة، حيث أفادهم في إيجاد مخارج وتحليلات قيمة، وحق لهم ذلك؛ لأنه يدخل ضمن إطار المعنى، والمعنى جانب مهم في فهم اللغة، ولذا جعلوه -كما ذهب داود عبده- أصلًا معتمدًا في دراستهم، ومن ثم فمنهج التقدير الذي يقوم على التحليل والتفسير هو منظومة رائدة استفاد منها داود عبده في حل بعض القضايا النحوية، ولذا اتسم معظم معالجه بالتجديد والتطوير؛ لأنها قامت على هذه المنظومة التي تعتمد على الافتراض والتقدير للوصول إلى التحليلات والتفسيرات الواقعية لتلك القضايا، ولذا كان اعتماده لها يشكل مجالًا تطوريًا وتجديديًا في دراسة النحو العربي.

ثانيًا: الجملة ومفهومها عند داود عبده

الجملة مصطلح نحوي قديم أطلق في البدء على العبارة التي تتركب من مسند ومسند إليه<sup>(30)</sup>، أما مفهومها في اللغة فيعني ضم الشيء المتفرق، جاء في لسان العرب "والجملة واحدة الجمل، والجملة جماعة الشيء، وأجمل الشيء جمعه عن تفرقة.." <sup>(31)</sup>، وقد نسج النحاة من معناها اللغوي المعنى النحوي، لكنهم لم يبينوه بالطريقة المثلى كما يرى البعض<sup>(32)</sup>، وهو الأمر الذي دفع بكثير من الباحثين إلى مراجعته وإعادة صياغته؛ لما له من أهمية في دراسة التركيب، حيث يشكل النواة الأساسية في تكوين اللغة.

وقد حظي مفهوم الجملة حديثاً باهتمام كبير أدى إلى وضع تصور جديد له في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، فحاول بعض علماء اللغة حديثاً إعادة قراءة مفهوم الجملة في النحو العربي؛ إيماناً منهم بأن الجملة في الدراسات النحوية العربية لم تنل نصيبها الوافي من البحث والدراسة<sup>(33)</sup>، وقد كان ذلك بفعل تأثرهم بالدراسات اللغوية الغربية، الذي شكل ميداناً خصباً للباحثين في شؤون اللغة العربية في العصر الحاضر.

وقد شاع بين الباحثين أن مفهوم الجملة في النحو العربي من المفاهيم غير الواضحة، وذلك يتضح عند مقارنته بمفهومها في أوروبا فهو واضح المعالم؛ ولذا رأى كثير من علماء اللغة ضرورة مراجعة مفهومها عند القدماء وتطويره وتحديثه؛ لأنه من المفاهيم المهمة في دراسة التركيب، لدرجة أن بعضهم قال إن مفهوم الجملة والبحث فيه قد أثار جدلاً واسعاً في العصر الحديث؛ لعدة أسباب، منها: عدم وضوحه لدى القدماء، فلا يزال بحاجة إلى توضيح، وإعادة مراجعته، بل إنه بقي مفهومًا يلفه كثير من الغموض بفعل تغير واختلاف المناهج والعلماء، ولذا يجب توضيحه<sup>(34)</sup>.

ولست بصدد الحديث عن اهتمام علماء العربية بمفهوم الجملة فذلك موضوع آخر، وإنما بصدد إيضاح مفهومها عند داود عبده، فما مفهوم الجملة عند داود عبده؟ قبل الإجابة ينبغي التوضيح أن مفهوم الجملة عند داود عبده كان يشكل نقطة انطلاق لعلاج بعض القضايا التي تتصل بمنهجه وفكره النحوي، كقضية البنية العميقة للجملة الفعلية، وقضية الضمائر المتصلة في الفعل واعتبارها علامات للمطابقة، فضلاً عن أن الإحاطة بهذا المفهوم وسبره له قيمة في وضوح صورة الدراسة النحوية ككل، ولذا اهتم بإعادة صياغته بما يتناسب مع منهجه ورؤاه التي دعا إلى تفسير اللغة وفقاً لها.

وهو الأمر الذي ظهر في أن مفهومه للجملة اتسم بالجمع بين مكوناتها في إطار واحد من أجل الوصول إلى المعنى، فالجملة عنده حصيلة تركيب للمفردات وفق قواعد متبعة لا تخرج عنها، لا حصيلة تركيب معاني المفردات فيها، "فليس معنى الجملة مجموع معاني المفردات التي

تتألف منها، بل هو حصيلة تركيب هذه المفردات في تركيب معين حسب قواعد لغوية محددة، فمعنى الجملة نتاج عاملين هما: معاني المفردات التي تتألف منها، والتركيب التي تنتظم فيه هذه المفردات<sup>(35)</sup>. ويتضح من تعريفه للجملة أنه ركز على أهمية مكوناتها، وكيف يتفاعل بعضها مع بعضها الآخر بهدف إنتاج تركيب يحمل معنى وفق قواعد معينة تسير عليها، بل إن اهتمامه ببنية الجملة الظاهرة والخفية تجعل من مفهوم الجملة أكثر وضوحًا، وذلك يعني أن مفهومها يتطلب للوصول إلى المعنى الحقيقي بنيتين: عميقة وسطحية، فمعنى الجملة لا يمكن الوصول بظاهر اللفظ (البنية السطحية)، بل لابد من فهم البنية العميقة؛ وهي رؤية متأثرة بمنهج التوليديين الذين لا يكتفون عند النظر في اللغة بجانبها السطحي، بل يهتمون بجانبها العميق<sup>(36)</sup>.

فالمفردات والبنية الظاهرة لا تكفي في التوصل إلى معنى الجملة؛ لأنها تحتاج إلى فهم البنية العميقة إلى جانب ذلك، وهو أمر فطن إليه داود عبده قائلًا: "إن المفردات والبنية السطحية للجملة، أي: ظاهر اللفظ، ليست كل شيء في تحديد معنى الجملة، فمعنى الجملة يتحدد على مستوى أعمق، فالتركيب الذي يحدد المعنى هو البنية العميقة، وهي تتحول إلى البنية السطحية التي ينطقها المتكلم ويسمعا المستمع نتيجة تطبيق قواعد تسمى القواعد التحويلية، وهي قواعد تحذف بعض عناصر البنية العميقة، أو تنقلها من موقع إلى آخر، أو تضيف إليها عناصر أخرى، وهذه القواعد تختلف في تفصيلاتها من لغة إلى أخرى"<sup>(37)</sup>.

وقوله السابق يبين أن مفهوم الجملة يتطلب لكي يكون واضحًا ومحددًا معرفة المفردات والبنية السطحية والبنية العميقة، مما جعل مفهومه للجملة يتسم بالوضوح، كما جعله يتسم بالدقة التي تظهر في عدم إغفاله لأي مكون من مكوناتها، وهو الأمر الذي سيتضح بصورة جلية عند مقارنة مفهومه بمفهوم بعض المحدثين للجملة، حيث سيدرك بعض القصور في تعريفاتهم، كالاقتصار على جانب واحد من مكوناتها، أو الميل إلى الغموض الذي ينتج بفعل التعميم، أو تغليبهم للجانب اللفظي منها على المعنى.

فمثلاً، ركز مهدي المخزومي في تعريفه للجملة على بيان أنها ألفاظ تؤدي معنى، دون الاهتمام بأهمية قواعد التركيب فيها، وذلك يتضح من تعريفه لها بأنها "الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أي لغة من اللغات...، وهي الوحدة الكلامية الصغرى، وهي التي يفيد السامع منها معنى مستقلاً بنفسه"<sup>(38)</sup>، وهو تعريف ركز على الجانب اللفظي من الجملة الذي ينتج عن تركيب الأصوات ونطقها، ولم يلتفت إلى الجانب المهم من مفهوم الجملة، وهو الجانب التركيبي الذي يتضح من ضم المفردات بعضها إلى بعض وفق قواعد معينة، وعلاقة ذلك بالمعنى الذي تؤديه الجملة.

أما محمد حماسة فمفهوم الجملة عنده يفتقر إلى الدقة والوضوح؛ لأن الجملة عنده لا تخرج عن كونها نسيجاً متشابكاً ذا علاقات محكمة يحتاج إلى تحليل أجزائه من أجل فهم بنائه، وهي خلية حية من جسم اللغة المدروسة تكمن فيها خصائصها، والجملة هي وحدة الكلام الصغرى وتنقسم إلى بسيطة ومركبة، وهي الحد الأدنى من اللفظ المفيد، والجملة البسيطة نموذج للبنية الأساسية التي تتولد عنها أشكال نحوية متعددة في كل من نوعي الجملة الأصليين<sup>(39)</sup>. وبالرغم من أن تعريفه أجمع وأشمل من تعريف مهدي المخزومي، إلا أنه لم يتطرق إلى الجانب المعنوي للجملة، وهو الأساس الذي من أجله وجدت الجملة في اللغة، فضلاً عن إلى خلل التعميم الذي برز في تعريفه للجملة.

أما خليل عمارة فقد نهج في تعريفها نهجاً مختلفاً، حيث عرفها بأنها "الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه، ونسبها الجملة التوليدية أو المنتجة، بشرط أن تسير على نمط من أنماط البناء الجملي في اللغة العربية"<sup>(40)</sup>، ويتضح من تعريفه السابق أنه لم يهتم بالبنية العميقة في تحديد الجملة والوصول إلى معناها الحقيقي، ولكنه في المقابل لم يغفل الجانب اللفظي (المفردات)، والتركيبي (البناء الجملي) منها، فقد ركز على الجانبين اللفظي والتركيبي؛ لأنهما يتفاعلان من أجل إيجاد المعنى الذي يحسن السكوت عليه، وبالرغم من أن



مفهومه لها يكاد يقترب من مفهوم داود عبده في بعض جوانبه، إلا أنه يؤخذ عليه عدم اهتمامه بالبنية العميقة، وهو أمر مهم وضروري لمعرفة معناها الحقيقي.

ويتبين بعد عرض مفهوم الجملة عند المخزومي وحماسة وعمامرة أن مفهوم داود عبده للجملة -حسب رأيي- يعد المفهوم الأوضح للجملة والأقرب؛ لأنه شمل الجمع بين المستوى اللفظي والتركيبى الذي ينتج المعنى عن طريق بنيتها الخفية (العميقة)، وأن مفهومه للجملة يتوافق مع مفهوماها في أوروبا، لأنه اشترط في مفهوماها معرفة البنية العميقة لها، ولعل ما يؤكد ذلك أن مفهومه يتطابق تمام المطابقة مع مفهوم الجملة عند نعوم تشومسكي، فمفهوم الجملة عنده يجب أن يتصل بجانبين فيها، هما: البنية العميقة، و البنية السطحية، والعلاقة بينهما التي تحصل من تحويل الجملة من بنيتها العميقة إلى البنية السطحية وفق قواعد تحويلية كالحذف والتعويض والاستبدال والتقديم والتأخير والزيادة وإعادة الترتيب<sup>(41)</sup>، وهذا هو مفهوماها لدى النحو التحويلي<sup>(42)</sup>.

مما سبق يتضح أن مفهوم داود عبده للجملة يكاد يتفق مع مفهوم تشومسكي، حيث إنه يقترب كثيراً منه؛ لأنه نادى بأن يكون مفهوم الجملة من ضمن اهتمامات الباحثين الجديدة، وأن تكون إعادة صياغة أو بناء الجملة من خلال بنيتها السطحية إلى بنيتها العميقة، وذلك الأمر قام به داود عبده، فكان مفهومه لها يتطابق مع ما دعا إليه تشومسكي، وذلك يعني أن مفهومه للجملة كان نتيجة طبيعية لتأثره برؤية الجملة في النحو التوليدي عند تشومسكي، لكنه في المقابل استمد بعض جوانبه من نحاة العربية لا سيما في جانب الاهتمام بما تؤديه من معنى وطريقة الترتيب فيها، وبذلك أصبح مفهومه جديداً ومتطوراً ومتوافقاً مع النحو العربي ومتلائماً مع قواعده التركيبية.

ثالثاً: البنية العميقة للجملة الفعلية العربية عند داود عبده

حظيت الجملة العربية باهتمامات علم اللغة مؤخرًا، وكان من نتاج ذلك الاهتمام إعادة تقسيم الجملة وفق منهجيات متعددة، فنأدى بعض علماء اللغة العربية المحدثين بعدم اعتماد تقسيم الجملة العربية الثنائي؛ لأنه يعد تقسيمًا ضيقًا، ولذا يجب إعادة تقسيمها وفق مستويات أخرى<sup>(43)</sup> كالنظر في تقسيمها على مستوى ركنيها: الاسمي والفعل. وقد كان ذلك التقسيم الجديد للجملة كما يرى البعض معتمدًا في الأساس على إعادة تقسيم الكلمة نفسها، وعدم تعميم شرط الإسناد الذي سار عليه نحاة العربية القدماء، وحدا بهم ذلك إلى أن يستبدلوا به التقسيم الذي يعنى بالرتبة<sup>(44)</sup>، وكل ذلك أدى إلى أن يكون موضوع الرتبة النحوية في تقسيم الجملة من أهم الموضوعات النحوية التي ظهرت في الدراسات اللغوية المعاصرة، وكان لعلماء اللغة الوصفيين والتوليديين الصدارة في معالجة قضية الرتبة، فكان من ثمار ذلك لديهم محاولة تطبيقها على اللغة العربية، وقد شجعهم على ذلك منحي إعادة النظر في تصنيف الجملة بما يتفق مع النظرة الشاملة للجملة في مختلف لغات العالم.

وكان داود عبده من علماء اللغة العربية الذين ساروا على هذه المنهجية في تقسيم الجملة، بل إنه من أوائل اللسانيين الذين تبنوا المنهج التوليدي في دراسته لتراكيب اللغة العربية، وكان من نتاج هذا المنهج دراسته للجملة العربية، وخصوصًا الفعلية والرتبة فيها من حيث ركني الإسناد فيها، فما رأيه في البنية العميقة للجملة الفعلية؟ وما أصل رتبة الجملة الفعلية عنده؟

إن الإجابة عن ذلك تبدأ من أنه ذهب إلى أن الرتبة الحقيقية للجملة الفعلية هي التي تتكون من (فاعل مقدم على الفعل ثم مفعول به)، بمعنى أن البنية الأصلية للجملة الفعلية تبدأ باسم هو الفاعل يليه الفعل يليه المفعول، فالجملة الفعلية تحتوي بنيتها الداخلية على (فاعل + فعل + مفعول)، ورأيه يجعل من الجملة التي تكون مبدوءة باسم بعده فعل جملة فعلية، فمثلاً رأى أن جملة (الرجال قاموا) تعد جملة فعلية وردت على الأصل، فالرجال فاعل وقاموا فعلها والضمير علامة للجمع، وإذا كان ذلك رأيه في البنية العميقة للجملة الفعلية، فإنه قدم كثيرًا من

المبررات التي تؤيده؛ منها: أنه الرأي الصحيح وينبغي الالتزام به؛ إذ العمل بهذه البنية تجعل من الجملة في النحو العربي جملة واحدة هي الجملة الفعلية، وأن الجملة الاسمية في الحقيقة هي بنية سطحية للبنية العميقة لهذه الجملة<sup>(45)</sup>، وفي رأيه السابق مخالفة صريحة لما ساد في الدرس النحوي، إذ أجمع الجمهور على أن الجملة الفعلية هي الجملة المصدرية بفعل<sup>(46)</sup>.

وقد كان تصنيف القدماء للجملة العربية يقوم على أساس وضع المسند في الجملة ونوع الكلمة التي تقوم به، فإذا كان المسند متأخرًا عن المسند إليه فالجملة لا بد أن تكون اسمية أيًا كان نوع المسند، وإذا تقدم المسند وكان فعلًا أسند إلى الفاعل الموجود في الجملة نفسها، فإن الجملة فعلية، ويترتب عليه أن طرفي الإسناد في الجملة الاسمية لهما حرية التوضع في الجملة أو الرتبة إلا لعارض، وأن الترتيب ملتزم في الجملة الفعلية؛ لأن التقديم في الجملة الفعلية يؤدي إلى صور ممنوعة نحو (المحمدان قاما، والطلبات قام)<sup>(47)</sup>، وهذا التحليل هو الذي سار عليه معظم نحاة العربية القدماء، ومنهم صاحب الكتاب سيبويه<sup>(48)</sup>.

وإذا كان داود عبده يرى أن البنية العميقة للجملة الفعلية تتكون من فاعل وفعل ومفعول، فإن علماء العربية قد تنوعت آراؤهم ما بين متابع للقدماء ومجدد لرؤيتهم، فالمتابعون للقدماء منعوا تقديم الفاعل على الفعل وعدوا ما جاء من ذلك مبتدأ وما بعده من فعل في محل رفع خبر ذلك المبتدأ، وهو رأي معظم البصريين إلا المبرد<sup>(49)</sup>، فإنه خالفهم ورأى جواز تقديم الفاعل على الفعل، وأما المجددون فقد بنوا رؤيتهم على ما ذهب إليه الكوفيون<sup>(50)</sup> والمبرد من البصريين، ومنهم داود عبده ومهدي المخزومي، وسأعرض لرأي المخزومي؛ لأنه يتطابق مع ما ذهب إليه داود عبده.

لقد حاول داود عبده برأيه السالف إعادة النظر في تقسيم القدماء للجملة، وما ذهب إليه يعد امتدادًا لرأي مهدي المخزومي الذي ذهب فيه إلى أن الجملة الفعلية هي الجملة التي يكون المسند فيها فعل، سواءً تقدم الفاعل عليه أم تأخر، وأن الفرق بينها وبين الجملة الاسمية أن

الفعلية تدل على التجدد والحدوث بينما الاسمية تدل على الدوام والثبوت، ومعنى ذلك أن جملة (طلع البدر، البرد طلع) جملة فعلية، فالأولى لا خلاف فيها وأما الثانية فهي اسمية عند القدماء وفعلية عندنا؛ لأنه لم يطرأ عليها جديد إلا تقديم المسند إليه، وتقديمه لا يغير من طبيعة الجملة؛ لأنه إنما قدم للاهتمام به<sup>(51)</sup>.

وبالرغم من أن بعض علماء العربية انتقد الكوفيين بحجة أن ما ذهبوا إليه لا يؤيده الاستعمال اللغوي، بدليل أن البصريين<sup>(52)</sup> ناقضوهم بقولهم: إن الفعل وفاعله كالكلمة الواحدة، فضلاً عن أن النحاة يقرون أن عجز الكلمة لا يجوز أن يتقدم على صدرها<sup>(53)</sup>، إلا أن ذلك لم يقنع داود عبده والمخزومي، فقد ذهب المخزومي إلى أبعد من ذلك، إذ عاب على القدماء نظرتهم لجملة (البدر طلع) على أنها اسمية، ورأى أنهم بذلك قد صنعوا إشكالات عديدة منها: لجوؤهم إلى التقديرات الفلسفية كتقديرهم للضمير في الفعل، وتقديرهم لفعل لكلمة (البدر) في حالة دخول إذا الشرطية عليها، نحو: (إذا البدر طلع) فهم يقدرون فعلاً محذوفاً هو (إذا طلع البدر طلع...) ورأى أن جملة (البدر طلع) هي الجملة الفعلية (طلع البدر)، ولم يطرأ عليها تغيير سوى تقديم المسند إليه الذي نسميه في الجملة الفعلية فاعلاً<sup>(54)</sup> مبرراً أن عد (البدر طلع) جملة فعلية يغنيننا عن تقدير ضمير، كما أنها تفيده في السماح بدخول أدوات الشرط عليها؛ لأنها جملة فعلية، وهذا نقضي على التأويلات والتخرجات التي ليس من ورائها طائل سوى إخراج النحو العربي عن طبيعته إلى العقلانية المنطقية، وهذا ما يفهم من قوله: "فاعتبار البدر فاعلاً وهو مقدم، يغنيننا عن تقدير ضمير، ويغنيننا عن كل تقدير وتأويل إذا اقترنت الجملة بأداة الشرط، وأنها سياق ملائم للشرط، وهذا نتجنب الوقوع في تأويلات وتقديرات لا فائدة منها"<sup>(55)</sup>.

ويتضح أن ما ذهب إليه المخزومي يتفق مع ما ذهب إليه داود عبده في أن البنية العميقة هي: (فاعل + فعل + مفعول به)، وليس ذلك فحسب، بل إنهما قد اتفقا على نتائج تبني هذا الرأي، حيث توصلنا إلى أن اعتبار الاسم الظاهر هو الفاعل يقضي على تلك التأويلات والتخرجات الفلسفية التي لا تمت إلى اللغة بصلة، بل أشار داود عبده إلى أن اعتماد بنية الجملة الفعلية

العميقة بهذه الصورة من شأنه الإسهام في تسهيل وتوضيح قواعد النحو العربي، كما خلص إلى أن من فوائد اعتماد ذلك أنها ستجنبنا الوقوع في التأويلات والتبريرات الفلسفية التي تخرج اللغة عن طبيعتها الواقعية، كما رأى وجوب اتباع رأيه؛ لأن له من الأدلة ما يثبت صحته وجدواه، فما أدلته التي ساقها لتدعيم رأيه في البنية العميقة للجملية الفعلية؟

أدلة داود عبده في أن البنية العميقة للجملية الفعلية هي: (فاعل+ فعل +مفعول)

من مزايا منهج داود عبده في دراسته للغة اعتماده على إيراد كثير من الأدلة التي من شأنها الاحتجاج للأحكام النحوية التي يستنتجها، وقد استعان بهذه الميزة في تدعيم رأيه في البنية العميقة للجملية الفعلية التي ذهب فيه إلى أن الأصل فيها أنها تتكون من (فاعل+ فعل+ مفعول)، مبيئاً أن من هذه الأدلة ما هو لغوي ومنها ما هو غير لغوي، ويمكن توضيحها كالآتي:

- دليل لغوي ينص على أن الفعل والمفعول مكون جملي واحد، ومعنى ذلك أن المفعول عندما يكون ضميراً متصلًا فإنه يلزم الفعل ولا يفارقه، نحو: (أكرمته)، ويؤدي إلى عدم الحاجة للقاعدة الإلزامية لتغيير الترتيب (فعل - فاعل- مفعول)، ومعادلة الفعل والمفعول للمضاف والمضاف إليه عند استعمال اسم الفاعل بدلاً من الفعل، نحو: (كاتب الصحيفة)، وإمكانية إحلال كلمة واحدة بدلاً من الفعل والمفعول (الرجل رأى حلمًا، الرجل حلم<sup>(56)</sup>).
- دليل وجود أفعال في اللغة العربية لا تستطيع الوصول إلى المفعول إلا بالاستعانة ببعض حروف الجر، فهذه الأفعال التي تتعدى بحرف الجر دليل على أنها مرتبطة بالمفعول لا بالفاعل.
- دليل قاعدة ما يسمى بالأفعال المساعدة، فهي قاعدة اختيارية تنقل الفعل إلى يمين الفاعل نحو: (الرجل وافق على القرار) من جملة (وافق الرجل على القرار).

- دليل تبني التسهيل في تحديد نوعي الجملة، وذلك ينتج عن طريق المساواة بين الجملة الاسمية والفعلية، إذ "إن اعتبار الأصل في الفاعل وقوعه قبل الفعل -بصرف النظر عن الاسم الذي نطلقه عليه- يجعل الجمل العربية نوعًا واحدًا يتألف من مبتدأ وخبر، بدلاً من نوعين: اسمية وفعلية، كما أنه يوحد بين الظواهر المتشابهة، فوجوب وقوع المبتدأ بعد الخبر في مثل: (هناك رجلٌ)، أو (في البيت رجلٌ) لا يختلف -فيما أرى- عن وجوب وقوع الفاعل في مثل: (وصل رجل) بعد الفعل، فالسبب في الحالتين أن الاسم نكرة: (رجل هناك) تتحول إلى هناك رجل، (ورجل في البيت) تتحول إلى (في البيت رجل)، و(رجل وصل) تتحول إلى (وصل رجل)"<sup>(57)</sup>.

وإذا كانت الأدلة السابقة هي الحجج التي استعان بها داود عبده في إثبات صحة رأيه وجدواه، فإنه لم يقتصر عليها، بل رأى أن هناك مبررات أخرى تؤكد افتراض أن البنية العميقة للجملة الفعلية تتكون من (فاعل + فعل + مفعول)، وأن ما قرره النحاة في أن الجملة الفعلية هي التي تبدأ بفعل لم يكن سوى البنية السطحية للبنية العميقة الأصلية، بدليل أن التقدير في الجملة الفعلية يقضي بذلك، ومن هذه المبررات التي تسوغ وجود هذه البنية العميقة في الجملة العربية منها<sup>(58)</sup>: تعدد معاني بعض الجمل، واختلاف معاني بعض التراكيب المتماثلة، واتفاق معاني جمل ذات تراكيب مختلفة، وشروط صحة بعض الجمل، وزيادة المعنى على المبني.

وبعد عرض رأي داود عبده وأدلته يتضح أن ما ذهب إليه يمكن ربطه بجذور تراثية قديمة، لعل أشهرها ما ذهب إليه الكوفيون في أن الفاعل في جملة (زيد جاء) هو زيد سواءً تقدم أم تأخر، ولذا يبقى رأيه مهمًا؛ لأنه استعان فيه بجملة من الأدلة يمكن وصفها بأنها تقوم على أساس متين يعتمد على تعليقات وتفسيرات وتحليلات واقعية لمحتوى اللغة العربية، بدليل أنه خلص في ختام مناقشته لهذه القضية إلى نتيجة دعا فيها إلى اعتماد هذه البنية في الدراسات النحوية قائلاً: "إن الرائج الشائع حول البنية العميقة للجملة التي تحتوي على فعل في العربية،

وهو أنها ( فعل - فاعل - مفعول)، يقوم على أسسٍ غير ثابتة، وأن هناك من الأدلة ما يكفي لترجيح الرأي الآخر القائل إن البنية العميقة هي (فاعل - فعل - مفعول)<sup>(59)</sup>.

ويتضح أن رأيه في البنية العميقة للجملّة الفعلية شكل إعادة لقضية خلافية لم يصل القدماء فيها إلى حل موحد، فقد اختلفوا فيما بينهم، فذهب البصريون إلى عدم جواز تقدم الفاعل على الفعل؛ لأنه لا يجوز تقدم المعمول على العمل، في حين رأى الكوفيون جواز تقدم الفاعل على الفعل واعتمدوا على المعنى، وهو الأمر الذي استعان به داود عبده فحاول أن يأتي برؤية تجديدية لما سنه الكوفيون في ذلك، فجاء رأيه في البنية العميقة مستفيداً من منهج التوليديين في ذلك، ومن إشارات بعض علماء النحو العربي المحدثين لا سما المجددين، فرأيه يوافق ما ذهب إليه المخزومي الذي رأى أن جملة (البدر طلع) فعلية لا اسمية<sup>(60)</sup>.

وحقيقة الأمر أنه تأثر كثيراً بما ذهب إليه الكوفيون، وبما دعت إليه المدرسة التوليدية التي تزعمها تشومسكي، وهو النظر إلى جميع اللغات نظرة واحدة، فقد حاول تعميم كل قواعد اللغة الإنجليزية على بقية اللغات، ومن هنا ينظر إلى رأيه أنه نتيجة لتأثره بما ذهب إليه الكوفيون وبما هو موجود في اللغة الإنجليزية، فكلاهما يتفقان في أن الاسم الظاهر المقدم على الفعل هو الفاعل، ويبدو أنه حاول أن يسن قاعدة الجملة الفعلية في الإنجليزية على الجملة الاسمية التي يكون فيها الخبر جملة فعلية في لغتنا العربية، بالرغم من أن الجملة في الإنجليزية ليست سوى جملة واحدة، فهي مقتصرة على نوع الفعلية، إذ لا يوجد فيها جملة اسمية.

ختاماً، يمكن ضم رأيه في البنية العميقة إلى الآراء التطويرية والتجديدية التي أراد بها إعادة قراءة بعض أفكار القدماء وفق رؤية تستلهم من القديم ما تحتاجه مع ربطه بالحديث؛ بهدف تسهيل وتطوير الدراسات النحوية، بالرغم من أنه يتصف بمخالفة المشهور والسائد؛ لأنه يعد الجملة التي تتصدر باسم بعدها فعل جملة فعلية، إلا أن ما قدمه يعد مقبولاً ولا إشكال في السير عليه، فلا ضير في جعل البنية العميقة للجملّة الفعلية هي (فاعل + فعل + مفعول)؛ لأن

المهم في ذلك ليس تصدر الجملة بفعل أو اسم وإنما المهم أن الفاعل هو من قام بالفعل سواء تقدم أو تأخر، بمعنى أنه اهتم بالمعنى ولم يلتفت إلى الرتبة.

رابعاً: ضمائر الرفع المتصلة في الفعل علامات للمطابقة عند داود عبده

يعد رأي داود عبده في الضمائر المتصلة بالفعل من أهم أطروحاته النحوية التجديدية، وقد أحدث صدى واسعاً في حقل الدراسات النحوية العربية، وينص على أن ضمائر الرفع التي تتصل بالفعل ليست بضمائر تدل على الفاعل، وإنما هي علامات للمطابقة<sup>(61)</sup>، وهو في هذا التصور الجديد لهذه الضمائر يخالف ما قرره القدماء من النحويين<sup>(62)</sup>؛ لأنهم متفقون في أن هذه الضمائر هي مضمرة متصلة تنوب عن الفاعل الظاهر عند حذفه، ويتضح أن نظرة القدماء على العكس تماماً من رأي داود عبده الذي يعدها عمومًا علامات مطابقة سواءً أوجد الاسم الظاهر في الكلام أم لا، ومن ثم فهي لا تدل من قريب ولا من بعيد على الفاعلية، جاء ذلك في بحثه الذي حمل عنوان (الضمائر المتصلة وظاهرة المطابقة)<sup>(63)</sup>.

وقد شغلت قضية الضمائر فكر داود عبده، حيث شكلت قضية محورية في دراسته النحوية، وعند النظر في رأيه السابق أرى أن الجديد الذي جاء به هو تعميمه للحكم في أن هذه الضمائر علامات تفيد المطابقة بين الفعل وفاعله، ومن هنا يمكن وصف ما ذهب إليه بأنه رأي تجديدي في ميدان الدراسة النحوية، إذ لم يجرؤ أحدٌ أن يحكم على هذه الضمائر بأنها في العموم علامات تفيد المطابقة ولا تشكل وظيفة نيابة عن الاسم الظاهر الذي يقوم بدور الفاعل، بدليل أن إمام النحويين كان يعدها علامة للإضمار عن الفاعل وأيضًا علامات للتثنية والجمع في لغة أكلوني البراغيث<sup>(64)</sup>.

وعند عرضه لهذه القضية لم يغفل رأي القدماء فيها، فقد عرض ما ذكره في ذلك، وانتقدهم في اعتبارهم إياها علامات للإضمار، كما أنكر عليهم تقسيمهم لها إلى ضمائر رفع وأخرى نصب، متوصلاً إلى أنه في الحقيقة لا يوجد إلا ضمائر نصب فقط، أما ضمائر الرفع فليست



بضمائر، وإنما هي علامات للمطابقة بين الفعل والفاعل، فما ذهبوا فيه لم يكن صائبًا، واقترح أن يعاد تقسيم القدماء بطرح ضمائر الرفع، والاكتفاء بضمائر النصب، بمعنى أنه يجب تقسيمها إلى قسمين، الأول باعتبارها ضمائر، والثاني باعتبارها علامات للمطابقة، وذلك يعني أنها في رأيه تنقسم إلى قسمين: الأول منها ضمائر يمكن اعتبارها ضمائر حقيقية، وضمائر ليست سوى علامات للمطابقة<sup>(65)</sup>، فتقسيم الضمائر إلى ضمائر رفع ونصب في رأي داود عبده قد أوقع النحويين في خطأ جسيم عند دراستها فوصفوها وصفًا غير صحيح، بل قادهم ذلك الخطأ إلى خطأ آخر في التحليل فأعربوها فاعلاً، ورأى أن هذا الخطأ انتشر ليصل إلى الترجمة فوق معدو هذه البرامج في هذا الخطأ فكانت ترجمتهم خاطئة، ولو أنهم اعتمدوا هذه الضمائر مجرد علامات لما وقعوا في هذا الخطأ<sup>(66)</sup>.

ولتوضيح رأي داود عبده في هذه القضية بصورة أوفى سأعرض بعضًا من آراء القدماء وبعضًا من آراء المحدثين؛ لأن ذلك من شأنه أن يجعلها أكثر وضوحًا، فمثلاً: ذهب سيبويه إلى أن ما اتصل بالفعل من المضمورات تكون بمثابة الفاعل لتلك الجمل، فقد جاء في كتابه: "وجعلوا النون مكسورة كحالها في الاسم، ولم يجعلوها حرف الإعراب إذ كانت متحركة لا تثبت في الجزم ولم يكونوا ليحذفوا الألف؛ لأنها علامة الإضمار والتثنية في قول من قال: أكلوني البراغيث، وبمنزلة التاء في قلتُ وقالتُ، فأثبتوها في الرفع وحذفوها في الجزم كما حذفوا الحركة في الواحد"<sup>(67)</sup>، فكلام سيبويه يبين أن هذه العلامات هي في الحكم العام ضمائر، وأن ما وجد منها من علامات للتثنية والجمع هو من قبيل اللغة، أي لهجة من اللهجات العربية، وهذا نادر ولا يحكم على اللغة بالنادر، بل بالشائع، وهو مذهب أهل البصرة<sup>(68)</sup>.

أما ابن جني فقد تابع سيبويه، إذ يعدها ضمائر تنوب عن الفاعل الظاهر، فعند حديثه عن حرف الواو أشار إلى أنه من الضمائر وعلامة للجمع، فالضمير عندما يكون في محل رفع فاعل فإنه (ينوب عن الفاعل الظاهر)، ويكون علامة للجمع عندما يدل على عدد الفاعلين، وهذا ما

يفهم من قوله: "وتزاد الواو في الفعل علامة للجمع والضمير نحو: (الرجال يقومون ويقعدون).."<sup>(69)</sup>.

أما هذه الضمائر عند علماء العربية المحدثين، فأراؤهم فيها تنوعت ما بين مؤيد لما قاله القدماء، وما بين مجدد لهذه الرؤية، وسأقتصر على عرض آراء بعض المحدثين الذي جددوا في رؤية القدماء، وخاصة الذين يتفقون مع رأي داود عبده فيها، ومنهم إبراهيم السامرائي: حيث وجدت له إشارة تكاد تتوافق مع ما ذهب إليه داود عبده، فقد رأى: "أن تاء التأنيث التي تلحق الفعل لا تختلف كثيرًا عن الواو في قولنا: (الرجال حضروا)، وعن الألف في قولنا: (الولدان حضرا)، وعن النون في قولنا: (النسوة حضرن) فهي إشارات تدل على أن المسند إليه جمع مذكر أو مثنى أو جمع مؤنث، ولا يمكن أن تكون فاعلين للفعل حضر، فالفاعل في كل جملة هو المسند إليه المتقدم"<sup>(70)</sup>. وفيما يتعلق بدخول هذه العلامات على فعل الأمر، فقد ذهب إبراهيم السامرائي إلى القول: "ولا يمكن أن يكون الفاعل ضميرًا مستترًا هو..، وفي قولنا: (اكتبوا واكتبوا واكتبي واكتبن)، لا يمكن أن يكون كل من الألف والواو والنون فاعلاً، وهذه ليست ضمائر، بل هي إشارات تشير إلى أن المخاطب مثنى أو مجموعاً أو مؤنثاً، وهي من غير شك تشبه الألف في (رجلان) والواو في جمع المذكر السالم والياء في المثنى وجمع المذكر السالم، فكما لا يقال أن الواو في (المسلمون) ضمير كذلك لا ينبغي أن يقال أن الواو في (يفعلون) ضمير"<sup>(71)</sup>.

ومن المحدثين تمام حسان، ففي حديثه عن هذه الضمائر بين أنها عبارة عن لواصق في الفعل تفيد الدلالة على الشخص كما تفيد المطابقة وفي ذلك يقول: "ومع الاعتراف الكامل لضمائر الرفع المتصلة بصلاحياتها للدلالة على معاني الضمائر أرى أنها لم تسق هنا لتكون ضمائر مستقلة الدلالة كالضمائر المنفصلة، وإنما سيقت هنا لتكون لواصق ووسائل من وسائل بيان الشخص لينتفع بهذا البيان في تحديد القرائن اللفظية كالمطابقة والربط بعود الضمير، وأظن أن النحاة كانوا يفهمون هذا من طبيعة هذه اللواصق، ولذلك سموا عدم وجودها استتاراً ولم يسموه حذفاً؛ لأن الاستتار على تقدير الوجود والحذف على تقدير عدمه، فهم قالوا: بوجودها

مختلفة لتكون المطابقة والربط بها مكفولين، إذ لابد من ضمان توفير القرائن التي تدل على المعنى، ولو قالوا: بحذفها لكانت هي نفسها في حال الحذف بحاجة إلى قرينة تدل عليها، إذ لا حذف بدون قرينة<sup>(72)</sup>.

يتبين أن قضية ضمائر الرفع المتصلة بالفعل في النحو العربي قد نالت من الاهتمام والبحث والدراسة قديماً وحديثاً الشيء الكبير، وأن ما توصل إليه داود عبده في الحكم عليها بأنها علامات لا تفيد في الكلام سوى المطابقة قد جاء نتيجة لدراسة عميقة لهذه الضمائر اعتمد فيها على كثير من الآراء التي قيلت فيها، وهي رؤية تجديدية بناها على تلك الإشارات والمعالجات التي تناولت الضمائر وما يتعلق بها، ففي تفسيره لها يتضح مدى قدرته على الاستفادة من التراث القديم، بدليل أنه عرض لرؤية القدماء فيها معللاً سبب وقوعهم في عدم التفسير الصحيح لهذه الضمائر، فالذي دفع القدماء إلى الحكم بأنها ضمائر جاء نتيجة لتصوراتهم الخاطئة واختراعهم لأبواب في النحو كان الأخرى بهم عدم الوقوع في مزالق تلك الأحكام، وذلك يؤيده رأي عبد الرحمن أيوب الذي ذهب فيه إلى أن هناك تناقضاً في مفاهيم القدماء النحوية: وأن تناقضهم جاء نتيجة لاعتمادهم على الدلالة في حد تلك المفاهيم، وسيرهم في ذلك وراء فكرة فلسفية قضت بأنه لا يمكن أن يوجد فاعلان لفعل واحد<sup>(73)</sup>، ولعل ذلك هو السبب الذي دفعه إلى مناقشة هذه القضية.

**أدلة داود عبده في أن ضمائر الرفع المتصلة بالفعل علامات مطابقة:**

قدّم داود عبده عدداً من الأدلة أوضح بها أن ما أطلق عليه القدماء ضمائر متصلة تنوب عن الفاعل ليست سوى علامات تفيد المطابقة، مبيّناً أن الخطأ الذي وقع فيه نحاة العربية في هذه المسألة يمكن إيضاحه بأدلة كثيرة، منها:

- ما عرف عند النحويين<sup>(74)</sup> (بلغه أكلوني البراغيث)، هذه اللغة الفصيحة التي وردت في القرآن والحديث والشعر، حيث أعرب النحاة الضمائر المتصلة بالفعل بأنها علامات للجمع والتثنية، وأن الاسم بعدها فاعل<sup>(75)</sup>.

- أما الدليل الثاني فيتضح كما يراه داود عبده بالبحث في السبب وراء هذه الفوضى بين النحاة في تفسيرهم لهذه القضية، مُرجعاً ذلك إلى القاعدة النحوية التي توجب أن يرد الفاعل بعد الفعل، وهذا مبررٌ لغويٌّ ضعيفٌ؛ لأن معظم لغات العالم لا تتخذ مثل هذا الترتيب، والدليل على ذلك ما هو حاصل في اللغة الإنجليزية التي يتقدم الفاعل على الفعل وكذلك الفرنسية، فالفاعل في جملة (الرجل ضرب الولد) هو (الرجل) ولو قيلت بأي لغة كانت، فإن الفاعل هو الرجل؛ لأنه هو الضارب، إلا إذا كان الإعراب لا علاقة له بالمعنى، وعندها يكون لغواً<sup>(76)</sup>.
- الاستناد إلى ما ذكره بعض علماء العربية واعتبارهم الضمائر المتصلة علامات، بدليل ما جاء في كتاب (همع الهوامع) للسيوطي، حيث نقل رأياً للمازني والأخفش، جاء فيه "وقيل الأربعة: النون والألف والواو والياء حروف علامات كتاء التأنيث في قامت لا ضمائر، والفاعل ضمير مستكن في الفعل وعليه المازني، ووافقه الأخفش في الياء، وشبهه المازني أن المضممر لما استكن في (فَعَلَ) و(فَعَلَتْ) استكن في التثنية الجمع، وجيء بالعلامات للفرق كما جيء بالتاء في (فَعَلَتْ) للفرق"<sup>(77)</sup>.
- أن النحاة لم يكونوا ليصروا على أن الفاعل يلي الفعل لو كانت المطابقة بين الفعل والفاعل موجودة دائماً، سواءً أورد الفعل قبل الفاعل أم الفاعل قبل الفعل كما هو الحال في اللهجات العربية المعاصرة، أو كانت المطابقة مفقودة كما في الفعل الماضي في الإنجليزية، لكن وجود هذه المطابقة بشكل جزئي هو الذي جرهم إلى الاستنتاجات الخاطئة التي استنتجوها<sup>(78)</sup>.
- أن ظاهرة المطابقة ليست حصراً على العربية بدليل وجودها في الإسبانية وبشكل جزئي في اللغة الفرنسية، فهي ظاهرة لغوية لا تقتصر على العربية، ولا تسهم في تأدية المعنى، ولذا لا يطرد استعمالها، وعليه فوجود علامات للتأنيث والتثنية والجمع ليس أمراً غريباً وليس هناك ما يدعو إلى تفسيرها على غير حقيقتها، وجدير بالذكر أن مثل هذه العلامات

موجودة في بداية الفعل المضارع ولا يمكن تفسيرها إلا بأنها للمطابقة نحو: (يذهب، تذهب، اذهب، نذهب) فليست أحرف المضارعة إلا مظهرًا من مظاهر المطابقة<sup>(79)</sup>.

- أن النحاة لم يجمعوا على رأي واحد بهذا الشأن؛ لأنّ منهم من اعتبر هذه الضمائر علامات<sup>(80)</sup>، كما أشار إلى ذلك السيوطي عندما نقل رأي الأخفش والمازني، وكما جاء عند ابن مضاء القرطبي في كتابه الرد على النحاة<sup>(81)</sup>، وهذه أدلة كافية من شأنها أن تدل على خطأ ما تصوره القدماء في هذه الضمائر.

- ومن الدلائل على أن هذه السوابق واللواحق في الأفعال ليست سوى علامات للمطابقة أننا نجد مقابلاً لها في الأسماء والصفات، فيقال: (كاتبة) كما يقال: (كتبتُ)، و(كاتبان) كما يقال: (يكتبان) ويقال: (كاتبون) كما يقال (يكتبون) وعليه فألف الاثنيين وواو الجماعة في (كتبا) و(يكتبون) لا تختلف عن ألف الاثنيين وواو الجماعة في أسماء الفاعلين (كاتبان، كاتبون)، فإذا كانت الألف علامة للتثنية في كاتبان والواو علامة للجمع في كاتبون، فلم لا تكون كذلك في يكتبان ويكتبون، وأما النون فإنها تلحقهما جميعاً في الاسم والصفة والفعل<sup>(82)</sup>.

- دليل الإيجاز، فالعربي يميل بطبعه إلى الإيجاز، فعد هذه الضمائر علامات فيه من الإيجاز مالا يوجد في جعلها ضمائر، ومن هذا المنطلق فهناك حالات يجوز فيها حذف الضمير، ومن ثم تقديره يكون سهلاً؛ لأنّ في الفعل من علامات المطابقة ما يدل عليه، فمثلاً: نستطيع أن نحذف (هي) من جملة (هي ذهبت)، و(هم) من جملة (هم ذهبوا): لأنّ في الفعل ما يشير إلى الضمير إذ يصبح حذفه ممكناً<sup>(83)</sup>.

- دليل يظهر في تفسير عبد الرحمن أيوب<sup>(84)</sup> لهذه العلامات، فقد ذهب فيها إلى أن ألف الاثنيين وواو الجماعة ونون النسوة لا تدل على متكلم ومخاطب وغائب فكيف تكون ضمائر؟ لأنّ الضمير كما هو معلوم يدل على ذلك، فلا يصح أن نستعمل (هم) إلا مع الغائب، ولا (أنتم) إلا مع المخاطب، ولكننا نقول: (هم يلعبون) و(أنتم تلعبون)<sup>(85)</sup>.

- اعتبار هذه الضمائر علامات للمطابقة يقضي على فكرة وجود فاعلان لفعل واحد، فداود عبده يعتبر أن الفاعل هو محمد في جملة (محمد حضر) ولا وجود للضمير المستتر كما نقلت كتب النحو القديمة، وفي ذلك يقول: "خلاصة القول ليس من المقبول أن يكون هناك فاعلان في جملة من مثل: (الرجل ذهب): ف(الرجل) كما هو واضح من معنى الجملة هو الفاعل الحقيقي، وهناك فاعل آخر اخترعه النحاة هو (الضمير المستتر)، وأن يكون هناك فاعلان في جملة مثل: (الرجال ذهبوا) أو (هم ذهبوا): ف(الرجال) أو (هم)، كما هو مفهوم من المعنى، والواو ليست إلا مظهرًا من مظاهر المطابقة في العربية"<sup>(86)</sup>.

وبعد عرضه لهذه الأدلة انتهى داود عبده إلى أن رأيه هو الصواب لوجود كل تلك الأدلة، كما رأى أن هناك مسوغًا لحكمه على هذه الضمائر بأنها علامات تفيد المطابقة وليست ضمائر، فما هو المسوغ لهذا الحكم؟ لعل المسوغ لهذا الحكم هو السعي إلى أن تكون قواعد العربية قواعد سهلة وواضحة، وذلك يتطلب أن تتسم بالاطراد في كل قوانينها، فالهم في اللغة هو التواصل، والتواصل دائماً يركز على المعنى والفهم والإفهام، ومعنى هذه الضمائر أقرب إلى كونها إشارات أو علامات لا ضمائر، وفي ظني، فتفسيره لها قد نتج من معناها بدرجة أولى، فعندما نظر إليها من حيث المعنى، وجدها لا تدل إلا على المطابقة، وهو أمر فقه الشمسان، فعند معالجته الإشكال القائم في ضمائر الرفع المتحركة، انتقد القدماء في حديثهم عن الضمائر المستترة وقال إنها من اختراع النحويين، وفي ذلك يقول: " أمّا ضمائر الرفع المتحركة فهي عند غير واحد من المحدثين أحرف للمطابقة وليست بضمائر، فحين تقول: (قلتُ) فالمعنى المفهوم (قلت أنا) فالفاعل (أنا) وأما (تُ) فحرف دال على مطابقة الفعل للفاعل ولك أن تقدم الفاعل للاهتمام به (أنا قلتُ) وهكذا بقية الضمائر، ولأنها علامات مطابقة كان الأصل أن تذكر مع الفاعل الظاهر(جاءوا المعتمرون)، ولك أن تقدمه (المعتمرون جاءوا)، ولك أن تترك المطابقة ما دام الفاعل متأخرًا فيتعين فاعله (جاء المعتمرون)، وهذا التجريد شاع في المستوى<sup>(87)</sup> العربي

الفصح، أمّا لغة عامة الناس فتمسكت بالمطابقة إلى يومنا هذا، وسماها النحويون بلغة أكلوني البراغيث<sup>(88)</sup>.

بل ذهب الشمسان إلى أبعد من ذلك، حين نفى وجود ضمائر مستترة؛ لأنها أمر لا يؤيده الوصف اللغوي، ففي اختراع اختراعه النحويون لمعالجة أحكام افتراضها كجوب تأخر الفاعل عن فعله، وعدهم علامات المطابقة ضمائر، وكذلك لا وجود لضمائر رفع متحركة، وأن ضمائر النصب المنصلة والرفع المنفصلة هي الضمائر، وأن ما يزعم بأنه ضمائر نصب منفصلة فليس كذلك، ففي الضمائر أنفسها اتصلت بغير الفعل لتقدمها عليه لأغراض دلالية وبلاغية<sup>(89)</sup>. ويُفهم من ذلك أن الشمسان تابع داود عبده في أن ضمائر الرفع المتحركة تعد علامات تفيد المطابقة في الفعل وليست في محل رفع فاعلاً كما هو مشهور في قواعد النحويين، بل أنه زاد عليه في نفيه وجود ضمائر الرفع المتحركة.

ويتضح أن رأي داود عبده له ما يبرره بالرغم من وجود بعض التحفظ عليه عند من لا يذهبون مذهب الكوفيين، إلا أنه في المقابل يبقى مهمّاً في مجمله، لأنه كان يهدف إلى تبسيط قواعد النحو العربي، ولعل ذلك هو السر وراء الحكم بأن هذه الضمائر علامات وليست ضمائر، حيث إن المعنى يفرض عدها علامات لا ضمائر، وهو الأمر الذي أشار إليه داود عبده عندما قال: "ليس من المقبول أن يكون هناك فاعلان في جملة الرجل ذهب، فالرجل كما هو واضح من المعنى فاعل الجملة وفاعل آخر ابتدعه النحاة وهو الضمير المستتر، وهذه فوضى، وإن يكون هناك فاعلان في جملة مثل (الرجال ذهبوا) أو (هم ذهبوا) فالفاعل هو الرجال وهم، كما هو مفهوم من المعنى، والواو ليست إلا مظهرًا من مظاهر المطابقة"<sup>(90)</sup>.

وجدير بالذكر أنه أشار إلى أن الفاعل إذا تقدم على فعله عُد عند الكوفيين فاعلاً، حيث قال: "وكون الفاعل مبتدأ أي ابتداءً به الكلام لا ينفي عنه صفة الفاعلية، وهذا رأي الكوفيين"<sup>(91)</sup>. إذن، فعلى الرغم من وجود علماء يخالفونه فيما ذهب إليه، إلا أن رأيه وأدلته يمكن قبولها؛ لأنه

استلهمها من داخل اللغة في إطار تفسير اللغة من داخلها، فما قرره يعد مقنعًا ومقبولًا؛ لأن اللغة العربية تميل إلى الإيجاز وتهتم كثيرًا بالمعنى، فالغرض من اللغة هو التواصل والفهم، بالإضافة إلى أنه اعتمد على منهجية إعادة النظر في قواعدها التي صاغها القدماء ومناقشتها وحلها بما يتناسب وأحدث النظريات اللغوية الحديثة، وبذلك لا يعد خروجًا عن طبيعة اللغة وواقعها، بل إنه يعد من ضمن تفسيراته الرائعة التي يجب الإشادة بها، بدليل أنه أوجد لها من المخارج ما يكفي لاتباع هذه الرؤية، فالمهم هو المعنى.

وهو الأمر الذي ما برح يؤكد، فقد توصل في ختام مناقشته لهذه القضية إلى نتيجة تبلورت في "أن ما سماه بعض النحاة ضميرًا متصلًا وأعربوه فاعلاً ليس إلا مظهرًا من مظاهر المطابقة في اللغة، وأن الفاعل هو الاسم أو الضمير حيث يظهر أحد هذين، كما في (الرجال ذهبوا أو هم ذهبوا) أو (ذهب الرجال)، أو (ذهبوا هم)، أمّا في مثل: (ذهبوا) حيث لا يوجد اسم أو ضمير، فالفاعل ضمير حُذف لوجود ما يدل عليه من مظاهر المطابقة، فهو: (هم) في (ذهبوا) و(هن)، في مثل (ذهبن)، و(هما) في مثل: (ذهبا)، و(هي) في مثل (ذهبت)"<sup>(92)</sup>. ولم يكتفِ بذلك بل رأى أن ما يؤكد رأيه أن ظاهرة المطابقة ظاهرة لغوية موجودة في جميع اللغات ووجود علامات للتأنيث والتثنية أمر ليس غريبًا، وليس هناك ما يدعو لتفسيرها على غير حقيقتها<sup>(93)</sup> كأحرف المضارعة التي تعد من مظاهر المطابقة.

ويتضح أن رأيه قد جاء نتيجة قراءته العميقة للتراث العربي القديم، وكذلك لاستلهامه لكثير من الأفكار اللغوية الحديثة، لا سيما تلك التي تزخر بمبدأ التجديد، وهو الأمر الذي ظهر في تأثره بما ذهب إليه إبراهيم السامرائي من أن جملي (محمد سافر) و(سافر محمد) جملتان فعليتان؛ لأن العبرة بالإسناد، ما دام المسند فعلاً<sup>(94)</sup>، وبما ذكره عبد الرحمن أيوب<sup>(95)</sup>، ولذا يبقى جهده هو الأبرز وتبقى مناقشته هي الأهم، لأنه عرض كل ما يتعلق بجوانب القضية من الآراء القديمة والحديثة، وكان من نتاج ذلك التوصل إلى أن الضمائر ليست سوى علامات تفيد



المطابقة وأن الاسم الظاهر المتقدم هو الفاعل، وإن كان قد ابتدئ به فإن ذلك لا يغير من طبيعة وظيفته النحوية فهو الفاعل، فكون الجملة ابتدأت به لا ينفي عنه صفة الفاعلية<sup>(96)</sup>.

#### الخاتمة:

كانت تلك قراءة موجزة هدفت إلى تتبع جهود داود عبده النحوية التجديدية، وقد كانت تلك الجهود في مجملها قيمة، وقد أسهم بها بهدف تجديد الدراسة النحوية العربية وتطويرها، وهو الأمر الذي تحقق في إعادة قراءة الموروث القديم وربطه بأحدث المدارس اللغوية، ويتضح ذلك في اعتماده على المنهج التوليدي الذي يعد منهجاً حديثاً، ذلك المنهج الذي ظهر في نهاية العقد الخامس من القرن العشرين، وهو منهج قام على الوصف والتفسير، والتقدير الذي يصب في معرفة أسرار القضية أو الظاهرة المدروسة، وتظهر أهميته في كل معالجاته التي فسرها قضايا النحو العربي المختلفة، وقد خلص الباحث إلى أن آراءه في تلك القضايا اتسمت بالآتي:

- شكلت مجالاً تجديدياً وتطويرياً في دراسة النحو العربي، فقد كانت تتسم بالتجديد في الطرح والتناول، ومن ذلك آراؤه في التقدير وفي الجملة والبنية العميقة في الجملة الفعلية.
- عده الضمائر على أنها علامات تفيد المطابقة، يأتي من ضمن آرائه التطويرية والتجديدية، وقد انطلق فيها من فكرة القدماء فيما عرف عندهم بلغة أكلوني البراغيث، ولكنه تميز عنهم في تعميمه لهذا الحكم على كامل اللغة الفصحى، ولم يحصرها في لهجة واحدة كما فعل القدماء، فجاء رأيه في ذلك تجديدياً وتطويرياً لقضية أشكلت على القدماء، فحاول حلها بتعميم رؤيتهم فيما ذهبوا إليه في لغة أكلوني البراغيث التي ليست سوى لهجة لقبيلة عربية.
- في كل القضايا التي ناقشها كان يتخذ من التراث منطلقاً للبدء في مناقشتها من أجل وضع الحلول والمقترحات والخروج والتوصل إلى الحلول المناسبة لها، فقد كان يستلهم

من القديم ما يحتاجه لشرح وتوضيح رأيه وربطه بمناهج البحث الحديثة للغة العربية، وعلى الرغم أنها تبدو جديدة إلا أن لها جذورًا تاريخية، وكان في معظمها يتابع الكوفيين، ولكنه يتميز عنهم بثبوت ذلك الحكم الذي يتوصل إليه ويعممه.

- في كل القضايا التي كان يعالجها تميز بوضعها في صورة أسئلة واستفهامات تحتاج إلى إجابات عنها، وذلك يتضح في أنه كان يستهل عرضها بوضع استفهامات بعدها يجيب عنها بطريقة قيمة يستلهم فيها طريقة عالم اللغة ابن جني، وقد هدف من ذلك تقريب فهم تلك القضايا، وحاول وضع الحلول المناسبة لها؛ إيمانًا منه بأن قواعد العربية بحاجة إلى جهد متواصل في شرحها وتفسيرها، فذلك من شأنه تطوير النحو العربي وتجديده لكي يصل إلى هدف ينشده كثير من علماء النحو، وهو التسهيل والتهيؤ لقواعده.

#### الهوامش والإحالات:

- (1) تجدر الإشارة إلى أن شوقي ضيف خطأ هذا الرأي مبيّنًا أنه خطأ شاع وذاع، وإنما بدأ في الجيل التالي عند أبي إسحاق الحضرمي، كما رأى أن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو المؤسس الحقيقي لمدرسة البصرة النحوية ولعلم النحو العربي بمعناه الدقيق، ينظر: شوقي، ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ط7، ص5.
- (2) من الكتب التي أشارت إلى هذه القصة كتاب الزجاجي (الإيضاح في علل النحو)، ينظر: عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم، الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص89، وقد ذكر شوقي ضيف أن السيرافي والقفطي أشارا إلى ذلك، ينظر: شوقي، ضيف، المدارس النحوية، ص14، 15.
- (3) من أهم علماء الدراسات النحوية التجديدية التي قام بها جوقة من العلماء النابهين في أربعينات وخمسينات القرن المنصرم، وعلى رأسهم إبراهيم مصطفى، وإبراهيم أنيس، وإبراهيم السامرائي، ومهدي المخزومي، وتمام حسان، وعلي أبو المكارم، وغيرهم من العلماء الذين حاولوا إعادة تقييم الموروث النحوي القديم وفق منهجيات بحثية معاصرة كالمناهج الوصفي والتوليدي ونحوه.
- (4) شكل كتاب تشومسكي (البنى التركيبية) الذي صدر 1957م بداية هذه المنهجية في دراسة اللغة، وقد أحدث جدلاً واسعاً في دراسة اللغة بما احتوى عليه من مفاهيم ونظريات جديدة، ينظر: نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة - المجلس الوطني - الكويت، 1978م، ص91-95.

- (5) حافظ إسماعيلي، من قضايا اللغة العربية في اتجاهات البحث اللساني الحديث، الرياض، جامعة الملك سعود، من إصدارات كرسي المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، 1434هـ-2013م، ط1، ص60.
- (6) ينظر: نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص82.
- (7) ينظر: حافظ إسماعيلي، من قضايا اللغة العربية في اتجاهات البحث اللساني الحديث، ص60-61.
- (8) ينظر: داود عبده، ، دراسات في علم أصوات العربية، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 1431هـ/2010م، ط2، ص61-95.
- (9) من هؤلاء عبد الرحمن أيوب، فقد ألف كتابًا انتقد فيه طريقة القدماء في معالجتهم لقضايا النحو، ورأى أنهم تأثروا بمنهجية فلسفية لا تمت إلى اللغة بصلة، ينظر: عبدالرحمن، أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، د.ت، ص53-62.
- (10) ينظر: عبده داود، أبحاث في العربية، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، عام1973م، ص20-25.
- (11) هذه المنهجية ظهرت عند عالمي اللغة الغربيين هاريس وتشومسكي، وهي منهجية اعتمدت على تقدير بنية عميقة؛ لأن البنية السطحية لا تعطي تفسيرًا وافيًا عند دراسة ظواهر اللغة، ينظر: عبده الراجحي، عبده، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979م، ط1، ص112-113.
- (12) داود عبده، أبحاث في اللغة العربية، ص26.
- (13) ينظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة-القاهرة، 2012م، د.ط، ص35.
- (14) عبدالرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، ص52.
- (15) المرجع السابق، ص52.
- (16) إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص34.
- (17) داود عبده، أبحاث في اللغة العربية، ص90.
- (18) ما يميز رؤية داود عبده عن رؤية إبراهيم مصطفى أن داود عبده جعل من التقدير منهجًا متبعًا في معالجاته لمستويات اللغة المختلفة، بينما حصرها مصطفى في التقدير في مواضع المحذوفات من الجمل في التراكيب العربية المختلفة كالتقدير عند حذف المبتدأ والخبر والفعل والفاعل والمفعول، ونحو ذلك. ينظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص34-37.
- (19) ينظر: داود عبده، أبحاث في اللغة العربية، ص26-28.
- (20) ينظر: المرجع السابق، ص24.
- (21) رأى داود عبده أن (الذي) أداة تعريف للجمله. كما (ال) أداة تعريف المفرد، ينظر: داود، عبده، أبحاث في الكلمة والجمله، ص8.
- (22) المرجع السابق، ص88.

- (23) من هؤلاء عبدالرحمن أيوب، ينظر: عبد الرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، ص52.
- (24) ينظر: داود عبده، أبحاث في اللغة العربية، ص26.
- (25) ينظر: المرجع السابق، ص26.
- (26) ينظر: أيوب عبدالرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، ص54.
- (27) ينظر: داود عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص89.
- (28) ينظر: داود عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص90.
- (29) ينظر: المرجع السابق، ص90.
- (30) تجدر الإشارة إلى أن سيبويه هو أول من أطلق هذا المعنى لما عرف فيما بعد بالجملة، فقد جاء في كتابه "هذا باب المسند والمسند إليه، وهما ما لا يغي واحد منهما عن الآخر..."، عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، ج1، ص23.
- (31) ينظر: علي بن مكرم أبو الفضل، ابن منظور، لسان العرب، مادة(جمل).
- (32) ينظر: مهدي المخزومي، النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، 1406هـ/1986م، ط2، ص33،34.
- (33) ينظر: المرجع السابق، ص33،34.
- (34) ينظر: أحمد مجتبى، السيد محمد، الجملة عند النحاة واللغويين القدامى والمحدثين، مجلة جامعة سبها (العلوم الإنسانية) ليبيا، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، 2014م، ص10.
- (35) داود، عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص91.
- (36) رائد التوليدية في الغرب تشومسكي، وقد اعتمد في دراسته للغة على تقدير بنية عميقة إيماناً منه بأن البنية السطحية لا تفيد في دراسة اللغة؛ لأنها لا تقدم تفسيراً وافياً لظواهر اللغة، ينظر: عبده، الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979م، ط1، ص112،113.
- (37) داود عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص91.
- (38) مهدي المخزومي، النحو العربي نقد وتوجيه، ص31-33.
- (39) ينظر: محمد، حماسة عبداللطيف، العلامة الإعرابية بين القديم والحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، د.ط، ص19،20،31،32.
- (40) خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة-جدة، 1984م، ص34.
- (41) ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2006م، ط2، ص105.
- (42) ينظر: أحمد مجتبى السيد محمد، الجملة عند النحاة واللغويين القدامى والمحدثين، ص12.

- (43) من الذين انتقدوا القدماء في تصنيفهم للكلام تمام حسان، فقد انتقدهم في اعتمادهم على الاسمية والفعلية، ودعا إلى تبني نظرية جديدة في ذلك، وإعادة تقسيم الكلام بحسبه. ينظر: تمام، حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1991م ص200-201.
- (44) محمد حماسة، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص29.
- (45) داود عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص103-128.
- (46) يعد الزجاجي من علماء العربية القدماء الذين تبناوا هذا المعنى في تقسيم الجملة في العربية، وفي ذلك يقول: "وأما الجمل فتقسم قسمين: اسمية وفعلية، فالاسمية هي جملة المبتدأ والخبر...، والفعلية هي الجملة التي صدرها فعل"، علي بن مؤمن الأشبيلي، بن عصفور، شرح جمل الزجاجي، تحقيق: فواز الشعار، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 2000م، ج1، ص345.
- (47) محمد حماسة، في بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، د.ط، 2001م، ص38.
- (48) بنية الجملة في العربية عند سيبويه تقوم على المسند والمسند إليه، ويرى أنهما في الجملة الفعلية الفعل والفاعل وهما "ما لا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدءًا، ومثل ذلك: يذهب عبدالله فلا بد للفعل من الاسم..". سيبويه، الكتاب، ج2، ص78.
- (49) يرى المبرد أن الجملة التي تتصدر بفعل نحو محمدٌ قام جملة فعلية، وبذلك يتفق مع الكوفيين على الرغم من أنه بصري المذهب، ينظر: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، ج4، ص128.
- (50) يرى الكوفيون جواز تقديم الفاعل على الفعل ولم يمنعوا ذلك كما منعه البصريون، كما أنهم لم يمنعوا أن يكون الفاعل المقدم مثنى أو جمعًا والفعل خاليًا مما يدل على التثنية والجمع، ينظر: الأزهري خالد، شرح التصريح، ج1، ص271.
- (51) مهدي المخزومي، النحو العربي نقد وتوجيه، ص41-42.
- (52) منع البصريون تقدم الفاعل على فعله؛ لأنه معمول لعامله الفعل، فليس هناك معمول يتقدم على عامله، ينظر: أبو البركات ابن الأنباري، الانصاف في مسائل الخلاف، ج1، ص80.
- (53) ينظر: مهدي المخزومي النحو العربي نقد وتوجيه، ص41.
- (54) مهدي المخزومي، النحو العربي نقد وتوجيه، ص42-43.
- (55) المرجع السابق، ص44.
- (56) ينظر: داود عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص120، 121.
- (57) داود عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص123، 124.
- (58) ينظر: المرجع السابق، ص92-100.
- (59) داود عبده، أبحاث في اللغة العربية، ص124.
- (60) ينظر: مهدي المخزومي، النحو العربي نقد وتوجيه، ص41-42.

- 61) ينظر: داود عبده، أبحاث في اللغة العربية، ص 69.
- 62) تجدر الإشارة إلى أن جمهور النحويين مجمعون على أن الضمائر المتصلة في الفعل تقوم مقام الاسم الظاهر في حالة عدم ذكره، وأما إذا وجد الفاعل في الجملة مع الضمير فقد فسروا ذلك بأنه علامة للتثنية والجمع، وعدوا ذلك من قبيل اللهجة؛ لأن هذه الظاهرة لم ترد إلا في اللهجة التي نسيها اللغويون إلى قبيلة أزد شنوءة اليمنية. ينظر: جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: عبدالحكيم عطية، دار البيروني، ، 1327هـ / 2007م، ط2، ص46.
- 63) ينظر: داود عبده، أبحاث في اللغة العربية، ص 69.
- 64) ينظر: عثمان بن قنبر سيوبه، الكتاب، ج1، ص19.
- 65) ينظر: عبده داود عطية، أبحاث في اللغة العربية، ص 69.
- 66) ينظر: عبده داود عطية، في اللغة والحاسوب، ص 74-75.
- 67) سيوبه، الكتاب، ج1، ص19.
- 68) ينظر: جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ص 46.
- 69) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص 173-274.
- 70) إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1403هـ / 1983م، ط3، ص218.
- 71) المرجع السابق، ص 211.
- 72) حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 156-157.
- 73) ينظر: عبدالرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص 73-74.
- 74) تجدر الإشارة إلى أن أول من أشار إلى هذه اللغة من النحويين القدماء هو سيوبه، فقد جاء في كتابه قوله: "واعلم أن من العرب من يقول: ضريوني قومك، وضرياني أخواك، فشبهوا هذه بالتاء التي يظرونها في قالت، فكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث". عثمان بن قنبر، سيوبه، الكتاب، ج2، ص40.
- 75) ينظر: داود عبده، أبحاث في اللغة العربية، ص 71.
- 76) ينظر: عبده داود، أبحاث في الكلمة والجملة، ص 71.
- 77) جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في علم العربية، تحقيق: عبدالحميد هندراوي، المكتبة التوفيقية-مصر، ج1، ص224.
- 78) ينظر: عبده داود، أبحاث في الكلمة والجملة، ص 18.
- 79) ينظر: المرجع السابق، ص 20-21.
- 80) ينظر: داود عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص 18.

- 81) ينظر: ابن مضاء أبو العباس أحمد القرطبي، الرد على النحاة، تحقيق: شوقي ضيف، دار الفكر العربي- القاهرة، ، 1366هـ/1947م، ط1، ص104.
- 82) ينظر: عبده داود، أبحاث في الكلمة والجمله. ص21.
- 83) ينظر: المرجع السابق، ص19.
- 84) ينظر: أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص73.
- 85) ينظر: عبده داود، أبحاث في الكلمة والجمله. ص22.
- 86) ينظر: نفسه، ص73.
- 87) إبراهيم الشمسان، مسائل نحوية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1436هـ/2015م، ص 115.
- 88) المرجع السابق، ص 116.
- 89) إبراهيم الشمسان، مسائل نحوية، ص 116-117.
- 90) داود عبده، أبحاث في الكلمة والجمله. ص19.
- 91) المرجع السابق، ص19.
- 92) داود عبده، أبحاث في اللغة العربية، ص77.
- 93) ينظر: المرجع السابق. ص75.
- 94) ينظر: إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته، ص204.
- 95) ناقش عبد الرحمن أيوب مسألة الضمائر عند النحويين ورأى أنهم تناقضوا في تفسيرهم لهذه الضمائر، وأن الخروج من ذلك التناقض لا يكون إلا بأحد أمرين هما: الأول أنه ليس هناك مانع من وجود لفظين يدلان على الفاعل في نفس الجمله كما في نحو قامت فاطمة فيمكن أن نقول: (كتبوا الطلاب الدرس)، والأمر الثاني أن لا نعد هذه الزيادات سواء في أول الكلمة أو آخرها من الضمائر، بل هي مجرد زيادات تصريفية للصيغة الفعلية، وعندها تشبه ما يحصل في زيادات التي تدخل على الفعل في اللغة الإنجليزية، ولعل في الأمر الثاني ما يؤيد رؤية داود عبده، ينظر: عبدالرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص75-76.
- 96) داود عبده، أبحاث في اللغة العربية، ص69.



## التشاكل والتخالف في نسق الغزل

### من قصيدة بانة سعاد لكعب بن زهير- دراسة سيمائية

\* أ.م.د.علي حمود السمحي

\*\* معاذ غالب قائد الجحافي

#### الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحليل سيمائية التشاكل والتخالف في نسق الغزل من قصيدة بانة سعاد لكعب بن زهير، وذلك عبر مستويين: المستوى الأفقي: يُتناول فيه كل بيت في النسق، المستوى العمودي: يُتناول فيه النسق بوصفه بنية واحدة. وقد توصل إلى النتائج الآتية:- كان نسق الغزل وسيلة فنية تمثّل للقصيدة بطريقة ضمنية، عبرت عنها رمزية (سعاد) بجمالها الخارجي الزائف، وقبحها الداخلي الذي كشف حقيقة ذلك الزيف، مما جعل نسق الغزل يمثل اعتذاراً ضمناً. تجلّى التشاكل صوتياً في تكرار صوتي (الألف-أصلية، لينة)، و(اللام)، مكوناً دال (أل) الذي يدل على التوجع، وتركيبياً في بني التكرار، والإعادة. وأفصح التخالف صوتياً من خلال هيمنة الأصوات المجهورة عن حجم المعاناة التي يعيشها الشاعر، وتركيبياً في تنوع الأساليب، ما بين خبر، وإنشاء، والتفات من الغيبة إلى الحضور، والعكس.

\* أستاذ النقد الأدبي المشارك، قسم الدراسات العربية، كلية الآداب، جامعة إب، الجمهورية اليمنية.

\*\* طالب دكتوراه -جامعة إب- الجمهورية اليمنية.



## f algazal in the poem of ( Banat Suad ) by Isotopy and different in the system o ka'eb bin Zuhair, - semeutice study

Dr. Ali Hamoud Al -samhi

Moath kaleb Algohavey

### Abstract:

This study aims at analyzing semiotic of isotopy and different in the system of algazal in the poem of ( Banat Suad) , by Ka'eb Bin Zuhair, through two levels , the horizontal level (in which each verse is addressed and analyzed according to consistency), and the vertical level ( in which the consistency is addressed as one structure).

This study has come up with the following findings ;

- The consistency of romanticism was an artist means, that introduces the poem in a connotative way that has been expressed by the symbolism of Suad in terms of her external beauty and inner ugliness that revealed the truth of falsity that made the consistency of romanticism represent implied apology.
- The uniformity has been manifested phonologically through the repetition of the sound (al-alif, asliah and , al-lainah ) and the sound( lam, forming al that denote the sense of aching , in terms of structure of the frequency and repetition.

The contradiction clarified phonologically the the size of suffering that the poet has lived through the domination of the above mentioned sounds , structurally there was variety of styles , proposition and request and turning from using third pronoun to the first pronoun with domination of the proposition style over the other styles.

### توطئة:

اختلف الدارسون في مفهوم التشاكل الاصطلاحي؛ فتعددت الآراء، واختلفت التعاريف كل حسب وجهة نظره، ولعل التعريف الذي يقترحه محمد مفتاح- بوصف التشاكل "تنمية لنواة معنوية سلبياً أو إيجابياً بإركام قسري أو اختياري لعناصر صوتية ومعجمية وتركيبية ومعنوية وتداولية ضماناً لانسجام الرسالة"<sup>(1)</sup> - أقرب تلك التعريفات.

والتشاكل عند الأوروبيين يعد مصطلحاً إجرائياً في تحليل الخطاب الشعري، و"أول من نقل مفهوم التشاكل من ميدان الفيزياء إلى ميدان اللسانيات هو (كريماص)(...). وإذا كان كريماص قد قصره على تشاكل المضمون، فإن (راستي) قد عممه ليشمل التعبير والمضمون معاً، (...) ونفس هذا التوسع تبنته جماعة M..."<sup>(2)</sup>.

أما التخالف فإنه أحد المصطلحات الإجرائية في التحليل السيميائي، ويتداول في النقد العربي، بفعل تعدد الترجمات، بمصطلحات: كالتباين والتناقض والتقابل واللاتشاكل<sup>(3)</sup>.

والتباين- كما ورد في معجم المصطلحات الأدبية- "هو تمايز الأشياء بضعدها، و في الأدب يدل على اشتغال الموقف على حالات متعارضة تؤدي إلى مغايرة..."<sup>(4)</sup>.

وبهذا فإن الدراسات السيميائية تستعمل مفهوم (التخالف والتشاكل) -بوصفهما أداتين إجرائيتين- تسهمان في توليد الدلالة، وانتظام دوالها، ومدى انسجامها، وترابطها، وتلاحم بعضها ببعض، مشكلة نصاً تعبيرياً، يبوح بتلك المعاني المنشودة من خلال العلامات الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية. وكما لا يحصل التشاكل إلا من التخالف؛ فإن التخالف يظهر إلى جانب التشاكل، "فإن التشاكل و(التخالف) لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر"<sup>(5)</sup>، وما تناول كل منهما في مبحث إلا لغرض الدراسة. ولما كانت لامية كعب تتألف من ثلاثة أنساق هي: 1- نسق الغزل، 2- نسق الرحلة، 3- نسق الاعتذار؛ فسيقتصر تحليل سيميائية التشاكل والتخالف على نسق الغزل صوتياً وصرفياً وتركيبياً ودلالياً، عبر مستويين: المستوى الأفقي: يتم فيه ملاحقة التشاكل ودلالته على المستوى الخطي؛ أي البيت، وفي إطار النسق يتم تناول أبياته بيتاً بيتاً- المستوى العمودي: يتم فيه ملاحقة التشاكل في إطار النسق بوصفه بنية واحدة.

## سيمائية التشاكل في نسق الغزل:

يتألف نسق الغزل من (13) بيتاً تمتد من البيت (1) إلى البيت (13).

### التشاكل الأفقي:

بانتُ سعادٌ فقلبي اليوم متبولٌ      متيمٌ إثرها لم يفد مَكبولٌ

يتمثل التشاكل الصوتي في التكرار لبعض الأصوات التي تتوزع بين كلمات البيت، وكذلك في تكرار المقطع الصوتي -سنتناول الصوت الذي تكرر ثلاث مرات فأكثر- وفي هذا البيت يتجلى: في تكرار صوت (الميم - 6)، وهو صوت "شفوي، متوسط، مجهور مرقق"<sup>(6)</sup>، وصوت (الياء - 5)، وهو صوت "غاري، متوسط، مجهور، مرقق"<sup>(7)</sup>، وصوت (اللام - 4)، وهو صوت "لثوي، جانبي، متوسط، مجهور، مرقق"<sup>(8)</sup>، وصوت ( الباء - 4)، وهو صوت "شفوي، انفجاري، مجهور، مرقق"<sup>(9)</sup>، وصوت (الألف - 3)، وهو صوت " وهو من الأصوات المجهورة"<sup>(10)</sup>، وصوت (الواو - 3)، وهو صوت " شفوي متوسط، مجهور، مرقق "،<sup>(11)</sup> "نصف حركة"<sup>(12)</sup>، وصوت (التاء - 3)، وهو صوت " أسناني لثوي، شديد الانفجار، مهموس، مرقق"<sup>(13)</sup>، وهذه الأصوات- عدا صوت (التاء)- تتشاكل في أنها أصوات مجهورة، والجهر يكون فيه الصوت أقوى، وفي هذا دلالة على قوة المعاناة التي يعيشها الشاعر. ومن حيث المقطع بين (متبول= مكبول) (5/5/5/=5/5/5/5)، وهذا يسمى بالتصريع<sup>(14)</sup>.

- صرفياً بين: (متبول= مكبول) (مفعول= مفعول).

- تركيبياً بين: (بانت سعاد = لم يفد) جملة فعلية= جملة فعلية، وبين (متبول = متيم = لم يفد = مكبول)؛ فجميعها أخبار عند من يجيز تعدد الخبر<sup>(15)</sup>، وبين (اليوم = إثر) في كونهما ظرفين، "ومغزى هذا التشاكل التركيبي هو دلالته على التكرار والإلحاح والدوران من حيث الفعل النحوي....."<sup>(16)</sup>، وهذا يعني أن التشاكل التركيبي يفضي إلى وجود الإصرار والرغبة لدى الشاعر للوصول إلى مبتغاه.

- المستوى الدلالي: هو المستوى الذي يُعنى بالكلمات من حيث المعنى وإبراز قيمتها، "فتراص الكلمات ومواقعها ونسجها أو بتعبير أعم "نظمها" له دلالة سيميائية لا تنكر"<sup>(17)</sup>، وهذا يجعلنا نتطرق إلى المستوى الدلالي، إذ يتجلى التشاكل بين: (سعاد = قلبي) = (اسم = اسم)، وبين (قلبي = متبول = متيم = لم يجز = مكبول)، وبين (متيم = لم يجز = مكبول)؛ فهي تدل على (الأسر، والقيد) = (أسير = مقيد) = (السجن)، فهو (سجين)، و(السجن) فيه معاناة وشقاء، وفيه فقدان الحرية والسعادة، والسجين فقد حريته وسعادته، فهو يعاني مرارة الأسر والقيد، ومرارة فقدان الحرية والسعادة.

والشاعر هنا قلبه (متبول، متيم، لم يفد، مكبول)؛ حيث وظف الاستعارة؛ فشبّه قلبه بإنسان وحذف الإنسان وأبقى على شيء من لوازمه، فالأسر والقيد والسجن تكون للإنسان، فهو يقول: إن قلبه (متبول) يعاني شدة الضنى والسقم - الذي يؤدي بالإنسان إلى الهلاك" تبليهم الدهر، أتبلهم: إذ أفناهم"<sup>(18)</sup> - ويعاني مرارة الأسر والقيد (متيم، مكبول) ولم يجد من يفديه أو يخلصه ويفك أسره، فهو (أسير مقيد) = (سجين) = فاقد الحرية، وفقدان الحرية يؤدي إلى فقدان السعادة.

وبهذا كشف التشاكل عن الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر، وحجم المعاناة التي يعاني منها، جراء فقد (سعاد) ظاهرياً؛ فهو يعاني مرارة الحياة، فقد ضاقت عليه الدنيا بما رحبت، وأصبحت عنده كالسجن، وهو فيها كالسجين؛ وتصبح هذه المعاناة في العمق معادلاً للعزلة التي كان يعيشها جراء تهديد الرسول - ﷺ - له، فهو مهدور الدم، تخلى عنه الجميع.

فمن هي سعاد التي أصبح سجيناً بفقدانها؟ وما الذي يريده من شرح حالته؟ وما الذي يهدف إليه من وراء لوحة الغزل؟ هذا ما سنعرفه لاحقاً.

وفي البيت الثاني:

وَمَا سُعَادُ غَدَاةِ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا      إِلَّا أَعْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

يرتبط هذا البيت بما قبله، من خلال العطف، والتكرار (سعاد)، والتأكيد على البعد والفراق بذكر البين والرحيل. ويتجلى التشاكل في هذا البيت صوتياً: في تكرار صوت (اللام - 5)، وهو صوت "لثوي، جانبي، متوسط، مجهور، مرقق" (19)، صوت (الألف - 4)، وهو صوت "وهو من الأصوات الصائتة، صوت (الواو - 3)، وهذه الأصوات تتشاكل في كونها مجهورة. ومن حيث المقطع الصوتي يكمن التشاكل بين: (وما = إلا) (5// = 5//)، (سعاد = غداة) (/5// = /5//).

- تركيبياً بين: (ما = إلا) في كونهما حرفين، (غداة = إذ) في كونهما ظرفي زمان، (البين = الطرف) في كونهما مجرورين بالإضافة، (غضبيض = مكبول) صفة = صفة.

دالياً بين: (سعاد = أغن) الاستعارة المكنية؛ إذ شبه (سعاد) بالظبي، وحذف المشبه به وأبقى على شيء من لوازمه (أغن)، وبين (غداة البين = إذ رحلوا)؛ فكلاهما يدل على البعد والفراق، وبين (غضبيض = مكحول)، فكلاهما يدل على العين، فضلاً عن تشاكل هذا البيت مع الذي قبله من خلال التكرار (سعاد = سعاد)، (بانة = غداة البين، إذ رحلوا)، وفي توظيف الاستعارة (قلبي متبول = سعاد أغن)، وتكرار الصفات (متيم، مكبول) = (غضبيض، مكحول)، وتكرار الظرف (اليوم، إثر) = (غداة، إذ)؛ " فالصبيغ التعبيرية تتشاكل مع تحولات اللغة التشكيلية فيما يشبه استشرافاً لأفق إبداعي لحظة توهج الدفقة الشعرية" (20). وإذا كان غضّ الطرف فيه تقييد للنظر، والكحل حول العين يشبه الدائرة، والدائرة تشبه القيد؛ فإن (غضبيض الطرف، ومكحول) = (متيم، ومكبول)؛ تدل على الأسر والقيد؛ " فالبنية اللغوية تتجاوز - حدود المعاني المستخدمة للكلمة في إطار المعجم اللغوي - إلى أفق منفسح وفضاء ممتد، وعلى القارئ مهمة استكشاف دلالات أخرى تتراءى من خلال الرسالة الشعرية...." (21).

وفي البيت (3)

هَيْفَاءٌ مُقْبَلَةٌ عَجْزَاءٌ مُدْبِرَةٌ      لَا يُشْتَكِي قِصَرُ مِنْهَا وَلَا طَوْلُ

يستمر وصف مظاهر الجمال الحسي بالانتقال إلى القوام مصوراً ما لهذا القوام من حسن وجمال في الإقبال، والإدبار. وفي هذا البيت يتضح التشاكل:- صوتياً: في تكرار صوت (الألف - 5)-

صوت (الميم-3)- صوت (اللام - 3)، وهذا الأصوات تتشاكل فيما بينها في كونها أصواتاً مجهورة، والأصوات المجهورة تمثل القوة والوضوح. ومن حيث المقطع بين (هيفاء = عجزاء) (/5/5/=5/5/)، وبين (مقبلة = مدبرة) (/5///5/=5///5/).

- صرفياً بين: (هيفاء = عجزاء) (فعلاء = فعلاء)، - (مقبلة = مدبرة) (مفعلة = مفعلة).  
- تركيبياً بين: (هيفاء = عجزاء) (جملة اسمية = جملة اسمية)، فكلاهما خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هي)، (مقبلة = مدبرة) (حال = حال)، (لا = لا) فكلاهما حرف نفي.  
البيت (4):

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ      كَأَنَّهُ مُنْهَلٌّ بِالرَّاحِ مَعْلُولٌ

ينتقل إلى وصف الثغر، وفي هذا البيت إشارة إلى البيت الثاني، وهذا لا يعني أن البيت الثالث ليس مرتبطاً بما قبله أو بما بعده، ولكن الشاعر كما يبدو كان في البيت الثاني قريباً من (سعاد)، فسمع صوتها الأذن، ورأى طرفها الكحيل، وفي البيت الثالث ابتعد بعض الشيء؛ فرأى قوامها، وفي هذا البيت صار أكثر قريباً، فأخذ يتحدث عن الثغر والريق والأسنان، أي إنه في البيت (2) وصف الوجه فذكر (الصوت، والعين)، وفي (3) وصف القوام، ثم إنه ابتعد بحواسها عنه، فراح يتذكر في (4) تجلو عوارض....؛ إذ شرع في الانتقال إلى الجمال الداخلي، وأولى عتباته هي الفم وما حوى، كما وظف أداتي النفي والاستثناء، والتشبيه؛ وظف في هذا البيت أسلوب الشرط والتشبيه. والتشاكل في هذا البيت يتجلى: صوتياً؛ في تكرار صوت (الميم - 4)، صوت (الواو - 3)، وصوت (الألف - 3)، صوت (التاء - 3)؛ فهذه الأصوات - عدا صوت (التاء) - تتشاكل في كونها أصواتاً مجهورة، وهذا البيت يتشاكل مع الأبيات السابقة في الأصوات المجهورة، كما يتشاكل مع البيت الأول في صوت (التاء) المهموس.

- تركيبياً بين: جملي (تجلو = ابتسمت) جملة فعلية = جملة فعلية، وبين (ظلم = الراح) مجرور = مجرور، وبين (منهل = معلول) مرفوع = مرفوع.  
- دلاليًا بين: (الصدر = العجز) من خلال التشبيه، حيث شبه ريق الفم (بالمنهل)؛ أي شارب.

(ظلم=الراح) (الريق=الخمرة)؛ فكلاهما مادة سائلة، والريق من فم الإنسان، والخمرة من صنع يد الإنسان، وكلاهما يلتقيان في فم الإنسان، وبين (منهل = معلول) (شارب= كثير الشرب). وهكذا؛ فهذه الأبيات "المتعاقبة كلٌ منها يمثل صوراً متوالية تنصهر جميعها في صورة مركبة لها وقع مرئي وسمعي"<sup>(22)</sup>.

وفي البيتين:

5- شَجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءٍ مَحْنِيَةٍ صَافٍ بِأَبْطَحٍ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولٌ

6- تَجَلَوُ الرِّيحُ القَذَى عَنْهُ وَأَفْرَطَهُ مِنْ صَوْبٍ سَارِيَةٍ بِيضٍ يَعَالِيلُ

انتقل إلى وصف الماء الذي مزجت به الخمرة، فذكر المكان، والرياح، والسحابة. وفي البيت رقم (5) يتجلى التشاكل: صوتياً: في تكرار صوت (الميم-6)، وصوت (الياء-4)، صوت (الواو-3)، صوت (الهاء-3) وهو صوت "حلقي احتكاكي مهموس مرقق"<sup>(23)</sup>، وصوت (الهمز-3) وهو صوت "حنجري انفجاري مهموس مرقق"<sup>(24)</sup>؛ وهو ما يمثل تشاكلاً صوتياً مع الأبيات السابقة. ومن حيث المقطع بين (شَجَّتْ = صَافٍ) (5/5/=5/5/).

- تركيبياً: في تكرار حروف الجر (الباء= من = الباء)، وتكرار المجرورات بالحرف (ذي = ماء = أبطح)، وتكرار المجرورات بالإضافة (شَبَم = محنية = صَافٍ)، فضلاً عن التشاكل بين جملي (شجّت = أضحى) (فعلية = فعلية).

- دلالياً بين:(شَبَم = مشمول) فكلاهما يدل على الماء البارد، وبين (شَبَم = صَافٍ = مشمول)؛ فجميعها صفات للماء، وبين(محنية = أبطح)؛ فكلاهما يدل على مكان الماء.

وفي البيت (6) يظهر التشاكل: صوتياً: في تكرار صوت (الياء- 5)، وصوت (الألف-4)، وصوت (الراء-4) وهو صوت "لثوي تكراري متوسط مجهور مرقق"<sup>(25)</sup>، وهذه الأصوات تتشاكل في كونها أصواتاً مجهورة. ومن حيث المقطع بين (عنه = بيضٌ) (5/5/=5/5/).

- تركيبياً بين: (تجلو = أفرط) (جملة فعلية = جملة فعلية)، وبين (الرياح = بيضٌ) (فاعل = فاعل)، وبين(القذى = الهاء في أفرطه) (مفعول به = مفعول به)، وبين (عنه = من صوب) (جار ومجرور = جار ومجرور).

- دلاليًا بين: (بيض = يعاليل): فكلاهما يدل على اللون الأبيض - (سارية = يعاليل) فكلاهما يدل على السحاب<sup>(26)</sup>.

والأبيات السابقة تمثل المقطع الأول في نسق الغزل، لأن لوحة الغزل تحتوي على مقطعين: الأول: يصور حسن (سعاد) وجمالها الظاهري أو الجمال الشكلي الخارجي، فذكر مجموعة من الصفات الخلقية الحسية التي تفردت بها، فكان أقرب إلى الغزل الحسي أو الغزل الصريح.

وفي البيتين:

7- يا وَيَحَا خُلَّةً لَوَأَنَّمَا صَدَقَتْ      ما وَعَدَتْ أَوْ لَوَأَنَّ النَّصْحَ مَقْبُولُ

8- لِكَيْهَا خُلَّةٌ قَدْ سَيْطَمِنْ دَمِهَا      فَجَعٌ وَوَلَعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلُ

يبدأ المقطع الآخر من نسق الغزل، بتصوير الوجه الآخر -الداخلي المعنوي-، بالتركيز على مجموعة من الصفات الخلقية غير المحمودة، وهذا لا يعني انفصال المقطع الأول عن الثاني؛ بل على العكس، كلاهما حديث عن (سعاد) من حيث الشكل والمضمون.

فمن هي سعاد التي تجمع بين حسن المنظر، وقبح الجوهر؟

في البيت (7) يتضح التشاكل: صوتياً: في تكرار صوت (الواو-3)، وصوت (النون-6)،

وصوت (اللام-5)، وصوت (الهمزة-3). ومن حيث المقطع بين (لو=لو) (5/=5/).

- تركيبياً بين: (لو أنها صدقت = لو أن النصح مقبول) جملة اسمية = جملة اسمية.

- دلاليًا بين: (الصدق = النصح) في كونهما من الأوصاف المعنوية.

والبيت (8) يرتبط بالبيت (7) من خلال العطف والاستدراك. ويتجلى التشاكل في هذا البيت

صوتياً: في تكرار صوت (اللام-5)، وصوت (الواو-3)، وصوت (الذال-3) وهو صوت "أسناني لثوي

انفجاري مجهور مرقق"<sup>(27)</sup>، وصوت (النون-3) وهو صوت "لثوي (أنفي) متوسط مجهور

مرقق"<sup>(28)</sup>، وهذه الأصوات تتشاكل في كونها مجهورة. وفي المقطع بين ( فجعٌ = ولعٌ ) (5/5/=5/5/).

وبين (إخلافٌ = تبديل) (5/5/5/=5/5/5/).



- صرفياً بين: (فجع = ولع) (فعل = فعل).

- تركيبياً بين: (فجع = ولع = إخلاف = تبديل)؛ فجميعها في كل رفع نائب الفاعل.

- دلاليّاً بين: (فجع = ولع = إخلاف = تبديل)؛ فجميعها أوصاف معنوية، تدل على صفات غير

حميدة، هي (الإصابة بالمكروه، والكذب، وإخلاف الوعد، وعدم الوفاء)؛ ومن ثم فإن هذه الأوصاف تغدو علامات على القبح الداخلي، أو المعنوي.

وفي البيتين:

9- فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا كَمَا تَلَوْنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ

10- وَمَا تَمَسَّكَ بِالْوَصْلِ الَّذِي زَعَمْتَ إِلَّا كَمَا تَمَسَّكَ الْمَاءُ الْغَرَابِيلُ

وصف للطبيعة التي جبلت عليها جعلتها لا تدوم على حال ولا تحفظ العهد. ويتضح

التشاكل في البيت (9): صوتياً: في تكرار صوت (الواو-6)، وصوت (الألف-6)، وصوت (اللام-4)،

وصوت (الميم-3)، فهذا الأصوات جميعها مجهورة. و في المقطع بين (فما = كما = على = بها) (5// =

5// = 5//).

- صرفياً بين: (تدوم = تكون) (تفعل = تفعل).

- تركيبياً بين: (تدوم = تكون = تلون) فجميعها جمل فعلية، وبين (على = الباء = الكاف = في)

جميعها حروف جر- (على حال = بها = في أثواب) جميعها جار ومجرور.

- دلاليّاً بين: الصدر والعجز في (فما تدوم... كما تلون...); حيث شبه تغيرها المستمر بتلون

الغول، وهذا يدل على عدم الاستقرار والثبات، وعدم الوفاء.

وفي البيت (10) يتجلى التشاكل:- صوتياً: في تكرار صوت (اللام- 8)، وصوت (الألف-5)،

وصوت (الميم-5)، وصوت (الكاف- 3)، وهو صوت "طريقي انفجاري مهموس مرقق"<sup>(29)</sup> وصوت

(السين-3)، وهو صوت "أسناني لثوي احتكاكي مهموس مرقق"<sup>(30)</sup>، وصوت (التاء-3)، وهو صوت

"أسناني لثوي، شديد الانفجار، مهموس، مرقق"<sup>(31)</sup>، وهذه الأصوات تتشاكل في كونها مرققة،

وهناك تشاكل بين الثلاثة الأولى في كونها مجهورة، وتشاكل بين الثلاثة الأخيرة كونها مهموسة. ومن

حيث المقطع بين (وما = كما) (5// = 5//) ، وهناك تشاكل بالتكرار بين (تمسك = تمسك).

- تركيبياً بين: ( تمسك = زعمت = تمسك)؛ فجميعها جمل فعلية، وفي الموقع بين (الوصل = الماء)؛ فكلاهما في موقع المفعول به، وبين ( الباء = الكاف)؛ فكلاهما حرف جر، وبين (ما = إلّا) في كونهما حرفين، وفي الضمير المستتر بين (تمسك = زعمت)؛ فالفاعل فهما ضمير مستتر تقديره (هي).

- دلاليّاً بين: الصدر والعجز، يتضح من خلال التشبيه، (تمسك بالوصل) مشبه = (تمسك الماء...) مشبه به، وقد استخدم الشاعر الاستثناء المفرغ، ووظف التشبيه التمثيلي، ليزيد من إيضاح الصورة؛ فالصدر استقل بالركن الأول من الصورة (المشبه)، إذ شبه (سعاد) في حال كونها لا تحفظ العهد، والعجز استقل ببنية (المشبه به)، وهي الغرابيل التي لا تحفظ الماء، والجامع بينهما هو التفريط.

وفي البيت (11) يواصل الشاعر الأوصاف غير الحميدة التي عرفت بها (سعاد)، ويزيد في التأكيد على إخلافها للوعد، وعبر عن ذلك بالمثل المطلق عند العرب في إخلاف الوعد: (مواعيد عرقوب).

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا      وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ

وفي هذا البيت يتجلى التشاكل على النحو الآتي:- صوتياً: في تكرار صوت (الألف-9)، وصوت (اللام-5)، وصوت (الميم-4)، وصوت (الواو-4)، وصوت (الياء-3)، وصوت (العين-3)، وهو صوت "حلقي احتكاكي مجهور مرقق"<sup>(32)</sup>، وهذه الأصوات جميعها مجهورة. ومن حيث المقطع (لها= وما) (5// = 5//)، (كانت= إلّا) (5/5/ = 5/5/)، وهناك تشاكل بالتكرار بين (مواعيد= مواعيدها).

- صرفياً بين: (مواعيد= مواعيد) فهي على وزن مفاعيل.

- تركيبياً بين: جملي (مواعيد عرقوب...=مواعيدها...) جملة اسمية = جملة اسمية، وبين (ما = إلّا) في كونهما حرفين، وبين (الهاء في (لها) = الهاء في مواعيدها)؛ فكلاهما ضمير متصل، وكلاهما في موقع جر.

- دلاليًا: في التشبيه؛ حيث إنها صارت كعرقوب، ومواعيد عرقوب صارت لها مثلاً. ويتشاكل الصدر والعجز في الدلالة على معنى واحد هو إخلاف الوعد. (مواعيد= مواعيدها)؛ فكلاهما يدل على معنى واحد.

وفي البيت (12) يرجو ويتمنى في صدر البيت، وفي العجز يني ذلك الرجاء، والتمنى.

أَرْجُو وَأُمْلُ أَنْ يَعْجَلَنَّ فِي أَبَدٍ وَمَا لَهِنَّ طَوَالَ الدَّهْرِ تَعْجِيلٌ

ويتجلى التشاكل في هذا البيت: صوتياً: في تكرار صوت (اللام-5)، وصوت (النون-4)، وصوت (الهمز-4)، وصوت (الواو-4)، وصوت (الألف-3)، وصوت (الياء-3)، وهذه الأصوات عدا صوت (الهمز) أصوات مجهورة. ومن حيث المقطع بين (أرجو=أمل) (/5//5//)، وهناك تشاكل بالتكرار بين (يعجلن=تعجيل).

- صرفياً بين: (أرجو=أمل)؛ فهما على وزن (أفعل).

- تركيبياً: بين (أرجو=أمل=يعجلن)؛ فجميعها جمل فعلية.

- دلاليًا بين: (أرجو=أمل)؛ فكلاهما يدل على الرجاء، وبين (يعجلن=تعجيل)؛ فكلاهما يدل على الإسراع.

وفي البيت (13) انتقل إلى التحذير من مّمها ووعداها فإن ذلك تضليل كالأمانى والأحلام.

فَلَا يَغْرُنْكَ مَا مَنَنْتَ وَمَا وَعَدْتَ إِنَّ الأَمَانِيَّ والأَحْلَامَ تَضْلِيلُ

وفي هذا البيت يظهر التشاكل على النحو الآتي:- صوتياً: في تكرار صوت (النون-7)، وصوت (اللام-5)، وصوت (الميم-5)، وصوت (الألف-4)، وصوت (الياء-4)، وصوت (الواو-3)، وصوت (التاء-3)، وهذه الأصوات عدا صوت (التاء) أصوات مجهورة. وفي المقطع الصوتي بين (ما منت = ما وعدت).

- صرفياً بين: (منت = وعدت)؛ فكلاهما على وزن (فعلت).

- تركيبياً بين: (يغرنك = منت = وعدت)؛ فجميعها جمل فعلية، وبين (الأمانى = الأحلام)؛

فكلاهما منصوب ب(إن)، وبين (النون في يغرنك=إن)؛ فكلاهما يدل على التوكيد.



وبين الأبيات (4-6-12) في (تجلو= تجلو= أرجو) (/5/=//5/=//5/)، وفي داخل الصدر بين الأبيات (4-5-7-8-12-13) في (ذي= من= لو= قد= أن= في= ما) (/5/=5/=5/....)، وبين البيتين (1-2) في (سعاد=سعاد) (/5//=/5//)، وبين البيتين (7-8) في (خَلَّة= خَلَّة) (/5//5/ =5//5/)، وبين الأبيات (4-9-13) في (ظلم= حال= منّت) (/5//5/ =5//5/ =5//5/)، وفي آخر الصدر بين الأبيات (2-7-8-10-11-12-13) في (رحلوا= صدقت= دمهـا= زعمت= مثلاً= أبد= وعدت) (/5///=5///....)، وبين البيتين (3-5) في (مدبرة= محنية) (/5///5/=5///5/)، وبين الأبيات (4-6-9) في (إذا ابتسمت= وأفرطه= تكون بها) (/5///5//=5///5//..)، وفي بداية العجز بين البيتين (1-4) في (متيم= كأنه) (/5///5//=5///5//)، وبين الأبيات (2-5-8-10) في (إلا= صافٍ= فجّع= إلا) (/5//5/ =5//5/....)، وبين الأبيات (3-6-7) في (لا= من= ما) (/5//5/ =5//5/)، وبين الأبيات (9-11-12) في (كما= وما= وما) (/5//5//5//5//)، وبين البيتين (3-10) في (لا يشتكي= لإكما) (/5//5/5/ =5//5/5/5/)، في داخل العجز بين البيتين (1-4) في (إثرها= منهل) (/5//5/ =5//5/5/)، وبين الأبيات (1-7-9) في (لم= أو= لو= في) (/5//5/ =5//5/....)، وبين الأبيات (3-5-11) في (منها= أضحى= إلا) (/5//5/ =5//5/5/5/)، وفي آخر العجز بين الأبيات (1-2-4-5-7-12-13) في (مكبول= مكحول= معلول= مشمول= مقبول= تعجيل= تضليل) (/5//5/5/ =5//5/5/5/....)، وبين الأبيات (3-8) في (ولا طول= يعاليل= وتبديل) (/5//5/5// =5//5/5//....).

المستوى الصرفي: يتجلى التشاكل صرفياً على النحو الآتي:

- بداية الصدر بين الأبيات (1-5-11) في (بانـت= شجـت = كانت)؛ فهي على وزن (فعلت)، وبين البيتين (4-6) في (تجلو= تجلو) (تفعل= تفعل).

- داخل الصدر بين البيتين (1-2) في (سعاد= سعاد) (فعال= فعال)، وبين البيتين (4-5) في (ظلم= شبم) (فعل= فعل)، وبين البيتين (7-8) في (خَلَّة= خَلَّة) (فعلة= فعلة).

- آخر الصدر بين البيتين (3-5) في (مدبرة= محنية) (مفعلة= مفعلة)، وبين الأبيات (7-10-13) في (صدقت= زعمت= وعدت)؛ فهي على وزن (فعلت).

- آخر العجز بين الأبيات (1-2-4-5-7) في (مكبول= مكحول= معلول= مشمول= مقبول)؛  
فهي على وزن (مفعول)، وبين الأبيات(8-12-13) في (تبديل= تعجيل= تضليل)؛ فهي على وزن  
(تفعيل)، وبين الأبيات (6-10-11) في (يعاليل= غرابيل= أباطيل) فهي على وزن (أفاعيل).

المستوى التركيبي: يتجلى التشاكل تركيبياً على النحو الآتي: - في الجملة الفعلية بين الأبيات  
(1-2-4-5-6-8-9-11-12). في الجملة الاسمية بين الأبيات (1-2-3-5-7-8-11-12-13). في الجر  
والمجرور بين الأبيات(3-4-5-6-8-9-10-11-12) (منها= بالراح= بذى= من ماء= بأبطح= عنه= من  
صوب= من دمها= على حال= بها= في أثوابها= بالوصل= لها= في أبد).- في الجر بالإضافة بين الأبيات  
(1-2-4-5-6-8-9-11-12)(الباء في قلبي= الهاء في إثرها= البين= الطرف= ذي= ظلم = شيم=  
محنة= صاف= سارية= الهاء في دمها= وفي أثوابها= وفي مواعيدها= عرقوب= الدهر).- في  
استخدام الاستثناء المفرغ بين الأبيات (2-10-11) (وما...إلاّ= فما...إلاّ= وما...إلاّ). في التكرار بين  
الأبيات(1-2-8) (متميم، مكبول= غضبيض، مكحول= ولع، إخلاف، تبديل).

المستوى الدلالي: يبدو التشاكل الدلالي على النحو الآتي:- بين (بانث= البين= رحلوا)؛ فهي  
تدل على البعد والفرق، وفيها دلالة على الحزن والألم. بين (متميم، مكبول= غضبيض، مكحول)؛  
فهي تدل على (الأسر، والقيد)، وفيها دلالة على السجن، والسجن فيه معاناة وحزن وألم؛ (فغض  
الطرف: تعني تقييد النظر وهو يدل على الأسر، والكحل حول العين يمثل دائرة، والدائرة تشبه  
القيد على مستوى المدلول.- بين (أغن= غضبيض= مكحول= هيفاء= عجزاء= قصر= طول=  
عوارض= ظلم= ابتسمت= منهل= الراح = شيم= صاف= مشمول)؛ فهذه الدوال تتشاكل في كونها  
أوصافاً حسية، وهي تدل على الجمال الظاهر أو الجمال الخارجي. - بين ( سعاد= الظبي= الماء=  
الرياح= سارية= المطر= محنية= أبطح = أضحى) دلالة على معنى الحياة؛ فسعاد: تعني ربيع العمر  
أو الحياة، والظبي حي، والماء أصل الحياة، والرياح فيها منافع الحياة، والسحاب والمطر سبب  
الحياة، محنية وأبطح مكان الحياة، أضحى زمن من أزمنة الحياة.

- في المقطع الثاني بين (عدم الصدق= عدم قبول النصيح= فجع= ولع= إخلاف= تبديل=فما  
تدوم= تلون= الغول= ما تمسك= زعمت= كما تمسك= الغرابيل= مواعيد عرقوب= مواعيدها=

الأباطيل = مالهن = تعجيل = يغرك = منت = وعدت = الاماني = الأحلام = تضليل؛ فهذه المفردات تتشاكل في كونها أوصافاً معنوية، تدل على الشر والقيح الداخلي، وفيها دلالة على معنى الحياة، فهي لا تدوم على حال، ولا تقرر على قرار، متبدلة، متلونة، فيها الفجع، و الروع، والألم،.... إلخ، ومن خلال التشاكل العمودي في نسق الغزل يتضح أن الأوصاف الحسية في المقطع الأول تتشاكل مع الأوصاف المعنوية في المقطع الثاني؛ فكلاهما حديث عن (سعاد)، ومن ثم؛ ف(سعاد) الجميلة المظهر، القبيحة المنظر تدل على الحياة التي كان يعيشها الشاعر(حياة الجاهلية). وبهذا؛ فقد وظف الشاعر المقدمة الغزلية للتمهيد لمضمون القصيدة (الاعتذار).

#### سيمائية التخالف في نسق الغزل:

كما وقف المبحث الأول عند صور التشكل في المستويات الأربعة؛ سيحاول هذا المبحث الوقوف عند التخالف في الأربعة المستويات، فالتخالف حاضر إلى جانب التشاكل.

#### التخالف الأفقي:

على مستوى البيت (1) يتجلى التخالف على النحو الآتي:- صوتياً: بين الصدر والعجز في تكرار صوتي (الميم، والباء)؛ فصوت (الميم) في الصدر(2)، وفي العجز(4)، وصوت (الياء) في الصدر(2)، وفي العجز(3)، فضلاً عن التخالف بين الجهر والهمس، لصالح هيمنة الأصوات المجهورة، والجهر يكون فيه الصوت أقوى وأكثر وضوحاً، وأبلغ في التعبير عما في النفس من آلام ومعاناة، وهذا يدل على قوة الألم وحجم المعاناة التي يعيشها الشاعر. ومن حيث البحر، فإن القصيدة على بحر البسيط، المخبون العروض، المقطوع الضرب، والمتكون من ثمانية أجزاء (مُسْتَفْعِلُنْ، فَاعِلِنْ) أربعة في الصدر، وأربعة في العجز<sup>(34)</sup>، وتقطع هذا البيت على النحو الآتي:

بَانَتْ سُعَادُ فِقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ      مُتَيِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يَجْزَمْ كَبُولُ

الصدر: (بانّت سعا: مستفعلن، سليمة) (دفقل: فعلن، دخلها زحاف الخبن) (بليوم مت: مستفعلن، سليمة) (بولو: فعلن، مخبونة). العجز: (متيمن: متفعلن، فيما زحاف) (إثرها: فاعلن، سليمة) (لم يجزمك: مستفعلن، سليمة) (بولو: فعلن، فيما خبن)؛ إذ يتضح تخالف على مستوى تفعيلتي البحر بين (مستفعلن× فاعلن)، كما أن كلاً منهما قد يخالف الأصل بالزحاف، أو العلة؛

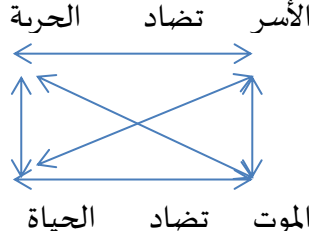
فتصبح (مستفعلن)(متفعلن)، و(فاعلن)(فعلن)، وفي هذا البيت؛ المقطع الأول في الصدر يخالف المقطع الأول في العجز؛ إذ (مستفعلن) في الصدر يقابلها (متفعلن) في العجز، والمقطع الثاني يخالف المقطع الثاني، ف(فعلن) المخبونة تقابلها (فاعلن) السليمة، إلى جانب هذا؛ يتجلى التخالف صوتياً على مستوى الكلمات بين (بانث × متبول) (5/5/5×5/5/5)، وبين (متميم × مكبول) (5/5/5×5//5//).

- صرفياً: بين (بانث × يجز × متميم × متبول، مكبول) ( فعلت × يفع × مفعّل × مفعول).  
- تركيبياً: بين الجملتين الفعليتين، والجملة الاسمية (بانث... لم يجز × قلبي اليوم متبول)، وبين (متبول، ومتميم، ومكبول) × (لم يجز)؛ فعلى الرغم من كونها أخباراً عند من يجيز تعدد الخبر، غير أن الثلاثة الأولى أخبار مفردة، والأخير خبر جملة، وبين (الفاء × الياء في (فقلبي) × الهاء في (إثرها) × لم)؛ فبالرغم من تشاكلها في أنها حروف، فإن كلاً منها يخالف الآخر، على مستوى الوظيفة: (الفاء هنا سببية و رابط) × (الياء ضمير المتكلم) × (الهاء ضمير الغائبة) × (لم حرف جزم ونفي)، وفي الانتقال من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب، يتشكل تخالف حضور المتكلم، وغياب المتكلم عنها، ومع حضور (سعاد) لفظياً؛ فإنها غابت زمانياً (اليوم) الحاضر، ومكانياً (إثر).

- دلاليًا: لفظ (القلب) له معنيان هما: (الفؤاد × العقل)<sup>(35)</sup>، ولفظ (متبول) يحمل معنيين<sup>(36)</sup> هما: (الضنى والسقم × الهيام والجنون)، فالضنى والسقم يكون في الفؤاد، وهذا التخالف يدل على شمول استيلاء الحب وتملكه؛ فجعله فيما هو فيه من الأسر والقيود، وهذا هو المعنى الظاهر، بينما الهيام والجنون يكون في العقل، وهذا يعني أن حبه (سعاداً) قد أفقده عقله وبصيرته وأغواه عن طريق الحق والهداية، وبين (الغواية × الهداية)؛ فالغواية تتمثل في الجمال الخارجي أو الشكلي، والقبح الداخلي، والهداية تتمثل في طريق الحق والنور والحرية، وبهذا يسعى إلى أن يستثير في ذهن المتلقي ما يمكن أن يخدم به الغرض، وبين (متميم × لم يجز)؛ ف(متميم) تعني: أسير حب، وهو أسير معنوي، (لم يجز) تعني: أسير حرب، وهو أسير حسي، وبهذا جمع بين ما هو حسي ومعنوي في سياق (الأسر)، والأسر يدل على (السجن)، والسجن فيه ظلام، وفقدان الحرية، وهنا يتجلى التخالف بين الغائب أو المضمهر والحاضر؛ فالعنصر الحاضر هو (الأسر) × (الحرية) الغائب أو



المضمر، ف(الأسر = السجن = العبودية = الظلام...) × (الحرية = الانطلاق = التحرر = النور)؛ ف(الأسر) هو الحاضر الذي يعاني منه الشاعر، و(الحرية) هي الغائب الذي يبحث عنه الشاعر، وهو يشكل تخالفاً بين الحاضر، والمستقبل، وعبر هذا التخالف فإن الحرية تعني الحياة، والأسر يعني الموت، ويتضح ذلك عبر الترسيمة الآتية:



وبهذا التخالف في هذا البيت؛ يتضح التوتر النفسي، والصراع الداخلي، والحالة المضطربة التي يعيشها الشاعر، التي تدل على قوة الألم وحجم المعاناة التي يعينها. وفي البيت (2) يغيب الشاعر عن المكان الذي شغله في البيت الأول في ضمير المتكلم (قلمي)، ويترك الحاضر الذي هو فيه (اليوم)، ويذهب إلى الماضي في تذكر جمال (سعاد)؛ فيتحول واصفاً ذلك الجمال الظاهري أو الخارجي، وكما تشكل هذا البيت مع الذي قبله من خلال تكرار البين؛ فإن بينهما تخالفاً في جمليتي البداية (بانت سعاد × وما سعاد..) جملة فعلية × جملة اسمية، وبالرغم من تمحور البيتين في البين، فإنه في الأول يصف ما أحدثه فيه البين، وفي الثاني انتقل إلى وصف جمال (سعاد). وعلى مستوى البيت يتجلى التخالف على النحو الآتي:- صوتياً: بين الصدر والعجز في صوتي (الألف، واللام)؛ ف(اللام) في الصدر (2)، وفي العجز (3)، و(الألف) في الصدر (3)، وفي العجز (1). ومن حيث المقطع بين (وما سعا) × (إلا أغن) (متفعلن × مستفعلن)، و(وما × إلا) (5/5/×5//).

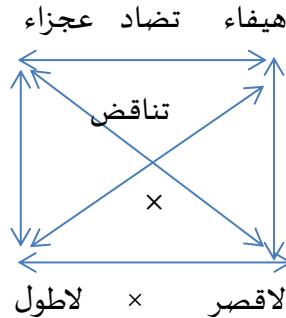
- صرفياً: بين (سعاد × غداة) (فعال × فعلة)، وبين (غضيض × مكحول) (فعليل × مفعول)
  - تركيبياً: بين ملفوظي (وما سعاد... × إذ رحلوا) في الإفراد والجمع.
- وفي هذا البيت عناصر متعددة تقابلها عناصر متعددة ويتضح ذلك في الآتي:

التخالف	التشاكل	العجز	الصدر
نفي × استثناء(حصر	حرف = حرف	إلا	ما
ذات × صوت	مبتدأ = خبر(مشبه به	أغنّ	سعاد
ظرف × صفة	تقييد = تقييد	غضبيض الطرف	غداة البين
ظرف × صفة	تقييد = تقييد	مكحول	إذ رحلوا

وفي المستوى الدلالي: مع ما بين (سعاد = أغن) من تشاكل من خلال الاستعارة؛ إذ شبه سعاد بالظي، وحذف المشبه به وأبقى (أغن)، ورغم تشاكل (سعاد = الظي) (حي = حي)، فإنهما يختلفان (إنسان × حيوان)، وبين (سعاد × أغن) (ذات × صوت). وهناك تخالف بين (أغن) × (غضبيض، مكحول)؛ فبالرغم من كونها أوصافاً فإنها تختلف دلالياً (صوت × صورة)، وقد استطاع الشاعر أن يوظف هذا التخالف في الجمع بين حسن الصوت، وجمال الصورة؛ ليشير إلى بلوغ (سعاد) الجمال المثالي. وفي البيت (3) ينتقل الوصف إلى القوام، وهذا البيت يتشاكل مع الذي قبله في كونها وصفاً لـ(سعاد)، غير أن السابق يتضمن الاستثناء المفرغ، وهذا يحتوى على التضاد. وفي هذا البيت يتجلى التخالف:

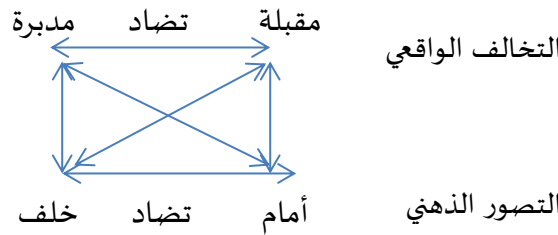
- صوتياً: في نسبة حضور صوت(الألف) بين الصدر والعجز؛ فهو الصدر(2)، وفي العجز(3).
  - صرفياً: بين (هيفاء، عجزاء) × (مقبلة، مدبرة) (فعلاء × مفعلة).
  - تركيبياً: في تفاوت التركيب بين الصدر والعجز؛ فالصدر يحتوى على جملتين اسميتين، والعجز على جملة فعلية، وبين (مقبلة، مدبرة) × (قصر، طول) (حالان × فاعلان).
  - دلالياً: في التقابل المبني على الطباق؛ إذ جمع هذا البيت بين ثلاثة طباقات:
- |               |               |               |
|---------------|---------------|---------------|
| الطباق الأول  | الطباق الثاني | الطباق الثالث |
| هيفاء × عجزاء | مقبلة × مدبرة | قصر × طول     |

ويتجلى هذا التخالّف في الترسّيمة:



والتخالّف الواقعي بين ( مقبلة × مدبرة ) يستحضر تخالفاً في التصور الذهني توضحه

الترسّيمة الآتية:



وبهذا فإن (سعاداً) جميلة في حالة إقبالها، وجميلة في حالة إدبارها؛ أي إنها جميلة في

اختلاف أحوالها، ومن ثم فإن المخالفة تغدو علامة على الجمال المثالي.

البيت (4) يصف (الثغر)، ومن ثم فإنه يمثل تخالفاً مع البيت السابق في الموصوف،

كما كان البيت السابق متخالفاً مع الذي قبله؛ وبهذا فإن الثلاثة الأبيات (2-3-4) تبدو لوحة

متناسقة متعددة الألوان، أو صورة مركبة تكونت من صور جزئية متعددة، تألفت فيما بينها

لتشكل أيقونة للجمال المثالي الخارجي، أو الشكلي، وهنا تظهر القيمة الفنية للتخالّف؛ ففي الوقت

الذي يتخالّف كل بيت مع سابقه؛ فإنها بمجموع جزئياتها تمثل صورة مركبة أو أيقونة، تجلت فيها

مقدرة الشاعر وتمكنه، واستطاعت إيصال مقصديته إلى ذهن المتلقي. أما التخالّف على مستوى

هذا البيت فيتجلى: صوتياً؛ في تفاوت نسبة حضور (الواو، والألف، والياء) بين الصدر والعجز.

ومن حيث المقطع الصوتي بين (تجلوعوا) × (كأنهوا) (5//5//×5//5/5/) (مستفعلن×متفعلن)،  
(منهلاً× معلول)(5/5/5/×5//5/).

- صرفياً: بين (تجلو× ابتسمت) (تفعل× افتعلت)، (منهلاً× معلول) (مفعل× مفعول).  
- تركيبياً: بين جمل الصدر والعجز؛ ففي الصدر جملتان فعليتان، وفي العجز جملة اسمية  
واحدة، وفي التقديم والتأخير بين جملتي (تجلو..× إذا ابتسمت) (جملة الجواب× جملة الشرط)،  
وعلى الرغم من التشاكل بين (ذي= ظلم= الراح) في كونها مجرورة، فإن (ذي، ظلم) جُرا بالإضافة،  
و(الراح) بالحرف.

وفي البيت (5) وصف للماء الذي مزجت به الخمرة، وهو بهذا يتخالف مع سابقه في  
الموصوف.

والتخالف في هذا البيت يتجلى:

- صوتياً: في صوت (الميم)، فهو في الصدر(4)، وفي العجز(2).  
- صرفياً: بين (شجت× أضحى) (فعلت× أفعل)، وبين (شيم× صاف× أبطح× مشمول) (فعل×  
فاعل× أفعل× مفعول).

- تركيبياً: بين (شجت، أضحى)×(وهو مشمول) جملتان فعليتان× جملة اسمية، وبين المجرور  
بالحرف، والمجرور بالإضافة (ذي، ماء، أبطح)×(شيم، محنية، صاف).  
- دلالياً: بين (محنية× أبطح)؛ فهما يتشكلان في الدلالة على مكان الماء، غير أن (محنية)  
تعني: منعرج، بينما (أبطح) يعني: منبسط.

والبيت (6) على الرغم من تشاكله مع البيت (4) تركيبياً، وصوتياً، وصرفياً في (تجلو=  
تجلو)، إلا أنهما يتخالفان دلالياً؛ ف(تجلو) الأولى بمعنى تكشف، والثانية بمعنى تزيل أو تنفي.  
والتخالف في هذا البيت يتضح:- صوتياً: في تكرار صوت (الياء) فهو في الصدر(1)، وفي العجز(4)،  
فضلاً عن التخالف بين الأصوات المجهورة والأصوات المهموسة؛ فالمجهورة هي الأكثر حضوراً. وفي  
المقطع بين (وأفرطه× يعاليل) (5//5//×5//5/).

- صرفياً: بين (تجلو × أفرط) (تفعل × أفعّل)، وبين (رياح × قذى × سارية × يعاليل) (فعال × فعل × فاعلة × يفاعيل).

- تركيبياً: هناك تخالف في الرتبة بين الفاعل والمفعول؛ إذ تقدم المفعول على الفاعل في جمل (أفرطه بيضٌ) (الهاء) مفعول به، (بيض) فاعل، وبين (تجلو × أفرط) (مضارع × ماضي) (حاضر × ماضي).

- ودلاليّاً: يظهر التخالف في معنى (البيض اليعاليل) "فقيل: البيض: الجبال، واليعاليل الشديدة البياض (...). واليعاليل: التي ينزل منها الماء مرة بعد أخرى (...). وقيل: البيض: السحب، واليعاليل التي تجيء مرة بعد مرة"<sup>(37)</sup>.

وفي هذا البيت وما تقدمه من أبيات يتجلى المقطع الأول في (نسق الغزل)، الذي ابتدأ بوصف البين ثم الجمال الظاهري، أو الجمال الشكلي (لسعاد)، وقد جمع فيه بين عدة متخالفات.

وفي البيت (7) ينتقل إلى مقطع آخر، يختلف عن الأول، بيد أنه قد جمع بينهما في سياق واحد هو الحديث عن (سعاد).

وهذا البيت يختلف عما تقدمه من أبيات في كونه تركيبياً يتضمن جملة إنشائية (يا ويحها)، بينما يتشاكل مع البيت (4) في المخالفة للأصل، وذلك في تقديم الجواب وتأخير الشرط، لكنه يختلف عنه في الدلالة. ويتجلى التخالف في هذا البيت:- صوتياً: بين الصدر والعجز في صوتي (الواو، والنون)، ف(الواو) في الصدر(2)، وفي العجز(4)، و(النون) في الصدر(2)، وفي العجز(4). ومن حيث المقطع بين (يا ويحها × ما وعدت) (5//5/ × 5//5/5/)، وبين (صدقت × مقبول) (5///) (5/5/5/).

- صرفياً: بين (ويحها × صدقت) (فعلها × فعلت)، وبين (خلّة × نصح × مقبول) (فعله × فعل × مفعول).

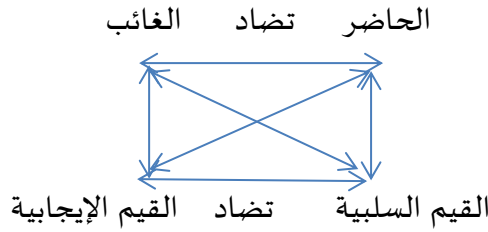
- وتركيبياً: بين الجملة الفعلية، والجملتين الاسميتين (يا ويحها ×) (أنها صدقت، أن النصح...)، وبين الجملتين الاسميتين في (المبتدأ، الخبر): فالمبتدأ في الأولى ضمير متصل، في حين

أنه في الثانية اسم ظاهر، والخبر في الأولى خبر جملة، لكنه في الثانية خبر مفرد. وفي تأخير الشرط، وتقديم الجواب، إذ خص (سعاد) بالصدقة الحميمة، غير أنه ينقض هذه الصفة أو يخصصها بدلالة تأخير جملة فعل الشرط المقترن بزمنه الماضي (صدقت) وكذلك جمل الشرط المؤكدة (أن النصح....).

- ودلالياً: بين (عدم الصدق في الوعد × عدم قبول النصح)؛ فبالرغم من تشاكلهما في الدلالة على التصرف غير المحمود الناتج عن (سعاد)، غير أن كلاً منهما يختلف عن الآخر. والبيت (8) يتشاكل مع الذي قبله في (خلة=خلة)، في الدلالة على الصفات غير الحميدة، بيد أنهما يتخالفان في جملي البداية (يا ويحها خلة × لكنها خلة) جملة فعلية إنشائية × جملة اسمية مصدرية ب(لكن)، والتخالف في هذا البيت يتضح:- صوتياً: في تكرار صوت (الواو)؛ إذ هو في العجز(3)، بينما ليس له حضور في الصدر. وفي المقطع بين (فجع، ولع) × (إخلاف، تبديل) (5/5/5/5/5/5)، فضلاً عن التخالف بين (الصدر × العجز) في الإيقاع الصوتي الذي تفرد به العجز. - صرفياً: بين (خلة × سيط × فجع، ولع) × (إخلاف × تبديل) (فعله × فعل × فَعْل × إفعال × تفعيل).

- تركيبياً: بين (لكنها... × سيط...) جملة اسمية مصدرية ب(لكن) × جملة فعلية فعلها مبني للمفعول، وفي الجملة مخالفة للأصل في تأخير نائب الفاعل، وبين (من × قد)؛ فرغم كونهما حرفين، إلا أن (من) حرف جر، وهي هنا "بمعنى في"<sup>(38)</sup>، بينما (قد) حرق تحقيق "وقد هنا: للتحقيق بمعنى ما يذكره عنها من الفجع والولع والإخلاف والتبديل محقق الوجود فيها"<sup>(39)</sup>.

- دلالياً: بين (فجع × ولع × إخلاف × تبديل)؛ فبالرغم من تشاكل هذه المفردات في الدلالة على الخصال الذميمة، إلا أن كلاً منها يختلف عن الآخر (المصائب × الكذب × عدم الوفاء × تبديل الأخلاء)<sup>(40)</sup>، وهنا جمع بين عدة متخالفات لإبراز عدد من (القيم السلبية) التي تفردت بها (سعاد)، وهذه العناصر (القيم السلبية) التي تمثل القبح المعنوي، أو الداخلي تشكل تخالفاً مع الغائب، أو المضمحل المتمثل في الحسن المعنوي، أو الداخلي (القيم الإيجابية)، وهذا يتجلى التخالف بين (الحاضر × الغائب) (القيم السلبية × القيم الإيجابية)، كما في الترسمة الآتية:



وقد عمل الشاعر على توظيف عناصر القبح المعنوي بوصفه علامة سيميائية على الشر الداخلي والقبح الحقيقي ل(سعاد).

وكما ذكر الشاعر في البيت (7) خصلتين "هما: إخلاف الوعد، وعدم قبول النصح"<sup>(41)</sup>؛ فقد ذكر في البيت (8) أربعاً، وفي الثلاثة الأبيات التالية ل(8) تم توظيف التشبيه، والمثل في التعبير عن تلك الخصال.

والبيت (9) يتشاكل مع سابقه في الدلالة على معنى من المعاني الذميمة، وهذا البيت بوصفه نتيجة لما قبله ف"قوله: فما تدوم على حال تكون بها؛ أي: فلما جبلت عليه من الإخلاف والتبديل ما تدوم على حال"<sup>(42)</sup>، بيد أن هذا البيت يتخالف مع سابقه في جملة البداية (فما تدوم... لكنها..) جملة فعلية × جملة اسمية، وفي توظيف التشبيه. وفي هذا البيت يتجلى التخالف: - صوتياً: في تكرار صوت (الواو)؛ فهو في الصدر(2)، وفي العجز(4). وفي المقطع بين (على × في) (5//×5).

- وصرفياً: بين (تدوم، تكون × تلون × أثواب) (تفعل × تفعل × أفعال).  
- وتركيبياً: بين (الصدر × العجز)؛ فالصدر يحتوي على جملتين، والعجز على جملة واحدة، وفي تأخير الفاعل في جملة ( تلون...الغول)، وهناك عدة حروف متخالفة ف(الفاء) سببية، و(الكاف) حرف جر للتشبيه.

- ودلالياً: بين (المعقول × المحسوس)؛ فالدوام معقول، والتلون محسوس.  
والبيت (10) يتشاكل مع سابقه في جملي البداية (فما تدوم..= وما تمسك..) فعلية= فعلية، وفي التشبيه (كما تلون= كما تمسك)؛ لكنه يختلف عنه في الاستثناء (ما، إلا)، علاوة على

التخالف في نوع المشبه به؛ فالحديث في السابق كان عن عدم الدوام والاستقرار، والمشبه به حي، بينما الحديث هنا عن عدم الإمساك والحفاظ، والمشبه به جماد. ويتجلى التخالف في هذا البيت على النحو الآتي:

- صوتياً: في تكرار صوت (الألف)؛ فهو في الصدر(1)، وفي العجز(4). وفي المقطع بين ( وما تمسّ × إلا كما) (5//5/5/ × 5//5//).

- صرفياً: بين (تمسّك × تمسك × زعمت) (تفعّل × تفاعل × فعلت)، وبين (وصل × غرابيل) (فعل × فعاليل).

- تركيبياً: بين (تمسك × زعمت) مضارع × ماضٍ، وبين (بالوصل × الماء)؛ فبالرغم من كونهما مفعولين، إلا أن الأول جاء مجروراً بالياء، وبين (ما × إلا) (نفي × استثناء)، وبين (الصدر × العجز)؛ فالصدر يحتوي على فعلين، والعجز على فعل واحد. وهذا البيت في رواية أخرى (وما تمسّك بالعهد...) (43).

- دلالياً: بين (الوصل × الماء) (معنوي × حسي)، وبين (هي × الغرابيل) (حي × جماد)، وبهذه المخالفة مزج بين ما هو حسي وما هو معنوي، وحي وجماد في قالب صياغي واحد هو (الإمساك)، وهذه المفارقة تكشف عن قدرة الشاعر على تطويع اللغة فيما يخدم مقصديته.

وفي البيت (11) يوظف المثل المطلق عند العرب في التعبير عن (إخلاف الوعد)، وهذا البيت يتشاكل مع الذي قبله في الدلالة على الخصال المذمومة، ويتخالفان في التركيب، فالسابق يتكون من جمل فعلية، وهذا يتكون من جمل اسمية. أما التخالف في هذا البيت فيتجلى:

- صوتياً: بين الصدر والعجز في تكرار صوتي (الألف، اللام)؛ ف(الألف) في الصدر(4)، وفي العجز(5)، و(اللام) في الصدر(2)، وفي العجز(3). وفي المقطع بين (كانت موا × وما موا) (5//5/5/ × 5//5//).

- صرفياً: بين (كانت × مواعيد × عرقوب × أباطيل) (فعلت × مفاعيل × فعلول × أفاعيل).  
- تركيبياً: بين (الصدر × العجز)؛ فعلى الرغم من أنهما يحتويان على جملتين اسميتين، إلا أن الأولى مصدرية بالفعل (كانت)، والثانية مصدرية ب(ما) النافية، ومحصورة ب(إلا) الاستثنائية.



- دلاليًا: بين (مواعيد عرقوب × مثل لها) (عرقوب × هي) (مذكر × مؤنث)، وبين (مواعيد × عرقوب) (معنوي × حسي)، وقد جمع بهذه المخالفة بين جنسين متخالفين، وبين ما هو حسي ومعنوي، ووظف المثل في سياق واحد؛ ما يدل على قدرة الشاعر وتمكنه من تطويع اللغة لحمل ما يريد إبلاغه، ومن خلال قوله (الأباطيل) (جمع باطل) يظهر التخالف مع المضمر، أو الغائب وهو (الحق)، الذي يبحث عنه الشاعر.

البيت (12) يتشاكل مع البيت (1) في القصيدة، من خلال حضور الشاعر، إلا أنهما يتخالفان في كون الحضور في الأول كان من خلال الضمير المتصل (الياء) ضمير المتكلم في (فقلبي)، بينما حضر هنا من خلال الضمير المستتر في (أرجو، أمل). وهذا البيت يتخالف مع الذي قبله من خلال (الالتفات): من الغيبة في البيت السابق إلى التكلم، أو الحضور في هذا البيت، كما يتخالفان تركيبياً في جملي البداية ( كانت مواعيد... × أرجو.. ) (جملة اسمية خبرية × جملة فعلية إنشائية)، وعلى الرغم من تشاكل هذا البيت مع البيت (7)، في الإنشاء، بين (أرجو = يا ويحها)، إلا أنهما يتخالفان؛ في كون جملة البيت (7) يزداد منها التعجب، بينما هنا تدل على التمني. وعلى مستوى هذا البيت هناك عدة تخالفات:

- صوتياً: في تكرار صوت (الهمز): فهو في الصدر (4)، بينما ليس له حضور في العجز، وصوت (اللام) فهو في الصدر (2)، وفي العجز (3). وفي المقطع الصوتي بين ( أرجو وأأ × وما لهنْ ) (5//5//×5//5/5/، (أبدي × تعجيل) (5/5/5×5///) .

- صرفياً: بين (أرجو، أمل × يعجلن × أبدي × طوال × دهر × تعجيل) (أفعل × يفعلن × فَعَل × فعال × فعل × تفعيل).

- تركيبياً: بين (الصدر × العجز): فالصدر يتكون من جمل فعلية، والعجز يتكون من جملة اسمية، وبين (أن × في × و × ما): فبالرغم من كونها حروفاً، إلا أن كلاً منها يختلف عن الآخر في الوظيفة (مصدري × جر × عطف × نافية)، وفي تقديم الخبر وتأخير المبتدأ في الجملة الاسمية (وما لهن.....)، وبين (الصدر × العجز): حيث التفت من التكلم في الصدر إلى الغيبة في العجز.

- دلاليًا: بين (الصدر × العجز)، في كون الصدر يدل على الرجاء والتمني والأمل، بينما يدل العجز على اليأس وقطع الرجاء والأمل.

البيت (13) يتشاكل مع البيتين (7-12)، في الجملة الإنشائية (فلا يغرنك) بيد أنه يختلف عنهما، في كون الجملة هنا يُراد بها النصح والوعظ، كما أنه يتخالف مع الذي قبله في الالتفات؛ حيث التفت من الغيبة في عجز البيت السابق إلى الخطاب في صدر هذا البيت، وعلى الرغم من تشاكل جمليتي البداية (فلا يغرنك × أرجو)، في الإنشاء، إلا أن جملة (فلا يغرنك) تصدرت بالنهي (لا)، وتحتوي على ضمير المخاطب (الكاف)، بينما جملة (أرجو) غير مصدرة، وتحتوي على ضمير المتكلم المستتر (أنا). وفي هذا البيت يتضح التخالف على النحو الآتي:

- صوتيًا: في تكرار صوت (اللام)؛ فهو في الصدر (1)، وفي العجز (4). وفي المقطع بين (فلا يغز × إن الأما) (5//5/5/ × 5//5//)، وبين (وعدت × تعجيل) (5/5/5/ × 5////).

- صرفيًا: بين (يغز × منّت، وعدت) أمانى × أحلام × تضليل (يفعل × فعلت × أفاعي × أفعال × تفعيل).

- تركيبياً: بين (الصدر × العجز)؛ فالصدر يتكون من جمل فعلية، والعجز يتكون من جملة اسمية.

- دلاليًا: في الخطاب الموجه في جملة (فلا يغرنك) وجهان: أحدهما: أن الخطاب قد يكون عاماً، الآخر: قد يكون خطاباً للنفس، وهذا ما يعرف بالتجريد<sup>(44)</sup>، وبين (منّت × وعدت)؛ فالأمنية تكون في ما يُحب فقط، بينما الوعد يكون في ما يُحب، ويُكره.

#### التخالف العمودي:

كما تجلى التشاكل الصوتي عمودياً في الأصوات الأكثر حضوراً؛ فإن التخالف الصوتي عمودياً يتجلى في تخالف هذه الأصوات في نسبة الحضور؛ فصوت (الألف - أصلية، ولينة-100) × (اللام-58) × (الميم-46)؛ أي إن مجموع الحضور لكل صوت يختلف عن الآخر. ومن حيث المقطع الصوتي، فعلى مستوى البحر هناك تفاعلتان متخالفتان (مستفعلن × فاعلن) (5//5/ × 5//5/5/)

وكل من هاتين التفعيلتين قد تخرج عن الأصل فتحدث تخالفاً مع نفسها (مستفعلن × متفعلن × متفعلن × متفعلن)، (فاعلن × فعلن × فعلن)، ويتجلى التخالف مقطوعياً: في الصدر بين (مستفعلن × متفعلن)؛ فمقطع (مستفعلن) في تسعة أبيات هي (1-3-4-5-6-7-8-11-12)، ومقطع (متفعلن) في أربعة أبيات هي (2-9-10-13).

وفي بداية العجز المقطع (مستفعلن) في سبعة أبيات هي (2-3-5-6-8-10-13)، والمقطع (متفعلن) في أبياتٍ خمسة هي (1-4-9-11-12)، بينما مقطع (متفعلن) في البيت (7) في رواية الديوان (5//5//) (ما وعدت)، غير أنه في رواية أخرى يتكون من (5//5/5) (مستفعلن) (موعودها)<sup>(45)</sup>. وعلى مستوى الكلمة يتجلى التخالف مقطوعياً على النحو الآتي: في بداية الصدر يظهر المقطع (5/5/) في ثلاثة أبيات هي (1-5-11)، والمقطع (5//) في أربعة أبيات (2-9-10-13)، والمقطع (//5/) في ثلاثة أبيات (4-6-12).

- وفي داخل الصدر المقطع (5/) في ستة أبيات (4-5-7-8-12-13)، والمقطع (//5/) في البيتين (1-2)، والمقطع (5//5/) في البيتين (7-8)، والمقطع (5/5/) في (4-9-13).

- وفي آخر الصدر المقطع (5//) في سبعة أبيات هي (2-7-8-10-11-12-13)، والمقطع (5//5//) في البيتين (3-5).

- وفي بداية العجز المقطع (5//5//) في البيتين (1-4)، والمقطع (5/5/) في الأبيات (2-5-8-10)، والمقطع (5/) في (3-6-7)، والمقطع (5//) في الأبيات (9-11-12).

- وفي داخل العجز المقطع (5//5/) في البيتين (1-4)، والمقطع (5/) في الأبيات (1-7-9)، والمقطع (5/5/) في الأبيات (3-5-11).

- وفي آخر العجز المقطع (5/5/5/) في الأبيات (1-2-4-5-7-12-13)، والمقطع (5/5/5//) في البيتين (6-8).

يتجلى التخالف صرفياً بين عدة أوزان، كل منها يظهر في بيتين أو عدة أبيات، وذلك على النحو الآتي:

- في الصدر الوزن (فعلت) في الأبيات (1-5-7-11-10-13)، والوزن (تفعل) في البيتين (4-6)، والوزن (فعال) في البيتين (1-2)، والوزن (فعل) في البيتين (4-5)، والوزن (فعله) في البيتين (7-8) والوزن (مفعلة) في البيتين (3-5).

- وفي العجز الوزن (مفعول) في الأبيات (1-2-4-5-7)، والوزن (تفعيل) في الأبيات (8-12-13)، والوزن (أفاعيل) في الأبيات (6-10-11).

يتضح التخالف تركيبياً: بين (الخبر × الإنشاء)؛ إذ كان حضور (الخبر) في جميع الأبيات، بينما كان حضور (الإنشاء) في ثلاثة أبيات هي (7-12-13) (يا ويحها، أرجو، فلا يغررك)، وبالرغم من تشاكل هذه الجمل في كونها إنشائية، فإن كلاً منها يختلف عن الآخر، ففي جملة (يا ويحها)، نداء والمراد منه التعجب، وفي الثانية الفعل المضارع (أرجو) والمراد منه التمني، وفي الثالثة النهي، والمراد منه النصح والوعظ. وبين (الجملة الفعلية × الجملة الاسمية)؛ فالجملة الفعلية لم تغب إلا عن البيت (11)، بينما غابت الجملة الاسمية عن ثلاثة أبيات هي (6-9-10)، وكلا الجملتين تختلف في حضورها من بيت إلى آخر. وبين الجمل الفعلية (أصلية التركيب × مخالفة للأصل)، فضلاً عن تخالف الجمل المخالفة للأصل في نوع المخالفة (تقديم المفعول وتأخير الفاعل × تأخير الشرط وتقديم الجواب)، وفي نوع الفعل (ماضي × مضارع) وهو ما يمثل تخالفاً بين زمنين (ماضي × حاضر). وبين الجمل الاسمية (أصلية × مخالفة للأصل)، علاوة على التخالف في نوع المخالفة (حذف المبتدأ × تقديم وتأخير × نوع المبتدأ أو الخبر، التصدر ونوعه....)، وكل هذه التخالفات تؤدي إلى تخالفات دلالية عديدة، غير أن الشاعر قد استطاع أن يجمع بين هذه المتخالفات في سياق نسق واحد، يدل على قدرة الشاعر وتمكنه من توظيف الكثير من المتخالفات التركيبية وتطويعها في خدمة مضمون القصيدة.

ويتجلى التخالف دلالياً في هذا النسق بين: (المقطع الأول والمقطع الثاني)؛ فالأول يتضمن مفردات متشاكلية في كونها أوصافاً حسية تدل على الجمال الخارجي أو الجمال الظاهر (أغن، غضبيض، مكحول، هيفاء، عجزاء، ابتسمت، عوارض....)، والثاني يتضمن أوصافاً معنوية تدل على القبح الداخلي (عدم الصدق، رفض النصح، الكذب، الفجع، الإخلاف....)، وهذا يشكل

تخالفاً بين (الحسي × المعنوي)، (الشكل × المضمون) (المنظر × الجوهر)، وبهذا تغدو (سعاد) علامة سيميائية تتضمن دلالتين (حسن الخارج × قبح الداخل) (جمال المنظر × قبح الجوهر)، وتكمن قيمة هذا التخالف في إيصال مقصدية الشاعر إلى ذهن المتلقي، إذ إن المتلقي يدرك- بعد القراءة المتأنية لهذا النسق- هذا التخالف المنبثق عن الصورتين المتخالفتين، وما يهدف إليه، ولا سيما بعد معرفة الوضع المحيط بالشاعر، وحالته النفسية، التي من خلالها يتجلى تخالف خارجي مع (الغزل)- أي إن وضع الشاعر يختلف مع الغزل- فكيف لمن هو مهذور الدم، محكومٌ عليه بالقتل، وعنه تخلى الجميع أن يكون متغزلاً، أو متفرغاً لتقاليد القصيدة الجاهلية؟؟

وكذلك كان الشاعر مقتضباً في وصف الجمال الخارجي، بينما أسهب في وصف القبح الداخلي، وفي هذا النسق تتجلى عدة مفردات متخالفة فيما بينها، غير أنها تجتمع في الدلالة على معنى (الحياة)، وتقابلها عدة مفردات متخالفة فيما بينها، لكنها تتواشج في الدلالة على معنى (الموت)، وهنا يتضح التخالف بين (الحياة × الموت). وهناك تخالف بين زمنين (الماضي × الحاضر)، فالماضي بجماله الزائف المنقبض قد رحل، وخلف الحاضر المؤلم القلق المضطرب، الذي اكتشف الشاعر فيه حقيقة (سعاد) رمزاً ل(الحياة الجاهلية)، التي أغوته بجمالها الزائف، وكأن الشاعر هنا يقول: إن جمال (سعاد) الخارجي هو الذي أغواه وأضله عن الطريق، ولكنه بعد أن اكتشف حقيقتها القبيحة وصل إلى درجة اليأس في قوله: (وما لهن طوال الدهر تعجيل)، وبعد هذا أخذ يحذر من تصديق وعدها ومَهْمَا، ويؤكد أن كل ذلك تضليل.

### أهم النتائج:

- كان نسق الغزل وسيلة فنية تروى للقصيدة بطريقة ضمنية، عبرت عنها رمزية (سعاد) بجمالها الخارجي الزائف، وقبحها الداخلي الذي كشف حقيقة ذلك الزيف، مما جعل نسق الغزل يمثل اعتذاراً ضمناً.
- تجلى التشاكل الصوتي في هذا النسق الغزلي في تكرار صوتي (الألف-أصلية، لينة)، و(اللام)، ولهذا التكرار وظيفة رمزية تجسد في مضمون القصيدة، وما تهدف إليه، ذلك أن تركيب

هذين الصوتين يكون دال(أل)، التي تدل على التوجع، والألم، والمعاناة التي يعيشها؛ فكأن التكرار تكثيف لإيحاءاتها، وترسيخ لغاياتها.

- كشف التشاكل التركيبي عن بنية نفسية منسجمة، تهدف إلى تبليغ الرسالة عن طريق التكرار، والإعادة، وتفضي إلى وجود الرغبة، والإصرار للوصول إلى مبتغاه.
- أفصح التخالف الصوتي -المتمثل في هيمنة الأصوات المجهورة على المهموسة- عن حجم المعاناة التي يعيشها الشاعر؛ ذلك أن الجهر أقوى، وأوضح في التعبير عما في النفس.
- تجلى التخالف التركيبي في تنوع الأساليب، ما بين خبر، وإنشاء، والتفات من الغيبة إلى الحضور، والعكس، بما يثير المشاعر، ويحرك الذهن، ويشوق القارئ؛ غير أن طغيان الأسلوب الخبري يدل على أنه كان يسعى لتقرير الوقائع والأحداث.

#### الهوامش والإحالات:

- (1) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3/1992م، ص25.
- (2) المصدر السابق، ص 19-20.
- (3) ينظر: المصدر نفسه، ص28-29.
- (4) سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني/ بيروت- الدار البيضاء- ط1/2010م، ص85.
- (5) تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص)، ص21.
- (6) حازم على كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1999م، ص43.
- (7) نفسه، ص44.
- (8) نفسه، ص43.
- (9) نفسه، ص43.
- (10) تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع/سورية- ط1/1983م، ص16.

- 11) حازم كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، ص43.
- 12) ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، د.ط، 2000م، ص414.
- 13) نفسه، ص414.
- 14) ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1952م، ص60.
- 15) إبراهيم بن محمد بن عبدالرحيم اللخمي (ت790هـ)، مختصر شرح بانث سعاد وإعرابها، دراسة وتحقيق- الطالب- ضياء الدين حمزة عبدالسلام الغول- إشراف الأستاذ الدكتور-محمود محمد العامودي- الجامعة الإسلامية غزة - 2009م، ص4.
- 16) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ص73.
- 17) نفسه، ص79.
- 18) جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، كنه المراد في بيان بانث سعاد، دراسة وتحقيق: مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، بيروت/لبنان، ط-1/2005م، ص121.
- 19) نفسه، ص43.
- 20) رجاء عيد، القول الشعري منظورات معاصرة، منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ط، ص169.
- 21) نفسه، ص174.
- 22) نفسه، ص89-90.
- 23) حازم كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، ص44.
- 24) نفسه، ص44.
- 25) نفسه، ص44.
- 26) ينظر: جلال الدين السيوطي، كنه المراد في بيان بانث سعاد، ص180.181.
- 27) حازم كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، ص43.
- 28) نفسه، ص44.
- 29) نفسه، ص44.
- 30) نفسه، ص43.
- 31) ينظر: حازم كمال الدين، علم الأصوات، ص414.
- 32) حازم كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، ص44.
- 33) القول الشعري منظورات معاصرة، ص89.90.

- 34) ينظر: جمال الدين محمد بن هشام الأنصاري النحوي-(708هـ-761هـ)، شرح قصيدة بانث سعاد، دراسة وتحقيق/ الدكتور/عبدالله عبدالقادر الطويل-المكتبة الإسلامية- القاهرة/ مصر-ط1/2010م، ص88.
- 35) كنه المراد في بيان بانث سعاد، ص118.
- 36) ينظر: نفسه، ص127، 128.
- 37) نفسه، ص180.
- 38) نفسه، ص203.
- 39) نفسه، ص203.
- 40) ينظر: نفسه، ص204 - 208.
- 41) نفسه، ص191.
- 42) نفسه، ص211.
- 43) ينظر: نفسه، ص217.
- 44) ينظر: نفسه، ص227.
- 45) ينظر: نفسه، ص187.





## اتجاهات طلبة جامعة صنعاء نحو العلاج النفسي

أ.م.د. بلقيس محمد جباري\*

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على توجه طلبة جامعة صنعاء نحو العلاج النفسي، وإلى التعرف على طبيعة الفروق في مستوى التوجه نحو العلاج النفسي لدى الطلبة تبعاً للمتغيرات الديمغرافية (الجنس، التخصص، المستوى الدراسي)، وللتحقق من هذه الأهداف قامت الباحثة ببناء مقياس لقياس الاتجاه الذي تكون في صورته النهائية من (32) فقرة، وتم توزيع هذا الاستبيان على عينة من طلبة جامعة صنعاء من أربع كليات هي كليات الهندسة والزراعة ممثلتين للكليات العلمية، وكلية الشريعة والقانون وكلية التجارة والاقتصاد، وقد بلغت عينة الدراسة (400) طالب وطالبة، (200) ذكور و(200) إناث، موزعة على المستويين الأول والرابع بالتساوي. وقد استخدمت الباحثة الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) لتحليل البيانات التي تحصلت عليها من العينة، وقد توصلت الدراسة إلى:

- 1- أن أفراد العينة لديهم مستوى فوق المتوسط من الاتجاه نحو العلاج النفسي بصورة إيجابية بشكل عام.
- 2- عدم وجود فروق في مستوى التوجه نحو العلاج النفسي دالة إحصائياً تبعاً لمتغير الجنس.
- 3- عدم وجود فروق دالة إحصائياً في مستوى التوجه نحو العلاج النفسي تبعاً لمتغير التخصص (علمي - إنساني).

\* أستاذ علم النفس المشارك- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة صنعاء- الجمهورية اليمنية.

4- وجود فروق في مستوى التوجه نحو العلاج النفسي تبعاً لمتغير المستوى (أول - رابع) وهذه الفروق كانت لصالح طلبة المستوى الرابع.

وعلى إثر ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ومن استعراض للأطر النظرية والدراسات السابقة قامت الباحثة بوضع بعض من التوصيات والمقترحات لهذه الدراسة.

### Attitudes of Sana'a University attitudes towards Psychotherapy

Assoc. Prof. Bilqis Mohammed Jobari

#### Abstract:

This study aimed at identifying the attitudes of Sana'a University students towards psychotherapy and the differences in the level of their attitudes according to these demographic variables: gender, specialization and study level. To achieve this objective, the researcher developed a questionnaire in order to measure the students' attitudes. The questionnaire consisted of 32 items and was distributed to a sample of 400 students selected from 2 science colleges (Engineering and Agriculture) and 2 humanities colleges (Law and Commerce and Economics). The participants were 200 males and 200 females selected equally from level I and level II in the four colleges. The statistical package for social sciences (SPSS) was used to analyze the data obtained from the sample. The study findings revealed that the respondents' attitude towards psychotherapy is generally above the average in a positive way. Also, there were no statistically significant differences in the level of the attitude towards psychotherapy due to the variables of gender and specialization (science and humanities). However, there were statistically significant differences in the level of students' attitude towards psychotherapy due to the study level variable (first - fourth) in favor of the fourth level. Based on the results of the study, the review of theoretical framework and previous studies, the researcher proposed a set of pertinent recommendations and suggestions.

### أولاً: أهمية البحث والحاجة إليه

على الرغم من التطورات السريعة والمتلاحقة في مجال علم النفس والطب النفسي، والمجتمع اليمني من حيث ازدياد عدد المستشفيات والعيادات والمؤسسات المتخصصة - ازدياد لا بأس به مقارنة بما كان الوضع عليه سابقاً<sup>(1)</sup> - فإنه ما يزال هناك كثير من الجوانب بحاجة إلى الدراسة في هذا الصدد، فلا تكفي زيادة المنشآت النفسية كدلالة على تحسن وضع علم النفس، بل لا بد من دراسة اتجاهات المجتمع اليمني نحو علم النفس عامة والعلاج النفسي خاصة، وتعد الباحثة هذا البحث مكملاً لما سبق أن قامت بدراسته حول واقع الصحة النفسية في اليمن، وهو من ضمن مقترحات البحث السابق مما يحقق تكميلاً لنقص الأبحاث، وفتح أبواب لمجالات أوسع في هذه الدراسات تختص بعلم النفس في اليمن بشكل أوسع.

ومن أهم الشرائح في المجتمع اليمني التي أثارت انتباه الباحثة بحكم أنها معالجة نفسية<sup>(2)</sup> وشكلت بالنسبة إليها علامة استفهام، هي شريحة الطلبة الجامعيين، المترددين على مركز الإرشاد التربوي والنفسي وعلى مؤسسة التنمية الأسرية، فبالرغم من أنها شريحة واعية متعلمة بطبيعة الحال، إلا أنها أبدت في أغلب الأحيان ما يشير إلى اتجاه خاطئ وسلبي للعلاج النفسي، والإرشاد النفسي، وعلم النفس بشكل أعم، فكثيراً ما يطلب الطلبة عدم كتابة أسمائهم وكلياتهم وحتى معلومات حالتهم التي تعد أساسية في عملية الإرشاد والعلاج النفسي ويتعاملون بحذر وحرص هذا إذ لم يقم الطلبة بتزييف بياناتهم مما يوحي إلى اعتبارهم هذا الأمر - طلب الخدمات النفسية - وصمة عار تؤسم بهم. على عكس ما كانت تتوقع الباحثة من استجاباتهم بحكم مستواهم التعليمي.

فإذا كانت هذه الحال رغم الأهمية المتسارعة لعلم النفس لجميع المجالات لدى الطلبة المتعلمين فما بالناس بالفئات الاجتماعية الأخرى. وشباب المجتمع في أي مجتمع هم قادته في المستقبل المنظور، وعليهم يقع العبء الكبير في تطوير المجتمع وتقديمه بمختلف المجالات، وهم النواة الحقيقية في بناء المجتمع وهم من أهم الفئات الاجتماعية تأثيراً وتأثراً بالتنمية والتحديث والتغيرات الاجتماعية التي تصاحب تلك النشاطات، وتشكل قيمهم واتجاهاتهم التي اكتسبوها

خلال التنشئة الاجتماعية في مختلف مراحل حياتهم المعيار الذي يحدد سلوكهم الاجتماعي، ومضمون الأدوار التي يلعبونها في مجال العمل والإنتاج، وفي أي مجال آخر من مجالات الحياة<sup>(3)</sup>. أما على مستوى اليمن كقطر فإن شريحة الشباب تعتبر أيضاً من أكثر الشرائح اتساعاً، إذ تقدر نسبة هذه الشريحة بأكثر من مليون ونصف شاب تتراوح أعمارهم بين (15-24) سنة، وهؤلاء يشكلون قرابة 13% من سكان الجمهورية اليمنية<sup>(4)</sup>.

وعليه، فإن ما سبق يؤكد أهمية فئة الشباب الجامعيين أيضاً، وضرورة الاعتناء بها، وتعدد الدراسات والبحوث التي أجريت على هذه الشريحة الاجتماعية، ومن تلك البحوث والدراسات ما تناول اتجاهاتهم نحو مختلف المواضيع في الميادين النفسية والاجتماعية، كاتجاهات الطلبة الجامعيين نحو بعض المفاهيم الاجتماعية التربوية، واتجاهاتهم نحو المرأة في المجتمع، واتجاهاتهم نحو مهنة التدريس، واتجاهاتهم نحو مواد دراسية معينة، واتجاهاتهم نحو مفاهيم لذواتهم، هذا فضلاً عن دراسات أخرى كثيرة تناولت الكشف عن اتجاهات الطلبة نحو موضوعات متنوعة<sup>(5)</sup>.

وقد تمكننا دراسة الاتجاهات من فهم سلوكيات الناس والتنبؤ بها وقياس اتجاهاتهم في مختلف مواقف الحياة بصفة عامة وطلبة الجامعات على وجه الخصوص<sup>(6)</sup>. إن الخدمات النفسية والاجتماعية من المهن التي تعمل على تغيير اتجاهات الأفراد والجماعات لتحقيق التنمية الاجتماعية، وهي تستند إلى الحقيقة العلمية التي مؤداها أن الأفراد والجماعات يمكن تغيير اتجاهاتهم إذا ما تغير محور اهتمامهم.

#### ثانياً: مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث الحالي في الإجابة عن الأسئلة التالية:

- 1- ما مستوى اتجاهات طلبة جامعة صنعاء نحو العلاج النفسي؟
- 2- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات الطلبة نحو العلاج النفسي يعزى إلى المستوى الدراسي؟

3- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات الطلبة نحو الخدمات النفسية الاجتماعية تبعاً لمتغير الجنس (ذكر / أنثى)؟

4- هل هنالك فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات طلبة جامعة صنعاء تبعاً لمتغير التخصص ( علمي / أدبي)؟

ثالثاً: أهداف البحث

يهدف البحث إلى الآتي:

1- التعرف على مستوى **اتجاهات** طلبة جامعة صنعاء نحو العلاج النفسي.

2- التعرف على طبيعة الفروق في **اتجاهات** طلبة جامعة صنعاء نحو العلاج النفسي تبعاً لمتغير الجنس (ذكور أو إناث).

3- التعرف على طبيعة الفروق في **اتجاهات** طلبة جامعة صنعاء نحو العلاج النفسي تبعاً لمتغير التخصص ( علمي أو أدبي).

4- التعرف على طبيعة الفروق في **اتجاهات** طلبة جامعة صنعاء نحو العلاج النفسي تبعاً لمتغير المستوى الدراسي.

رابعاً: حدود البحث

تمثلت حدود البحث على وفق ما يأتي

أولاً: الحدود المكانية: ويتحدد البحث مكانياً بطلبة جامعة صنعاء بكلياتها، وبالاقتران على الكليات الرئيسية لجامعة صنعاء (حدود الأمانة) ولم تشمل الكليات الفرعية، ووقع الاختيار على كليتي الهندسة والزراعة ممثلتين للكليات العلمية، وكلية الشريعة والقانون وكلية التجارة والاقتصاد.

ثانياً: الحدود الزمانية: طبقت دراسة هذا البحث في العام الجامعي 2015-2016م.

ثالثاً: الحدود البشرية: لقد اقتصر البحث على طلبة المستوى الأول والرابع من الجنسين: الذكور والإناث، الذين يدرسون في جامعة صنعاء **بمختلف كلياتها للعام الجامعي** 2015-2016م.

رابعاً: الحدود الموضوعية: ويتحدد بدراسة اتجاهات طلبة جامعة صنعاء نحو العلاج النفسي.

### خامساً: تحديد المصطلحات

1-الاتجاه Attitude: عرفه ثيرستون (1947) بأنه: درجة التأثير الإيجابي أو السلبي التي ترتبط ببعض المواضيع<sup>(7)</sup>. وعرفه كرتش وكترشفيلد Kerch and Crutshfield (1962) بأنه: تكوين دائم من الدوافع والإدراك والانفعالات والعمليات المعرفية المرتبطة بجوانب حياة الفرد<sup>(8)</sup>. وعرفه دافيدوف (1980) بأنه: مفهوم متعلم أو تقويم يرتبط بأفكارنا ومشاعرنا وسلوكنا<sup>(9)</sup>.

وعرفه التميمي (1979) بأنه: دافعية مكتسبة، ثابتة نسبياً، صريحة أو ضمنية، يمكن التعبير عنها لفظياً، وهي ناشئة عن تنظيم اعتقادات الفرد أو الجماعة نحو أشياء أو موضوعات مرغوب فيها أو غير مرغوب فيها في بيئتهم الطبيعية والاجتماعية<sup>(10)</sup>.

ونلاحظ في التعريفات أنها مختلفة تبعاً لاختلاف وجهة النظر الفردية أو تساوقاً مع نظريات اجتماعية أو نفسية، إلا أن المتبع يجد فيها كثيراً من التساؤلات. فمن التعريفات ما ينظر إلى الاتجاه بأنه ميل معقد للاستجابات، ومنها ما ينظر إليه على أنه ميل ثابت إلى حد ما لموضوع معين، ومنها ما ينظر إليه على أنه وجهة نظر الشخص إلى موضوع من الموضوعات.

وتتبنى الباحثة تعريف (التميمي، 1979) نظراً إلى انطوائه على المكونات النفسية الأساسية للاتجاهات النفسية كما حددها الباحث في المصدر المذكور نفسه وبرر صياغة تعريفه المذكور في ضوءها.

التعريف الإجرائي للاتجاهات: هي الدرجة التي يحصل عليها المبحوث قبولاً أو رفضاً لذاته، ويستدل عليها من خلال استجاباته على فقرات المقياس المعد لهذا الغرض.

2- العلاج النفسي Psycho therapy: عرفه (Wallberg, 1977) بأنه: عملية تتم بوسائل نفسية، لمشكلات ذات طبيعة انفعاله يقوم بها شخص مدرب يؤسس علاقة مهنية مع مريض بهدف:

- إزالة أو تعديل أعراض في سلوكه.
- التوسط لإصلاح أنماط سلوكية مضطربة فيه.
- تعزيز نمو شخصية إيجابية منظورة فيه<sup>(11)</sup>.

وعرفه دافيدوف (1980) بأنه: عبارة عن استخدام طرائق المعالجة النفسية بقصد مساعدة الأفراد المضطربين عقلياً، وهو محاولات لبناء الخبرات التي من شأنها تمكين المريض من مسامرة الحياة بطريقة أكثر بناء ورضاً<sup>(12)</sup>. وعرفه حمود (1990) بأنه: العلاج الذي يستخدم فيه أي من الفنيات النفسية في علاج الاضطرابات النفسية والعقلية وفنيات العلاج النفسي كثيرة، لكن للكلمة دور رئيسي في العلاج النفسي<sup>(13)</sup>. وعرفه الخامري (2000) بأنه: عملية منظمة يقوم بها المعالج النفسي خدمة لمن يعانون من الاضطرابات النفسية والعقلية والمشكلات السلوكية مستعيناً بكل ما يمكنه من وسائل بهدف إعادة التوافق والانسجام والصحة النفسية للمضطربين، منطلقاً من نظرة كلية وفهم عميق لكون الإنسان وحدة نفسية جسمية روحية اجتماعية<sup>(14)</sup>. وعرفه زهران (2005) بأنه: نوع من العلاج تستخدم فيه أي طريقة نفسية لعلاج مشكلات أو اضطرابات أو أمراض ذات صبغة انفعالية يعاني منها المريض<sup>(15)</sup>.

#### سادساً: الخلفية النظرية للاتجاهات

أشار روكش Rokeach إلى أن الاتجاهات عموماً تشتق من وحدات نفسية أساسية يطلق عليه معتقدات believes، وهذه المعتقدات هي تعبيرات تظهر بأنماط سلوكية فعلية ذات علاقة بموضوع أو شيء معين، ويقوم الاتجاه بتنظيم هذه المعتقدات ذات العلاقة المتبادلة حول موضوع معين، وطبقاً لوجهة النظر هذه، يمكن القول بأن الاتجاهات هي خلاصات أو محصلات تقديرية أو تقويمية للمعتقدات الأساسية<sup>(16)</sup>.

#### أ. مكونات الاتجاه:

مما سبق، وبحسب اطلاع الباحثة فيما يتعلق بموضوع الاتجاه يمكن إجمال مكونات

الاتجاه في ثلاثة مكونات هي: مكون معرفي، مكون وجداني، مكون سلوكي:

- 1- المكون المعرفي: يشير ببساطة إلى مجموعة الأفكار والمعتقدات والحجج التي يتقبلها الشخص نحو موضوع الاتجاه، وترتبط بنمطية التفكير لدى الفرد وما سبق أن تعرض له من معارف متعلقة بموضوع الاتجاه.

- 2- المكون الوجداني: يتعلق بالجانب الشعوري أي بما يظهره الفرد نحو موضوع الاتجاه إقبالاً أو أحجاماً، تحبيذاً أو نفوراً، حباً أو كراهية، وهذا البعد ناتج عن البعد المعرفي.
- 3- المكون السلوكي: يتعلق بالجانب السلوكي الظاهري للفرد نحو موضوع الاتجاه، وهو من آخر جوانب ظهور الاتجاه ومعرفته، فإذا كان الاتجاه ذا محتوى سلبي كالتعصب، فإن الترجمة السلوكية تصاحبها أخطار كثيرة، منها إيقاع الألم، والإجحاف، والظلم، ورفض موضوع الاتجاه، وعدم تقبله ورفض جميع إيجابياته.
- ب. خصائص الاتجاهات:
- 1- الاتجاهات النفسية مكتسبة ومتعلمة وليست موروثية.
- 2- الاتجاهات لا تتكون في فراغ ولكنها تتضمن دائماً علاقة بين فرد وموضوع من موضوعات البيئة.
- 3- تتعدد الاتجاهات حسب المثيرات المرتبطة بها.
- 4- الاتجاهات النفسية لها خصائص انفعالية.
- 5- الاتجاه النفسي قد يكون محدداً أو عاماً.
- 6- الاتجاه النفسي يقع بين طريقتين متقابلين أحدهما موجب والآخر سالب، أي التأييد المطلق والمعارضة المطلقة، كأن يكون أحدهم مؤيداً تمام التأييد في اتجاهه الموجب نحو إعطاء المرأة حقوقها السياسية، ومعارضاً تماماً في اتجاهه السالب نحو المركزية في الخدمات.
- 7- الاتجاه النفسي يغلب عليه الذاتية أكثر من الموضوعية من حيث محتواه ومضمونه المعرفي. (مثال ذلك: أن مجموعة من الأفراد قد شهدوا بألسنتهم أنهم يؤيدون الديمقراطية أو الاشتراكية التعاونية بكل جوارحهم، ثم يكون لكل فرد منهم مفهومه الخاص عن هذه الموضوعات).
- 8- الاتجاهات النفسية تتفاوت في وضوحها وجلائها، فمنها ما هو واضح المعالم، ومنها ما هو غامض.



- 9- تختلف الاتجاهات النفسية من حيث درجة ترابطها ومقدار التكامل فيما بينها.
- 10- الاتجاهات النفسية لها صفة الثبات والاستقرار النسبيين ولكن من الممكن تعديلها وتغييرها تحت ظروف معينة.
- 11- الاتجاه النفسي قد يبقى قوياً على مر الزمن، ويقاوم ظروف التغيير والتعديل وهذا راجع إلى:
- أ. زيادة درجة وضوح معالمة عند الفرد.
- ب. عندما تكون له أهمية وقيمة كبيرتين في تكوين معتقدات الفرد وشخصيته<sup>(17)</sup>.
- ج. شروط تكوين الاتجاهات:
- 1- المرور بخبرة جزئية مواتية أو غير مواتية: حادة تدور حول موضوع الاتجاه فالخبرة التي يصاحبها انفعال حاد تساعد على تكوين الاتجاه نحو الخبرة التي لا يصحبها مثل هذه الانفعال.
- 2- تكرار الخبرة: ليتكون الاتجاه، يجب أن يتكرر الخبر، فعلى سبيل المثال: يجد الفرد في نفسه صعوبة في فهم مادة الحساب مثلاً، وتتكرر هذه الخبرة في أخرى ترتبط بالحساب كالمهندسة والجبر مثلاً، فنجد أن الطالب يكون اتجاهاً نحو مادة الرياضيات وقد يدفع الاتجاه هذا الفرد إلى نزوع معين كأن يدعو أصدقاءه إلى مقاطعة كتب الرياضيات ودخول القسم الأدبي بدلاً من القسم العلمي، وهكذا.... إلخ.
- 3- تكامل الخبرة: عندما تتكامل الخبرات الفردية المتشابهة في وحدة كلية تصبح هذه الوحدة إطاراً ومقياساً تصدر عنه أحكامنا واستجاباتنا للمواقف المشابهة لمواقف تلك الخبرات الماضية، فمثلاً عندما يفشل الطالب في الحساب لا يكون عنده اتجاه ضد المدرسة أو عملية التعلم عموماً إلا إذا فشل في عدة مواد أخرى بحيث تتكامل خبرة الفشل ومن ثم يتكون الاتجاه.
- 4- حدة الخبرة: للخبرة الانفعالية أثر قوي في تكوين الاتجاهات التي تتكون دائماً في مواقف المعاناة، عندما يحتك بعناصر بيئية احتكاكاً انفعالياً من درجة معينة.

5- تمايز الخبرة: يؤدي تعميم الخبرات الفردية المتتالية إلى تحديد اتجاه واضح قوي وهذا أخرى بأن ينحو الاتجاه نحو النضج والاكتمال، فيفضل على بقية الاتجاهات الأخرى ويكتسب ذاتية.

6- تعميم الاتجاه: وتطبيقه على الحالات والمواقف الفردية التي تجابه الفرد وتدور حول موضوع الاتجاه<sup>(18)</sup>.

د. طريقة تعديل الاتجاهات وتغييرها:

تري الباحثة أن عملية تغيير الاتجاهات عملية صعبة، كون الاتجاهات تتغير بمرور الزمن، لتصبح من بين مكونات شخصية الفرد الرئيسية ولكن التعديل أو التغيير ليس بمستحيل. فإذا ما تناولنا الاتجاهات بالدراسة ضمن ثلاثة محاور رئيسية فسوف تساعدنا على تغيير الاتجاهات وهي:

1- كيفية نشأة هذا الاتجاه.

2- دلالة هذه الاتجاه بالنسبة إلى الفرد، وما الذي يحققه للفرد من متطلبات.

3- مدى معرفة الفرد بموضوع الاتجاه.

قد ينشأ الاتجاه لدى الفرد نتيجة تواجده في جماعة أو مجتمع أو حتى مؤسسة تفرض عليه تقبل أو رفض أو تكوين رأي محدد نحو موضوعات معينة في مجتمعه وبيئته كمحدد لقبوله أو رفضه من قبل الجماعة أو المجتمع، وهنا نستخدم لفظ الجماعة كدلالة على أي نوع من التنظيم سواء كان تنظيمياً اجتماعياً (جماعة المسائرة) أم تنظيمياً إدارياً (المؤسسة أو المهنة) أم تنظيمياً سياسياً أو حزبياً وغير ذلك، وكذلك دراسة ما يحققه هذا الانتماء والقبول أو الرفض للفرد من مشاعر انتماء أو منافع تتصل بحياته سواء من الجانب الاجتماعي أم الاقتصادي. أما الخطوة الثالثة فهي خطوة تبصيرية معرفية بالدرجة الأولى، فهنا نسأل إلى أي مدى حقاً يعرف الفرد موضوع الاتجاه، وهل معرفته بموضوع الاتجاه كانت بسبب مسيرته لجماعات معينة أو أن هذه المعرفة قاصرة، وتتصل بجوانب شوهت معرفياً، أو بسبب خبرات صادمة أغلقت الطرق أمام تقبل موضوع الاتجاه أو مناقشته.

وهذه الخطوات نستطيع تغيير الاتجاه، ولا نغفل أيضاً الانتباه لعدة نقاط رئيسية تكون سبباً في تكوين الاتجاهات وتغييرها على حد سواء، وهي:

– الثقافة السائدة في المجتمع: فنحن نتقبل ما نترى على تقبله في مجتمعاتنا وحسب تنشئتنا الاجتماعية والتطبع الاجتماعي، وهذا ما نلمسه حقاً في ثقافة مجتمعنا اليمني، وإن كان لنا آراؤنا وخبراتنا الخاصة فنادرًا ما نجد أحداً يعاكس اتجاه المجتمع نحو قضايا معينة، وكما يقال: ( بين أخوتك مخطي ولا وحدك مصيب).

– التعليم: تلعب العملية التعليمية دوراً كبيراً في عملية تكوين الاتجاهات وتغييرها سلباً أو إيجاباً من حيث العوامل المتصلة بها مثل شخصية المعلم، والجو الدراسي، وعلاقة التلميذ بمعلمه وزملائه وتحول الجماعة المدرسية إلى جماعة مرجعية.

– وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي: مما لا شك فيه أن للإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي أثراً في تكوين الاتجاهات وتغييرها سلباً أو إيجاباً وفيما يتصل بموضوع الدراسة، فهناك أيضاً أثر للأفلام والمسرحيات و النكت الساخرة في التعامل مع العلاج النفسي وتصويره للمرضى بالمجانين، وأن المعالج النفسي أو عالم النفس مجنون وإظهارهم أيضاً بأنهم يستغلون والمرضى بطرق لا أخلاقية، وحتى في الأشكال الكاريكاتورية في الصحف والمجلات والمواقع الاجتماعية، وهي طريقة تثير الضحك والسخرية وقد يعتبرها البعض عابرة لا تترك أثراً في توجهات الفرد نحو علم النفس أو أي موضوع آخر لكننا نعلم أن لا شيء يمر في حياتنا دون أن يترك أثراً في سلوكياتنا وطريقة استجاباتنا وتفكيرنا.

– الأحداث الهامة: يمتاز المجتمع اليمني بوتيرة سريعة في الأحداث والتداعيات التي تترك المجتمع في حالة من التغير الدائم في الاتجاهات والآراء، فما يُوافق عليه بالأمس يتغير الاتجاه نحوه اليوم، فتغير الإطار المرجعي للفرد يتغير (المكون المعرفي).

– التغير التكنولوجي: التغير التكنولوجي قد يؤدي إلى تغير العلاقات بين الأفراد والجماعات والمجتمعات فيؤدي إلى ظهور مواضيع لم تكن معروفة من قبل تسهم في اتخاذ اتجاهات سلبية أو إيجابية نحوها.

### هـ. العوامل التي تجعل تغير الاتجاه سهلاً:

- 1- ضعف الاتجاه وعدم رسوخه.
- 2- وجود اتجاهات متساوية في قوتها، بحيث يمكن ترجيح أحدها على باقي الاتجاهات.
- 3- عدم تبلور ووضوح اتجاه الفرد نحو موضوع معين.
- 4- وجود خبرات مباشرة تتصل بموضوع الاتجاه.
- 5- عدم وجود مؤثرات مضادة للاتجاه.
- 6- سطحية الاتجاه مثل الاتجاهات التي تتكون في الجماعات الثانوية (كالنقابات، الأحزاب السياسية...).

### و. العوامل التي تجعل تغير الاتجاه صعباً:

- 1- قوة الاتجاهات القديمة ورسوخها.
- 2- زيادة درجة وضوح معالم الاتجاه عند الفرد.
- 3- استقرار الاتجاه في شخصية الفرد وارتفاع قيمته وأهميته.
- 4- الاقتصاد في محاولة تغيير الاتجاه على الأفراد وليس على الجماعة، حيث إن الاتجاهات تنتج أصلاً عن الجماعة.
- 5- الجمود الفكري وصلابة الرأي عند الأفراد.
- 6- محاولة تغيير الاتجاه رغم إرادة الفرد<sup>(19)</sup>.

### ز. النظريات التي فسرت الاتجاه:

#### 1- وجهة النظر السلوكية

يشير رواد هذه النظرية إلى أن تكوين الاتجاهات وتغييرها يتم عن طريق **الإشراف** الكلاسيكي القائم على أساس عملية الاقتران المتكرر بين الاتجاه المرغوب فيه وبين الشعور بالارتياح في مواقف مختلفة. كما أن الاتجاهات تتكون حسب النظرية السلوكية عن طريق الإشراف الإجرائي الذي يرى أنصاره أن يكون الاتجاه السلبي لدى الفرد نحو موضوع معين حدث

نتيجة حدوث تعزيز لهذا الاتجاه، ولذلك يتطلب تغيير هذا الاتجاه من اتجاه سلبي إلى اتجاه إيجابي نحو هذا الموضوع، وذلك من خلال وحذف المعززات التي أدت إلى تكوينه واستبداله بتوفير التعزيز المقصود والهادف إلى تكوين اتجاهات إيجابية نحو هذا الموضوع أو أي موضوع يراد تكوين اتجاهات إيجابية نحوه<sup>(20)</sup>.

## 2- وجهة النظر المعرفية

تستند المدرسة أو النظرية المعرفية إلى افتراض أن الأفراد يدركون ما يواجهونه بصورة مختلفة ومرتبطة بالطريقة التي يدركها، ويحدد الفرد ذلك بما لديه من معارف وأبنية معرفية واستراتيجيات معرفية في خزن المعرفية واستيعابها؛ لذلك فإن اتجاه الفرد هو عبارة عن صورة ذهنية مخزونة على صورة خبرات مدمجة في أبنية المعرفية، ولذلك فإن الاتجاهات أبنية معرفية مخزونة في ذاكرة الأفراد، فالاتجاهات السلبية هي مجموعة المعارف التي طورها الفرد أثناء تفاعله مع المواقف والشخصيات التي واجهته فالمعارف والأبنية المعرفية المخزونة لدى الفرد عندما خزنها ودمجها في بنائه المعرفي كان قد وضعها قيد المعالجة، وجمع عنها المعلومات والحقائق، ثم نظمها ورمزها في صورة تظهر فيها منتظمة ثم اختزنتها على صورة خبرة متكاملة، فالاتجاهات السلبية نحو الشيء قد تكون اتجاهات خاطئة قد طورها الفرد بصورة خاطئة<sup>(21)</sup>.

## 3- نظرية التناشز المعرفي

ترتبط هذه النظرية باسم (ليون فستنكر) والمقصود بالتناشز (التنافر) المعرفي: وهو حالة من التوتر أو عدم الراحة، يعيشها الفرد الذي تكون لديه فكرتان معرفيتان (أو أكثر) تكون مضامينهما غير منسجمة، أو غير متساوقة الواحدة مع الأخرى. (مثال: شخص يدخن بكثرة ويعرف أن التدخين يسبب السرطان). "لأن التنافر المعرفي حالة غير مريحة، لأن الفرد الذي يعيشها سوف يميل إلى تغيير إما معرفياته وإما سلوكه وإما أن يضيف عناصر معرفية جديدة من أجل خفض التنافر"<sup>(22)</sup>. ويرى فستنكر أن هناك ثلاثة مواقف عامة تنشط التنافر المعرفي وتستثير السلوك، هي:

1- يحدث التناشز عندما لا تتسق الجوانب المعرفية للفرد مع المعايير الاجتماعية.

2- ينشأ التناشز عندما يتوقع الأفراد حدوث حدث معين ويقع آخر بدلاً منه.

3- يحدث التناشز عندما يقوم الأفراد بسلوك مختلف مع اتجاهاتهم العامة.

ومن أهم ما تؤكد عليه نظرية التناشز وفقاً لمنطلقاتها:

1- أن الوحدات الأساسية في التنظيم المعرفي هي مجموع المعارف والأشياء والوقائع والسلوك.

2- تشكل هذه الوحدات الكيفية التي من خلالها يتم إدراك العالم المحيط بالفرد.

3- يميل الناس إلى أن يكونوا منسجمين أو متسقين في وحداتهم المعرفية وأفكارهم ومعتقداتهم واتجاهاتهم وسلوكهم<sup>(23)</sup>.

وترتكز هذه النظرية على افتراض مفاده أننا على وعي باتجاهاتنا وسلوكنا، وأنا نود لو أن هذه الجوانب المختلفة من أنفسنا كانت متسقة بعضها مع بعض، ويحدث التغيير في الاتجاهات أو التعديل عندما نحس بشيء من عدم الاتساق فيما بين معتقداتنا واتجاهاتنا، مثال: فرد يعاني من الاكتئاب ويعرف تماماً حاجته إلى العلاج النفسي ولكنه لأسباب متعددة يكتفي بعدم فعل شيء، ويبرر قوله لنفسه (سوف أحسن قريباً، هي مجرد مرحلة عابرة).

3- وجهة النظرية الجشطالتيّة:

يرى أنصار هذه النظرية التعلم (بالاستبصار) أن الاتجاهات تتكون بطريقة منسجمة بشكل كلي، وأن تتغير الاتجاهات السلبية نحو موضوعات معينة إلى اتجاهات إيجابية عن طريق مساعدة الفرد على إعادة تنظيم المعلومات الموجودة في بنائه المعرفي الإدراكي بطريقة جديدة متسقة<sup>(24)</sup>.

سابعاً: الخلفية النظرية للعلاج النفسي

إن علم النفس المرضي مثله مثل العلوم الأخرى لم يكن معزولاً عن بقية العلوم الإنسانية بل كان جزءاً منها، وعلى الأخص علم اللاهوت والفلسفة، وكان رجال اللاهوت أو الكهنة هم الذين يقومون بالعلاج الطبي، سواء أكان ذلك على شكل علاج بالأعشاب والمعاجين المختلفة أم على شكل تمانم أو تعاويد أو غيرها من الأساليب البدائية والشعوذات المختلفة التي لا زالت

تمارس إلى يومنا في البلدان المتخلفة. كان هيبواقراط أول من اهتم بهذا الجانب في الحضارات القديمة، وفي الحضارات العربية الإسلامية يعد ابن سينا من أهم العلماء الذين لا يباشرون علاج المريض دون الإمام الكامل بهذه الجوانب، على اعتبار أن معرفة المرض وأسبابه العضوية والنفسية سوف يلعب دوراً مهماً في العلاج<sup>(25)</sup>.

أ. النظرة إلى العلاج النفسي:-

يرتبط تقديم الخدمات النفسية والإرشاد (العلاج النفسي) بأنواعها المختلفة بدرجة تطور الوعي في أي مجتمع من المجتمعات، ونلاحظ الآن ازدياد الوعي النفسي لدى المواطن العربي في إقباله على الخدمات النفسية. إلا أنه في كثير من الأحيان لا يعرف إلى من سيلجأ. ولكن للأسف هذا الوعي نحو ضرورة الخدمة النفسية غير متوافق مع وجود عدد كاف من المتخصصين الفعليين المؤهلين في هذا المجال لتقديم الخدمات النفسية. وبسبب ذلك فإنه فكثيراً ما يلجأ هؤلاء إلى الطبيب النفسي الذي يقوم بوصف الأدوية فحسب. ولكن من ناحية أخرى فإن وصف الأدوية النفسية مفيد في الحالات الذهانية فقط. أما في حالة مشكلات الحياة اليومية ومشكلات القلق والمشكلات المرتبطة بالأحداث الحياتية المرهقة فقلما تفيد الأدوية، والأمر يحتاج إلى مساعدة نفسية من نوع آخر. وهذا ما يمكن أن يقوم به المتخصص النفسي أو الطبيب النفسي المتخصص بالعلاج النفسي<sup>(26)</sup>.

ومن ناحية أخرى، ما تزال هناك نظرة سلبية للعلاج النفسي، على اعتبار أن العلاج النفسي هو (للمجانين) وأن من يراجع معالماً نفسياً لابد من أن يكون مجنوناً. وهذا ما تعززه وسائل الإعلام، للأسف، من خلال عرضها لنماذج مختلفة من هذا القبيل في السينما والتلفزيون. إن المرض النفسي لا يختلف كثيراً عن المرض الجسدي، وكلاهما بحاجة إلى مساعدة متخصصة، فلماذا يخجل الفرد عندما يصاب بمرض جسدي ويخجل إذا ما شعر بالقلق أو التوتر أو بالاكئاب؟!!

ب. أهداف العلاج النفسي:-

من أهم أهداف العلاج النفسي ما يلي:-

- 1- تحقيق الصحة النفسية والتوافق النفسي وهو صلب أهداف عملية العلاج.
- 2- إزالة الأسباب التي أدت إلى المرض وعلاج أعراضه.
- 3- حل المشكلات التي يتعرض لها الفرد.
- 4- تعديل السلوك غير السوي وتعديل الدوافع.
- 5- التخلص من نواحي الضعف والعجز.
- 6- تحويل الخبرات المؤلمة إلى خبرات سعيدة.
- 7- تغيير مفهوم الذات السلبي وتحقيق تقبل الذات، وتقبل الآخرين.
- 8- تحقيق التوافق الشخصي والاجتماعي والمهني.
- 9- زيادة القدرة على حل الصراعات النفسية.
- 10- العمل على إتمام الشفاء، والحيلولة دون حدوث النكسة<sup>(27)</sup>.

ج. أساليب العلاج النفسي المبنية على النظريات النفسية المختلفة.

#### 1- الاتجاه العضوي Organic Attitude:

وهذا الاتجاه يعتبر الاتجاه الأول الذي حاول تفسير وعلاج الأمراض النفسية، ويؤكد هذا الاتجاه أن الاختلال الوظيفي (البايولوجي) هو السبب الرئيسي في الأمراض النفسية المختلفة، ويعزى عادة إلى أعضاء محددة في الجسم أو إلى أنظمة غذائية، وقد افترض بنيامين أن السبب في الجنون يقع أساساً في الأوعية للدماغ، لذا فإن هذا الاتجاه ينظر إلى الجنون على أنه ( المرض المزمن للدماغ)، وعدت الوراثة السبب الجسدي الأعظم تأثيراً في حدوث المرض النفسي<sup>(28)</sup>.

والرائد الأول لهذا الاتجاه هو هيبوقراط، ومن الرواد في العصر الحديث (كراپلين) الذي أرجع سبب الأمراض النفسية إلى أسباب عضوية، بحتة مثل الوراثة/ خلل في عملية الهدم والبناء داخل الجسم/ تغير هرموني ولهذا فالعلاج يجب أن يكون عضوياً بحتاً<sup>(29)</sup>.



ولهذا وجدنا الكثير من توجهات الطلبة نحو العلاج النفسي على أنه لا ينفع، ويمكن معالجة المرض النفسي دوائياً، وأن أساليب العلاج النفسي كلامية تنظرية.

طرق العلاج بالنسبة للاتجاه العضوي:

- العقاقير. - الأنسولين. - جلسات الكهرباء. - الجراحة<sup>(30)</sup>.

د. الاتجاه النفسي Psycho attitude:

يجب أن ننوه أن جميع نظريات العلاج النفسي تستند إلى دراسات إكلينيكية، ومنها ما يبني نظرياً، ثم يطبق باعتباره برامج علاجية ويتم اعتمادها فليس للنظرية قيمة من غير أن تصبح منهجاً علاجياً إكلينيكياً له شروطه، وطرق عامة تخصه بشكل عام وطرق خاصة تختص بنظرية دون غيرها. إن العلاج النفسي، إذن، يقوم على التعلم، سواء أكان تعلم شيء جديد أم استرجاع شيء قديم أم تعلم كيفية التعلم، أم إزاحة تعلم خاطئ أم تعلم شيء تعلمه، إلا أنه يثبت: لأنه كان غير صحيح<sup>(31)</sup>.

أولاً: العلاج التحليلي Analytical therapy:

أ. العلاج التحليلي الكلاسيكي Psychoanalysis therapy:

ورائده سجموند فرويد Freud ويهدف العلاج التحليلي إلى عدة أهداف، هي:

1- تحديد الدوافع السليمة.

2- تقوية وظيفة الأنا المبني على الواقع، ويشمل توسيع إدراكات الأنا بدرجة تسمح بقبول الكثير من الهو.

3- تغيير محتوى الأنا الأعلى بدرجة تجعله معبراً عن المعايير أو المستويات الإنسانية بدلاً من المعايير الأخلاقية.

ويحاول التحليل النفسي أن يزيح سبب الأعصاب بدلاً من إزالة الأعراض، والتحليل النفسي ملائم لعلاج الأعصاب الرئيسية، والتي لا يزال الحد الأدنى من التماسك والتوجيه الواقعي، وليس ذلك متوقعاً في حالات الذهان التي لا يصلح معها التحليل النفسي<sup>(32)</sup>.

لم يقدم فرويد توضيحاً متسقاً لممارسة التحليل النفسي، ولكنه ناقش أساليبه في كثير من كتاباته وهناك خمسة عناصر رئيسية في عملية التحليل النفسي، هي:

- 1- التداعي الحر Free Association.
- 2- تحليل الأحلام Dream Analysis.
- 3- التحويل Transference.
- 4- التفسير Interpretation.
- 5- المقاومة Resistance<sup>(33)</sup>.

#### ب. علاج التحليل النفسي الحديث Neo-Freudians

وله أكثر من رائد، وهم الفرويديون الجدد أمثال: كارين هورني Horney، أوتورانك Rank، إيريك فروم Fromm، هاري ستاك سوليفان Sullivan. ويسمى هؤلاء بالفرويديين الجدد؛ لأنهم خرجوا عن تفسيرات فرويد الصارمة للنفس البشرية وطبيعة الصراع وآلياته، ونظر كل منهم إلى توجهات لا تبتعد بشكل رئيسي عن أساسيات التحليل النفسي، ولكنها تعد حقاً توجهات جديدة. تجدر الإشارة إلى أن العلاج التحليلي لا يطبق بشكل واسع في اليمن، هذا إذا لم نقل إنه نادر، لكن يؤخذ به لتفسير بعض المعطيات، أما كمنهج فلا يطبق وتتوجه أغلب الدراسات والممارسات العلاجية في اليمن نحو الاتجاه المعرفي في التفسير والعلاج.

ومن هذه الاختلافات أن فرويد في علاجه التحليلي يطبقه مع المرضى العصبيين الذين يتحملون المدة الطويلة للتحليل النفسي الكلاسيكي، كما أن عدد الجلسات عند فرويد من 4-15 أسبوعياً، أما الفرويديون الجدد فإن عدد جلسات تطبيقهم العلاجي مع المرضى متنوعي الاضطراب، مثل: مرضى اضطراب الشخصية والذهان، تبلغ من 2-5 أسبوعياً<sup>(34)</sup>.

وبالنسبة للتكنيكات العلاجية فهي لا تختلف في التحليلية الكلاسيكية والتحليلية الجديدة، كما أن التحليلية الجديدة تؤمن بأنه لا بد من الأخذ بعين الاعتبار العوامل الداخلية والخارجية في تقدير القابلية للعلاج وقابلية الفرد للتوافق العلاجي، ويمكن تقديرها بدراسة تاريخ الحياة، وبأخذ حدة وتكرار الانهيارات العصبية، ومقدار الاستثارة، ودرجة الصحة العقلية خلال الفترات

المتقطعة والعوامل الخارجية، مثل: القصور البدني والذكاء والعمر، والموقف الحياتي قد يسهل كل ذلك العلاج أو يعرقله، وأحياناً يكون العصاب هو الحل الوحيد لمشكلات المريض، والاستجابات إلى محاولات التفسير يمكن أن تساعد في تقدير القابلية العلاجية<sup>(35)</sup>.

في العلاج التحليلي عند الفرويديين الجدد تختار الأساليب التي تلائم المريض بدلاً من اختيار المريض الذي يلائم تلك الأساليب والتقنيات، كما يحدث في التحليل النفسي الكلاسيكي، وكذا فإن العلاج التحليلي (للمدرسة الحديثة) يركز على أن انتباه المريض يجب أن يتركز على مشكلات عامله الخارجي بدلاً من التركيز على ردود أفعاله تجاه المعالج، وفي الكلاسيكية ليس العلاج شفاء الماضي ولكنه اكتشاف حلول للمشكلات الحالية. "كما أن العلاج التحليلي علاج انتقائي عقلائي دينامي، ويبدو هذا على أساس توافقه وملاءمته لحاجة المريض عقب تنمية خطة مبنية على دراسة تشخيصية له، ومبنية على مرونته في التكيف مع المواقف المتغيرة نتيجة التقدم في العلاج"<sup>(36)</sup>.

### ثانياً: العلاج السلوكي Behavioral Therapy:

تركز هذه المدرسة في إجراءاتها العلاجية على الأعراض التي تعاني منها الحالة أكثر من تركيزها على الصراعات الداخلية أو اللاشعورية أو الأسباب التي تكمن وراء الأعراض، ويستهدف العلاج هنا إراحة الحالة من أعراضها بأسرع ما يمكن، بغض النظر عن الأسباب التي أدت إلى ظهور الاضطراب لدى الحالة، ومن الرواد الأوائل بالنسبة لهذه المدرسة جون واطسون Jhon. B. Watson وثورنديك Thorndike وبافلوف Pavlov، أما الجدد فهم: هل Hull وسكنر Skiner (ويقوم هذا المنهج العلاجي على فرضية مؤداها أن الأمراض النفسية هي عادات سلوكية متعلمة أو مكتسبة، ومن ثم يمكن علاجها في تعديل أو تغيير هذا التعلم)<sup>(37)</sup>.

### أساليب العلاج السلوكي:

تتعدد أساليب العلاج السلوكي وتختلف حسب ما يناسب الحالة، ومن أهمها:

- (1) التحصين التدريجي. Systematic Desensitization
- (2) النموذج العلمي. Modeling

Fooding	الغمر.	(3)
Negative Practice	الممارسة السالبة.	(4)
Self control	ضبط النفس.	(5)
Extinction and Reinforcement	الإطفاء والتعزيز.	(6)
Reciprocal inhibition	الكف المتبادل	(7)
Punishment	العقاب.	(8)
Omission Training	تدريب الإغفال (الإنطفاء)	(9)
Positive Reinforcement	التعزيز الموجب	(10)
Negative Reinforcement	التعزيز السالب	(11)
Avoidance Conditioning	الاشتراط التجنبي	(12)

### ثالثاً: العلاج المعرفي Cognitive therapy:

بدأ العلاج المعرفي في أوائل الستينات، عندما بدأ بيك أبحاثه في الاكتئاب (Beck, 1963, 1967, 1964) وقد بدأ بإثبات نظرية فرويد في أن المكتب يدير الغضب بحيث يصوبه نحو نفسه، وبدلاً من إثبات هذا الاتجاه النظري اكتشف أن المكتب يعاني من انحراف في توظيف أفكاره، ومن هذه البدايات نشأت نظرية بيك التي ترى أن الاضطرابات النفسية منشؤها اضطرابات معرفية تصبح الهدف الأوحد للعلاج<sup>(38)</sup>.

### تقنيات العلاج المعرفي:

ينقل المعالج للمريض بصورة مباشرة أو غير مباشرة مبادئ معينة هي:

1- أن إدراكه للواقع ليس هو الواقع نفسه، بل هو، على أفضل تقدير، صورة تقريبية للواقع، فالعينة التي يلتقطها للواقع هي عينة محددة بحدود ووظائفه الحسية (البصر والسمع والشم... إلخ) وهي حدود متأصلة فطرية.

- 2- إن تأويلاته للمدخل الحسي Sensory input تتوقف على عمليات معرفية من قبيل دمج المنبهات (المثيرات) وتفريقها، وهي عمليات بطبيعتها عرضة للخطأ؛ لأن العمليات والمدخلات الفسيولوجية والسيكولوجية قد تغير إدراكنا وفهمنا للواقع تغيراً كبيراً<sup>(39)</sup>.
- ويرى ألبورت (Allport) أن الشخص الناضج أو السليم نفسياً هو ذلك الذي يكون في حالة مستمرة من الملاءمة Becoming، وأن الشخص غير الناضج أو غير السليم نفسياً هو ذلك الذي أعيق نموه، وعليه يرى ألبورت أن مهمة المعالج النفسي هي مساعدة الفرد على أن يصبح عارفاً بمصادر أهدافه المشوهة ومعاونته على الوصول إلى النضج<sup>(40)</sup>.
- العلاج المعرفي: يركز على مساعدة المريض على التخلص من البقع المظلمة، ومن الإدراك العشوائي، ومن خداع الذات، ومن الأحكام غير الصحيحة، ولما كانت ردود الأفعال الانفعالية تؤدي بالمريض إلى طلب العلاج نتيجة للتفكير الخاطئ، فإنه يمكن تهديتها بتصحيح التفكير، ومن هنا فإن العلاج المعرفي يتطرق إلى مبادئ ومفاهيم متعددة، منها:
  - التشوهات المباشرة والملموسة للواقع والحقيقة: إن التشوهات المباشرة للواقع تظهر بوضوح في حالات المرضى بالشك والارتياب، ولكنها توجد أيضاً في الحالات الأخرى.
  - التفكير غير المنطقي: قد يكون التفكير مبنياً على مقدمات خاطئة، أو ينطوي على استنتاجات غير صحيحة، أو على نتائج خاطئة مستمدة من الملاحظات، أو ينطوي على مبالغة شديدة في التعميم.
  - التعاون أو المشاركة العلاجية: يجب أن يتفق المريض مع المعالج على المشكلة التي سوف تكون موضوعاً للمناقشة، وعلى الهدف من العلاج، وطرق تحقيق هذا الهدف ومدة العلاج.
  - بناء الثقة: يجب أن يتجنب المعالج الطرق التسلطية، والأسلوب الأكثر ملاءمة لبناء الثقة هو أن ينقل المعالج إلى المريض رسالة مثل: (إن لديك أفكاراً هي التي تحزنك وتؤلمك، وقد تكون صحيحة أو خاطئة، فدعنا نفحصها).

- تخفيف المشكلات: ينطوي تخفيف المشكلات على ثلاث خطوات:

1- التعرف على المشكلات ذات الأسباب المتشابهة وتجميعها معاً.

2- التركيز على العناصر التي تشكل المفتاح للاضطراب.

3- تحديد الحلقة الأولى من سلسلة الأعراض والتأكيد عليها.

- تعلم أن تتعلم: بالمشاركة النشطة في حل المشكلة فإن المريض يتعلم كيف يحل المشكلات،

ومن ثم يكون لذلك انعكاس إيجابي لديه؛ مما يعيد إليه الثقة بنفسه، ومن ثم يدفع به إلى

مزيد من التجارب<sup>(41)</sup>.

رابعاً: العلاج الانتقائي Selective therapy:

يتخذ المعالج النفسي واحداً من مواقف ثلاثة، هي:

1- اتباع طريقة علاجية قائمة على نظرية محددة.

2- اتخاذ موقف توفيق بين عدد من النظريات.

3- اتخاذ موقف تركيبي ابتكاري من عدد من النظريات والطرق.

والانتقائية تكاد تكون "دبلوماسية نفسية"، وتتطلب مرونة الفرد واستعداده لتقبل وجهات

نظر الآخرين، وميله إلى التوسط والاعتدال والبعد عن التطرف، والانتقائية تتضمن الشمولية،

فالمعالج النفسي لا بد أن يعرف كل الطرق، وأن يكون قادراً على استخدامها، وماهراً في الانتقال

من إحداها إلى الأخرى أو التوفيق بينها إذا اقتضى الأمر ذلك<sup>(42)</sup>.

وينبغي التنويه هنا أن العلاج الانتقائي لا يقوم على فكرة الحسن والسيئ في الاتجاهات، بل

يسعى إلى الجمع بين الأفضل مما يمكن اعتماده والتأليف بين أطرافه؛ بحيث ينتهي هذا الجهد

إلى معالجة تقوم على إطار مرن يتناسب مع الحالات المختلفة التي يتصدى لها المعالج النفسي<sup>(43)</sup>.

ثامناً: الدراسات السابقة

### 1- عرض الدراسات السابقة

أ. دراسة سليمان بومدين (1989) بعنوان: العلاقة بين التخصص والمستوى الدراسي والجنس وبين اتجاهات طلبة الجامعة نحو المرض النفسي.

هدفت الدراسة إلى التعرف على الفروق في اتجاهات طلبة الجامعة الأردنية نحو المرض النفسي وعلاقة تلك الاتجاهات بمتغيرات التخصص والجنس والمستوى الدراسي للطلاب، إضافة إلى التفاعل بين متغيري الجنس والتخصص، ولهذا الغرض طبق الباحث مقياس كوهين سترين للاتجاه نحو المرض النفسي على خمسة أبعاد: (العلاج، التقييد الاجتماعي، النظرة الإنسانية، التفاعل الاجتماعي، العلاقات الشخصية كسبب للمرض) وقد طبقت الدراسة على عينة مكونة من (444) طالباً وطالبة من السنتين الأولى والرابعة في كليات: التربية والتمريض والتجارة والآداب. وأظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة بين الذكور والإناث في الكليات المختلفة في اتجاهاتهم نحو المرض النفسي، وعدم وجود تفاعل بين متغيري الجنس والتخصص، وأظهرت أيضاً أن اتجاهات طلبة السنة الرابعة (علم النفس والتمريض) أكثر إيجابية نحو المرض النفسي من طلبة السنة الرابعة آداب؛ وذلك على بُعد واحد هو بعد التفاعل الاجتماعي، وأظهرت النتائج اتجاهات إيجابية نحو المرض النفسي لكل من طلبة كليتي التجارة والآداب أكثر من طلبة التمريض على ثلاثة أبعاد من المقياس، هي: (العلاج، والتقييد الاجتماعي، والنظرة الإنسانية)، كما أظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائياً في الاتجاهات نحو المرض النفسي بين طلبة علم النفس وطلبة التمريض على أربعة أبعاد، هي: (العلاج، التقييد الاجتماعي، النظرة الإنسانية، والتفاعل الاجتماعي) لصالح طلبة (علم النفس)، أما بالنسبة لمتغيري المستوى الدراسي، فقد أظهرت النتائج أن اتجاهات طلبة المستوى الرابع علم النفس أكثر إيجابية من اتجاهات طلبة السنة الأولى على ثلاثة أبعاد، هي: (التقييد الاجتماعي، النظرة الإنسانية، والتفاعل الاجتماعي) وبشكل عام أن متوسط اتجاهات أفراد العينة نحو المرض النفسي كان مرتفعاً جداً<sup>(44)</sup>.

ب. دراسة بركات وحسن (2006) بعنوان: الاتجاه نحو المرض النفسي وعلاجه لدى عينة من الطلاب الجامعيين في شمال فلسطين.

هدفت الدراسة إلى معرفة اتجاه الطلاب الجامعيين نحو المرض والعلاج النفسي في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية والتربوية: الجنس، والتخصص، والعمر، والتحصيل، ومكان السكن، ودخل الأسرة. وقد تم تطبيق مقياس الاتجاه نحو المرض النفسي وعلاجه على عينة بلغت (228) طالباً وطالبة، ممن يدرسون في جامعات شمال فلسطين: النجاح الوطنية بنابلس، والقدس المفتوحة بطولكرم، والأمريكية العربية بجنين، وكلية خضوري الجامعية بطولكرم. وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- أظهر أغلبية الطلبة اتجاهاً إيجابياً نحو المرض والعلاج النفسي، حيث أظهر ما نسبته (75,9%) ميلاً موجباً نحو المرض والعلاج النفسي، بينما أظهر ما نسبته (24,1%) ميلاً سالباً نحو ذلك.

2- وجود فروق دالة إحصائية نحو المرض والعلاج النفسي تبعاً لمتغير التخصص، وذلك لصالح الطلاب الذين يدرسون تخصصات طبية وهندسية وصيدلانية.

3- وجود فروق دالة إحصائية نحو المرض والعلاج النفسي تبعاً لمتغير العمر وذلك لصالح الطلاب صغار السن.

4- عدم وجود فروق دالة إحصائية نحو المرض والعلاج النفسي تبعاً لمتغيرات: الجنس، والتحصيل، ومكان السكن، ودخل الأسرة الشهري<sup>(45)</sup>.

ج. دراسة (سعاد غيث وآخرون) (2006) بعنوان: طلب المساعدة النفسية لدى عينة من الموهوبين والمتفوقين عقلياً في الأردن.

هدفت الدراسة إلى استقصاء معتقدات الطلبة الموهوبين والمتفوقين عقلياً حول طلب المساعدة النفسية من المرشدين النفسيين، ودرجة طلب المساعدة النفسية لديهم والفروق في معتقداتهم، ودرجة استعدادهم للكشف عن ذواتهم تبعاً لمتغيرات النوع الاجتماعي، والصف الدراسي، ونوع البرنامج التربوي الملحق به الطالب. ولأغراض الإجابة على أسئلة الدراسة قام



الباحثون باختيار عينة من الطلبة الموهوبين والمتفوقين عقليا من مدارس الملك عبدالله للتميز، والمراكز الريادية للموهوبين والمتفوقين، بلغ حجمها (244) طالبا وطالبة، طبق عليهم مقياس طلب المساعدة النفسية الذي تم تطويره لأغراض الدراسة الحالية. أشارت نتائج الدراسة إلى أن الطلبة الموهوبين والمتفوقين يحملون معتقدات قوية إيجابية وأخرى سلبية حول طلب المساعدة النفسية، وأن درجة طلب المساعدة النفسية لدى الطلبة الموهوبين والمتفوقين عينة الدراسة متوسطة، ولم تظهر نتائج الدراسة وجود أية فروق ذات دلالة إحصائية تتعلق بمعتقدات الطلبة الموهوبين والمتفوقين عقليا حول طلب المساعدة واستعدادهم لكشف الذات؛ تبعا للنوع الاجتماعي أو الصف الدراسي، بينما ظهرت فروق ذات دلالة إحصائية حول معتقداتهم حول طلب المساعدة تعزى للبرنامج الدراسي ولصالح الطلبة المتفوقين ببرنامج المراكز الريادية، في حين لم تظهر فروق بينهم في درجة الاستعداد لكشف الذات<sup>(46)</sup>.

د. دراسة مقران والردعان (2016) بعنوان: اتجاهات طلاب كلية التربية نحو المرض النفسي في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية (دراسة عبر ثقافية).

هدفت الدراسة إلى معرفة طبيعة الاتجاه النفسي لدى الطلبة المتعلمين في كلية التربية بجامعة الكويت وإب اليمنية نحو المرض النفسي في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية (الجنسية، النوع، التخصص، والحالة الاجتماعية)، ولتحقيق أهداف البحث صمم الباحثان مقياس الاتجاهات نحو المرض النفسي من إعدادهما، وتألفت عينة البحث من (1015) طالباً وطالبة من طلبة الجامعتين، تم اختيارهم بالطريقة الطبقيّة العشوائية في الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي (2015-2016) منهم (589) طالباً وطالبة من كلية التربية بجامعة الكويت و(426) طالبا من طلبة كلية التربية بجامعة إب اليمنية.

أظهرت النتائج وجود اتجاه إيجابي لطلبة كليتي التربية بالكويت واليمن نحو المرض النفسي، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات الطلبة نحو المرض النفسي تعزى لمتغير الجنسية (يمني، كويتي). كما أظهرت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات الطلبة الكويتيين واليمنيين تعزى لمتغير النوع في اتجاه الطلبة الذكور والطلبة الإناث نحو المرض

النفسي. وأظهرت أيضاً وجود فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات الطلبة الكويتيين واليمنيين نحو المرض النفسي تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية، لصالح العزاب. وأظهرت وجود فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات الطلبة الكويتيين واليمنيين نحو المرض النفسي تعزى لمتغير التخصص ولصالح ذوي التخصصات الإنسانية<sup>(47)</sup>.

هـ. دراسة (ستريبيل وآخرون) (Strebel& et al., 2000) بعنوان "اتجاهات طلبة الطب نحو الطب النفسي".

هدفت إلى معرفة اتجاهات طلبة الطب النفسي نحو المعالجة النفسية والأطباء النفسيين. وتكونت عينة الدراسة من (105) طلاب، يدرسون الطب في ألمانيا. واستخدم الباحثون في الدراسة أداة قياس تمثلت في مقياس اتجاهات طلبة الطب نحو الطب النفسي. وأظهرت النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن اتجاهات طلبة الطب نحو العلاج النفسي كانت إيجابية، في حين كانت أقل إيجابية نحو المعالجين النفسيين؛ كما تبين أن الطلاب الذين تلقوا خدمات نفسية سابقة كانت اتجاهاتهم أكثر إيجابية ممن لم يتلقوا مثل هذه الخدمات<sup>(48)</sup>.

2- تعقيب على الدراسات السابقة:

نلاحظ أن الدراسات السابقة المعروضة جميعاً هدفت إلى التعرف على الاتجاهات نحو المرض النفسي والعلاج النفسي أيضاً، وكذا التعرف على الفروق بين أفراد العينة تبعاً لبعض المتغيرات الديموغرافية، كما أن عينات هذه الدراسات كانت من الطلبة سواء في المرحلة الجامعية أو في مرحلة المدارس، وقد كانت عينات هذه الدراسات تتراوح بين عينة متوسطة كما في دراسة مقران والردعان (2016) والتي بلغت عينتها (1015) طالباً وطالبة، ودراسة بومدين (1989) التي بلغ حجم عينتها (444) طالباً وطالبة، وبين عينات صغيرة كما في باقي الدراسات، التي كان أقلها عينة دراسة (ستريبيل وآخرون) (Strebel& et al., 2000) التي بلغت (105) طالباً وطالبة، وكل هذه الدراسات استخدمت مقاييس للاتجاهات نحو المرض النفسي، وقد بينت نتائج هذه الدراسات في معظمها وجود اتجاهات إيجابية نحو المرض النفسي والعلاج النفسي، كما بنيت

وجود فروق في هذه الاتجاهات تعزى لبعض المتغيرات الديموغرافية وأخرى ثبت عدم وجود فروق فيها تعزى لبعض المتغيرات الديموغرافية.

وفي العموم فقد استفادت الباحثة من هذه الدراسات بالكثير من الأمور والجوانب العلمية والعملية سواءً من حيث التعرف على طبيعة اتجاهات عينات هذه الدراسات أم من حيث المقاييس المعدة تلك هذه الدراسات، أم من ناحية الأطر النظرية لها.

تاسعاً: منهجية البحث وأدواته:

### 1- منهجية البحث:

إن استخدام المنهج في أي دراسة يعتمد على نوع وغرض الدراسة؛ ولهذا استخدمت الباحثة المنهج الوصفي كونه يهتم بوصف الظاهرة المراد دراستها، وتحليل البيانات التي يتم جمعها عن تلك الظاهرة، واشتقاق استنتاجات ذات دلالة تفيد في معالجة الظاهرة "موضوع الدراسة" وهو: اتجاهات طلبة جامعة صنعاء نحو العلاج النفسي.

### 2- مجتمع البحث:

يعتبر مجتمع البحث هو البيئة التي سيتم تطبيق البحث عملياً عليها، وقد كان مجتمع البحث الحالي هو جامعة صنعاء بشكل عام، حيث تم الحصول على بيانات عن عدد الطلبة في جامعة صنعاء بكافة كلياتها، البالغ إجمالي عددهم حوالي (47742) طالباً وطالبة، وذلك بحسب آخر إحصائية للإدارة العامة والتخطيط بجامعة صنعاء للعام الجامعي 2015/ 2016م وقد اختارت الباحثة من هذا المجتمع أربع كليات: كليتين تمثلان القسم العلمي هما: (الهندسة، والزراعة) وكليتين تمثلان القسم الأدبي هما: (كلية الشريعة والقانون، وكلية التجارة والاقتصاد).

### 3- عينة البحث:

تم اختيار عينة البحث الحالي بطريقة عشوائية طبقية متساوية، وقد بلغت عينة البحث الحالي والتي تم تطبيق أداة البحث عليها (400) طالبٍ وطالبة بمعدل (200) طالبٍ، و(200) طالبة من مختلف أقسام الكليات، من التخصص العلمي بمعدل (200) طالباً وطالبة، ومن التخصص الإنساني (الأدبي) (200) طالبٍ وطالبة، بمعدل (100) طالبٍ وطالبة من كل كلية،

منهم (50) طالب، و(50) طالبة، من المستويين الأول والرابع بالتساوي، (50) طالباً وطالبة من المستوى الأول، و(50) طالباً وطالبة من المستوى الرابع. وقد حددت الباحثة حجم العينة بناءً على القانون التالي، الذي يحدد حجم العينة من المجتمع الكلي.

$$n = \frac{N}{(N-1)(B^2)+1}$$

حيث إن n عينة البحث، وN مجتمع البحث، وB<sup>2</sup> معامل الثقة "مستوى الدلالة" للبحث. وكان مستوى الدلالة "الثقة" للبحث هو: (0.05) وهو المستوى الذي يستخدمه عادة أغلب الباحثين. وعلى هذا الأساس أصبحت عينة البحث على الشكل التالي:-

$$n = \frac{47742}{(47742-1)(0.05)^2+1} = 397$$

#### 4- أدوات البحث:

لقد استخدمت الباحثة أداة واحدة، وهي من إعدادها وتجميعها، حيث استفادت من العديد من المقاييس القليلة عربياً ومحلياً؛ لتأخذ منها مجموعة من الفقرات بما يتناسب مع عنوان بحثها الحالي، وتم إضافة بعض الفقرات من قبلها ليستقر عدد فقرات المقياس عند (32) فقرة، بثلاثة بدائل، هي: (أوافق، أوافق إلى حد ما، لا أوافق).

#### 5- تطبيق المقياس:

تمت صياغة تعليمات محددة وواضحة لعينة البحث؛ وذلك ليتمكنوا في ضوءها من الإجابة عن فقرات المقياس، وتتمثل في وضع فقرات المقياس، ثم وضع تعليمات الإجابة عنها، وإضافة بعض البيانات الشخصية المطلوبة من أفراد العينة، وتحديد ثلاثة بدائل للاستجابة، هي: (أوافق، أوافق إلى حد ما، لا أوافق).

#### 6- صدق أداة البحث:

اعتمدت الباحثة في صدق المقياس على الصدق الظاهري، من خلال عرض المقياس على بعض المختصين في مجال علم النفس والعلاج النفسي<sup>(49)</sup>، وتم إجراء بعض التعديلات عليه ولم

يتم إضافة أي فقرة أو حذفها ولكن حصل تعديل الصياغة في بعض منها، ثم اعتمدت أيضاً على استخراج الثبات للمقياس، ومنه استخرجت الصدق الذاتي للمقياس، الذي بلغ بعد إخراج الثبات من تحت الجذر (0.89) بعد التقريب، وهو صدق عالٍ.

#### 7- ثبات المقياس:

الثبات هو عبارة عن الاتساق الحاصل في نتائج المقياس، وهو نوعان: الاتساق الخارجي الذي يتحقق حينما يستمر المقياس بإعطاء نتائج ثابتة بتكرار تطبيقه عبر الزمن، والاتساق الداخلي الذي يتحقق من خلال كون فقرات المقياس تقيس المفهوم نفسه. وقد اعتمدت الباحثة على استخراج الثبات بطريقة معادلة ألفا كرونباخ (Cronbach Alpha)، حيث بلغت قيمة الثبات (0.79)، وهو معامل ثبات عالٍ ومناسب لأغراض هذه الدراسة.

#### 8- الوسائل الإحصائية:

- أ. المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، التكرارات، والنسب المئوية؛ لمعرفة مستوى الاتجاهات لدى طلبة جامعة صنعاء نحو العلاج النفسي.
- ب. اختبار T.test لعينة مستقلة؛ لمعرفة الفروق بين المتوسط الفرضي للمقياس وبين المتوسط الحسابي لدرجات أفراد العينة.
- ج. اختبار T.test لعينتين مستقلتين؛ لمعرفة الفروق في مستوى الاتجاهات تبعاً للمتغيرات الديموغرافية.
- د. معادلة ألفا كرونباخ لاستخراج ثبات المقياس.

#### عاشراً: عرض النتائج ومناقشتها

عند استلام الاستبيانات من أفراد العينة قامت الباحثة بتفريغ تلك الاستجابات وتحليلها باستخدام حقيبة العلوم الإحصائية (spss). وقد توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

- 1- بالنسبة إلى الهدف الأول: التعرف على مستوى اتجاهات طلبة جامعة صنعاء نحو العلاج النفسي. وللتحقق من الهدف، قامت الباحثة باستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد العينة على مقياس الاتجاهات نحو العلاج النفسي، وقد بلغ المتوسط

الحسابي لدرجات أفراد العينة (68.83) درجة، وبانحراف معياري بلغ (11.75) درجة، ولمعرفة دلالة الفروق بين المتوسط الحسابي والمتوسط الفرضي البالغ (64) درجة استخدمت الباحثة الاختبار التائي لعينة مستقلة، والجدول (1) يوضح ذلك.

جدول (1) يوضح الفروق بين المتوسط الحسابي والفرضي على مقياس الاتجاهات نحو العلاج النفسي.

مستوى الدلالة	القيمة التائية المستخرجة	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي		العدد	عينة البحث
			المحسوب	الفرضي		
0.001	*8.23	11.75	68.83	64	400	طالبة جامعة صنعاء

قيمة (t) الجدولية عند مستوى دلالة (0.05) وبدرجة (399) = (1.96) تقريبا.  
\* دالة عند مستوى (0.05).

نلاحظ من الجدول السابق أن القيمة التائية المستخرجة قد بلغت (8.23) درجة، وهي أكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (1.96) درجة، وبدرجة حرية بلغت (399) درجة، ما يعني وجود فروق بين المتوسط الحسابي لدرجات أفراد العينة، وبين المتوسط الفرضي للمقياس، وهذه الفروق كانت لصالح المتوسط الحسابي لدرجات أفراد العينة أي أن أفراد العينة لديهم اتجاه إيجابي نحو العلاج النفسي فوق المتوسط. ولمعرفة المستوى بشكل دقيق قامت الباحثة بتقسيم درجات أفراد العينة إلى مستويات، كما يلي:

- المستوى المنخفض: ويمثل الأفراد الذين تتراوح درجاتهم بين (32 - 52) درجة.
- المستوى المتوسط: ويمثل الأفراد الذين تتراوح درجاتهم بين (53 - 73) درجة.
- المستوى العالي: ويمثل الأفراد الذين تتراوح درجاتهم بين (74 - 96) درجة، كما هو موضح في الجدول (2).

جدول (2) يوضح التكرارات والنسب المئوية لدرجات أفراد العينة في مقياس الاتجاهات

النسبة المئوية	العدد	المستوى	الدرجة
6.0%	24	المنخفض	52 - 32
53.3%	213	المتوسط	73 - 53
40.8%	163	العالي	96 - 74
100%	400	-	المجموع

نلاحظ من الجدول السابق أن ذوي المستوى المتوسط في الاتجاه الإيجابي نحو العلاج النفسي هم الأغلبية، حيث حلوا في المرتبة الأولى بنسبة (53.3%) يلهم الذين لديهم مستوى عالٍ من الاتجاه الإيجابي نحو العلاج النفسي، وقد بلغت نسبتهم (40.8%)، فيما بلغت نسبة ذوي المستوى المنخفض أي الاتجاه السلبي نحو العلاج النفسي (6%)، أي أن أفراد العينة لديهم مستوى فوق المتوسط من الاتجاه نحو العلاج النفسي أي أنه اتجاه إيجابي بشكل عام.

2- وبالنسبة إلى الهدف الثاني: التعرف على طبيعة الفروق في اتجاهات طلبة جامعة صنعاء نحو العلاج النفسي تبعاً لمتغير الجنس (ذكور وإناث). وللتحقق من هذا الهدف قامت الباحثة باستخراج الوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل من الجنسين الذكور والإناث على مقياس الاتجاهات. وقد بلغ المتوسط الحسابي لدرجات الذكور (69.84) درجة، وبانحراف معياري بلغ (10.75)، وبلغ المتوسط الحسابي لدرجات الإناث (67.83) وبانحراف معياري بلغ (12.62)، ثم استخدمت الباحثة اختبار (T. test) لعينتين مستقلتين؛ لإيجاد الفرق بين المتوسطين، والجدول رقم (3) يوضح ذلك.

جدول (3) الاختبار التائي لمعرفة الفروق في الاتجاهات نحو العلاج النفسي تبعاً لمتغير الجنس

العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية	مستوى الدلالة
الذكور	200	69.84	10.75	*1.709	0.088
الإناث	200	67.83	12.62		

قيمة (t) الجدولية عند درجة حرية (398) ومستوى دلالة (0.05) = (1.96) تقريباً

\* غير دالة عند مستوى دلالة (0.05)

نلاحظ من الجدول السابق أن قيمة (T. test) المستخرجة قد بلغت (1.71)، وهي أصغر من القيمة التائية الجدولية البالغة (1.96)، عند درجة حرية (398)، ومستوى دلالة (0.05)، وهذا يعني وجود فروق غير دالة إحصائياً في الاتجاه نحو العلاج النفسي تبعاً لمتغير الجنس (ذكر. أنثى)

أي أن الجميع ذكوراً وإنثاءً اتجاهات نحو العلاج النفسي إيجابية، وبشكل عام فوق المتوسط، على الرغم من وجود فروق نظرية لصالح الذكور إلا أنها غير دالة إحصائياً.

3- وبالنسبة الهدف الثالث: التعرف على طبيعة الفروق في اتجاهات طلبة جامعة صنعاء نحو العلاج النفسي تبعاً لمتغير التخصص (علمي - إنساني). وللتحقق من الهدف قامت الباحثة باستخراج الوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل تخصص على مقياس الاتجاهات نحو العلاج النفسي. وقد بلغ المتوسط الحسابي لدرجات طلبة التخصص العلمي (68.00) درجة، وبانحراف معياري بلغ (11.89)، وبلغ المتوسط الحسابي لدرجات طلبة التخصص الإنساني (69.67) درجة وبانحراف معياري بلغ (11.59)، ثم استخدم اختبار (T. test) لعينتين مستقلتين لإيجاد الفرق بين المتوسطين، والجدول (4) يوضح ذلك.

جدول (4) الفروق في الاتجاهات نحو العلاج النفسي تبعاً لمتغير التخصص (علمي . إنساني)

العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية	مستوى الدلالة
علمي	200	68.00	11.89	*1.426-	0.155
إنساني	200	69.67	11.59		

قيمة (t) الجدولية عند درجة حرية (398) ومستوى دلالة (0.05) = (1.96) تقريباً

\* غير دالة عند مستوى دلالة (0.05)

نلاحظ من الجدول السابق أن قيمة (T. test) المستخرجة قد بلغت (-1.42) وهي أصغر من القيمة التائية الجدولية البالغة (1.96)، عند درجة حرية (398)، ومستوى دلالة (0.05)، وهذا يعني وجود فروق غير دالة إحصائياً في الاتجاهات نحو العلاج النفسي تبعاً لمتغير التخصص (علمي - إنساني)، وبالنظر إلى المتوسطات الحسابية نجد أنه توجد فروق نظرية، ولكنها غير دالة إحصائياً لصالح طلبة التخصص الإنساني، أي أنهم بشكل عام لديهم اتجاه إيجابي فوق المتوسط نحو العلاج النفسي.

4- وبالنسبة الهدف الثالث: التعرف على طبيعة الفروق في اتجاهات طلبة جامعة صنعاء نحو العلاج النفسي تبعاً لمتغير المستوى (أول - رابع). وللتحقق من الهدف قامت الباحثة



باستخراج الوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل مستوى من المستويين العلميين (أول - رابع) على مقياس الاتجاهات نحو العلاج النفسي. وقد بلغ المتوسط الحسابي لدرجات طلبة المستوى الأول (66.58) درجة، وانحراف معياري (12.21)، وبلغ المتوسط الحسابي لدرجات طلبة المستوى الرابع (71.09)، وانحراف معياري بلغ (10.85)، ثم استخدمت الباحثة اختبار (T. test) لعينتين مستقلتين لإيجاد الفرق بين المتوسطين، والجدول رقم (5) يوضح ذلك.

جدول (5) الفروق في الاتجاهات نحو العلاج النفسي تبعاً لمتغير المستوى (أول - رابع)

العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية	مستوى الدلالة
الأول	200	66.58	12.21	*3.908-	0.001
الرابع	200	71.09	10.85		

قيمة (t) الجدولية عند درجة حرية (398) ومستوى دلالة (0.05) = (1.96) تقريباً  
\* دالة عند مستوى دلالة (0.05)

نلاحظ من الجدول السابق أن قيمة (T. test) المستخرجة قد بلغت (-3.908)، وهي أكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (1.96)، عند درجة حرية (398)، ومستوى دلالة (0.05)، وهذا يعني وجود فروق دالة إحصائية في الاتجاهات نحو العلاج النفسي تبعاً لمتغير المستوى التعليمي (أول-رابع)، وبالنظر إلى المتوسطات الحسابية نجد أن هذه الفروق كانت لصالح طلبة المستوى الرابع أصحاب المتوسط الحسابي الأعلى.

#### مناقشة النتائج:

بالنسبة إلى الهدف الأول: التعرف على مستوى اتجاهات طلبة جامعة صنعاء نحو العلاج النفسي. فقد توصل البحث إلى أن لدى أفراد العينة مستوى فوق المتوسط من الاتجاه نحو العلاج النفسي بصورة إيجابية بشكل عام، وهذه النتيجة قد اتفقت مع دراسة (ستربيل وآخرون) (Strebel & et al., 2000)، ودراسة بركات وحسن (2006) والتي وجدت أن اتجاه أغلبية الطلبة كان اتجاهاً إيجابياً نحو المرض والعلاج النفسي، حيث أظهر ما نسبته (75,9%) ميلاً موجباً نحو

المرض والعلاج النفسي، ومع دراسة بومدين (1989) التي بينت أن متوسط اتجاهات أفراد العينة نحو المرض النفسي وعلاجه كانت مرتفعة جداً بشكل عام، ومع دراسة مقران والردعان (2016) التي أظهرت وجود اتجاه إيجابي لطلبة كليتي التربية بالكويت واليمن نحو المرض النفسي، بينما اختلفت مع دراسة (غيث وآخرون) (2006) التي توصلت إلى أن درجة طلب المساعدة النفسية لدى الطلبة الموهوبين والمتفوقين عينة الدراسة متوسطة.

وقد يرجع ذلك إلى توفر المعلومات والمعارف العلمية حول المرض النفسي والعقلي وكيفية علاجه لدى طلاب الجامعة، سواء أكان ذلك من خلال المقررات الدراسية التي يدرسونها في الجامعة، أم من خلال المطالعات الخارجية الثقافية. وهذه المطالعات جميعها تقدم للطلاب الجامعي بعض الأفكار والمفاهيم الصحيحة حول المرض النفسي، وخصائصه وطبيعته، وطرق وأساليب علاجه، وكيفية التعامل مع المرضى والمضطربين نفسياً، كل ذلك يجعل الطالب أكثر ميلاً نحو تفهم المرض النفسي والعقلي، وأكثر إيجابية في التعامل معه.

وترى الباحثة أن وجود هذا المستوى من الإيجابية نحو العلاج النفسي لا يعني الإطمئنان إلى أن هذه النتيجة تعبر عن مدى الرغبة الحقيقية للطلاب أو الطالبة في طلب خدمة العلاج النفسي من الأخصائي النفسي أو المعالج النفسي أو المرشد النفسي بصورة طبيعية، فالباحثة بوصفها معالجة واستشارية نفسية لاحظت تخوف أو تردد بعض المراجعين من الطلاب والطالبات في الحصول على الاستشارة النفسية بسبب نظرة المجتمع السلبية تجاه المرض النفسي وعلاجه؛ لأنها في نظر أفراد المجتمع تعتبر وصمة عار لا يتقبلها أو يستسيغها عامة الناس في حال معرفتهم بتردد هذا الطالب أو ذلك على معالج نفسي.

بالنسبة إلى الهدف الثاني: التعرف على طبيعة الفروق في الاتجاه نحو العلاج النفسي لدى طلبة جامعة صنعاء تبعاً لمتغير الجنس (ذكور إناث). فقد توصل البحث إلى عدم وجود فروق في مستوى الاتجاه نحو العلاج النفسي دالة إحصائياً تبعاً لمتغير الجنس، وهذه النتيجة قد تتفق مع نتيجة دراسة (سعاد غيث وآخرون) (2006)، ودراسة بركات وحسن (2006) واللتين أظهرتا عدم وجود فروق دالة إحصائياً نحو المرض والعلاج النفسي تبعاً لمتغيرات: الجنس، والتحصيل،

ومكان السكن، ودخل الأسرة الشهري، ومع دراسة بومدين (1989) التي أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة بين الذكور والإناث في الكليات المختلفة في اتجاهاتهم نحو المرض النفسي، ومع دراسة مقران والردعان (2016) التي أظهرت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات الطلبة الكويتيين واليمنيين تعزى لمتغير النوع في اتجاه الطلبة الذكور والطالبات الإناث نحو المرض النفسي، بينما اختلفت مع دراسة (ستريبيل وآخرون) (Strebel & et al., 2000) التي لم تناقش الفروق في الاتجاهات تبعاً لمتغير الجنس.

وترى الباحثة أن هذه النتيجة تعود إلى أن عينة البحث (ذكور، إناث) لديهم إدراك متقارب حول أهمية العلاج النفسي وضرورة مراجعة الاستشاري النفسي أو المراكز التي تقدم خدمة الاستشارة النفسية أو الإرشاد النفسي والتربوي، ويمكن تفسير هذه النتيجة أيضاً بأن البيئة التي يعيش فيها هؤلاء الطلبة والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تؤثر عليهم هي ظروف متشابهة إلى حد كبير، ومن ثم فليس غريباً أن تترك هذه العوامل والظروف المتشابهة أثرها الإيجابي أو السلبي نفسه في حياة الطلاب، ومن ثم فإن اتجاهاتهم نحو المرض والعلاج النفسي هي عبارة عن قناعة تتأثر بالمحيط أيضاً، مما جعلهم في المستوى نفسه.

بالنسبة إلى الهدف الثالث: التعرف على طبيعة الفروق في الاتجاه نحو العلاج النفسي لدى طلبة جامعة صنعاء تبعاً لمتغير التخصص (علمي - إنساني). فقد توصل البحث إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية في مستوى الاتجاه نحو العلاج النفسي تبعاً لمتغير التخصص (علمي - إنساني)، وهذه النتيجة قد اختلفت مع دراسة بومدين (1989) ومع دراسة بركات وحسن (2006) اللتين أظهرتا وجود فروق دالة إحصائية نحو المرض والعلاج النفسي تبعاً لمتغير التخصص، وذلك لصالح الطلاب الذين يدرسون تخصصات طبية وهندسية وصيدلانية، ودراسة مقران والردعان (2016) التي أظهرت وجود فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات الطلبة الكويتيين واليمنيين نحو المرض النفسي تعزى لمتغير التخصص، لصالح ذوي التخصصات الإنسانية، ومع دراسة (غيث وآخرون) (2006) التي أظهرت وجود فروق ذات دلالة إحصائية تتعلق بمعتقدات الطلبة الموهوبين والمتفوقين عقلياً حول طلب المساعدة تعزى للبرنامج الدراسي، لصالح الطلبة الملتحقين

ببرنامج المراكز الريادية، ودراسة (ستربيل وآخرون) (2000) التي لم تناقش الفروق في الاتجاهات تبعاً لمتغير التخصص.

وترى الباحثة أن النتيجة تعود إلى أن طلبة التخصصات الإنسانية أو التخصصات العلمية لديهم إدراك بأهمية العلاج النفسي وبحاجتهم بصفة عامة إلى الإرشاد النفسي؛ نظراً للظروف التي تحيط بهم، وبالأخص في ظل الأوضاع التي تعيشها البلاد من جراء الحرب والانقسام الواضح بين أفراد وفئات المجتمع المختلفة، مما يجعل من الإرشاد أو العلاج النفسي أمراً مهماً بالنسبة للطلاب والطالبات في جميع الأقسام والتخصصات العلمية والإنسانية.

بالنسبة إلى الهدف الرابع: التعرف على طبيعة الفروق في الاتجاه نحو العلاج النفسي لدى طلبة جامعة صنعاء تبعاً لمتغير المستوى (أول - رابع). فقد توصل البحث إلى وجود فروق في مستوى الاتجاه نحو العلاج النفسي تبعاً لمتغير المستوى (أول - رابع) وهذه الفروق كانت لصالح طلبة المستوى الرابع، وقد اتفقت هذه النتيجة مع دراسة بومدين (1989) التي أظهرت أن اتجاهات طلبة المستوى الرابع (علم النفس) أكثر إيجابية من اتجاهات طلبة السنة الأولى، بينما اختلفت مع دراسة (غيث وآخرون) (2006) والتي أظهرت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تتعلق بمعتقدات الطلبة الموهوبين والمتفوقين عقلياً حول طلب المساعدة واستعدادهم لكشف الذات تبعاً للصف الدراسي، ومع دراسة (ستربيل وآخرون) (2000)، ودراسة بركات وحسن (2006) ودراسة مقران والردعان (2016) التي لم تناقش الفروق في الاتجاهات تبعاً لمتغير المستوى الدراسي أو الصف.

وترى الباحثة أن النتيجة سبب ذلك هو العلم والمعرفة، حيث إن طلبة المستوى الرابع قد اكتسبوا الكثير من المعرفة والعلم في جميع مناحي الحياة، واكتسبوا خبرة أكبر حول ضرورة وأهمية العلاج النفسي باعتباره جزءاً لا يتجزأ من أساليب العلاج الأخرى كعلاج الأمراض العضوية، وهذه الخبرة تأتي باعتبارها نتيجة واقعية للعلم الذي اكتسبه طلاب المستوى الرابع من الدراسة الجامعية، بينما طلبة المستوى الأول لا يمتلكون تلك الخلفية العلمية والخبرة اللازمة لمعرفة أهمية العلاج النفسي بوصفه جزءاً من أجزاء العلاج بصفة عامة، ويعود ذلك أيضاً إلى

انعدام المعلومات الخاصة بأهمية الإرشاد والعلاج النفسيين في المناهج الدراسية في التعليم الأساسي والثانوي في بلادنا.

حادي عشر: التوصيات والمقترحات:

1- التوصيات:

استكمالاً لمنهجية البحث فقد قامت الباحثة بوضع بعض من التوصيات على النحو الآتي:

1- العمل على تعميق مفاهيم الأمراض النفسية في المناهج التعليمية في الجامعات والصفوف العليا في المدارس، حتى يتم تنشئتهم وثقافتهم على أن المرض النفسي يمكن علاجه كغيره من الأمراض الأخرى؛ من أجل العمل على تكوين اتجاهات إيجابية نحو المرض النفسي وعلاجه؛ لتقليل من مخاطر سوء التعامل معها مستقبلاً.

2- توصي الباحثة بضرورة العمل الجاد على الاهتمام بطلبة الجامعة في الجوانب النفسية، وتخصيص مراكز صحة نفسية وإرشاد نفسي في كل كلية من كليات الجامعة.

3- العمل على وضع تصورات ونشرات دورية تتبع مركز الإرشاد توضح فيها كيفية العمل على تنمية الاتجاه الإيجابي نحو المرض والعلاج النفسي لدى الطلبة الجامعة، وليكون أيضاً إرشاداً للأسر في كيفية التعامل مع المريض النفسي وكيفية علاجه.

4- نشر الوعي العام حول المرض النفسي عبر وسائل الإعلام المختلفة بواسطة أطباء متخصصين في مجال العلاج النفسي بعبارات سهلة وصحيحة بعيدة عن التعقيد؛ حتى يتم إزالة الغموض والالتباس عند كافة الناس، وتكوين اتجاهات إيجابية نحوه.

2- المقترحات:

1- إجراء دراسة مشابهة تتناول العلاج النفسي وعلاقته بمتغيرات أخرى ك(مفهوم الذات، التوافق النفسي والاجتماعي،... إلخ).

2- إجراء دراسة مشابهة تتناول العلاج النفسي لدى شريحة أخرى من المجتمع اليمني.

3- إجراء دراسة مشابهة تتناول الاتجاهات نحو العلاج النفسي لدى طلبة الجامعة دراسة مقارنة بين الجامعات الحكومية والخاصة.

- 4- إجراء دراسة مشابهة تتناول الاتجاهات نحو العلاج النفسي لدى طلبة الجامعة دراسة مقارنة بين طلبة جامعة صنعاء وجامعات يمنية أخرى ك(جامعة عدن، جامعة حضرموت).
- 5- إجراء دراسة مشابهة تتناول الاتجاهات نحو العلاج النفسي لدى طلبة الجامعة دراسة مقارنة بين طلبة جامعة صنعاء وطلبة جامعة أخرى من دولة عربية مثل (مصر، الأردن،... إلخ).

### الملاحق:

بسم الله الرحمن الرحيم



الجمهورية اليمنية

جامعة صنعاء

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم علم النفس

مقياس اتجاهات طلبة جامعة صنعاء نحو العلاج النفسي بصورته النهائية

عزيزي الطالب/ عزيزتي الطالبة

بعد التحية

بين يديك مجموعة من الفقرات المخصصة لمعرفة طبيعة اتجاهك نحو العلاج النفسي، هي مخصصة للبحث العلمي، فلا توجد إجابات صحيحة وأخرى خاطئة، ولكنها تقيس اتجاهك نحو العلاج النفسي فقط، نأمل منك التكرم بقراءة هذه الفقرات بدقة، والإجابة عنها بموضوعية. ولكم خالص الشكر والتقدير،،،

البيانات الشخصية:

الجنس: ( ) ذكر ( ) أنثى

التخصص: ( ) علي ( ) إنساني

المستوى الدراسي: ( ) أول ( ) رابع

الباحثة

م	الفقرة	أوافق	أوافق إلى حد ما	لا أوافق
1-	أشعر بأن العلاج النفسي غير مفيد.			
2-	أشجع أقاربي على استخدام العلاج النفسي.			
3-	ألجأ إلى العلاج النفسي إذا مرضت.			
4-	أرى ضرورة توفير مراكز العلاج النفسي في المستشفيات.			
5-	أحاول تغيير مواقف الناس الذين لا يحبذون العلاج النفسي.			
6-	أعتقد أن هناك شريحة من المعالجين غير المؤهلين للعلاج النفسي.			
7-	أنصح من يعاني من مشكلة نفسية أن يلجأ إلى المعالجين النفسيين.			
8-	أرى أن الأمراض النفسية يمكن الشفاء منها عن طريق العلاج النفسي.			
9-	أؤمن بالعلاج النفسي.			
10-	أعتقد أن الصحة النفسية هي مفتاح النجاح في الحياة.			
11-	أعتقد أن اللجوء إلى العلاج النفسي يسبب وصمة لكل من يلجأ إليه.			
12-	أعتقد أن العلاج النفسي كافٍ للشفاء من المرض النفسي.			
13-	من الخطأ اللجوء للعرافين والمشعوذين بدلاً من العلاج النفسي لحل مشكلاتنا النفسية.			
14-	لا أتردد في طلب العلاج النفسي إذا واجهتني مشكلة أو أزمة نفسية.			
15-	لا أشعر بالحرج عن الحديث عن مشكلاتي النفسية للمعالج النفسي.			
16-	يضايقني أن أرى بعض الأفراد يخجلون من الذهاب للعلاج النفسي.			
17-	ذهاب المريض النفسي إلى العلاج النفسي يشعره بالراحة والاطمئنان.			
18-	العلاج النفسي يفيد في علاج الأزمات الشديدة والمزمنة.			
19-	نادراً ما يستفيد المريض من العلاج النفسي.			
20-	العلاج النفسي نوع من أنواع العلاج الأخرى.			
21-	الحصول على العلاج النفسي شيء يعيبه المجتمع.			
22-	من السهل على القبول بفاعلية العلاج النفسي.			

م	الفقرة	أوافق	أوافق إلى حد ما	لا أوافق
23-	العلاج النفسي تدجيل واحتيال مادام أنه لا يوجد دليل كافٍ على فاعليته.			
24-	العلاج النفسي فرع رصين من الطب.			
25-	يحتوي العلاج النفسي على القليل من المعلومات العلمية.			
26-	تحسن حالات معظم المرضى نتيجة لاستخدام أنماط معينة من العلاج النفسي.			
27-	يؤدي العلاج النفسي إلى زيادة القلق عند المرضى.			
28-	أصبح العلاج النفسي في السنوات الأخيرة أكثر فعالية.			
29-	تسمح ممارسة العلاج النفسي بتكوين علاقات مميزة مع الناس.			
30-	يفتقر العلاج النفسي إلى التنظيم؛ مما يجعل من الصعب تعليمه بطريقة فعالة.			
31-	يفتقر العلاج النفسي إلى الصفة العلمية، لدرجة أن المعالجين النفسيين غير متففين على ماهية تطبيقاته الأساسية.			
32-	ليس في مقدور العلاج النفسي معالجة أغلب الحالات النفسية.			

### قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ترأست الباحثة فريقاً من الباحثين على رأسهم البروفسور الدكتور علي الطارق أستاذ علم النفس. والدكتور محمد الطشي أستاذ الطب النفسي في دراسة بعنوان: ( واقع الصحة النفسية في الجمهورية اليمنية) المنشورة في مجلة كلية الآداب، جامعة عدن، العدد الثامن، نوفمبر، 2011م.
- 2- الباحثة هي رئيس مجلس إدارة مؤسسة التنمية الأسرية للإرشاد النفسي ورئيس مركز الإرشاد التربوي والنفسي بجامعة صنعاء.
- 3- الحميري، 1997، ص16.
- 4- الميتمي، محمد عبد الواحد (1992): الجهاز المركزي للتخطيط، صنعاء، اليمن. ص291.
- 5- الحميري، مرجع سابق، ص7.



- 6- الطارق، علي وجباري، بلقيس (2008): اتجاهات طلبة جامعة صنعاء نحو ذواتهم، مجلة جامعة صنعاء للعلوم التربوية والنفسية، مج5، ع1، يناير 2008م، ص155.
- 7- Thurston, L.L. (1947). Multiple factor Analysis. University of Chicago press, Chicago, p39
- 8- Kerch, David ; Crutchfield, Richard S ; Ballachey, Egerton (1962). Individual in society ; a text book of social psychology , New York, McGraw Hill., p384
- 9- دافيدوف، لندا (1980). مدخل علم النفس، ط3، دار ماكجروهيل للنشر، ترجمة سيد الطواب ومحمد عمر، نجيب حزام، دار العربية للنشر والتوزيع، ص775.
- 10- التميمي، عبدالجليل (2002). علم النفس الصناعي والتنظيمي، دار الأفاق، صنعاء.
- 11- صالح، قاسم حسن، الطارق، علي (1998). الاضطرابات النفسية والعقلية والسلوكية، ط1، صنعاء: دار النشر للجامعات، ص439.
- 12- دافيدوف، مرجع سابق، ص701.
- 13- حمود، 1990، ص527.
- 14- الخامري، عبدالحافظ (2000). التنويم الإيحائي. صنعاء: مكتبة الأفاق للنشر، ص22.
- 15- زهران، حامد عبدالسلام (2005). الصحة النفسية والعلاج النفسي، ط4، عالم الكتب، القاهرة، ص183.
- 16- صالح، قاسم حسين (1998): نظريات معاصرة في علم النفس، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ص386.
- 17- حبيب، أحمد علي (2006): علم النفس الاجتماعي، ط1، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص97.
- 18- الزبيدي، كامل علوان (2003). علم النفس الاجتماعي، دار الوراق للنشر، ط1، عمان، ص115.
- 19- حبيب، 2010، ص106.
- 20- الزناني، علي أحمد (2000) اتجاهات طلبة المعاهد العليا للمعلمين في اليمن نحو مهنة التعليم، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة المستنصرية، ص26-27
- 21- الزبيدي، مرجع سابق، ص122.
- 22- صالح، قاسم (1999): علم النفس المعرفي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ص75.
- 23- المرجع السابق نفسه، ص76.
- 24- الزبيدي، مرجع سابق، ص124.

- 25- المنيفي، عبدالرحمن (1999) علم النفس المرضي، صنعاء، مركز الشرعي، ص 29.
- 26- القباطي، أحلام (2005): اتجاهات الأطباء نحو العلاج النفسي بحسب التخصص والممارسة. رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، ص 27.
- 27- أخرجس، نائل محمد (2007). الصحة النفسية مدخل، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص 239.
- 28- صالح والطارق، مرجع سابق، ص 81.
- 29- القباطي، مرجع سابق، ص 67.
- 30- عكاشة أحمد (1986): الطب النفسي المعاصر، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ص 119.
- 31- حقي، إلفت (2000): الاضطراب النفسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، ص 128.
- 32- باترسون، س.ه (1990): نظريات الإرشاد والعلاج النفسي، ترجمة الفقي حامد عبدالعزيز، دار القلم، الكويت، ص 162.
- 33- القباطي، مرجع سابق، ص 80.
- 34- سري، محمد إجلال (2000م): علم النفس العلاجي، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 101-102.
- 35- القباطي، مرجع سابق، ص 83.
- 36- باترسون، مرجع سابق، ص 201-215.
- 37- العيسوي، عبدالرحمن محمد (1992): مشكلات الشباب العربي المعاصر "دراسة ميدانية للوعي المروري لدى الشباب الخليجي، الدار الجامعية، ص 53.
- 38- حقي، مرجع سابق، ص 173.
- 39- بيك، آرون (2000). العلاج المعرفي والاضطراب الانفعالي. ترجمة عادل مصطفى وغسان يعقوب، دار النهضة العربية، بيروت، ص 247.
- 40- صالح، قاسم (1997): علم الشخصية بين التناظر والقياس، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ص 190.
- 41- باترسون، مرجع سابق، ص 36-37.
- 42- سري، إجلال محمد (1990): علم النفس العلاجي، مكتبة الأنجلو، عالم الكتب، القاهرة، ص 269-271.
- 43- الرفاعي، نعيم (1982): العيادة النفسية والعلاج النفسي، دمشق، سوريا، ص 197.
- 44- بومدين، سليمان (1989): العلاقة بين التخصص والمستوى الدراسي والجنس وبين اتجاهات طلبة الجامعة نحو المرض النفسي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن.

- 45- بركات، زياد وحسن، كفاح (2006): الاتجاه نحو المرض النفسي وعلاجه لدى عينة من الطلاب الجامعيين في شمال فلسطين، جامعة القدس المفتوحة، طولكرم، فلسطين.
- 46- غيث، سعاد منصور والبدارين، غالب سلمان والمجالي، عرين عبدالقادر (2006): طلب المساعدة النفسية لدى عينة من الموهوبين والمتفوقين عقليا في الأردن، الزرقاء، الأردن.
- 47- مقران، معاذ أحمد والردعان، دلال عبدالهادي (2016): اتجاهات طلاب كلية التربية نحو المرض النفسي في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية (دراسة عبر ثقافية)، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، مج6، العدد5، حزيران 2017، ص139-153.
- 48- صوالحة، محمد أحمد والزعي، محمد محمود (2012): اتجاهات طلبة معلم الصف في جامعة جرش نحو تخصصهم الأكاديمي وعلاقتها ببعض المتغيرات، مجلة جامعة دمشق، مجلد28، عدد3، ص419-447.
- 49- أ.د/ علي الطارق علم النفس - آداب، جامعة صنعاء، أ.د/ وحيد محمد سليمان علم النفس - آداب، جامعة عدن، د/ لطف محمد حريش علم النفس - آداب، جامعة ذمار.



## موجّهات التّأويل النحوي في تفسير القرآن الكريم:

### كتاب (البسيط) للواحدى نموذجاً

سالم فضل عاشور باجري\*

#### المخلص:

ناقشت هذه الدراسة إحدى القضايا المهمّة المتعلقة بالتأويل النحوي، لا سيما فيما يتصل بتفسير القرآن الكريم، حيث عرضت لدراسة أهم الموجّهات التأويلية لدى المفسرين، كما سعت إلى الكشف عن أهم الموجّهات أو الأدلة التي يتوسّلها المفسّر أو النحوي في حكاية التأويل النحوي في آيات القرآن الكريم، وإذا كانت بعض الدراسات قد عرضت للحديث عن إشكالية الأسباب الداعية إلى لتأويل والحاملة عليه؛ فإن هذه الدراسة جاءت لتلمّس الأدلة والموجّهات التي يستلهمها المتأول حين يرى ضرورة حكاية التأويل، وهي موجّهات من شأنها أن تقلل فضاء التأويلات التي تعرض للمتأول. وقد اتخذ الباحث من كتاب (البسيط) للواحدى (ت468هـ) نموذجاً لدراسة موجّهات التأويل النحوي في تفسير القرآن الكريم، وهو كتاب جدير بالدراسة لما اشتمل عليه من قضايا نحوية كثيرة، كقضية التأويل التي ظهرت فيه على نحو يستدعي النظر والتأمل.

وقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة موجّهات التأويل النحوي، باستعراض بعض الأمثلة الواردة في الكتاب وتحليلها ومناقشتها؛ للوقوف على أهم الموجّهات والأدلة التي اعتمد عليها في حكاية التأويل.

\* طالب (ماجستير) قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

## Guidelines of the Grammatical Interpretation in the Interpretation of the Holy Quran:

### The Book (Albaseet) of Al-Wahidi (Exemplar)

Salem FadhI Ashoor Bageri

#### Abstract:

This study has discussed one of the important issues related to grammatical interpretation, especially that regard to the interpretation of the Holy Quran. Study the most important interpretive guidelines interpreters has introduced. This study aimed at detecting the most important guides or evidence pleaded by the interpreter or grammarian in the story of the interpretation of grammar in the verses of the Quran. This research presented evidence and guidance inspired by the interpreter when he thinks the necessity of interpretation which is guidelines that reduce the space of interpretations that are presented to the interpreter. The researcher took from the book (Albaseet) Al-Wahadi (Died 468 AH) a model for the study of the grammatical interpreters in the interpretation of the Quran and the book worthy of study because of its many grammatical issues, that including the issue of interpretation, which appeared in a way that requires consideration and reflection. The researcher adopted the analytical descriptive method in the study of grammatical guidance interpretation by analyze and discuss some of the examples in Al-Wahidi's book (Albaseet) to extract the most important guides and evidences relied upon in the interpretation.

#### توطئة:

يعدّ التأويل النحوي أحد أهم الموضوعات ذات الصلة بفلسفة النحو؛ إذ شغل أذهان النحويين قديماً وحديثاً بحضور مادته العلمية الكبيرة وإشكالاته المختلفة، وهو ما حاول العقل العربي استكناهه وتفسيره في ظواهر متنوعة تقوم عليها اللغة، ولا ضير فيما وُجد لديهم من أبحاث منثورة في تفسير الظواهر؛ لأن طبيعة التأويل القراءة العميقة للنص واستكناه ما ينطوي عليه من خبايا يمكن بها تفسير ما يبدو خارجاً على قواعد الصنعة، ولعل ما سوّغ للنحويين قديماً

تعاطيهم مع التأويل إلى حد أن يصل بعضهم إلى أن يقسر النص على ما لا يحتمله؛ أنهم إزاء التععيد للغة، وهو ما يستدعي -في نظر الباحث- أن سيادة مبدأ التععيد والتقنين للغة وَرَدَّ الأشباه إلى النظائر حتى تنتظم قواعد اللغة، كما يمكن عدّ التأويل آلية قرائية معرفية من آليات فهم النصوص واستجلاء معانيها؛ إذ إنّ كثيراً من التأويلات كشفت عما غمض من الظواهر اللغوية التي عالجها النحويون في ضوء التأويل النحوي.

فيلجأ النحويون إلى التأويل حين يقفون على ما لا يستقيم مع قواعدهم وأصولهم التي أصّلوها، فما خرج على تلك القواعد والأصول يتأولونه بما يمكن أن يستقيم به؛ للمحافظة على ما توصلوا إليه من نتائج، والمحافظة على فكرة الأطراد ودقة النظام اللغوي، واقتراح تفسير يحافظ على صحة النصوص المؤولة مع المحافظة على النتائج التي توصلوا إليها؛ ف«غاية التأويل النحوي شيئان: أولهما: صحة القواعد المقررة، فلا تبطل بورود النصوص الفصيحة المخالفة لها، والثاني: سلامة النصوص، يعني من أن يُدعى بفسادها لمخالفتها للقواعد الجارية عليها»<sup>(1)</sup>.

والمتمم في دراسة النحويين لما يتصل بالتأويل النحوي يدرك أنهم سلكوا مسلكين: المسلك الأول هو الاتكاء على التفسير العقلي للظواهر اللغوية بغية تحليلها واتساقها، ويمثله البصريون، والمسلك الثاني هو الذي يمثله الكوفيون، ويقوم على الاتكاء على السماع الذي لا يميزون معه بين ما هو مطرد وما ليس بمطرد، فمدارهم على السماع، وهو ما استدعى الربط بين مسلكهم والمنهج الشكلي في العصر الحديث الذي لا يميز بين ظاهرة مطردة وأخرى غير مطردة، وهو ما أخذه تشومسكي على المنهج الشكلي.

وقد كانت النظرية التي نادى بها تشومسكي وأطلق عليها (النظرية التوليدية والتحويلية) تعني أن (التوليد) قابلية الإنتاج لأمثلة لا حصر لها، و(التحويل) ما يطرأ على المثال من تحويل، وحين ترتبط عبقرية اللغة بالعقل، والعقل على أساسه تبني القاعدة؛ فالقاعدة هي الشكل النموذجي، وهذا الشكل النموذجي هو ما يتعرض للاختلاف، وإذا ما قورن هذا التغيير الذي يطرأ على القاعدة بما يسمى تأويلاً لدى النحويين لم نجد به يتعد عنه كثيراً<sup>(2)</sup>.

### مفهوم التأويل النحوي:

حفل التأويل النحوي بدراسة قضايا ظاهرها خلاف ما تقتضيه الصناعة النحوية، من نحو الحذف، والزيادة، والتضمين، والحمل على المعنى، وسعت الدراسة التأويلية إلى محاولة ردّها وتأصيلها، ومن هنا يأتي الحديث عن مفهوم التأويل النحوي بعيداً عن السياقات الخاصة للفظة التأويل التي تأخذ مفاهيمها من الحقل الذي ترد فيه، ومن الجدير هنا -بعد ما سبق من توطئة- إيجاد ما يتصل بهذا الإجراء التأويلي من الأصل اللغوي الذي أخذ منه لفظ (التأويل)، وهو ما نجده في المعاجم يدور على معنى الرجوع والرد والعاقبة، فالتأويل (تفعيل) من أَوَّلَ الشيء، بمعنى رده إليه، قال ابن فارس في مادة (أول): «ومن هذا الباب تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يُؤوّلُ إليه، وذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف 53]. يقول: ما يُؤوّلُ إليه في وقت بعثهم ونشورهم. وقال الأعشى:

على أنّها كانتْ تأوّلُ حُبّها    تأوّلُ ربيّ السّقابِ فأصحابها

يريد مرجعه وعاقبته. وذلك من: آل، يُؤوّلُ»<sup>(3)</sup>.

وفي التهذيب: «وأما التأويل فهو تفعيل من أَوَّلَ يُؤوّلُ تأويلاً وثلاثيّه آل يُؤوّل، أي رجع وعاد»<sup>(4)</sup>.

ويشير الأزهري إلى معنى من معاني التأويل يلتمس حضوره في التأويل بمفهومه النحوي، وهو معنى الجمع، فيقول عقب ما سبق نقله عنه من معنى التأويل: «قلت: أُلّت الشيء: جَمَعْتُهُ وَأَصْلَحْتَهُ، فَكَأَنَّ (التأويل) جَمَعَ معانٍ مُشْكَلَةً بِلَفْظٍ وَاضِحٍ لَا إِشْكَالَ فِيهِ. وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ: أَوَّلَ اللَّهُ عَلَيَّكَ أَمْرُكَ، أَي جَمَعَهُ»<sup>(5)</sup>، وهو معنى يُلتمس للتأويل بمفهومه النحوي من حيث هو جمع لما ظاهره الاختلاف والمخالفة، وهو معنى غير بعيد عما يعنيه الرد والرجوع إلى الأصل.

وعليه يمكن تعريف التأويل النحوي بأنه: «النظر فيما نقل من فصيح الكلام مخالفاً للأقيسة والقواعد المستنبطة من النصوص الصحيحة، والعمل على تخريجها، وتوجيهها لتوافق

بالملاطفة والرفق هذه الأقيسة والقواعد، على ألا يؤدي هذا التوجيه إلى تغيير القواعد أو زعزعة صحتها واطّرادها»<sup>(6)</sup>.

أو هو «تبيين النص بصورة تجعله آخر الأمر متفقاً مع القواعد المتبّعة، - وهو ما يعني - صبب ظواهر اللغة المنافية للقواعد في قوالب هذه القواعد»<sup>(7)</sup>.

كما يمكن تعريفه على نحو إجرائي بأنه «دراسة تراكيب العربية من جهة الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والتضمن والحمل على المعنى وتقدير الإعراب؛ أي تخريج كل ما جاء على غير قواعد النحويين وبأي طريقة من طرائق التخريج»<sup>(8)</sup>.

#### موجّهات التأويل النحوي في كتاب البسيط:

الموجّهات واحدها موجّهة، وهو الدليل المرشد، وهو هنا - في باب التأويل النحوي - ما يعتمد عليه النحوي عادة في حكايته أو دعواه التأويل في التراكيب التي هو بمعرض معالجتها، فقد يعرض للنحوي تركيب ما فيضطر لسبب ما أن يؤول النص ليقيم نظامه بما يتّسق مع القاعدة النحوية، لكنه بذلك قد لا يملك أن يحتمل له تأويلاً معيناً، أو توصيفاً دقيقاً لحكاية التأويل ما لم يسعفه دليل يسهم في توجيه ما يقصده لإقامة النص، إذ قد يجد المتأول نفسه أمام ما يستوجب التأويل، وأمام احتمالات تأويلية مختلفة يمكن لجمعها أن تقيم النص الذي أمامه على نحو مختلف، وهنا يحضر دور الموجّه التأويلي أو الدليل في توجيه احتمالات التأويل لدى النحوي في تحليله، وذلك ما يمكن التفريق به بين ما هو سبب داعٍ للتأويل ملجئ إليه - كالخلل في الصناعة النحوية، أو فساد المعنى - وما هو موجّه ودليل يسترشد به النحوي في حكاية التأويل متى اضطر إليه لسبب من أسباب التأويل.

والناظر في كتاب (البسيط) لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت 468هـ) يجد أن مؤلفه لجأ إلى هذه الظاهرة على نحو كبير في كتابه، وهي ظاهرة تتشكل عادة في كل ما من شأنه أن يكون تفسيرياً وبيانياً؛ إذ تمثل ظاهرة التأويل حركة الخروج عن النمط المثالي للغة، أو ما يمكن التعبير عنه بما ظاهره كسر نظام اللغة، وعليه فما يرد مبنوثاً في كتاب (البسيط) ومفرقاً



فيه من معالجات تأويلية نحوية يمكن رده إلى أسباب جامعة، هي ما أوجد الحاجة إلى سلوك مسلك التأويل في المؤلف الواحد، أو في غيره، لأن كثيراً من قضايا التأويل يوردها الواحد نقلاً عن غيره، وإيراده لها إما تأييداً وهو الأكثر، وإما استعراضاً دون إشارة منه إلى قبولها، وإما لاعتراضه عليها، تمهيداً لمناقشتها أو نقدها، وإن كان الباحث هنا قد أورد ما أورده من موجّهات التأويل بصفة عامة فإن ما لدى الواحد في كتاب (البسيط) لا يخرج عن ذلك، فحضور التأويل لديه تستدعيه أسباب، وتوجهه أدلة هي ما سيحاول الباحث استجلاءها هنا، ومناقشتها بإيراد بعض الأمثلة الموضحة لها.

#### أ- السياق:

يعدّ السياق أحد أهمّ الموجّهات التأويلية التي يعتمد عليها المؤلّف؛ لأن السياق قرينة تحضر وتتفاعل مع النص ولا ينفك النص عنها، وإنما يدور معها حيث دارت، وهذا الاتصال الوثيق فيما بينهما من شأنه أن يلقي بظلاله على الحدث التأويلي، إذ يجد المؤلّف نفسه مشدوداً إلى قرينة مهمة تتدخل في بناء المعنى، بل إنها تعد عمدة يرتكز عليها النص، ولأن المعنى أساساً في التأويل كان لا بد من أن يسترشد به المحلل للنص ليحكي تأويلاً غير منفصل المعنى والدلالة عن سياقه وبيئته المحيطة به، فالسياق في علاقته بممكنات التأويل يعدّ مسألة محورية؛ لأن السياق يوجه القراءة ويضيق التأويل ويحدد اتساع الاحتمالات<sup>(9)</sup>، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هذا السياق الذي يحيط بالنص يمكن أن يكون سياقاً لغوياً مؤلفاً من كلمات وجمل، وربما كان السياق مقامياً لا علاقة له بما يحف النص من ألفاظ وجمل، وإنما يتصل بالحال والمقام، فهتدي النحوي إلى تأويل صحيح مسترشداً بما يمكن تسميته بالسياق المقامي أو الحالي، وهو السياق الذي يخرج عن النص إلى ما يمكن أن يؤثر فيه مما عداه، ويندرج فيه كل الأنواع الأخرى من السياقات المؤثرة في النص التي هي مؤثر في الحدث التأويلي؛ لأن «التأويل النحوي بكل حيثياته قد ارتبط بالقصد والمقام، فقد راعى النحويون المقام، وتصوروا الموقف، وأولوا علاقات الألفاظ في التركيب وفقاً للمعنى الذي يمكن أن يحصل من هذه العلاقات، وكل ذلك نوع من تصورهم للمعنى الأول الذي صدر عنه الكلام، أو هو تصور للأصل الذي راعاه المتكلم، وهو ينطق العبارة،

وتوسعوا في تقدير أصل الكلام، وهم بصدد الحديث عن المحذوف، فحاولوا تقدير أصل الجملة بما يتسق والمعنى الذي قصده المتكلم، فكانوا يقدرون هذا الأصل وفقاً لما يتصورونه من مقصد المتكلم»<sup>(10)</sup>.

لذا؛ فإن المعنى قد يكون في منأى عن أن يدرك إذا ما اعتمد المتؤول على القرائن المقالية وحدها؛ «لأن هذه العلاقات السياقية قد تصلح في أكثر من موطن ومقام، وهي بذلك تحمل أكثر من معنى تختلف باختلاف مقاماتها، فالعلاقات السياقية منتهية إلى حد، والمقامات والأحوال لا حد لها، ونحن إذ نجهل تلك المقامات فإن المعنى سيظل مستغلقاً حتى نعرف الحال والمقام الذي يكشف عنه، يقول ابن جني: (فالحمالون والحماميون والساسة والوقادون ومن يليهم ويعتد منهم يستوضحون من مشاهدة الأحوال مالا يحصله أبو عمرو من شعر الفرزدق إذ أخبر به عنه ولم يحضره ينشده)»<sup>(11)</sup>.

وعليه، يمكن القول هنا إن السياق لَعِبَ دورًا مهمًا في نحو ما قد يفهم من كثير من الأمثلة، مما اعترأها بعض ما عد من قبيل التأويل النحوي، كالحذف، مثلاً، والحمل على المعنى... إلخ، غير أن ما يهمننا هنا هو ما ورد لدى الواحدي من قضايا لَعِبَ فيها السياق بمفهومه الواسع دورًا في إثبات دعوى التأويل، فما يمكن أن يقال فيما سبق من الأمثلة من أن السياق هو ما حدد هوية المحذوف فهو بمنزلة الدليل على تحديد وجهة هذا التأويل وتأثيره، كما أن النقص الظاهر في أركان الجملة هو السبب الرئيس وراء دعوى التأويل في مثل هذا الموضع، فمن غير الوارد في اللغة وتراكيبها أن ترد جملة فعلية ليس لها فاعل هو من قام بالفعل أو اتصف به، على نحو ما هو مشهور من معنى الفاعل في الجملة، ولو ظهر لنا في تركيب ما أنه ورد كذلك، فلا بد من تأويله ليستقيم مع قواعد اللغة ونظامها، وهنا يحضر التأويل النحوي ليفي بذلك الغرض ويؤديه.

والواحدي هنا يستدعي السياق على نحو مصرح به في عدد من الأمثلة، وفي مواضع أخرى نجده يستدعي السياق إشارة دونما تصريح، فنجده يعالج قضية من قضايا التأويل من وجهة نظر سياقية بحتة، يسوقها مساق الدليل على التأويل، دون ذكر صريح لهذا السياق، وهذا في

مواضع كثيرة من كتابه، ومثل ذلك لا ينبغي إغفاله بل هو ما يتوخى الباحث إبرازه ولفت النظر إليه حتى يتضح.

ولعل ما يطالعنا به الواحدي في صدر كتابه (البسيط) كفيل بأن يكشف عن وعي كبير منه قضية دلالة السياق؛ بوصف القرآن الكريم بنية نصية واحدة متماسكة يشد بعضها بعضاً، ففي حديثه عن قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]، قال الواحدي: «وقال ابن الأنباري: معناه: هدى للمتقين والكافرين، فاكتفى بأحد الفريقين من الآخر، كقوله: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ آلْحَرَ﴾ [النحل: 81] وقوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ [آل عمران: 113] أراد وأخرى غير قائمة. وقال أبو ذؤيب:

فَمَا أَذْرَى أَرُشِدُ طِلَابِهَا

(وأراد: أم غي)، والدليل على هذا: أنه قال في موضع آخر: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: 185]، فجعله هدى للناس عاماً، على أنه ليس في الإخبار أنه ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]، ما يدل على أنه ليس هدى لغيرهم»<sup>(12)</sup>.

وفيما ذكره الواحدي هنا استحضار ومراعاة لسياق النص القرآني في حكاية التأويل، حين يذكر أن ما يقتضيه السياق القرآني هنا هو دعوى الحذف، واستدل على ما قدره محذوفاً بسياق يقتضيه ويدل عليه.

ومن ذلك ما جاء لدى الواحدي عند قوله تعالى: ﴿وَتَرَعْبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: 127]، من ذكره للخلاف في تقدير حرف الجر المحذوف في الآية؛ إذ إنه محتمل لأن يكون (في) أو (عن)، يقول الواحدي: «قال أبو عبيد يحتمل هذا الرغبة والزهد، فإن حملته على الرغبة كان المعنى: وترغبون في أن تنكحوهن، وإن حملته على الزهد كان المعنى: وترغبون عن أن تنكحوهن لدمايتهن، والمفسرون أيضاً مختلفون على هذين الوجهين اللذين ذكرهما أبو عبيد.

روى ابن عون عن الحسن وابن سيرين: ﴿وَتَرَعْبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: 127]، قال أحدهما: ترغبون فيهن، وقال الآخر: ترغبون عنهن»<sup>(13)</sup>. ثم إننا نجد أن الواحدي يعرض لذكر ما من شأنه أن ينهض بأحد الرأيين من قرائن مقامية، بما في ذلك الآثار المروية عن الصحابة ومن

بعدهم<sup>(14)</sup>، والمتأمل هنا يدرك عود «الخلاف هنا إلى الخلاف في سبب النزول أو ما يسمى بالقرائن، يقول ابن هشام: فإنما حذف الجار فيها لقرينة، وإنما اختلف العلماء في المقدر من الحرفين في الآية لاختلافهم في سبب نزولها، فالخلاف في الحقيقة في القرينة»<sup>(15)</sup>.

وقد يعرض لما هو من قبيل ذلك عرضاً دون إشارة إلى السياق وعلاقته بالتأويل كما في كلامه عن قوله تعالى: ﴿أَكْلَهَا دَائِمًا وَظُلُّهَا﴾ [الرعد:35] قال الواحدي: «وقوله تعالى: ﴿وَظُلُّهَا﴾ أي أنه لا يزول ولا تنسخه الشمس»<sup>(16)</sup>.

وحاصل ما أورده الواحدي هنا هو التأويل مستهدياً بالسياق؛ إذ عرض للحديث عن خبر قوله: ﴿وَظُلُّهَا﴾ المحذوف، وساق ما مضمونه لا يختلف عن خبر سابقه وهو ﴿دَائِمًا﴾، فالظل الذي لا يزول ولا تنسخه الشمس هو الظل الدائم.

وعليه فقضية التأويل النحوي وعلاقتها بالسياق حريّة بالتناول والدراسة والنظر، ويمكن عدها من القضايا المهمة في دراسة التأويل، ولعل ما يؤكد أهمية هذا المعنى، أن يقال إن النص خارج سياقاته اللغوية والمقامية خلوا لا يستطيع قارئه أن يضع له تأويلاً مادام أنه خارج سياقاته، فيظل عائماً حتى يأتي ما يمكن أن يحدد هويته ويصنع حدوده، وهذا ما يعني بطبيعة الحال أن فضفاضية النص والتركيب خارج السياق تتسع أكثر منها داخل سياق معين، وتضيق كلما حفت بها السياقات والظروف والملابسات الخارجية، فيتحدد بها النص ويبدو التركيب في إطار ضيق من الاحتمالات التأويلية التي يزعم الباحث أنها بمنزلة مصطلحات النص ومقوماته اللغوية.

#### ب- إيراد النظر

حين يعمد النحوي أو المفسر إلى الذكر تأويلات معينة كان قد لجأ إليها لسبب من الأسباب التي سبقت الإشارة إليها، يجد نفسه أمام نص به حاجة إلى التأويل لينسجم مع القاعدة النحوية، فيعتمد إلى التأويل، وقد يجد لذلك مبرراً في نظائر يوردها من ذلك القبيل تؤيد ما يذهب إليه؛ لذا فيإيراد النظر من أهم الأدلة التي يستدل بها المتأول للكلام، فما استوجب من الكلام تأويلاً لسبب ما نجد أن أول ما يطرق ذهن النحوي أو المؤول أن يلتمس له نظيراً مشابهاً يمكن أن يحمله ويقيسه عليه؛ ولذلك نجد أنه يمكن أن يطلق على هذا الدليل تسميات أخرى

كلها تفي بالمقصود وترشد إليه، ومن ذلك (المشابهة)، أو (المجانسة)، ولعل أشملها وأعمها الحمل على النظر، إذ يلمح المؤول شيئاً مشتركاً بين ما هو بمعرض تحليله وبين مثال آخر يشبهه، أو هو من جنسه ونظيره، فيحكي فيه التأويل نحو ما هو في ذلك النظر.

ولعلنا بتتبع ما ورد من معالجات تأويلية في كتاب البسيط نلمح هذا الدليل ظاهراً في كثير من الأمثلة، ولا غرو، لاسيما أن الواحد قد أيد كثيراً من تأويلاته في معالجته لكثير من الآيات بإيراد نظائرها، سواء كانت من القرآن الكريم، أم من فصيح كلام العرب، شعراً أو نثراً.

وقد يستدل بأكثر من دليل للنص المتأول؛ لتكون هذه النظائر التي يوردها سنداً يتكئ عليه في تأويله، ويؤمنه في أن يرسل الكلام في التأويل على عواهنه دون إدراك منه ووعي بما يقوله.

ومن الأمثلة التي ورد فيها إيراد النظر دليلاً على التأويل ما أورده في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿[الحجر: 13]، بعد قوله: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: 12]، أي ابتداء كلام أم اتصال بما قبلها من كلام؟، فقال: «قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ هذا عند الزجاج ابتداء كلام؛ كأن الله تعالى أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم لا يؤمنون. وقال الجرجاني: قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ رفع موضعه نصب على تأويل أن لا يؤمنوا به، (أن) الخفيفة تضمير، فإذا أضمرت لم تعمل؛ كقوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ﴾ [الزمر: 64] فعلى هذا قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تفسير للكناية في قوله: ﴿نَسْلُكُهُ﴾ كأنه قيل: نسلك في قلوب المجرمين ألا يؤمنوا به، فلما كفَّ ذِكْرُ (أن) عاد الفعل إلى الرفع، وهذا معنى قول الفراء؛ لأنه قال: يجعل في قلوبهم ألا يؤمنوا، والكناية في (به) تعود إلى الذكر؛ الذي هو القرآن في قول ابن عباس، وفي قول غيره يجوز أن تعود إلى الرسول، ونظير هاتين الآيتين في المعنى واللفظ قوله في الشعراء: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۖ ۲۰۰ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الشعراء: 200-201]»<sup>(17)</sup>.

ويُظهر الواحدي بهذه المعالجة وعياً بقضية الاستدلال بما يؤيد رأيه من إيراد للنظر في القول بحذف حرف النصب الذي من شأنه أن يسبك مصدراً مؤولاً منه ومما دخل عليه من الفعل، فيعرض لذكر مسألة حذف (أن) المصدرية مع إهمال عملها، ويورد النظر في ذلك، وهي

مسألة عرض لها النحويون وأوردوا لها شواهد ونظائر كثيرة، وهي من المسائل الخلافية بين النحويين، وقد اشتهر عن بعض النحويين من غير البصريين إجازتهم النصب على إضمار (أن)، كما اشتهر عن البصريين منعهم ذلك إلا أن يكون منها عوض؛ نحو: الفاء والواو<sup>(18)</sup>.

وقد ذكر ابن هشام أن الفعل إذا رفع بعد إضمار (أن) سهل الأمر، ورأى أنه مع ذلك لا

ينقاس، ومنه: {قل أفغير الله تأمروني أعبد} [الزمر: 64]، وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ يُرِيكُمْ ءَلْبُرُقَ﴾ [الروم 24]، و(تسمع بالمعيدي خير من أن تراه)، وهو الأشهر في بيت طرفة:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

وقد أشار إلى قراءة (أعبد) بالنصب، كما روي أحضر كذلك، وذكر أن انتصاب (غير) في

الآية على القراءتين لا يكون (بأعبد)؛ لأن الصلة لا تعمل فيما قبل الموصول بل ﴿تَأْمُرُونِي﴾، و(أن أعبد) بدل اشتمال منه؛ أي تأمروني بغير الله عبادته<sup>(19)</sup>.

وقد عرض لها العكبري ضمن مسائل النحو الخلافية، فقال: «إذا حذف أن فالجيد أن لا

يبقى عملها إلا أن يكون ثم بدل مثل الفاء ونحوها، وقال الكوفيون يبقى عملها، وحجة الأولين قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ﴾ [الزمر: 64]، وبأن عوامل الأفعال ضعيفة ولا تعمل محذوفة، واحتج الآخرون بأشياء جاءت في الشعر وهي شاذة أو متأولة، وقد قاسوا ذلك على عوامل الأسماء وهو قياس فاسد؛ لأنها أقوى من عوامل الأفعال، ولو جاز مثل ذلك لجاز: يضرب زيد، وأنت تريد: ليضرب»<sup>(20)</sup>.

ومن الأمثلة التي استدل الواحدي بهذا الدليل على التأويل فيها ما أورده في قوله تعالى:

﴿فَسَوَّيْنُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: 29]، قال: «وجمع الكناية في ﴿فَسَوَّيْنُنَّ﴾ لأنه أراد بلفظ

﴿السَّمَاءِ﴾ جميع السموات كقولهم: كثر الدرهم والدينار في أيدي الناس، يراد الجمع، وكثيراً ما

يذكر الواحد والمراد به الجمع، كقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا مَدِينًا مِّنْ سَمَوَاتٍ﴾ [الشعراء: 77] وقوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ

أَعْلَمِينَ﴾ [الشعراء: 16]. وكما أنشده قطرب:

ألا إن جيران العشيّة رائح  
دعّتهم دواعٍ من هوى ومنادح

ويجوز أن يراد بالسماء جمع سماة أو سماوة، على ما ذكرنا قبل. وجائز أن تعود الكناية على أجزاء السماء ونواحيها»<sup>(21)</sup>.

وفيما أورده الواحدي هنا توظيف لهذا الدليل باستعراض نظائر للتأويل بالحمل على المعنى، بذكر الواحد مرادًا به الجمع، أو بالحمل على ما في المفرد من معنى الجمع، بما اشتمل عليه وتضمنه من أجزاء **مثلاً ونحو ذلك**.

ومما ورد كذلك لدى الواحدي من استدلال بإيراد النظير في نحو ما سبق قوله: «وقوله تعالى: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ [آل عمران: 49]، أي: في الطَّيْرِ. و ﴿الطَّيْرِ﴾ يجوز تذكيره، على معنى الجمع، وتأنيثه، على معنى الجماعة.

ولا يجوز أن تعود الكناية إلى الطين؛ لأن النسخ إنَّما يكون في طينٍ مخصوص، وهو: ما كان مُهَيَّأً منه، والطينُ المتقدِّمُ ذكره، عامٌّ، فلا تعود إليه الكناية؛ ألا ترى أنه لا يَنْفُخُ في جميع الطَّيْنِ. ويجوز أن تعود الكناية على ذي الهيئة. وأريد بـ (الهيئة): ذو الهيئة، كما أريد بـ (القسمه): المقسوم، في قوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ [النساء: 8]؛ لأنه قال: ﴿فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [النساء: 8]<sup>(22)</sup>.

وفي النص بدا ظاهراً تأكيد الواحدي على هذا النوع من الدليل، وهو إيراد النظير الذي يحسب أنه جرى عليه، فيلتمس فيه تمهيداً لما يرجو تأكيده من مسائل التأويل.

ومع ما سبق ذكره، يحسب الباحث أن ما يمكن أن يورد نظيراً لمسألة ما لفرض كونها جارية عليه لا يلزم بالضرورة أن نحمل عليه ما نحن بمعرض الحديث عنه، لاسيما إذا احتمل غيره، وكان الاحتمال فيه ظاهراً، أو أمكن حمل الكلام على غيره دون تعسف أو لِيّ للنص.

### ج- إيراد القراءة القرآنية:

من الأدلة المهمة التي ترد هنا في الكلام عن أدلة التأويل القرآنية الأخرى، فقد يجد النحوي أو المفسر نفسه في معرض معالجة نص قرآني معين، ويجد أن هذا النص به حاجة إلى التأويل بالحذف أو الزيادة أو الحمل على المعنى أو غير ذلك من ملامح التأويل، ويجد أن ثمة قراءة أخرى تعضد ما يقتضيه التأويل وتؤيده، فيبدو بذلك الدليل موجهاً للحدث التأويلي ومرشداً له

نحو ما ينبغي أن يكون الكلام عليه في الأصل، أو فيما وضعه المتأول في ذهنه من صورة مثالية، يحاكم إليه الاستعمالات التي ينتجها الحدث الكلامي.

ولعل ما يميز هذا النوع من الدليل أنه من النص القرآني ذاته، فحضوره لا يقل أهمية عن النص الذي جرى تأويله، وقد يصلح أن يطلق عليه أنه دليل من داخل النص لا من خارجه؛ لذا رأى الباحث أهمية الوقوف عنده وتسليط الضوء عليه، لاسيما أن له حضورًا غير قليل لدى الواحدي في كتابه (البيسط)، يمكن الوقوف عنده وإيضاحه ومناقشته؛ ولأن مجال القراءات القرآنية رحب والروايات فيه متعددة ولأن حضوره في الاستشهاد في الدرس النحوي مشتهر فإن تسليط الضوء عليه قد يضيء جوانب مهمة من البحث لاسيما أن الواحدي في كتابه هذا أودعه كثيرًا من القراءات والروايات القرآنية.

وهذا الكلام نجد له صدى ظاهرًا لدى الواحدي في كتابه (البيسط)، إذ نجد أن ما أورده من القراءات وما ضمّنه كتابه بعضًا منه جاء لهذا الغرض؛ وهو الدلالة على التأويل والإرشاد لما ينبغي أن يسير نحوه التأويل، بمعنى أنه بمنزلة المرشد للمتأول، فيلتمس نحو هذه الأدلة ليوجه النص وجهته التأويلية الصحيحة، ويعمد إلى التماس قراءة تشهد له، أو نص هنا أو هناك، أو سياق معين يمكن أن يسهم فيما نحنا نحوه من تأويل.

وهنا الحديث عن القراءة القرآنية ودورها في توجيه التأويل النحوي، فنجد، مثلًا، أن الواحدي يورد الآية مما اشتهر فيها قراءة أخرى متواترة أو غير متواترة، ويورد عليها تعليقًا من كلامه أو مما ينقله عن غيره، وقد يتضمن كلامه تأويلًا نحويًا، ويورد في السياق ذاته استشهادًا بقراءة أخرى، قد تكون في الموضع ذاته، وقد تكون في موضع آخر يشبهه، ويسوق ما يورده في هذا الشأن مساق الدليل الذي يوجه التأويل، وهكذا نجده في عدد من المواضع.

ولئن كانت الأدلة التي يعتمد عليها المؤول تتعدد طبيعتها، فإن كون الدليل الذي يورده المؤول في معالجتها نصًا قرآنيًا من القرآن ذاته يعد أوثق في الأخذ به واعتماده لملاسته القوية بالنص المؤول.



وقد نجد أن تنوع القراءات القرآنية وتعددتها سبب دافعٍ للتأويل من جهة ثرائها وكثرتها وأنها تكشف عن قصور في ظاهر النص يجعله في حاجة إلى التأويل، في حين أنها من جهة أخرى موجّهة ودليل مرشد إليه، ولا يلزم من ذلك أن تكون كذلك في كل المواضع التي ترد فيها، بل قد تبدو في موضع ما أقرب إلى أن تكون سبباً منها إلى كونها دليلاً موجّهًا، في حين أنك تراها في موضع آخر أقرب لأن تكون دليلاً من كونها سببًا، كما قد يبدو الأمر متداخلاً في موضع آخر، وسبب هذا التداخل -من وجهة نظر الباحث- هو صلاحيتها للسببية والدليل، ما يعني أن حكاية التداخل هو ما ينبغي إعادة النظر فيه وتحليله، إذ قد تبدو القراءة القرآنية في موضع معين تصلح لأن تكون سببًا ودليلاً في آن واحد، دون حاجة إلى حكاية التداخل فيها.

وإن كان مثل هذا الدليل حاضرًا في كتاب البسيط فإن حضوره لا يبدو قويًا كحضور غيره من الموجّهات، وقد يعود السبب في ذلك إلى منهجية الواحدي في تعاطيه مع القراءات، وحرصه على الترجيح فيما بينها، واستعداده لتخطئتها أو القدح فيها أحيانًا، مع كونه حريصًا -في الغالب- على إيرادها وعدم إغفالها، ولكن ذلك -على حجم الكتاب- لا يبدو شيئًا ذا بال يستدعي النظر أو يشكل ظاهرة تستدعي الوقوف عندها إذا ما قورن بما سبق من الموجّهات قبله، وحسب الباحث هنا الإشارة إلى شيء من ذلك مما وقف عليه في هذه الدراسة.

فمن الأمثلة على هذا الدليل في كتاب البسيط ما أورده الواحدي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيْمَمُوا الْخَيْبَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ [البقرة: 267]، في حديثه عن معنى الإغماض، حيث عرض لحديث طويل في بيانه والمراد منه، ومن ذلك قوله: «قال ابن عباس في رواية العوفي: لو كان لأحدكم على رجل حقٌّ فجاءه بهذا لم يأخذه إلا وهو يرى أنه قد أغمض له عن بعض حقه وتساهل فيه.

وقال في رواية الوالبي: ولستم بأخذي هذا الرديء بحساب الجيد حتى تحطوا من الثمن، وبه قال الحسن وقتادة، وهذا القول يحمل على الإغماض إذا كان متعديًا إلى آخر، كما تقول: أغمضت بصر الميت وغمضتُه، كان المعنى: ولستم بأخذي إلا إذا أغمضتم بصر البائع، يعني:

أمرتموه بالإغماض والحط من الثمن، فيكون المفعولُ محذوفاً في هذا، يدل على هذا المعنى: قراءة أبي مجلز: {تُغْمَضُوا} فيه بضم التاء وفتح الميم؛ يعني: إلا أن يُهضم لكم»<sup>(23)</sup>.

ووجه إيراد كلام الواحدي هنا هو استدلاله بقراءة أبي مجلز على صحة تأويله، وذلك أن ما ذكره الواحدي هنا تأويل بحذف المفعول من قوله {تُغْمَضُوا}، وهذه الدعوى بحذف المفعول جارية على معنى جاءت القراءة هنا لتقويته، وبغض الطرف عن مدى علاقة ما تهدي إليه القراءة بمعنى (تغمضوا فيه) الذي قيل بالتأويل فيه، يظل ما ذكره الواحدي أحد التأويلات التي قيلت في الآية، التي حاول أن يسوغ لها بما أمكنه من دليل.

ومن الأمثلة أيضاً على هذا الدليل وهو إيراد القراءة القرآنية على التأويل ما أورده الواحدي في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ۗ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: 10] من أن المراد أنها كادت تبدي أن موسى ابنها؛ لما ضاق صدرها بقول آل فرعون: هو ابن فرعون، فكادت تبدي به؛ أي: تظهره.

قال الواحدي: «فالكناية من {بِهِ} تعود على اسم موسى على قول هؤلاء؛ وهو الصحيح. وسبب الإبداء مختلف فيه، فعند بعضهم: وَجُدًا بِهِ. وعند مقاتل: شفقةً عليه من الغرق. وعند الكلبي ضيق صدرها بما تسمع من قولهم: موسى بن فرعون. ويقال: أبدى الشيء، ودخلت الباء هاهنا؛ لأنه أريد بالإبداء: الإخبار والإشعار، يدل على هذا ما روي في حرف عبد الله: إن كادت لتشعر به»<sup>(24)</sup>.

والشاهد مما ذكره الواحدي هنا هو استدلاله بما ورد في حق عبد الله بن مسعود من قراءة، حيث ساقها مساق الدليل على التأويل بالحمل على المعنى في الآية، فالفعل (أبدى) يتعدى إلى مفعوله بنفسه دون الحاجة إلى حرف جر يتوصل به إلى مفعوله، ولكن لما وصل إلى مفعوله بوساطة حرف الجر عُلم أن الفعل (أبدى) جرى على غير ظاهره في الاستعمال، فحمل على معنى (الإخبار، والإشعار)، وأيد الواحدي ذلك بقراءة من قرأ: (إن كادت لتشعر به)، وهي قراءة ابن مسعود وأبي وحفصة<sup>(25)</sup>؛ لظهور التصريح فيها بالمعنى الذي حمل الآية على معناه، ومع إشارة غير

الواحدى إلى هذه القراءة، كالفراء والماتريدي يتبين من عرض الواحدى لها ومدى توظيفه إياها وعيه بقضايا التأويل، لاسيما وهو يتغيا تلمس أدلتها.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما جاء في (البسيط) في قوله تعالى: ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا﴾ [التحریم: 12]، في بيان المراد من قوله: ﴿بِكَلِمَتِ﴾. قال الواحدى: «قال مقاتل: يعنى بعيسى أنه نبى الله، ويدل على هذا قراءة الحسن (بكلمة ربها) على الواحد. وعيسى سمي كلمة الله في مواضع من القرآن، وجمعت تلك الكلمة هاهنا فذكرت باسم الجمع»<sup>(26)</sup>.

ووجه الاستدلال بالقراءة هنا على التأويل إيراده قراءة الحسن (بكلمة ربها) في معرض الاستدلال على ذكر الجمع مراداً به الإفراد، في قوله: (كلمات) أنه أراد عيسى عليه السلام، وقد كثر استعمال (كلمة) مفردة مراداً بها عيسى عليه السلام، فلما جمعت وحملت على المعنى ذاته حرص الواحدى على إيراد دليل يقوى ما ذكر، فأورد قراءة الحسن، وهي قراءة قرأ بها أبو العالية، وأبومجلز، وعاصم الجحدري، وغيرهم<sup>(27)</sup>.

#### د. كثرة الاستعمال

وتعدّ كثرة الاستعمال إحدى الموجّهات المهمّة في التأويل النحوي، إلى جانب كونها علة نحوية مشتهرة لدى النحويين، عرض لها النحويون في كلامهم عن العلل النحوية، بل أفردها بعضهم بالبحث عن المسائل النحوية التي حكى فيها النحويون كثرة الاستعمال علة. وما يهنا هنا هو الحديث عن علاقة هذه العلة بالتأويل النحوي، بوصفها دليلاً يمكن الاعتماد عليه في حكاية التأويل<sup>(28)</sup>؛ إذ تتصل اتصالاً مباشراً بعلم المخاطب بغرض المتكلم وموضوع الكلام، وهي -أي علة كثرة الاستعمال- من العلل الدلالية، إذ تؤدي إلى علم المخاطب بالمعنى، ووضوح الدلالة<sup>(29)</sup>.

وعليه، فما دام الحديث هنا في الأدلة التي يسترشد بها النحوي في معالجته نصّاً ما داخله التأويل؛ فإن الباحث هنا يلحظ كثرة الاستعمال موجّهاً ظاهراً ودليلاً مرشداً من أدلة التأويل، وعلى ما يمكن أن يقال في مدى قبول النحويين كثرة الاستعمال علة من العلل النحوية؛ فإن قضية التأويل النحوي متفرعة عن الأثر الذي يمكن أن تحدثه أصالة كثرة الاستعمال في باب العلية.

ويميل الباحث هنا إلى ترجيح أن كثرة الاستعمال موجّهًا يمكن الاستئناس به في باب التأويل؛ لأن ما استعملته العرب كثيرًا ودرجت على استعماله على نحو يمكن أن يوصف بالكثرة، استدعى تصرفًا خاصًا جعل كثيرًا من التراكيب في كثير من الأحيان تبدو غير منسجمة مع ما ينبغي أن يكون عليه في الأصل، وهو ما دعا النحويين إلى ملاحظة السبب وراءه؛ إذ خلصوا إلى القول بعلّة هذه الكثرة في الاستعمال، كما أن ضابط الكثرة وإشكالية تحديدها هو ما ألقى بظلاله أيضًا على تقبل النحويين لهذه العلة.

وهنا يمكن القول: إن هذا الموجه من موجّهات التأويل قد يستأنس به في التأويل، ولعل ذلك يتضح فيما سيعرض له الباحث من أمثلة حضر فيها هذا الدليل جليًا على التأويل. فمن ذلك ما أورده الواحدي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: 240]، حين عرض للحديث عن إعراب ﴿وَصِيَّةً﴾ قال الواحدي: «واختلف القراء في رفع الوصية ونصبها. فمن رفع فله وجهان: أحدهما: أن يجعل الوصية مبتدأ، والظرف خبره، وهو قوله: ﴿لِأَزْوَاجِهِمْ﴾، وحسن الابتداء بالنكرة، لأنه موضع تخصيص، كما حسن أن يرتفع: سلام عليكم، وخير بين يديك. والوجه الآخر: أن يُضمّر له خبرًا، فيكون قوله: ﴿لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ صفةً للنكرة التي هي الوصية، وتقدير الخبر المضمّر: فعلمهم وصية لأزواجهم.

قال أبو عبيد: ومع هذا رأينا المعنى كله في القرآن رفعًا، مثل قوله: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: 237]، ﴿قَدِيَّةٌ مُّسَلَّمَةٌ﴾ [النساء: 92]، ﴿فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [البقرة: 196]. ونحوها. ومن نصب حملة على الفعل، أي: فليوصوا وصيةً، فتُنصَب الوصية على المصدر، ويكون قوله: ﴿لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ وصفًا كما كان في قول من أضمّر الخبر كذلك. ومن حجّتهم: أن الظرف إذا تأخر عن النكرة كان استعماله صفةً أكثر، وإذا كان خبرًا تقدم على النكرة، كقوله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ﴾ [المؤمنون: 63] ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: 35] فإذا تأخرت فالأكثر فيها أن تكون صفات، وهاهنا تأخر الظرف، وهو قوله: ﴿لِأَزْوَاجِهِمْ﴾، فالأحسن أن تكون صفة للنكرة، لا خبرًا»<sup>(30)</sup>.

وموضع الشاهد هنا فيما أورده الواحدي هو الاستدلال بدليل كثرة الاستعمال على ما ذكره من تأويل في الآية، بحذف عامل النصب وانتصاب ﴿وَصِيَّةٌ﴾ على أنها مفعول مطلق، بدليل ما أورده من تقدير وهو (فليوصوا وصيةً)، ودليله على هذا التأويل هنا هو أن الظرف إذا تأخر عن النكرة كان استعماله صفةً أكثر، وإذا كان خبرًا تقدم على النكرة، وأنه في الآية تأخر الجار والمجرور عن النكرة، فترجح كونها صفة لما بعدها على كونه خبرًا لها، وقُدِّرَ للنصب عامل محذوف، جاء في (الكشف والبيان) ما نصّه: ﴿وَصِيَّةٌ﴾ بالنصب على معنى فليوصوا وصية، وقرأ الباقون بالرفع على معنى كتب عليهم الوصية، وقيل: معناه لأزواجهم وصية، ولتكن وصية، ودليل هذه القراءة قراءة عبد الله: كتبت عليهم وصية لأزواجهم<sup>(31)</sup>.

ومن الأمثلة أيضًا على هذا الدليل في كتاب (البسيط) ما أورده الواحدي عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٣٦﴾ [الذاريات: 35-36]، قال الواحدي: «قال مجاهد، ومقاتل والمفسرون: يعني: لوطًا وبنتيه. وهذا مذكور في مواضع من التنزيل كقوله: ﴿أَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ﴾ [الأعراف: 83]، وقوله: ﴿لَنْنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ [العنكبوت: 2]، وقوله: ﴿إِلَّا آءَالَ لُوطٍ﴾ [القمر: 34] الآيات. والتقدير في الآية: غير أهل بيت، وكثر استعمال هذا حتى انطلق البيت على أهله، فيقال: بيت شريف، يراد به الأهل»<sup>(32)</sup>.

ووجه الاستشهاد عنها بما أورده الواحدي هو حضور كثرة الاستعمال موجّهًا من موجّهات التأويل، فما أورده الواحدي من تقدير في قوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ﴾ [الذاريات: 36]، من أن المراد في الأصل (غير أهل بيت) هو تأويل مؤداه حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ليكون بمنزلته فيما يدل عليه من معنى، أو يكون من قبيل المجاز المرسل الذي علاقته المحلية بذكر المحل والمراد الحالّ فيه<sup>(33)</sup>، وهو هنا ذكر البيت وأراد أهله، لكن الواحدي اكتفى بإيراد التقدير هنا عن ذكر الحذف<sup>(34)</sup>، وذكر كثرة الاستعمال في إطلاق لفظ (بيت) مرادًا به الأهل دليلًا لما أورده من تأويل.

## هـ - الإيماء بذكر النقيض

نجد أن الإيماء بذكر النقيض هنا من الموجّهات المهمة التي وُجّه به التأويل النحوي؛ إذ هي مما يهدي بذاته إلى ما يختفي وراءه من معنى، وقد يُعدّ هذا الموجّه أو الدليل من الأدلة المنطقية التي عالج بها النحويون قضايا التأويل، وهذا الدليل يمكن التطرق إليه في سياق ذكر الأدلة التي يعتمدها النحويون في تأويلهم؛ إذ لا تخلو معالجاتهم التأويلية أحياناً من النزعة العقلية المنطقية، فنجد أن أحدهم ربما ذهب بتأويله إلى ما يمليه المنطق العقلي عليه من توجه وإشارة، وإذا ما أمعن الدارس النظر في ذلك يجده دليلاً مهماً يستحق الرصد والدراسة، ولا شك في أن مثل هذا النوع من الأدلة التي مدارها على العقل والمنطق لا بد من أن يحضر معها دليل آخر يسعفه ويقويه، فيصيران موجّهًا واحدًا من موجّهات التأويل، على نحو ما سيعرض له الباحث من أمثلة، فقد يكون ما يقتضيه المنطق والعقل الموجّه الأوّل للعمل التأويلي، لكنه لا يلبث أن يتصل به غيره ليصبح دليلاً متكاملًا كافيًا لتوجيه التأويل وإقامته، ولعل ذلك يتضح على نحو جلي إذا ما عرض الباحث لتلمس هذا الدليل في كتاب البسيط.

فالنظر إلى الشيء والاستهداء به على نقيضه أو ضده، وتصوره مرادًا ومقصودًا في الكلام معالجة منطقية ظاهرة؛ لأن حمل النقيض على النقيض باب واسع، وله مناسبة، وهي أن النقيضين، غالبًا، يتلازمان في الخطور بالبال والحضور في الذهن، بتصور أحدهما بمجرد ذكر الآخر أو التفكير فيه<sup>(35)</sup>.

فيلاحظ بذلك وجود بنية أساسية بين النقيضين، تجمع بينهما، وتجعل كلاً منهما مشدودًا إلى الآخر دائرًا معه حيث دار.

وعلى هذا الأساس يمكن القول: إن نفي أحد النقيضين يعني إثبات الآخر، فيكون بهذه الصفة دليلاً عليه، وهو ما يحاول الباحث هنا رصده في كتاب البسيط، بالوقوف على ما جرى التأويل فيه استهداءً بالإيماء إلى ذكر النقيض.

وفيما يلي أمثلة لهذا النوع من موجّهات التأويل فيما أورده الواحدي في كتاب (البسيط)، فمن ذلك حديثه في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان:32]،

قال: «أي من هول ما هم فيه، نجاهم حين أفضوا واتفوا إلى البر. قال صاحب النظم: المراد من قوله: فلما نجاهم: الاستقبال، وإن كان لفظه لفظ الماضي، بدليل قوله: ﴿فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان:32]. ولما لا يقتضي جواباً بالفاء، وأراد (فمنهم مقتصد ومنهم جائر)، ودلّ على هذا المضمّر قوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان:32]، فأوماً بهذا إلى هذا، نقيض قوله: ﴿فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان:32]، ونقيض الاقتصاد: الجور»<sup>(36)</sup>.

وفيما تقدم مما أورده الواحدي -رحمه الله- معالجة تأويلية بتقدير محذوف من الكلام نقيض ما هو مذكور فيه، وهو ما تأوله بقوله: (ومنهم جائر)، وفي ذلك إيماء إلى النقيض بذكر نقيضه بدعوى ما سبقت الإشارة إليه من بنية أساسية مشتركة بينهما، تحضر كلما أشير إلى أحدهما، وإذا ما أنعمنا النظر في هذا الدليل وجدنا أنه يتجاذبه طرفان: عقلي منطقي، ولفظي، فالعقلي تستدعيه علاقة ما بين النقيضين، واللفظي تستدعيه بنية اللفظ نفسه، فيتكاملان على نحو يحسن معه التأويل.

وإذا ما حاول الباحث تطبيق ذلك على ما سبق يخلص إلى أن (منهم مقتصد): هذا تركيب يوحي بتفصيل وتفرع عن سابق عام، يتصور منه خلو فئة أخرى غير المذكورة من الحكم، فهي بطبيعة الحال غير داخلية فيه، بدليل التبويض الذي أفهمه (من) في الجملة، وعليه يمكن استخلاص جملة أخرى منها دون الحاجة إلى أي دليل آخر، وهي: (ومنهم غير مقتصد)، وهو موضع الشاهد في الحديث عن التأويل، وذلك ما ألمح الباحث إليه باتصاله بالتفكير المنطقي، غير أن ما يسعف التأويل أيضاً هنا هو البنية اللفظية التي يتحدد معها خصوصية التأويل، وهي هنا (مقتصد)؛ إذ الاقتصاد يقابله الجور، على ما يفهم من معنى الآية، وبه يكتمل العمل التأويلي.

ومع ما وجد لدى الواحدي من إعمال لدليل الإيماء بذكر النقيض في تأويل الآية؛ نجد من يستلهم التأويل نفسه بدليل الإيماء بذكر النقيض، ودليل آخر من السياق، من ذلك ما ذكره مكي بن أبي طالب عند تفسير هذه الآية، قال: «﴿فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: 32] أي: في قوله وإقراره بربه، وهو مضمّر للكفر بعد ذلك، وقال ابن زيد: المقتصد على صلاح من الأمر، وفي الكلام حذف، كأنه قال: ومنهم كافر بربه الذي نجاه من الغرق. ودل على ذلك قوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا

إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كُفُورٌ ﴿ [لقمان: 32]، أي: وما يكفر بأدلتنا وحججنا إلا كل غدار عنيد، فدل الجحود المذكور على الكفر المحذوف»<sup>(37)</sup>. فهذا التأويل جرى على دليل الإيماء بذكر النقيض.

ودليل آخر هو ما ورد في السياق بعده، وقد يتسع التأويل باتساع الأدلة التي يستحضرها المتأول، لنجد من يقدر في المحذوف (ومنهم الموقن بالآيات الشاكر للنعمة)؛ ليكون قسيماً ثالثاً للمقتصد والجاحد، ف«المقتصد: الفاعل للمقتصد وهو التوسط بين طرفين، والمقام دليل على أن المراد الاقتصاد في الكفر لوقوع تذييله بقوله: وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور، ولقوله في نظيره في سورة العنكبوت: ﴿فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: 65]، وقد يطلق المقتصد على الذي يتوسط حاله بين الصلاح وضده. كما قال تعالى: ﴿مَنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 66]. والجاحد الكفور: هو المفرط في الكفر والجحد. والجحود: الإنكار والنفي. وتقدم عند قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: 33]، وعلم أن هنالك قسماً ثالثاً وهو الموقن بالآيات الشاكر للنعمة وأولئك هم المؤمنون، قال في سورة فاطر: ﴿فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ - وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: 32]، وهذا الاقتصار كقول جرير:

كانت حنيفة أثلاثاً فثلثهم من العبيد وثلث من موالها

أي: والثلث الآخر من أنفسهم»<sup>(38)</sup>.

ومن المواضع التي جاء فيها إعمال هذا الدليل في كتاب (البيسط) ما ذكره الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾ [الحديد: 10] قال الواحدي: «قال صاحب النظم: قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ﴾ يقتضي نقيضاً، كما قال: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر: 20]، ولم يعي هاهنا النقيض الذي يقابل من أنفق، فلما قال ﴿أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا﴾ دل على هذا النقيض؛ لأن نقيضه من أنفقوا من بعد وقاتلوا»<sup>(39)</sup>.



ووجه الاستشهاد فيما قاله الواحدي ظاهر، حيث أشار إلى محذوف في الآية هو من تمام معناها؛ بدليل ما ورد فيها، وهذا المذكور جار مجرى ما أومئ به للدلالة على نقيضه، وهذا التأويل الذي أورده الواحدي هنا مشتهر لدى المفسرين في هذه الآية<sup>(40)</sup>.

وهذا من المواضع التي يستدل فيها على التأويل من أكثر من وجه؛ إذ دل عليه ذكر النقيض، كما دل عليه التصريح به بعد ذلك في السياق ذاته، من ذلك قوله: «فلما قال: ﴿أُولَئِكَ أَكْبَرُ مِنْ أَمْثَلِهِمْ ذُرِّيَّةً مِمَّنْ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا﴾ [الحديد:10] دلّ على هذا النقيض؛ لأن نقيضه من أنفقوا من بعد وقتلوا»<sup>(41)</sup>، كما دل عليه أيضاً بنية اللفظ من الفعل ﴿يَسْتَوِي﴾ التي تقتضي مقابلاً تنعقد به المفاضلة<sup>(42)</sup>، وهو دليل -إذا ما نظر إليه وحده- يجعل النص مفتقراً إلى التأويل دون هداية منه إلى ماهية ما ينبغي تقديره؛ إذ يحتاج لفظ ﴿يَسْتَوِي﴾ إلى طرف يُتصور مقابلاً لقوله: ﴿مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَلَ﴾، وبالنظر إلى ما يهدي إليه الفعل ﴿يَسْتَوِي﴾، ودلالة الإيماء بذكر النقيض تتولد جملتان تصلح كلاهما منطقياً لأن تكون مقابلاً للجملة المذكورة، وهي (من أنفق من قبل الفتح وقاتل)، وهاتان الجملتان هما:

- من لم ينفق من قبل الفتح ولم يقاتل.

- من أنفق من بعد الفتح وقاتل.

فيلاحظ أن عموماً محتملاً صلح أن يكون مقابلاً للجملة المذكورة، هو (من لم ينفق من قبل الفتح ولم يقاتل)، وهو ما يمكن أن يندرج تحته (من أنفق من بعد الفتح وقاتل)، و(من لم ينفق أصلاً ولم يقاتل)، غير أن ما يحدّد هوية المقدر الصحيح في العمل التأويلي في كثير من الأحيان قرائن تشترك فيما بينها في صناعة الحدث التأويلي.

### الهوامش والإحالات:

- (1) عرفان أنتونو: مفهوم التأويل في علم النحو، دراسة إبستمولوجية، بحث منشور مقدم إلى كلية الآداب والعلوم الثقافية بجامعة سونن كاليجاكا الإسلامية، 2013م، ص 59.

- (2) ينظر: ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1986م، ص7.
- (3) أحمد بن زكريّا، ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، ط: 1423هـ / 2002م، ج1، ص163.
- (4) محمد بن أحمد الأزهرى: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 2001م، ج15، 329. وينظر: ابن منظور: لسان العرب، محمد بن مكرم الإفريقي المصري، دار صادر - بيروت، ط1، ج11، ص32.
- (5) الأزهرى: تهذيب اللغة، ج15، 329.
- (6) غازي مختار طليمات: أثر التأويل النحوي في فهم النص، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد: 15، 1418هـ / 1998م، ص249.
- (7) ينظر: علي، أبو المكارم: التفكير النحوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 الأولى، القاهرة، 2006م، ص231.
- (8) فلاح إبراهيم نصيف الفهدي: التأويل النحوي في الحديث الشريف، أطروحة (دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1427هـ / 2006م، ص8.
- (9) بثينة الجلاصي: إمكانات التأويل في توظيف السياق عند الأصوليين، مجلة المشكاة، العدد (9،10)، 2012م، جامعة الزيتونة، ص337.
- (10) فوزية، دندوقة: التأويل في الدراسات العربية: إشكالاته وقضاياها، أطروحة (دكتوراه)، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بالجزائر، 2010م، ص186 - 187.
- (11) فهد بن سعيد، القحطاني: أثر القرينة الشرعية في توجه الحكم النحوي عند ابن هشام، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، 1427هـ، ص41. وينظر: عثمان، ابن جني، أبو الفتح: الخصائص، الطبعة الثالثة، 1403هـ، ج1، ص246.
- (12) الواحدى: البسيط، ج2، ص50.
- (13) الواحدى: البسيط، ج7، ص122.
- (14) ينظر الواحدى: البسيط، ج7، ص123.
- (15) فهد، القحطاني: أثر القرينة الشرعية، ص41، وينظر: عبدالله بن يوسف، ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، دار الفكر - بيروت، الطبعة السادسة، 1985م، ص887.

- 16) ينظر: الواحدي: البسيط، ج12، ص360.
- 17) الواحدي: البسيط، ج12، ص522.
- 18) عبدالله بن الحسين بن عبدالله، العكبري، محب الدين، أبو البقاء: اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق، ط1، 1995م، ج2، ص32.
- 19) ينظر: ابن هشام: مغني اللبيب، ص840.
- 20) ينظر: العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب، ج2، ص31.
- 21) ينظر: الواحدي: البسيط، ج2، ص267.
- 22) ينظر: الواحدي: البسيط، ج5، ص242 - 243.
- 23) الواحدي: البسيط، ج4، ص398 - 399. وهذه القراءة نسيها مكي بن أبي طالب للحسن، فقال: «وقرأ الحسن {أن تُغْمَضُوا} بفتح الميم وضم التاء. أي لستم تأخذونه حتى تنقصوا من سعر غيره. وكذلك قرأ قتادة. قيل: معناه: لستم تأخذونه إلا أن يهضم لكم من ثمنه أي ينقص». ينظر: مكي بن أبي طالب حَمَوْش بن محمد بن مختار، القيسي، أبو محمد: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ - 2008م، ج1، ص893.
- 24) الواحدي: البسيط، ج17، ص315. وقد ذكر الفراء هذه القراءة. ينظر: يحيى بن زياد بن عبد الله، الفراء: معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى، ج2، ص303.
- 25) ينظر: الفراء: معاني القرآن، ج3، ص272. وينظر: محمد بن محمد بن محمود، الماتريدي، أبو منصور: تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ - 2005م، ج8، ص152.
- 26) الواحدي: البسيط، ج22، ص32.
- 27) ينظر: عبد الرحمن بن علي بن محمد، ابن الجوزي، جمال الدين، أبو الفرج: زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1، 1422هـ، ج4، ص312. وينظر: محمد بن عمر التميمي، الرازي، فخر الدين: مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية - بيروت - 1421هـ - 2000م، ط1، ج30، ص45.
- 28) ينظر: دندوقة: التأويل في الدراسات العربية إشكالاته وقضاياها، ص168 - 173.

- (29) ينظر: مالك نظير، يحيا: أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى، مجلة جامعة تشرن للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (30) العدد (2) 2008م، ص41.
- (30) الواحدي: البسيط، ج4، ص279 – 281.
- (31) أحمد بن محمد بن إبراهيم، الثعلبي، أبو إسحاق: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ / 2002م، ج2، ص200.
- (32) الواحدي: البسيط، ج20، ص414.
- (33) ينظر: عبد الرحمن بن حسن حبنكة، الميداني دمشقي: البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ - 1996م، ج2، ص218-219.
- (34) ينظر أيضًا: الحسين بن مسعود، البغوي، محيي السنة، أبو محمد: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417 هـ - 1997م، ج7، ص377. وينظر: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، القرطبي، شمس الدين، أبو عبد الله: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384 هـ - 1964م، ج17، ص48. وينظر: عبد الله بن أحمد بن محمود، النسفي، أبو البركات: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار، دار النفائس . بيروت 2005م، ج4، ص148
- (35) ينظر: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، السكاكي الخوارزمي الحنفي، أبو يعقوب: مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، 1407 هـ - 1987م، ص39.
- (36) ينظر: الواحدي: البسيط، ج18، ص118.
- (37) مكي بن أبي طالب، القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، ج9، ص5739.
- (38) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، ابن عاشور: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ، ج21، ص191.
- (39) الواحدي: البسيط، ج21، ص262 – 263.

- (40) ينظر: البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج8، ص33. والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص240. وابن عاشور: التحرير والتنوير، ج27، ص375.
- (41) الواحدي: البسيط، ج21، 263.
- (42) ينظر: ما قال الطاهر بن عاشور عند هذه الآية: «وحذف قسم من أنفق من قبل الفتح إيجازاً لدلالة فعل التسوية عليه لا محالة، والتقدير: لا يستوي من أنفق من قبل الفتح ومن أنفق بعده». ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج27، ص375.



## السمات الشخصية لدى المتفوقين وغير المتفوقين دراسياً

### في الصف الأول من المرحلة الثانوية بمدارس أمانة العاصمة صنعاء

أ.د. صلاح الدين أحمد محمد الجماعي \*

#### الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الفروق في السمات الشخصية بين الطلبة المتفوقين وغير المتفوقين دراسياً من طلبة الصف الأول من مرحلة التعليم الثانوي بأمانة العاصمة صنعاء، ولتحقيق ذلك اختار الباحث عينة مكونة من (240) فرداً، منهم (120) طالباً مقابل (120) طالبة، تم اختيارهم بطريقة عشوائية بسيطة من عدة مدارس، وتم استخدام أداتين هما: التحصيل الدراسي المتمثل في المعدل التراكمي لدرجات الطلبة، ومقياس السمات الشخصية من إعداد الباحث محمد علي محسن شارب (2007)، والمقياس يتكون في صورته النهائية من (60) فقرة موزعة على عشرة أبعاد. وقد أظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين المتفوقين وغير المتفوقين في سمي الاستقلال والمرونة، بينما توجد فروق دالة إحصائياً بين المتفوقين وغير المتفوقين في السمات الأخرى. وبالرجوع إلى المتوسطات الحسابية نجد أن تلك الفروق لصالح المتفوقين، كما اتضح عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين المتفوقين والمتفوقات في جميع السمات.

\* أستاذ علم النفس التربوي، كلية التربية، جامعة عمران، الجمهورية اليمنية.

## Personal Features Of the Outstanding and Non-outstanding Students of the first High School Grade in The Schools Of The Secretariat Of The Capital

Dr. SALAH ALDEEN AHMED MOHAMMED AL GUMAEI

### Abstract:

The aim of the research was to identify the differences in personality traits among the outstanding and uneducated students in the first grade of secondary education in Sana'a. To of which were students achieve this, the researcher chose a sample of (240) individuals, 120 versus 120 students. They were selected in a simple random way from several schools. Two tools were used: the academic achievement of the cumulative grade of the students' grades, ad Ali Mohsen Sharab (2007). The and the personal traits measure by researcher Muhamm scale consists of 60 sections divided into ten dimensions. The results showed that there were outstanding in -no statistically significant differences between the outstanding and the non here were statistically significant differences between the independence and flexibility, while t outstanding in the rest of the features. In terms of the arithmetic -outstanding and the non averages, we find that these differences are in favor of the outstanding, as it was found that no statistically significant differences between the outstanding and the superior in all there are .the attributes

عنوان البحث: السمات الشخصية لدى المتفوقين وغير المتفوقين دراسياً في الصف الأول من المرحلة الثانوية بأمانة العاصمة.

هدف البحث:

1. الكشف عن الفروق في السمات الشخصية بين الطلبة المتفوقين وغير المتفوقين دراسياً من طلبة الصف الأول من مرحلة التعليم الثانوي بأمانة العاصمة.
2. الكشف عن الفروق في السمات الشخصية بين المتفوقين والمتفوقات دراسياً من طلبة الصف الأول من مرحلة التعليم الثانوي بأمانة العاصمة.

### منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي للملاءمته لموضوع البحث.

### عينة البحث:

تكونت عينة هذا البحث من (240) فرداً، منهم (120) طالباً مقابل (120) طالبة، تم

اختيارهم بطريقة عشوائية بسيطة من مدارس عدة.

### أدوات البحث:

استخدم الباحث أداتين هما: التحصيل الدراسي المتمثل في المعدل التراكمي لدرجات

الطلبة، ومقياس السمات الشخصية من إعداد الباحث محمد علي محسن شارب (2007)،

والمقياس يتكون في صورته النهائية من (60) فقرة موزعة على عشرة أبعاد، وبثلاث بدائل للإجابة

عن كل فقرة هي: (كثيراً - أحياناً - لا).

### نتائج البحث:

1. عدم وجود فروق دالة إحصائية بين المتفوقين وغير المتفوقين في سمي الاستقلال والمرونة،

في حين توجد فروق دالة إحصائية بين المتفوقين وغير المتفوقين في باقي السمات. وبالرجوع

إلى المتوسطات الحسابية نجد أن تلك الفروق لصالح المتفوقين.

2. عدم وجود فروق دالة إحصائية بين المتفوقين والمتفوقات في جميع السمات.

### المقدمة:

تشير الدراسات إلى أن هناك نسبة ما بين (2-5%) من الناس يمثلون المتفوقين والموهوبين،

وهم الذين يبرز من بينهم العلماء والمفكرون والمبتكرون، الذين اعتمدت الإنسانية منذ أقدم

عصورها في تقدمها الحضاري على ما تنتجه أفكارهم وعقولهم، ويعدون في كل مجتمع الثروة

الوطنية التي يعتمد عليها في تقدمه وازدهاره. (الكبيسي، 127) 2006م.

ويمكن القول إن مسألة الاهتمام بالمتفوقين قد اكتسبت أهمية خاصة منذ الخمسينات

من القرن العشرين، وعلى الأخص في الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى الصعيد العربي عقد عدد

من الندوات والمؤتمرات التربوية في معظم البلدان العربية التي أوصت بالاهتمام بالمتفوقين



والعمل على رعايتهم، وبدأ الاهتمام الفعلي بالمتفوقين في بعض الدول العربية مثل مصر والكويت والعراق والأردن. (الأغبري، 2006:304).

وفي مجتمعنا اليمني يمكن القول إن عملية العناية بالمتفوقين ورعايتهم لم تحظ بالاهتمام الكافي، ولم تنل هذه الفئة حقها من الرعاية والاهتمام، ويشير حيدر (2005) إلى أن النظام التربوي والتعليمي في بلادنا لم يقدم أي اهتمام أو رعاية للأفراد المتفوقين الذين ما زالوا مهملين ومضيعين، وكثيراً منهم تطمس مواهبه وتضيع قدراته، وقد تتحول إلى الضد وتستغل فيما يسيء ويضر بالمجتمعات. (حيدر، 2005:363).

ويعتبر التفوق الدراسي أحد مؤشرات التقدم التربوي والتفوق العقلي، ففي بعض الدراسات الأجنبية استخدم التفوق العقلي مرادفاً للامتياز في التحصيل، كما أن الجمعية الوطنية لدراسة التربية بأمريكا قد اعتبرت المتفوق بأنه "من استطاع أن يحصل تحصيلاً مرموقاً في أي ميدان من الميادين التي تقرها الجمعية"، وقد عرف بنتلي الطالب المتفوق بأنه ذو الاستعدادات العليا في المدرسة. (العزة، 2000:41).

ويشير معظم الدراسات التي أجريت حول التفوق الدراسي إلى أن هناك عدداً من العوامل التي ترتبط بهذا النوع من التفوق، منها ماله علاقة بالذكاء والقدرات العقلية، ومنها ما يتعلق بالسمات الشخصية والدافعية، فضلاً عن عوامل أخرى لا مجال لذكرها.

فعلى الرغم من أن كثيراً من الدراسات كدراسة جابر وآخرين (1985) ودراسة إسماعيل (1990) اللتين تشيران إلى وجود علاقة بين الذكاء والتحصيل الدراسي وأن المتفوقين دراسياً أكثر ذكاءً من غير المتفوقين، إلا أن هذه الدراسات وغيرها تؤكد على أن الذكاء غير كافٍ للمتفوق الدراسي ما لم تتوافر سمات شخصية أخرى، وقد لاحظ مورغان (Morgan, 1952) أن هناك خصائص لها علاقة بالتحصيل الدراسي غير عامل القدرة العقلية، ومن هذه الخصائص الجدية في الاهتمامات والشعور بالمسئولية والثقة بالنفس ودافع الإنجاز.

كما توصلت دراسة إشكناني (2000) إلى أن مجموعة من العوامل غير المعرفية وراء التدني التحصيلي للمتفوقين عقلياً مثل المثابرة والطموح والانفتاح الاجتماعي والاتزان الانفعالي، أما

دراسة الكبيسي (2006) فقد توصلت إلى أن علاقة السمات الشخصية بالتحصيل الدراسي أقوى من علاقة الذكاء بالتحصيل الدراسي.

مشكلة البحث:

ما يزال كثير من المعلمين والمربين في بلادنا يجهلون دور السمات الشخصية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي، ومنهم من يعتقد بأن الذكاء أو القدرة العقلية هو العامل الوحيد والمؤثر في التحصيل الدراسي، ويتضح ذلك في أن معظم المعلمين يصفون طلبتهم ذوي التحصيل المنخفض بأنهم أغبياء وأن ذكاءهم منخفض جداً، ويهملون دور السمات الشخصية الأخرى، وتأثيرها على تحصيل طلبتهم؛ مما يؤدي إلى ضياع فرص كثيرة أمام الطلبة لرفع استعداداتهم وتحسين مستواهم التحصيلي.

ومن هذا المنطلق تتحدد مشكلة البحث الحالي في الإجابة عن التساؤلين الآتيين:

1. هل توجد فروق دالة إحصائية في السمات الشخصية بين الطلبة المتفوقين وغير المتفوقين دراسياً في الصف الأول من المرحلة الثانوية بأمانة العاصمة؟
2. هل توجد فروق دالة إحصائية في السمات الشخصية بين الطلبة المتفوقين والطلقات المتفوقات دراسياً في الصف الأول من المرحلة الثانوية بأمانة العاصمة؟

أهمية البحث: تتمثل أهمية البحث الحالي في الآتي:

1. أنه يهتم بفئة تحتل مكانة خاصة في المجتمع هي فئة المتفوقين، حيث تشكل هذه الفئة كنزاً ثميناً وثروة وطنية في حال تم استغلال قدراتها الاستغلال الأمثل.
2. يعد هذا البحث أول بحث علمي - في حد علم الباحث - يكرس لدراسة السمات الشخصية لدى التلاميذ في الجمهورية اليمنية، مما يفتح المجال أمام بحوث أخرى لدراسة السمات الشخصية للطلاب في مختلف المراحل التعليمية.
3. يتناول هذا البحث موضوع السمات الشخصية لدى الطلبة المتفوقين وغير المتفوقين دراسياً، الأمر الذي يسهم في تزويد المربين والمهتمين بهذه الفئة بمجموعة من السمات؛ حيث يؤدي

إكسابها أو تعديلها لدى الطلبة إلى الإسهام في زيادة تفوقهم، وتجنب بعض المتغيرات التي يمكن أن تقود إلى مشكلات تواجه هؤلاء الطلبة وتحد من تحصيلهم.

4. تفيد نتائج هذا البحث المعنيين بشئون العملية التربوية بإيجاد نظام تعليمي يشجع قدرات المتفوقين، وإعداد كوادر تربوية لديها دراية بكيفية التعامل مع هؤلاء الأفراد، والإسهام في تحسين صنع القرارات المتعلقة بالمنهج الدراسية عن طريق تزويد واضعي المناهج بمعلومات تساعد في وضع وتطوير برامج خاصة لتعليم هؤلاء المتفوقين ورعايتهم.

#### هدف البحث:

يهدف هذا إلى ما يلي:

1. الكشف عن الفروق في السمات الشخصية بين الطلبة المتفوقين وغير المتفوقين دراسياً من طلبة الصف الأول من مرحلة التعليم الثانوي بأمانة العاصمة.
2. الكشف عن الفروق في السمات الشخصية بين المتفوقين (الذكور) والمتفوقات (الأنثى) دراسياً من طلبة الصف الأول من مرحلة التعليم الثانوي بأمانة العاصمة.

#### حدود البحث:

يقتصر هذا البحث على الطلبة المتفوقين وغير المتفوقين دراسياً من الجنسين في الصف الأول من مرحلة التعليم الثانوي، المتواجدين في المدارس الحكومية بأمانة العاصمة للعام الدراسي (2016-2017).

#### مصطلحات البحث:

#### أولاً: السمات الشخصية

- وعرفها إيزنك (Eysenck, 1963) بأنها: مجموعة من الأفعال السلوكية التي تتغير معاً مع تغير المواقف الحياتية، وتعد السمات عنده مفاهيم نظرية أكثر منها وحدات حسية. (الأنصاري، 1997:55).
- وعرفها زهران (1977) بأنها: الصفة الجسمية أو العقلية أو الانفعالية أو الاجتماعية، الفطرية أو المكتسبة، التي يتميز بها الفرد، وتعبّر عن استعداد ثابت نسبياً لنوع معين من السلوك. (زهران، 1977:59).

- وعرفتها جمعية الطب النفسي الأمريكية (APA,1994) بأنها: نمط ثابت من الإدراك والتفكير، والارتباط بالبيئة وبذات الفرد، يظهر في مدى واسع من المواقف الشخصية والاجتماعية. (الجاف، 11:1998).
- وعرفها سفيان (2002) بأنها: الصفة الجسمية أو العقلية أو الانفعالية أو الاجتماعية، الفطرية أو المكتسبة التي يتميز بها الشخص، وهي استعداد ثابت نسبياً لنوع معين من السلوك. (سفيان، 50:2002).
- التعريف الإجرائي للسمات الشخصية:  
يعرف الباحث السمات الشخصية إجرائياً بأنها: الدرجة التي يحصل عليها الفرد على كل بعد من أبعاد مقياس السمات المستخدم في هذه الدراسة.  
ثانياً: المتفوق دراسياً
- عرفه بخيت (1988) بأنه: من يحصل على أعلى الدرجات في الاختبارات، سواء كانت موضوعية أم عادية، تحريرية أم عملية التي تصل بالطالب إلى أفضل التقديرات العلمية مقارنة بالمجموعة الدراسية التي ينتمي إليها تعليمياً ودراسياً. (بخيت، 186:1988).
- وعرفه الحنبلي (1989) بأنه: كل طالب يثبت تقدماً ملحوظاً في التعلم مقارنة بزملائه في الدراسة، بحيث يكون تحصيله ضمن فئة الـ 5% العليا من توزيع الطلاب في الصف الدراسي نفسه. (الحنبلي، 23:1989).
- وعرفه الزعبي (1996) بأنه: التلميذ الذي يحصل في الاختبار النهائي على معدل قدره 80% فأكثر، وتمثل جيد جداً. (الزعبي، 199:1996).
- وعرفه غانم (2002) بأنه: الشخص الذي يتفوق في تحصيله الدراسي والأكاديمي بحيث يكون أعلى من 90% في التحصيل العام أو الخاص. (غانم، 8:2002).
- وعرفه قطامي (2003) بأنه: من يحرز معدلاً دراسياً عاماً بمعدل 85% فأكثر في المواد الدراسية المختلفة اعتماداً على سجلات العلامات الدراسية في المدرسة. (قطامي، 73:2003).

- وعرفه توفيق (2004) بأنه: التلميذ الذي يحصل على معدل يصل إلى 90% في امتحانات نهاية العام الدراسي. (توفيق، 2004:136).
  - وعرفه السدحان (2004) بأنه: الطالب الحاصل على تقدير ممتاز في اختبارات نهاية العام الدراسي. (السدحان، 2004:205).
  - وعرفه قاسم (2006) بأنه: ذلك التلميذ الحاصل على أعلى معدل في نتائج التحصيل الدراسي. (قاسم، 2006:186).
- التعريف الإجرائي للمتفوق وغير المتفوق دراسياً:

يعرف الباحث الطالب المتفوق دراسياً في هذا البحث بأنه: الطالب الذي يتميز بالتحصيل الدراسي المرتفع في المدارس الحكومية، الذي يصل معدله إلى 90% فما فوق، من مجموع درجات الاختبارات التحصيلية النهائية لعامين دراسيين سابقين، وذلك بالرجوع إلى السجلات المدرسية. أما غير المتفوق دراسياً فيقصد به الطالب الذي يقع معدله بين (60-70%) من مجموع درجات الاختبارات التحصيلية النهائية لعامين دراسيين سابقين.

#### الإطار النظري والدراسات السابقة:

#### الإطار النظري:

يعتبر مفهوم السمات من أبرز المصطلحات التي استخدمت لوصف الشخصية، وقد احتل هذا المفهوم أهمية لدى كثير من العلماء، وقد عمل كل من ألبورت (Allport) وكاتيل (Cattell) وجيلفورد (Guilford) وإيزنك (Eysenck) وغيرهم على تطوير نظريات في الشخصية بنيت على استخدام مفهوم السمة باعتباره أساساً لوصف الشخصية، ويرى أصحاب هذه النظريات أن الشخصية مركب يتكون من مجموع ما لدى الفرد من سمات، وإذا كانت هذه السمات موجودة فإننا نتمكن من قياسها بوصفها أبعاداً للشخصية، فالشخصية تبعاً لذلك تكون كالشكل الهندسي الذي له أبعاد يمكن قياسها لمعرفة خصائصه، فإذا عرفنا ذكاء الفرد فقد عرفنا بُعداً

من شخصيته، وإذا عرفنا استقلالية الفرد فقد عرفنا بعدا آخر من شخصيته، وهكذا، ويكون للشخصية أبعاد بعدد السمات التي يمكن قياسها. (جلال، 2001:175).

ويقصد بالسمة طريقة السلوك المتميزة والثابتة نسبيا التي عن طريقها يمكن التمييز بين الأفراد، والسمة بهذا المعنى تعتبر تكويننا فرضيا لا نلاحظه مباشرة وإنما نستدل عليه عندما نلاحظ سلوك شخص ما لفترات طويلة، لذا فإن شخصية الفرد هي مجموعة من السمات التي تؤدي إلى ذلك الاتساق في السلوك، وهي التي تجعل لكل فرد أسلوبا سلوكيا يقوم به أثناء تفاعله مع البيئة، فعندما يتسم سلوك شخص ما بالأمانة باستمرار في مختلف المواقف فإننا نستنتج من ذلك أن السلوك الأمين هو صفة لهذا الشخص؛ ولذلك نقول إن لديه سمة الأمانة. (أبو علام وشريف، 1989:105)

النظريات المفسرة للسمات الشخصية:

### (1) نظرية ألبورت (Allport)

يُعدّ جوردن ألبورت من أكبر علماء النفس الذين أولوا موضوع اهتماماً خاصاً، فالسمة من وجهة نظر ألبورت هي شيء موجود فعلا، لكننا لا نستطيع رؤيته، إنها موجودة في جزء من الجهاز العصبي، ونستطيع أن نستدل على وجودها عن طرق ملاحظتنا للأنماط السلوكية الثابتة لدى الفرد، وتستطيع السمة أن تكشف عن نفسها من خلال الاستجابات المتنوعة والمختلفة، وجميع هذه الاستجابات متكافئة، بمعنى أنها جميعا تخدم الوظيفة نفسها. وقد صنف ألبورت السمات حسب أهميتها إلى ما يلي:

أ. السمات العظمى: وهي السمات التي تتمركز حولها شخصية الفرد والتي تشمل الدوافع والعواطف المسيطرة والسمات البارزة، مثل سمة الكرم في حاتم، والفروسية في عنتره.

ب. السمات المركزية: وهي السمات التي تكون لها سيطرة أقل على سلوك الفرد، ولكنها مع ذلك مهمة جداً في تحديد سلوكه مثل الطموح والتملك.

ج. السمات الثانوية: وهي أشياء قد لا تكون مؤثرة في سلوك الفرد، ولكنها تظهر من فترة إلى أخرى، ومثال على ذلك التفضيل. (صالح، 1998:95).

ويرى ألبورت أن كل شخص فريد في سماته، الأمر الذي يؤدي إلى الاستجابة للمثيرات التي يتعرض لها بأسلوبه الخاص، كما ميز ألبورت بين نوعين أساسيين من السمات هما: السمات البيولوجية والسمات المكتسبة، وقد نظر ألبورت إلى السمة على أنها وحدة الشخصية التي يمكن أن يقارن بها الأشخاص، وتميز بعضهم من بعض، ويؤثر هذا التنظيم في طريقة اكتسابهم من **البيئة المحيطة بهم**. (ذياب، 1991:4).

## (2) نظرية كاتل (Cattell)

تشكل السمة وحدة بناء الشخصية في نظرية كاتل، ويعرفها بأنها "المظهر المتكامل من السلوك، إذا تبدى لنا جزء منه بدرجة معينة فإننا نستطيع أن نستدل من خلاله على أن ذلك الشخص سيظهر لنا الأجزاء الأخرى بدرجة معينة"، وقد استخدم كاتل أسلوب التحليل العاملي لتحديد السمات، لذا يمكن القول أن السمة هي عامل أو متغير، أو أنها تَجَمُّع من العوامل مترابطة فيما بينها ولها مصادر مشتركة، فعندما يرتبط عامل بعامل آخر فهذا يعني أن أحد العاملين إذا كان موجوداً فإن العامل الأخرى يكون موجوداً أيضاً، وهكذا يكون تعريف كاتل للسمة هو تعريف للعامل أو المتغير، ويرى أن السمات نزعات استجابة ثابتة نسبياً، وأنها تشكل الوحدة الأساسية لبنية شخصية الفرد، ويمكن القول إن السمة عبارة عن ترابط عدد من السلوكيات البسيطة نتيجة للاستجابات الشرطية التي تؤدي إلى تكوين سلاسل من العادات لتكون السمات. (صالح، 1997:34).

ويتفق كاتل مع ألبورت في أن هناك سمات مشتركة يشترك فيها الأفراد جميعاً، أو جميع أعضاء بيئة اجتماعية معينة، وهناك سمات فريدة لا تتوافر إلا لدى فرد معين، ولا يمكن أن توجد لدى أي فرد آخر، بل إن قوة السمة تختلف عند الشخص نفسه من وقت إلى آخر، كما يرى كاتل أن هناك نوعين أساسيين من السمات هما: سمات المصدر وسمات السطح، وسمات السطح هي تجمعات من الوقائع السلوكية الملاحظة، وهي وصفية وأقل استقراراً ومن ثم فهي أقل أهمية من وجهة نظره، أما سمات المصدر فهي المؤثرات الحقيقية التي تساعد في تحديد السلوك الإنساني وتفسيره، وتتميز بالثبات والاستقرار، إن سمات المصدر هي أسباب السلوك حيث تشكل

أهم جزء في بنية شخصية الفرد، وهي مسئولة في النهاية عن جميع العناصر المتسقة في سلوك الفرد، وسمة المصدر يمكن أن تؤثر في عدة سمات سطحية، وهكذا يرى كاتل أن سمات المصدر هي المادة الأساسية التي يجب على علم نفس الشخصية أن يدرسها. (الكميم، 2006:30).

### (3) نظرية جيلفورد Guilford

يرى جيلفورد أن كل سمة تتضمن فروقا بين الأفراد، ويعني كل فرق من هذه الفروق اتجاهها، مثل اتجاه الاندفاع أو اتجاه الحرص، أو اتجاه الدقة أو عدم الدقة، وهكذا، كما يرى أن كل سمة سلوكية تقريبا (ما عدا القدرات) لها ضدها، ويمكن النظر إلى الضدين على أنهما يقعان عند طرفي خط مستقيم، وبينهما مراكز وسطى، وهذه يمكن أن تقاس بأدوات القياس العددية حسب الأطر النظرية المتعددة. (الروحاني، 2003:42).

ويعتبر جيلفورد الحاجات والميول والاتجاهات والاستعدادات سمات؛ انطلاقا من أنها تشكل متغيرات يمكن على أساسها التمييز بين الأفراد من حيث الشكل العام للشخصية، كما تعمل على زيادة أو نقصان الدافعية لدى الفرد. (ذياب، 1991:2).

ويرى جيلفورد في المسح الذي قام به عام (1956) أن هناك (13) عاملا أساسيا للشخصية هي: النشاط العام، السيطرة، الذكورة مقابل الأنوثة، الثقة بالنفس مقابل مشاعر النقص، الطمأنينة مقابل العصبية، الاجتماعية، التأملية، الاكتئاب، الاستقرار مقابل الدورية، الكبح مقابل الانطلاق، الموضوعية، الوداعة، التعاون والتسامح. (منقوش، 2002:61).

### (4) نظرية إيزنك Eysenck

يقسم إيزنك الاستجابات إلى ثلاثة مستويات، هي: الاستجابات الخاصة، والاستجابات المعتادة، والسمات، ففي الطبقة السفلى تكون الاستجابات الخاصة، ثم تأتي الاستجابات المعتادة التي تقع في المستوى الثاني والأعلى، ثم في المستوى الثالث عندما تكون هناك عدة استجابات معتادة تكون وحدة وظيفية ويرتبط بعضها ببعض فإنها تسمى سمة وعندما ترتبط إيجابياً عدة سمات بعضها البعض فإنها تشكل ما يسمى بالنمط. (جلال، 2001:168).



ولقد كان هدف كثير من أعمال إيزنك العلمية هو التعرف على الأنماط، وإن ركز بعض أعماله على السمات، وهو يرى أن هناك ثلاثة أبعاد رئيسية للشخصية هي:

أ. الانبساط والانطواء: ويشير هذا البعد إلى نوع التوجه الأساسي لدى الفرد خارجياً تجاه العالم الخارجي، أو داخلياً تجاه الذات.

ب. العصبية واللاعصابية: ويقابل هذا البعد بين مظاهر حسن التوافق والنضج والثبات الانفعالي، وبين اختلال هذا التوافق والتقلب وزيادة ردود الفعل الانفعالية، والشكوى من اضطرابات انفعالية غامضة.

ج. الذهانية واللاذهانية: هما بعدان مستقلان غير مرتبطين، كما أن الذهانية ليست المرض العقلي أي الذهان، ولكن يكشف الذهانيون عن درجة مرتفعة من هذا البعد، ويوصف الشخص الذي يحصل على درجة ذهانية مرتفعة بأنه بارد وعدواني وقاس. (الكميم، 2006: 25-26).

الدراسات السابقة:

(1) دراسة جابر وآخرين (1985) هدفت هذه الدراسة إلى معرفة السمات الشخصية التي تميز الطلبة المتفوقين وغير المتفوقين تحصيلياً من الجنسين باستخدام عينة مؤلفة من (120) طالباً وطالبة في المرحلة الثانوية. واستخدمت الدراسة مقياس كاليفورنيا للشخصية للمرحلة الثانوية. وتوصلت الدراسة إلى وجود فروق دالة في سمّي الإحساس بالقيمة، والإحساس بالحرية، وكانت الفروق لصالح المتفوقين، في حين أنه لا توجد فروق ذات دلالة في سمة الاعتماد على النفس والشعور بالانتماء والميول الانسحابية، كما لا توجد فروق بين الجنسين في السمات الشخصية موضوع الدراسة.

(2) دراسة عبد المعطي وعبد الرحمن (1989) هدفت الدراسة إلى المقارنة المتفوقين والعاديين والمتأخرين دراسياً من طلاب الحلقة الثانية من التعليم الأساسي في بعض سمات الشخصية، وقد تكونت عينة الدراسة من (141) طالباً وطالبة من طلاب الصف الثامن من التعليم الأساسي، موزعين في ثلاث مجموعات هي: المتفوقون دراسياً (26) طالباً و(25) طالبة، المتأخرون دراسياً (27) طالباً، و(30) طالبة، العاديون في التحصيل (14) طالباً و(19) طالبة.

وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة تميز مجموعة المتفوقين بالذكاء العام، والقدرة اللغوية والاستدلالية، والتوافق الشخصي والاجتماعي، كما تميزوا بالاستقلالية والاعتماد على النفس، في حين تميز المتأخرون بارتفاع مستوى القلق، كما اتضح عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين في متغيرات الشخصية المدروسة بصرف النظر عن الحالة الأكاديمية.

(3) دراسة إسماعيل (1990) هدفت هذه الدراسة إلى معرفة السمات الشخصية التي تميز المتفوقين، تحصيليا من غير المتفوقين وذلك باستخدام عينة مؤلفة من (240) طالبا وطالبة من طلاب المرحلة الثانوية في الفرعين العلمي والأدبي بمحافظة عمان الكبرى. وأظهرت نتائج الدراسة الآتي:

- يتميز الطلبة المتفوقون بسمات الذكاء والمغامرة والاستقلالية والاجتماعية ولديهم ضمائر حية مقارنة بغير المتفوقين تحصيليا.

- يتميز الذكور المتفوقون بأنهم أكثر ذكاء وأكثر ميلا إلى التجديد من الإناث المتفوقات، في حين تميزت الإناث المتفوقات بسمات عدم التحفظ وبأنهن ذوات ضمائر حية كما تميزت بالقلق والاستقلالية.

(4) دراسة الجنادي (1996) هدفت الدراسة إلى معرفة الفروق في التفكير الابتكاري وسمات الشخصية بين المتفوقين دراسيا والعاديين في المدارس الصناعية بدمشق، وتكونت عينة الدراسة من (144) طالبا صناعيا من المسجلين في المدارس الثانوية الصناعية بمدينة دمشق، وتم توزيعها على أربع مجموعات: (المتفوقين تحصيليا وعددهم 48، العاديين وعددهم 48 طالبا، ذوي التفكير الابتكاري المرتفع 27 طالبا، وذوي التفكير الابتكاري المنخفض 21 طالبا). وكان من أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج هو وجود فروق دالة بين المتفوقين تحصيليا والعاديين في سمات العصبية (الاتزان الانفعالي) والسيطرة، لصالح المتفوقين.

(5) دراسة الدباس (2000) هدفت الدراسة إلى التعرف على الفروق بين الطلاب المتفوقين والمتأخرين دراسيا في المرحلة الثانوية في بعض سمات الشخصية بمدينة الرياض، وتكونت عينة الدراسة من (250) طالبا تم تقسيمهم إلى مجموعتين تبعا للتخصص: (مجموعة العلوم الطبيعية وعددهم (124) منهم (64) طالبا متفوقا و(60) طالبا متأخرا، ومجموعة العلوم الشرعية، وعددهم (126) منهم (66) طالبا متفوقا و(60) طالبا متأخرا)، وقد لجأ الباحث إلى الأسلوب المقصود في اختيار هذه العينة.

وقد توصلت الدراسة إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية بين الطلاب المتفوقين والمتأخرين دراسيا على أبعاد الاستقرار الانفعالي والاكثاب والتأملية والاجتماعية والعدوانية، في حين أنه توجد فروق دالة إحصائية بينهم على سمة الموضوعية، وذلك لصالح المتفوقين.

(6) دراسة الكبيسي (2006) هدفت الدراسة إلى المقارنة بين الطلبة ذوي التحصيل الدراسي العالي والطلبة ذوي التحصيل الدراسي المتدني في خصائص الشخصية الموهوبة والمتمثلة في الرغبة التعلم وتعدد الاهتمامات والأصالة في التفكير والاستقلالية والمرونة والمثابرة والقيادة والالتزان الانفعالي، وتكونت عينة الدراسة من (240) طالبا وطالبة من طلاب الصف السادس الإعدادي بمدينة بغداد، منهم (120) من ذوي التحصيل الدراسي العالي، و(120) من ذوي التحصيل الدراسي المتدني، وقد قام الباحث بمكافأة المجموعتين في الجنس (ذكور، إناث) والفرع الدراسي (علمي، أدبي) والعمر ومستوى الذكاء ومهنة الوالدين ومستواهما التعليمي. وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- توجد فروق دالة بين الطلبة ذوي التحصيل الدراسي العالي والطلبة ذوي التحصيل الدراسي المتدني في كل من الرغبة في التعلم، وتعدد الاهتمامات، وأصالة التفكير، والمرونة، والمثابرة، والقيادة، وكانت جميع هذه الفروق لصالح الطلبة ذوي التحصيل الدراسي العالي، أما الاستقلالية والالتزان الانفعالي فلم تكن الفروق فيها ذات دلالة.

- وجود علاقة بين خصائص الشخصية الموهوبة والتحصيل الدراسي، وقد استنتج الباحث أن هذه العلاقة أقوى من العلاقة بين الذكاء والتحصيل الدراسي وأقوى من العلاقة بين خصائص الشخصية والذكاء.

#### الطريقة والإجراءات:

أولاً: منهج البحث: إن الرؤية تجاه أي مشكلة يعاني منها أي مجتمع تنطلق من واقع المنهج العلمي القائم على البحث والتحليل لجميع المتغيرات المرتبطة بالمشكلة، من حيث واقعها وأسبابها والعوامل المحددة لها، ولا يجب إطلاق أحكام أو افتراضات أو تخمينات ذاتية تجاه المشكلة أو المشكلات التي يواجهها المجتمع من دون الاستناد إلى الوقائع العلمية، وبهذا الخصوص يؤكد الباحثون على أهمية منهجية البحث من حيث أن قيمة البحث ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمنهج الذي يتبعه الباحث (ملحم، 2002: 246).

وقد استخدم الباحث في الدراسة الحالية المنهج الوصفي؛ لملاءمته لموضوع البحث، فالمنهج الوصفي يقوم بوصف وتفسير ما هو كائن، وهو من أكثر المناهج استخداماً في الدراسات الإنسانية والاجتماعية؛ كونه يركز على تصنيف المعلومات وتنظيمها والتعبير عنها كمّاً وكيفاً. ثانياً: مجتمع البحث: يشير مجتمع البحث إلى المجموعة الكلية من العناصر التي يسعى الباحث إلى أن يعمم عليها النتائج ذات العلاقة بالمشكلة المدروسة (عودة وملكاوي، 1978: 425). ويتألف مجتمع هكذا البحث من طلبة الصف الأول الثانوي بمدارس أمانة العاصمة، من الذكور والإناث.

ثالثاً: عينة البحث: من الصعوبة تناول المجتمع الأصلي كاملاً بالبحث والدراسة، ولذا قام الباحث باختيار عينة ممثلة للمجتمع الأصلي لها نفس خصائص المجتمع. أي أن العينة تتضمن خصائص المجتمع الأصلي الذي نرغب في التعرف على خصائصه.

وقد تكونت عينة البحث الحالي من (240) فرداً، منهم (120) طالباً مقابل (120) طالبة، تم اختيارهم بطريقة عشوائية بسيطة من عدة مدارس.

رابعاً: أدوات البحث:

1. التحصيل الدراسي: لغرض تحديد مستوى التحصيل الدراسي للتلاميذ - عينة البحث - قام الباحث بزيارة بعض المدارس بأمانة العاصمة وإطلاع إدارة هذه المدارس على طبيعة البحث وأهدافه، وبالتعاون مع إدارات هذه المدارس قام الباحث بمراجعة درجات تلاميذ الفئة المستهدفة وتحديد التلاميذ المتفوقين دراسياً، والتلاميذ غير المتفوقين دراسياً، وذلك من خلال سجلات التحصيل الدراسي المتمثل في الآتي:

أ. المعدل التراكمي لدرجات تحصيل التلاميذ في جميع المواد الدراسية في امتحان نهاية الفصل الدراسي الأول للعام 2016-2017 للصف السابع الأساسي.

ب. المعدل التراكمي لدرجات تحصيل التلاميذ أنفسهم في جميع المواد الدراسية التي حصلوا عليها في فصلين دراسيين سابقين، هما الصفان الخامس والسادس الأساسيان، وبعد الاطلاع على سجلات التحصيل تم تسجيل درجات التلاميذ المتفوقين دراسياً حسب المحك المعتمد 90% فما فوق، كما تم تسجيل درجات التلاميذ غير المتفوقين دراسياً حسب المحك المعتمد من (60-70%).

2. مقياس السمات الشخصية: استخدم الباحث مقياس السمات الشخصية التي تميز المتفوقين وغير المتفوقين دراسياً بأمانة العاصمة، وهو من إعداد الباحث محمد علي محسن شارب (2007)، والمقياس يتكون في صورته النهائية من (60) فقرة موزعة على عشرة أبعاد، وبثلاث بدائل للإجابة عن كل فقرة هي: (كثيراً - أحياناً - لا).

وعلى الرغم من أن المقياس تم إعداده وتطبيقه في البيئة اليمنية، ويتمتع بصدق وثبات عالين، إلا أن الباحث قام بإجراءات تكييف للمقياس، وذلك من أجل التأكد من مدى صلاحيته لعينة المختارة في البحث الحالي، وذلك على النحو الآتي:

تكييف مقياس السمات الشخصية: من أجل تكييف مقياس السمات الشخصية قام الباحث باستخراج صدق وثبات المقياس في البحث الحالي، وذلك كالآتي:

أولاً: صدق المقياس:

يقصد بالصدق مدى قدرة المقياس على قياس السمة التي أعد لقياسها، أي أن تقيس

الأداة فعلاً ما أعدت لقياسه (خيري، 1970: 111)

ولمعرفة صدق المقياس في هذا البحث قام الباحث بإجراء نوعين من أنواع الصدق، هما:

صدق التمييز وصدق البناء.

(1) صدق التمييز: يُعد صدق التمييز من أهم المؤشرات الدالة على مدى قدرة المقياس

بمجالته، وفقراته على التمييز بين الأفراد الذين حصلوا على أعلى الدرجات، والأفراد الذين

حصلوا على أقل الدرجات في الصفة المقاسة. (عبد الحفيظ وباهي، 2000: 177).

ويرى الباحثين أن أفضل طريقة لاستخراج صدق التمييز هو أخذ نسبة (27%) من

الاستمارات التي حصلت على أعلى الدرجات، ونسبة (27%) من الاستمارات التي حصلت على

أقل الدرجات، ومن ثم حساب الفروق بين المجموعتين بواسطة اختبار (T.test) لعينتين

متطرفتين. (الأنصاري، 2009: 62).

واستناداً إلى ذلك قام الباحث بتطبيق مقياس السمات الشخصية على عينة عشوائية من

خارج العينة النهائية بلغ حجمها (100) طالب وطالبة، وبعد أخذ الاستمارات من أفراد العينة تم

ترتيبها تصاعدياً حسب الدرجة الكلية، واعتماد نسبة (27%) من الاستمارات ذات الدرجات

العليا، ونسبة (27%) من الاستمارات التي حصلت على أقل الدرجات، بحيث أصبح عدد

الاستمارات الخاضعة للتحليل (54) استمارة، بواقع (27) فرداً لكل مجموعة، وللتعرف على

طبيعة الفروق بين المجموعتين (العليا والدنيا) تم استخدام اختبار (T.test) لعينتين متطرفتين

عند مستوى دلالة (0.05)\* والجدول (1) يبين ذلك.

جدول (1) يبين القوى التمييزية لفقرات مقياس السمات الشخصية بأسلوب العينتين المتطرفتين

قيمة (ت)	المجموعة الدنيا		المجموعة العليا		رقم الفقرة
	الانحراف	المتوسط	الانحراف	المتوسط	
7.96	0.32	1.11	0.36	1.85	.1
3.65	0.49	1.37	0.40	1.81	.2
5.08	0.32	1.11	0.42	2.22	.3
2.99	0.51	1.44	0.40	1.81	.4
3.68	0.51	1.52	0.27	1.93	.5
2.23	0.48	1.33	0.49	1.63	.6
2.12	0.36	1.85	0.00	2.00	.7
4.91	0.51	1.52	0.00	2.00	.8
2.58	0.50	1.41	0.45	1.74	.9
4.74	0.40	1.81	0.19	2.96	.10
2.43	0.40	1.81	0.00	2.00	.11
3.05	0.50	1.59	0.27	1.93	.12
3.74	0.40	1.81	0.19	2.96	.13
2.18	0.50	1.59	0.36	1.85	.14
3.80	0.32	1.89	0.00	2.00	.15
2.72	0.42	1.78	0.00	2.00	.16
2.55	0.48	1.33	0.48	1.67	.17
5.35	0.45	1.26	0.36	1.85	.18
2.44	0.32	1.11	0.48	1.33	.19
2.72	0.42	1.78	0.00	2.00	.20
2.97	0.48	1.67	0.19	1.96	.21

قيمة (ت)	المجموعة الدنيا		المجموعة العليا		رقم الفقرة
	الانحراف	المتوسط	الانحراف	المتوسط	
3.60	0.48	1.67	0.00	2.00	.22
3.58	0.50	1.59	0.19	1.96	.23
3.60	0.48	1.33	0.42	1.78	.24
2.68	0.51	1.48	0.40	1.81	.25
2.77	0.51	1.52	0.36	1.85	.26
3.85	0.45	1.74	0.27	2.93	.27
3.42	0.51	1.56	0.45	2.74	.28
7.21	0.48	1.33	0.00	2.00	.29
2.72	0.42	1.78	0.00	2.00	.30
5.35	0.36	1.15	0.45	1.74	.31
3.58	0.27	1.93	0.19	2.96	.32
5.21	0.48	1.33	0.10	2.13	.33
6.34	0.52	1.35	0.82	2.24	.34
4.49	0.19	1.04	0.79	1.54	.35
3.93	0.14	1.02	0.71	1.41	.36
4.42	0.50	1.22	0.85	1.81	.37
7.96	0.32	1.11	0.36	1.85	.38
2.99	0.51	1.44	0.40	1.81	.39
3.68	0.51	1.52	0.27	1.93	.40
2.23	0.48	1.33	0.49	1.63	.41
4.91	0.51	1.52	0.31	2.00	.42
2.12	0.36	1.85	0.44	2.00	.43



قيمة (ت)	المجموعة الدنيا		المجموعة العليا		رقم الفقرة
	الانحراف	المتوسط	الانحراف	المتوسط	
2.18	0.50	1.59	0.36	1.85	.44
2.43	0.40	1.81	0.30	2.00	.45
3.05	0.50	1.60	0.27	1.93	.46
2.72	0.42	1.78	0.34	2.00	.47
2.55	0.48	1.33	0.48	1.67	.48
2.72	0.42	1.78	0.23	2.00	.49
3.19	0.40	1.89	0.23	2.13	.50
2.85	0.44	1.77	0.21	2.21	.51
2.86	0.43	1.92	0.21	2.18	.52
2.23	0.41	1.43	0.19	1.98	.53
2.45	0.42	2.01	0.23	2.14	.54
3.61	0.39	1.62	0.26	1.87	.55
4.03	0.40	1.81	0.28	1.93	.56
3.70	0.40	2.30	0.26	2.34	.57
2.90	0.41	2.32	0.29	2.39	.58
2.45	0.42	2.01	0.23	2.14	.59
2.72	0.42	1.78	0.23	2.00	.60

\* قيمة (ت) الجدولية عند مستوى دلالة (0.05) وبدرجة حرية (52) = (2.01) تقريبا.

\*\* الفقرة غير دالة عند مستوى دلالة (0.05).

نلاحظ من الجدول أن جميع الفقرات دالة إحصائياً ومميزة عند مستوى دلالة (0.05)، حيث كانت قيمها التائية المحسوبة أكبر من قيمة (ت) الجدولية البالغة (2.01) عند مستوى دلالة (0.05).

(2) صدق البناء: ويطلق عليه اسم صدق المفهوم، ويقصد به مدى قياس الاختبار لتكوين فرضي معين أو سمة معينة. (كوافحة، 2003: 104). ويرى عدد من المختصين أن هذا النوع يكاد يكون أكثر أنواع الصدق قبولاً، إذ يتفق أكثر من غيره مع جوهر مفهوم إيبيل للصدق، الذي يرى أن الصدق هو تشبع الاختبار بالمعنى. (فرج، 1980: 323). ولتحقيق هذه الخطوة قام الباحث بحساب معامل ارتباط (بيرسون) بين درجة كل فقرة وبين الدرجة الكلية للمقياس، ومقارنتها بالدرجة النظرية لمعامل (بيرسون) عند مستوى دلالة (0.05)\* والجدول (2) يبين ذلك.

جدول (2) يبين معاملات ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية لمقياس السمات الشخصية

الارتباط	رقم الفقرة	الارتباط	رقم الفقرة	الارتباط	رقم الفقرة	الارتباط	رقم الفقرة
0.44	.4	0.43	.3	0.42	.2	0.65	.1
0.43	.8	0.50	.7	0.39	.6	0.61	.5
0.56	.12	0.51	.11	0.41	.10	0.51	.9
0.49	.16	0.53	.15	0.53	.14	0.58	.13
0.49	.20	0.48	.19	0.38	.18	0.44	.17
0.40	.24	0.40	.23	0.38	.22	0.66	.21
0.51	.28	0.39	.27	0.29	.26	0.50	.25
0.42	.32	0.44	.31	0.55	.30	0.55	.29
0.42	.36	0.61	.35	0.45	.34	0.49	.33
0.65	.40	0.53	.39	0.24	.38	0.61	.37
0.41	.44	0.64	.43	0.47	.42	0.62	.41
0.44	.48	0.52	.47	0.53	.46	0.51	.45
0.44	.52	0.53	.51	0.53	.50	0.41	.49
0.43	.56	0.48	.55	0.36	.54	0.41	.53
0.66	.60	0.40	.59	0.51	.58	0.52	.57

\* القيمة الجدولية لمعامل الارتباط بيرسون عند مستوى دلالة (0.05) وبدرجة حرية (52) = (0.26).

\*\* الفقرة غير دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05) و(0.01).

نلاحظ من الجدول أن جميع الفقرات متجانسة، حيث كانت معاملات ارتباطها بالدرجة الكلية أعلى من قيمة بيرسون الجدولية البالغة (0.26) عند مستوى دلالة (0.05)، واستناداً إلى ذلك يستقر المقياس في صورته النهائية عند (60) فقرة (ملحق-1).  
ثانياً: ثبات المقياس: يعد مفهوم الثبات من الشروط التي يجب توافرها في المقاييس والاختبارات المستخدمة لقياس ما وضعت من أجل قياسه؛ لأن المقياس يزود الباحث بمعلومات أساسية للحكم على نوعية تكتيك الاختبار ومدى صلاحيته ودقته واتساقه (الجلبي، 2005: 215). ولأجل تحقيق ذلك قام الباحث بتطبيق المقياس على أفراد عينة الثبات البالغ عددهم (50) طالب وطالبة، وبعد تصحيح الاستجابات قام الباحث باستخراج ثبات المقياس بطريقة ألفا كرونباخ. والجدول (3) يوضح ذلك.

جدول (3) يوضح ثبات مقياس السمات الشخصية بطريقة ألفا كرونباخ

م	المجالات	معامل ثبات ألفا كرونباخ
1.	تقدير الذات	0.84
2.	التوتر	0.81
3.	الاتزان الانفعالي	0.82
4.	الاجتماعية	0.88
5.	القيادة	0.89
6.	المغامرة	0.88
7.	الاستقلال	0.90
8.	الانفتاح	0.87
9.	المرونة	0.88
10.	دافعية الإنجاز	0.91

نلاحظ من الجدول السابق أن جميع معاملات الثبات لجميع السمات عالية؛ وفقاً لما ذكره (كرونباخ) الذي أشار إلى أن المقاييس الجيدة هي التي تعطي ثباتاً لا يقل عن (0.80) فما فوق. (عبدالخالق، 1993: 239). كما أن معاملات الثبات المستخرجة تقترب من معاملات الثبات الموجودة في مقاييس السمات الشخصية التي أعدها الباحثون الآخرون، وهذا يعني أن مقياس السمات الشخصية يتمتع بثبات عالٍ ويمكن الاعتماد على نتائجه عبر الزمن.

ثالثاً: تصحيح المقياس: تضمن المقياس في صورته النهائية (60) فقرة، وثلاثة بدائل للإجابة عن كل فقرة هي: (كثيراً - أحياناً - لا)، وقد أعطي كل بديل درجة، حيث يعطى البديل كثيراً (3) درجات، والبديل أحياناً (2) درجتين، والبديل لا (1) درجة واحدة. وتبلغ أعلى درجة للمقياس (180) درجة، وأقل درجة للمقياس (60) درجة، كما يبلغ الوسط الفرضي للمقياس (120) درجة، وبذلك أصبح المقياس جاهزاً في صورته النهائية. انظر ملحق (1).

رابعاً: الوسائل الإحصائية: استخدم الباحث مجموعة من الوسائل الإحصائية التي تناسب مع أهداف وتساؤلات هذا البحث وهذه الوسائل هي:

1. المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية؛ لحساب متوسط درجات الأفراد في السمات الشخصية، ومدى انحراف تلك الدرجات عن المتوسط الحسابي.
2. اختبار (T-test) لعينتين مستقلتين؛ لاستخراج القوى التمييزية لفقرات مقياس السمات الشخصية بطريقة المجموعتين المتطرفتين، ولإستخراج الفروق في السمات الشخصية بين المتفوقين وغير المتفوقين، وبين الذكور والإناث.
3. معامل ارتباط بيرسون؛ لاستخراج صدق البناء لمقياس السمات الشخصية (ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس).
4. معادلة ألفا كرونباخ؛ لاستخراج ثبات مقياس السمات الشخصية بطريقة (التناسق الداخلي للمفردات).

عرض النتائج ومناقشتها:

1. الهدف الأول: الكشف عن الفروق في السمات الشخصية بين الطلبة المتفوقين وغير المتفوقين دراسياً في الصف الأول من المرحلة الثانوية بأمانة العاصمة. ولتحقيق هذا الهدف، تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات المتفوقين وغير المتفوقين. ثم استخراج الفروق بينهما من خلال الاختبار التائي (t.test) لعينتين مستقلتين عند مستوى دلالة (0.05)\*، والجدول (4) يوضح ذلك. جدول (4) يوضح نتائج الاختبار التائي لمعرفة دلالة الفروق في السمات الشخصية بين الطلبة المتفوقين وغير المتفوقين دراسياً في الصف الأول من المرحلة الثانوية بأمانة العاصمة

مستوى الدلالة	قيمة t	غير المتفوقين (120)		المتفوقون (120)		السمة
		الانحراف	المتوسط	الانحراف	المتوسط	
0.001	8.105	2.222	15.633	1.352	17.558	تقدير الذات
0.057	-1.913	2.347	13.891	2.170	13.933	التوتر
0.009	2.637	2.385	15.416	2.110	16.83	الاتزان
0.077	1.779	2.183	16.700	2.171	17.200	الاجتماعية
0.001	11.009	2.063	14.058	1.822	16.825	القيادة
0.001	3.403	2.251	15.066	2.108	16.025	المغامرة
**0.138	1.488	1.828	13.016	1.901	13.375	الاستقلال
0.001	4.482	2.083	18.216	1.887	19.366	الانفتاح
**0.131	1.514	1.707	14.975	1.704	15.308	المرونة
0.001	8.811	2.131	15.808	1.795	18.050	الإنجاز

\* قيمة (ت) الجدولية عند مستوى دلالة (0.05) وبدرجة حرية (238) = (1.96) تقريباً.

\*\* الفقرة غير دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05).

نلاحظ من الجدول السابق أن قيم (ت) المستخرجة لسمتي الاستقلال والمرونة أصغر من قيمة (ت) الجدولية البالغة (1.96) عند مستوى دلالة (0.05)، في حين نجد أن قيم (ت)

المستخرجة لباقي السمات أكبر من قيمة (ت) الجدولية البالغة (1.96) عند مستوى دلالة (0.05)، وهذا يعني عدم وجود فروق دالة إحصائية بين المتفوقين وغير المتفوقين في سمي الاستقلال والمرونة، في حين توجد فروق دالة إحصائية بين المتفوقين وغير المتفوقين في باقي السمات. وبالرجوع إلى المتوسطات الحسابية نجد أن تلك الفروق لصالح المتفوقين.

وقد اتفقت هذه النتيجة مع كل من دراسة أونودا (1974) ودراسة جابر وآخرين (1985) ودراسة توك والطحان (1986) ودراسة جبريل (1993) ودراسة الزعبي (1996) التي أشارت جميعها إلى وجود فروق دالة في تقدير الذات لصالح المتفوقين دراسياً، حيث كان المتفوقون دراسياً أكثر تقديراً لذواتهم من أقرانهم غير المتفوقين.

ويفسر الباحث هذه النتيجة على أساس أن الطالب المتفوق دراسياً يلقى تقديراً إيجابياً وتشجيعاً من قبل أهله ومعلميه، مما ينعكس على تقديره لذاته واحترامه لها، أما الطالب غير المتفوق فإنه لا يحظى بمثل هذا التقدير الإيجابي من قبل أهله ومعلميه؛ مما يشعره بالعجز الذي من شأنه أن ينعكس سلباً على مفهومه لذاته واحترامه لها.

وفضلاً عن ذلك، فإن التحصيل الدراسي المرتفع للطالب يؤدي إلى ثقة الطالب بنفسه وقدراته، ومن المحتمل أن يطور مشاعر إيجابية نحو ذاته، ويؤيد في هذا الرأي جبريل (1993) حيث يؤكد أن النجاح والتفوق الدراسي يسهمان في ارتفاع مستوى تقدير الذات لدى الفرد، كما أن ارتفاع تقدير الذات يسهم في زيادة الفعالية الدراسية والنجاح الدراسي.

كما يؤدي تقدير المتفوق لذاته إلى توافقه الشخصي والاجتماعي، وهذا ما أكده زهران (1977)، حيث أشار إلى أن فكرة الفرد الموجبة عن ذاته تزيد من توافقه الدراسي، كما يصبح أكثر توافقاً مع ذاته. (زهران، 197:145).

كما أشار بعض الدراسات إلى أن الطالب المتفوق دراسياً أكثر توافقاً مع نفسه ومع الآخرين، كدراسة عبد المعطي وعبد الرحمن (1989) ودراسة التويجري وسلامة (1995)، مما يدل على أن المتفوق لديه القدرة على التوافق مع نفسه، كما أنه أكثر قبولاً لدى الآخرين، ومن ثم فهو قادر على توجيه سلوكه وتوافقه إزاء المواقف الجديدة؛ مما ينعكس على ثباته الانفعالي.

2. الهدف الثاني: الكشف عن الفروق في السمات الشخصية بين المتفوقين والمتفوقات دراسياً في الصف الأول من المرحلة الثانوية بأمانة العاصمة. ولتحقيق هذا الهدف تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمتفوقين والمتفوقات كل على حدة، ثم استخراج الفروق بينهما من خلال الاختبار التائي (t.test) لعينتين مستقلتين عند مستوى دلالة (0.05)\*، والجدول (5) يوضح ذلك.

جدول (5) يوضح نتائج الاختبار التائي لمعرفة دلالة الفروق في السمات الشخصية بين المتفوقين والمتفوقات دراسياً في الصف الأول من المرحلة الثانوية بأمانة العاصمة

مستوى الدلالة	قيمة t	المتفوقات (120)		المتفوقون (120)		السمة
		الانحراف	المتوسط	الانحراف	المتوسط	
**0.157	1.424	1.448	17.733	1.236	17.383	تقدير الذات
**0.077	1.782	2.182	13.683	2.119	12.983	التوتر
**0.439	0.777	2.154	16.033	2.072	16.333	الاتزان
**0.357	0.924	2.029	17.016	2.307	17.383	الاجتماعية
**0.881	0.150	2.015	16.850	1.623	16.800	القيادة
**0.154	1.435	2.077	16.300	2.120	15.750	المغامرة
**0.137	1.496	1.904	13.633	1.878	13.116	الاستقلال
**0.701	0.386	2.093	19.300	1.670	19.433	الانفتاح
**0.182	1.344	1.722	15.516	1.674	15.100	المرونة
**0.544	0.608	1.773	18.150	1.826	17.950	الإنجاز

\* قيمة (ت) الجدولية عند مستوى دلالة (0.05) وبدرجة حرية (238) = (1.96) تقريباً.

\*\* الفقرة غير دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05).

نلاحظ من الجدول السابق أن قيم (ت) المستخرجة لجميع السمات أصغر من قيمة (ت) الجدولية البالغة (1.96) عند مستوى دلالة (0.05)، وهذا يعني عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين المتفوقين والمتفوقات في جميع السمات.

وقد اتفقت هذه النتيجة مع كل من دراسة جابر وآخرين (1985) التي أشارت إلى عدم وجود فروق دالة بين الجنسين (الذكور والإناث) في السمات الشخصية التي يقيسها مقياس كاليفورنيا للشخصية، واتفقت مع دراسة عبدالله (1985) التي أشارت إلى عدم وجود فروق دالة بين المتفوقين والمتفوقات دراسيا في كل من الذكاء والاتزان الانفعالي والمغامرة والميل إلى الشعور بالإثم، كما اتفقت هذه النتيجة أيضا مع دراسة عبد الرحمن وعبد المعطي (1989) التي توصلت إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين في متغيرات الشخصية، بصرف النظر عن الحالة الأكاديمية، إلا أن هذه النتيجة تعارضت مع العديد من الدراسات السابقة كدراسة أودم وشوجنزي (1989) التي أشارت إلى أن الذكور المتفوقين أكثر ودية، وأنهم غير متحفظين مقارنة بالإناث، وأن الإناث أكثر اجتماعية ومشاركة، وأكثر قلقا وفقدانا للأمن، أنهن ذوات ضمائر حية مقارنة بالذكور، ومع دراسة حبش (1977) التي أشارت إلى أن الذكور أكثر تكيفا من الإناث على مقياس القيادة، وأن الإناث أكثر تكيفا من الذكور على مقياس التكيف للواقع.

واختلفت هذه النتيجة أيضا مع دراسة صبري (1983) التي أشارت إلى أن الذكور أكثر قيادة من الإناث، وأن الإناث أكثر امتثالا من الذكور، ومع دراسة ماكري (1983) التي أشارت إلى أن الإناث ذوات التحصيل المرتفع أكثر انضباطا وأكثر نشاطا اجتماعيا من الذكور في نفس الفئة، واختلفت مع دراسة توك والطحان (1986) التي أشارت إلى وجود فروق دالة بين الذكور والإناث في مفهوم الذات، لصالح الذكور، ودراسة إسماعيل (1990) التي أشارت إلى أن الذكور المتفوقين أكثر ذكاء وأكثر ميلا إلى التجديد من الإناث المتفوقات اللاتي تميزن بسمات عدم التحفظ وأنهن ضمائر حية ويتسمن بالقلق والاستقلالية، كما اختلفت هذه النتيجة مع دراسة معاجيني وهويدي (1997) التي أشارت إلى وجود فروق دالة بين البنين والبنات من المتفوقين على كل من بعد الابتكارية والدافعية والقيادة، وكانت هذه الفروق لصالح البنين المتفوقين، واختلفت مع دراسة الفحل (1999) التي أشارت إلى وجود فروق دالة بين المتفوقين والمتفوقات دراسيا على مقياس دافعية الإنجاز، لصالح المتفوقات.



ويلاحظ من خلال مقارنة نتائج البحث الحالي مع نتائج الدراسات السابقة، أن أغلب هذه الدراسات قد أشارت إلى وجود فروق في سمات الشخصية بين الذكور والإناث بشكل عام، وبين الذكور والإناث من المتفوقين بشكل خاص، ومن ثم فإن هذه النتيجة تحتاج إلى تمحيص أكثر، لاسيما أن نتائج كثير من الدراسات المتعلقة بالفروق الفردية بين الجنسين تشير إلى وجود فروق بينهما في السمات الشخصية، وقد حاول الباحث تفسير هذه النتيجة في ضوء الآتي:

1. أن تأثير وقع النجاح والتفوق الدراسي يلعب دورًا إيجابيًا في تعزيز السمات الشخصية وتدعيمها لدى الطالبات المتفوقات، ففي المدرسة ينظر المعلم وزملاء الدراسة إلى المتفوقة نظرة احترام وتقدير، مما ينعكس على شخصيتها، كما أن الوالدين يقدران الابنة عندما تكون متفوقة وهذا -أيضا- له دور أساسي في تقديرها لذاتها وثقتها بنفسها؛ مما يؤدي إلى استقرارها الانفعالي، وتوافقها، وخفض التوتر لديها، ورغم توقع أن يكون الذكور أكثر قيادة وأكثر مغامرة من الإناث بناء على ما يغرس فيهم من اتجاهات وسلوكيات أثناء عملية التنميط الجنسي ضمن إطار الثقافة العربية إلا أن نتائج الدراسة أظهرت أنه لا توجد فروق دالة بينهما، حتى في هاتين السمتين، ويعزى هذا أيضا إلى التفوق الدراسي الذي يفتح المجال أمام المتفوقة لتحمل المسؤولية، ولقيادة زميلاتها في المواقف المختلفة، وتعودها على الجرأة والإقدام والمغامرة أثناء قيامها بممارسة الأعمال والنشاطات الموجودة في المدارس، لاسيما أن الباحث قد لاحظ أثناء التطبيق أن أغلب مدارس الإناث مستقلة عن مدارس الذكور بأمانة العاصمة؛ مما يفتح أمامهن المجال للقيادة وتحمل المسؤولية.

2. أن طبيعة المرحلة العمرية لأفراد العينة يمكن أن تؤثر على النتيجة؛ حيث تؤكد بعض الأبحاث في سيكولوجية النمو تقدم الإناث على الذكور في هذه المرحلة، وهذا أحد التفسيرات التي يعتقد الباحث أن لها تأثيراً على هذه النتيجة، ويرى الباحث أننا بحاجة إلى مزيد من البحوث حول طبيعة الفروق بين الجنسين في السمات الشخصية.

## التوصيات والمقترحات:

بناءً على ما تم التوصل إليه من نتائج في هذا البحث، وضع الباحث مجموعة من

التوصيات والمقترحات، وذلك على النحو الآتي:

### أولاً: التوصيات:

1. العمل على توفير الأخصائي النفسي والتربوي في مدارس الجمهورية اليمنية كلها بمراحلها المختلفة؛ من أجل مساعدة التلاميذ على تنمية شخصياتهم وتعديل سلوكهم واتجاهاتهم.
2. إعداد برامج لتعريف المعلمين والمرشدين التربويين في المدارس بالسمات الشخصية للطلبة المتفوقين دراسياً وكيفية تنمية هذه السمات وصقلها.
3. عمل برامج إرشادية من أجل تحسين دافعية الإنجاز ورفع تقدير الذات لدى التلاميذ بشكل عام، وهذا من خصائص وظيفة الأخصائي النفسي والاجتماعي في المدرسة.
4. الأخذ بعين الاعتبار فئة المتفوقين دراسياً عند تصميم المناهج الدراسية، وألا تقتصر هذه المناهج على النواحي المعرفية من شخصية المتعلم، بل تعمل يجب أن على تنمية جوانب الشخصية كافة (المعرفية . الوجدانية . الاجتماعية).
5. تعويد التلاميذ وتشجيعهم على الاستقلالية وتحمل المسؤولية والاعتماد على النفس؛ من خلال إتاحة الفرص لهم للتعبير والمشاركة بحرية تامة، والابتعاد قدر الإمكان عن الأسلوب الديكتاتوري في التعامل مع الطالب سواء في الأسرة أم في المدرسة، والعمل على إقامة اللقاءات الدورية بين هذه الأطراف المسؤولة عن تربية التلاميذ.

### ثانياً: المقترحات:

1. إجراء دراسة شاملة لمعرفة سمات شخصية المتفوقين دراسياً، وفي مختلف المراحل التعليمية، واستخدام أدوات مختلفة كالملاحظة والمقابلة والأساليب الإسقاطية في التعرف على هذه السمات.
2. إجراء دراسة لمعرفة العلاقة بين السمات الشخصية والذكاء والتفكير الابتكاري.
3. إجراء دراسة تتناول الخلفية الأسرية للمتفوقين دراسياً.
4. إجراء دراسة تتناول السمات الشخصية للمتأخرين دراسياً.
5. إجراء دراسة تتناول علاقة القلق بالتحصيل الدراسي.

## الملاحق

### ملحق (1)

مقياس السمات الشخصية في صورته النهائية

عزيزي الطالب.....عزيزتي الطالبة.....

تحية طيبة وبعد!!!

بين يديك مجموعة من الفقرات التي تصف بعضاً من جوانب حياتك، والمطلوب منك قراءتها بدقة والإجابة عنها بموضوعية. علماً بأنه ليس هناك إجابة صحيحة وأخرى خاطئة، ولن يطالع على إجابتك سوى الباحث، ولن تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي فقط.

شاكرين حسن تعاونكم!!!

نرجو منك تدوين البيانات التالية:

1. الجنس: ذكر  أنثى

## الباحث

### فقرات المقياس

م	العبارة	كثيرا	أحيانا	لا
1.	أشعر بالخجل عندما أخاطب الآخرين.			
2.	يبحث عني أصدقاؤني عندما أغيب عنهم.			
3.	أشعر بأنني أقل أهمية من زملائي.			
4.	أنا راض عن نفسي.			
5.	أشعر بأن الآخرين يحترموني.			
6.	أكره نفسي كلما تذكرت عيوبتي.			
7.	أشعر بعدم أهميتي.			
8.	أرى أحلاما مزعجة في منامي.			

م	العبارة	كثيرا	أحيانا	لا
9.	أشعر بالقلق على صحي.			
10.	أحس بصداع في رأسي.			
11.	أخاف عندما أكون في مكان مرتفع.			
12.	أتذكر الأشياء بسهولة عندما أكون محتاجا إليها.			
13.	أقلق عندما أكون منتظراً شيئاً ما.			
14.	أزعل من غير سبب واضح.			
15.	يصفني الناس بأنني متقلب المزاج.			
16.	تزعجني المشكلات البسيطة.			
17.	أشعر بالعصبية الشديدة.			
18.	أتضايق حينما يقاطعني أحد وأنا أتكلم.			
19.	أتصرف بهدوء إذا صادفت مشكلة.			
20.	أحرص على حضور الحفلات والأعراس.			
21.	أحب اللعب أو العمل بمفردي.			
22.	أحب التعرف على أشخاص كثيرين.			
23.	أستمتع بالحديث مع الضيوف.			
24.	أفضل أن أبقى وحيداً.			
25.	جميع النكات تبدو سخيفة بالنسبة إليّ.			
26.	لدي أصدقاء كثيرون.			
27.	يستشيرني زملائي في أمور كثيرة.			
28.	يقنع أصحابي بأفكاري بسهولة.			
29.	أقوم بحل المشكلات بين زملائي.			
30.	يرفض زملائي أن أكون قائداً عليهم.			
31.	يثق بي المدرسون أكثر من زملائي.			

م	العبارة	كثيرا	أحيانا	لا
32.	يهتم الآخرون بأفكاري.			
33.	أحب المغامرات والمنافسات.			
34.	أفضل الألعاب المعروفة على الألعاب الجديدة.			
35.	أتحمل نتيجة الأعمال التي قمت بها.			
36.	أتردد قبل القيام بأي عمل.			
37.	أخاطر من أجل الحصول على ما أريد.			
38.	أرفض تدخل الآخرين في تصرفاتي.			
39.	أتردد قبل أن أسأل المعلم.			
40.	أحل مشكلاتي بنفسي.			
41.	أعتمد على والدي في اختيار ملابسي.			
42.	أنا واثق نفسي.			
43.	يختلف تفكيري عن تفكير زملائي في بعض الأمور.			
44.	أتصرف كما يريد الناس مني.			
45.	أفقد الثقة بنفسي.			
46.	أحب أن أعرف الكثير عما يجري حولي.			
47.	أهتم بقراءة الكتب المتنوعة.			
48.	أحب الاطلاع على المجالات.			
49.	تزعجني مناقشة من يخالفني الرأي.			
50.	أكره الدروس التي فيها معلومات كثيرة.			
51.	أتبع طريقة واحدة في المذاكرة.			
52.	أحل مشكلاتي بطرق متعددة.			
53.	أفكر بأشياء خيالية.			
54.	يصعب على الآخرين إقناعي.			

م	العبارة	كثيرا	أحيانا	لا
55.	أشعر بالتعب عندما أستيقظ من النوم.			
56.	أنفذ أعمالاً لا يستطيع زملائي تنفيذها.			
57.	أترك حل واجبي إذا كان صعبا.			
58.	أحاول إنجاز أكثر مما أنجزته.			
59.	أؤجل عمل اليوم إلى الغد.			
60.	أنجز الأعمال بشكل يفوق ما يتوقعه الآخرون.			

### قائمة المصادر والمرجع:

- 1) أبو علام، رجاء وشريف، نادية (1989): الفروق الفردية وتطبيقاتها التربوية، دار القلم للنشر، الكويت.
- 2) إسماعيل، محمد علي (1990): السمات الشخصية التي تميز الطلبة المتفوقين عن غير المتفوقين في نهاية المرحلة الثانوية العامة عند طلبة مدارس حوض البقعة في محافظة البلقاء، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.
- 3) الأغبري، بدر (2006): الاهتمام بالموهوبين والمتفوقين وسبل رعايتهم في نظامنا التعليمي، كتاب مؤتمر الطفولة الوطني الثاني المنعقد في 30 مايو - 1 يونيو 2006 تعز، مركز التأهيل والتطوير التربوي، جامعة تعز، ص 301 - 312.
- 4) الأنصاري، بدر محمد (1997): الفروق بين الجنسين في سمات الشخصية في الثقافة الكويتية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد (59)، ص 52-88.
- 5) الأنصاري، بدر محمد (2009): قياس الشخصية، دار الكتاب الحديث، القاهرة.
- 6) بخيت، عبد الرحيم (1988): سلوك المتفوقين والمتفوقات تحصيليا في ضوء نظرية شوتز للشخصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلة علم النفس، العدد (7)، ص 73 - 86.

- 7) توفيق، عبد المنعم توفيق (2004): التنشئة التربوية، دراسة مقارنة بين المتفوقين تحصيليا والعاديين من تلاميذ المرحلة الإعدادية بمملكة البحرين، المجلة التربوية، الكويت، العدد (73)، ص 127 - 150.
- 8) جابر، عبد الحميد والشيخ، سليمان والديني، حسين (1985): بعض العوامل المرتبطة بالمتفوق الدراسي في المرحلة الثانوية بقطر، بحوث ودراسات نفسية.
- 9) الجاف، رشدي علي (1998): اضطرابات الشخصية النرجسية وعلاقتها بأساليب المعاملة الوالدية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد.
- 10) جلال، سعد (2001): القياس النفسي، دار الفكر العربي، ط 5، القاهرة.
- 11) الجلي، سوسن شاکر (2005): أساسيات بناء الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية، مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع، دمشق.
- 12) الجنادي، لينا (1996): التفكير الابتكاري وسمات الشخصية لدى المتفوقين تحصيليا في المدارس الصناعية، دراسة ميدانية في المدارس الثانوية الصناعية بدمشق، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة دمشق.
- 13) الحنبلي، حمدي رشدي (1989): المتفوقون دراسيا والمتفوقون عقليا بالمدارس الثانوية بالكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت.
- 14) حيدر، أحمد سيف (2005): نحو استراتيجية تربوية لتعليم الطلبة الموهوبين والمتفوقين، كتاب مؤتمر الطفولة الوطني الأول المنعقد في 16 - 18 مايو 2005 تعز، مركز التأهيل والتطوير التربوي، جامعة تعز، ص 360 - 392.
- 15) خيرى، السيد محمد (1970): الإحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية، مطبعة دار الآتيف، القاهرة.
- 16) الدباس، عبد العزيز عبد الله (2000): دراسة مقارنة بين الطلاب المتفوقين والمتأخرين دراسيا بالمرحلة الثانوية في بعض متغيرات الشخصية بمدينة الرياض، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الملك سعود.

- 17) ذياب، محمود عبد السلام (1991): السمات الشخصية التي تميز المتفوقين وغير المتفوقين تحصيليا لدى عينة من طلبة الجامعة الأردنيين، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا.
- 18) الروحاني، عادل يحيى أحمد (2003): التوافق لدى الأحداث الجانحين في أمانة العاصمة بالجمهورية اليمنية وعلاقتها بسمات شخصياتهم، رسالة ماجستير، جامعة العلوم والتكنولوجيا، صنعاء.
- 19) الزعبي، أحمد محمد (1996): الفروق في تقدير الذات بين المتفوقين وغير المتفوقين دراسيا من تلاميذ الصف الثالث الإعدادي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العدد الثاني، المجلد (12)، ص 117 - 147.
- 20) زهران، حامد عبد السلام (1977): الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب، القاهرة.
- 21) السدحان، عبد الله بن ناصر (2004): علاقة الترويح بالتفوق الدراسي، المجلة التربوية، المجلد (18)، العدد (70)، ص 197-240.
- 22) سفيان، نبيل صالح (2002): المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي، كلية التربية، جامعة تعز.
- 23) صالح، حسين قاسم (1997): الشخصية بين القياس والتنظير، مكتبة الجيل الجديد ودار النشر للجامعات، صنعاء.
- 24) صالح، قاسم حسين (1998): نظريات معاصرة في علم النفس، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء.
- 25) عبد الحفيظ، إخلاص وباهي، مصطفى حسين (2000): طرق البحث العلمي والتحليل الإحصائي، المكتبة الجامعية الحديثة، الإسكندرية.
- 26) عبد الخالق، أحمد محمد (1993): استخبارات الشخصية، ط2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- 27) عبد المعطي، حسن وعبد الرحمن، محمد (1989): دراسة مقارنة لبعض متغيرات شخصية المتفوقين والمتأخرين دراسيا من طلاب الحلقة الثانية من التعليم الأساسي، بحوث المؤتمر الخامس لعلم النفس في مصر، يناير، ص 1-19.



- 28) العزة، سعيد حسني (2000): تربية الموهوبين والمتفوقين، دار الثقافة والدار الدولية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- 29) عودة، أحمد وملكاوي، فتحي (1978): أساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية، مكتبة المنار للنشر والتوزيع، الزرقاء، عمان.
- 30) غانم، عزة محمد (2002): تربية الموهوبين والمتفوقين، مركز عبادي للنشر والتوزيع، صنعاء.
- 31) فرج، صفوت (1980): القياس النفسي، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- 32) قاسم، معن عبد الباري (2006): قياس ذكاء التلاميذ في بعض مدارس التعليم الأساسي عدن، كتاب مؤتمر الطفولة الوطني الثاني المنعقد في 30 مايو - 1 يونيو 2006 تعز، مركز التأهيل والتطوير التربوي، جامعة تعز، ص 185 - 189.
- 33) قطامي، نايفة (2003): أثر متغير الجنس والصف ودرجة داخلية الضبط في درجة الدافعية المعرفية للتعلم عند المتفوقين دراسيا في منطقة الأغوار الوسطى، مجلة العلوم التربوية، جامعة قطر، العدد (4)، ص 59 - 88.
- 34) الكبيسي، كامل ثامر (2006): دراسة مقارنة في خصائص الشخصية الموهوبة بين ذوي التحصيل العالي والواطئ من طلبة الصف السادس الثانوي، كتاب مؤتمر الطفولة الوطني الثاني المنعقد في 30 مايو - 1 يونيو 2006 تعز، مركز التأهيل والتطوير التربوي، جامعة تعز، ص 127 - 148.
- 35) الكميم، سبأ ناصر (2006): دراسة لبعض سمات الشخصية لدى الكفيف، رسالة دكتوراه، معهد الدراسات التربوية، جامعة القاهرة.
- 36) كوافحة، تيسير مفلح (2003): القياس والتقييم وأساليب القياس والتشخيص في التربية الخاصة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان.
- 37) ملحم، سامي محمد (2002): القياس والتقويم في التربية وعلم النفس، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.
- 38) منقوش، فتحية عبد الله (2000): مفهوم الذات لدى المعاقات حركياً في الجمهورية اليمنية وعلاقته بسمات شخصياتهن، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة صنعاء.



# أثر الإيرادات الحكومية والدخل الفردي والسكان على الإنفاق في التعليم والصحة والدفاع والأمن في الجمهورية اليمنية

”دراسة تحليلية قياسية“

أ.م.د. محمد يحيى الرفيق\*

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أثر كلا من الإيرادات الحكومية والدخل الفردي والسكان على كلا من التعليم والصحة والدفاع والأمن حيث تم التطرق الى مشروعات التنمية في تلك القطاعات ومحدداتها وقد توصلت الدراسة الى العديد من الاستنتاجات أهمها ان محافظة المهرة تمثل الأقل في عدد المدارس واتضح من خلال الدراسة ان عدد الطلاب كان 4908279 طالبا وطالبة موزعين في المدارس المذكورة سابقاً فضلاً عن ذلك تبين بان عدد المدرسين بلغ 203027 مدرساً ومدرسة للأساسي والثانوي في المدارس الحكومية والخاصة وتبين من الدراسة ان توزيع الأساتذة كان عشوائياً وأظهرت الدراسة بان التعليم المهني والفني في اليمن يكلف مبالغ كبيرة عند التأسيس تصل الى مليار ونصف المليون ريال واتضح من الدراسة بان التعليم الجامعي يكلف الطالب بالمتوسط حوالي \$490 وأظهرت الدراسة بان عدد المستشفيات في الجمهورية اليمنية بلغت بنحو 55 مستشفى في العام 2009 تركزت في عواصم المدن واتضح من خلال التحليل ان محافظة ريمة لا يوجد فيها مستشفى عام فضلاً عن ذلك تبين بان عدد المستشفيات في المديرات

\* رئيس جامعة ذمار سابقاً، أستاذ الاقتصاد المشارك - قسم العلوم المالية والمصرفية - كلية العلوم الادارية - جامعة ذمار

بلغت بنحو 175 مستشفى في العام 2009 وتبين من الدراسة بان عدد الأطباء الاخصائيون قليل جدا لنفس العام حيث بلغ عددهم 1631 استشاري، بينما أطباء العموم بلغ بنحو 4811 طبيب وطبيبه، وأظهرت نتائج تقدير دالة الإنفاق على التعليم انه يوجد علاقة ذات دلالة احصائية بين الإنفاق على التعليم وعدد السكان، بينما العلاقة بين كلا من متوسط دخل الفرد، والإيرادات الحكومية ليست ذات دلالة إحصائية و اتضح من خلال تقدير دالة الإنفاق على الصحة انه يوجد علاقة ذات دلالة احصائية بين الإنفاق على الصحة ومتوسط دخل الفرد، بينما العلاقة بين الإنفاق على الصحة وكلا من عدد السكان والإيرادات الحكومية ليست ذات دلالة إحصائية. وأظهرت نتائج تقدير دالة الإنفاق على الدفاع والأمن انه يوجد علاقة ذات دلالة احصائية بين الإنفاق على الدفاع والأمن ومتوسط دخل الفرد، بينما العلاقة بين الإنفاق على الدفاع والأمن وكلا من عدد السكان، والإيرادات الحكومية ليست ذات دلالة احصائية ولذلك فقد قدمت الدراسة بعض التوصيات من ابرزها ضرورة الاهتمام بكافة انواع التعليم بشكل عام والتعليم المهني والفني بشكل خاص وايضاً توصي الدراسة بضرورة الاهتمام بتوزيع عدد المستشفيات في الجمهورية اليمنية بشكل عادل على كل المحافظات وضرورة تأسيس مستشفيات في محافظة ريمة التي لا يوجد فيها مستشفى و بضرورة القضاء على المحددات سواء لقطاع التعليم او لقطاع الصحة، أو لقطاع الدفاع والأمن و من ضمن تلك التوصيات العمل على زيادة الإنفاق في التعليم والصحة حيث ان نسبة الإنفاق لهما كانت ضئيلة جدا.

### The impact of government revenues, per capita income and population on spending

#### In education, health, defense and security in the Republic of Yemen

#### "econometrics Analytical study"

Prepared by the Associate Professor

Dr. Mohammed Yahia AL-Rafik

#### Abstract:

This study aimed at identifying the effects of both government revenues, individual income, and population on education, health, defense and security. The development projects in these sectors and their determinants were discussed. The study reached several conclusions,

the most important of which is that The study showed that the number of students was 4908279 students distributed in the schools mentioned above. Moreover, it was found that the number of teachers reached 203027 teachers and primary and secondary schools in public and private schools. The study showed that the distribution of teachers was random. The study showed that the number of hospitals in the Republic of Yemen reached about 55 hospitals in 2009 concentrated in the capitals of cities and it became clear through the analysis that the number of hospitals in the Republic of Yemen amounted to about one and a half million riyals. Rima governorate has no public hospital. In addition, it was found that the number of hospitals in Al-Madairat reached about 175 hospitals in 2009. The study showed that the number of doctors specialists is very few for the same year. The number of doctors was 1631, while general doctors reached 4811 doctors and doctors, The results of the d Expenditure on education There is a statistically significant relationship between expenditure on education and population, while the relationship between the average per capita income and government revenues is not statistically significant. It was found by estimating the function of expenditure on health that there is a statistically significant relation between spending on Health and average per capita income, while the relationship between expenditure on health and both the population and government revenues is not statistically significant. The results of the estimate of expenditure on defense and security showed that there is a statistically significant relationship between expenditure on defense and security and average per capita income, while the relationship between spending on defense and security and both population and government revenues is not statistically significant. Therefore, the study made some recommendations, Attention to all types of education in general and vocational and technical education in particular and also recommends the study of the need to pay attention to the distribution of the number of hospitals in the Republic of Yemen fairly on all provinces and the need to establish hospitals in the province of Rima, where there is no hospital and the necessity of DONC determinants on whether the education sector or the health sector, or sector of defense and security, and among those recommendations to increase spending on education and health spending as the proportion of them were very small.

## المقدمة:

يبدو أن التطور الاقتصادي الذي اتصف به الاقتصاد اليمني قد كان له أثر كبير على كل القطاعات الاقتصادية بشكل عام، وعلى قطاعي التعليم والصحة بشكل خاص، وما يدل على ذلك أن الدخل القومي حدث له تغييرات كبيرة، حيث زاد من (137173) مليون ريال في العام 1990م إلى (6084495) مليون ريال في العام 2010م، وذلك نتيجة لزيادة الإيرادات الناتجة عن النفط والغاز، وعلى الرغم من انعكس ذلك بشكل إيجابي على قطاعي التعليم والصحة فإن هناك قصوراً كبيراً في عملية التوزيع الجغرافي للمؤسسات التعليمية والمراكز والمستشفيات الحكومية في كل محافظات الجمهورية، إذ يبدو أن جانب التعليم (الأساسي، الجامعي، المهني والفني) وفيما يتعلق بالبنية التحتية لهذا القطاع يعاني بشكل كبير من انخفاض عدد المدارس الأساسية، حيث تركز الغالبية العظمى في المناطق الحضرية، بينما تعاني المناطق الريفية من شحة تلك المدارس، وأيضاً شحة كبيرة جداً في توفير الكوادر المؤهلة، كما يلاحظ أن هناك عدداً من المعاهد المهنية والفنية التي يصل عددها إلى أقل من 100، موزعة على محافظات الجمهورية بشكل غير مدروس، وفيما يتعلق بالتعليم الجامعي فإنه لم تكن توجد سوى جامعتي صنعاء وعدن، ومنذ العام 1996م بدئ بتأسيس العديد من الجامعات في العديد من محافظات الجمهورية إلى أن وصل عدد الجامعات في وقتنا الحاضر إلى ثمان جامعات حكومية، وعشرين جامعة وكلية أهلية، إلا أن كل تلك الجامعات ليست وفقاً للمعايير الأكاديمية، وهذا يعود إلى القصور الكبير في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والهيئة العامة للاستثمار اللتين تقدمان التراخيص بالموافقة على فتح تلك الجامعات بدون التركيز على المواصفات والمعايير، وفضلاً عن ذلك يلاحظ أن القطاع الصحي في اليمن يعاني بشكل كبير من انخفاض الأداء، وقلّة عدد المستشفيات والمراكز الصحية، والعشوائية في توزيع تلك المراكز والمستشفيات في العديد من محافظات الجمهورية، كما أن هناك تقصيراً من وزارة الصحة والسكان في العديد من الجوانب التي من أبرزها فتح مستشفيات بمواصفات ضعيفة، حيث بلغ عدد المستشفيات (235) مستشفى، وعدد المراكز الصحية التي تتوفر فيها أسرة (40) مركزاً، بينما كان عدد المراكز الصحية التي بدون أسرة (751) مركزاً، وعليه

فإن ذلك التقصير في سياسات الإنفاق على قطاعي التعليم والصحة يرجع إلى أن حصة قطاع التعليم من إجمالي النفقات العامة لكل القطاعات لا تمثل إلا ما نسبته ( 3.35% )، وحصة قطاع الصحة تمثل ما نسبته ( 4.80% ) في العام 2010م<sup>(1)</sup>.

#### مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في أن سياسات الإنفاق على القطاعات في الجمهورية اليمنية تعاني من اختلال في التوزيع بين القطاعات المختلفة، حيث أظهرت المؤشرات الإحصائية الرسمية أن متوسط نسبة الإنفاق على قطاعي التعليم والصحة خلال الفترة 1990- 2010 في اليمن بلغت نحو (14.13%) و ( 4.14%) على التوالي، من إجمالي الإنفاق العام، بينما بلغ متوسط الإنفاق على قطاع الدفاع والأمن خلال الفترة نفسها نحو (27.21%) من إجمالي الإنفاق العام، إضافة إلى ذلك تعاني العديد من المناطق اليمنية من اختلال في توزيع المدارس والمعاهد الفنية والجامعات، وفي توزيع المستشفيات والمراكز الصحية، كما تعاني من شحة الكادر سواء في التعليم أم في الصحة، وعليه فقد كان للتشتت الجغرافي في التوزيع السكاني لليمنيين، وتركز نسبة كبيرة من السكان في المرتفعات الجبلية أثر كبير على عدالة توزيع الفرص الاجتماعية في التعليم والصحة في تلك المناطق<sup>(2)</sup>. وانطلاقاً من المشكلة البحثية تم وضع التساؤلات التالية:

- ما أثر كلٍ من الإيرادات الحكومية والدخل الفردي والسكان على الإنفاق في التعليم ؟
- ما أثر كلٍ من الإيرادات الحكومية والدخل الفردي والسكان على الإنفاق في الصحة ؟
- ما أثر كلٍ من الإيرادات الحكومية والدخل الفردي والسكان على الإنفاق في الدفاع والأمن ؟

#### فرضيات الدراسة

- (أ) لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين متغير الإنفاق على التعليم وبين المتغيرات المستقلة المتمثلة في الإيرادات الحكومية والدخل الفردي والسكان.
- (ب) لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين متغير الإنفاق على الصحة وبين المتغيرات المستقلة المتمثلة في الإيرادات الحكومية و الدخل الفردي والسكان.

ج) لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين متغير الإنفاق على الدفاع والأمن وبين المتغيرات المستقلة المتمثلة في الإيرادات الحكومية والدخل الفردي والسكان.

#### هدف الدراسة

تهدف الدراسة إلى معرفة أثر كل من الإيرادات الحكومية والدخل الفردي والسكان على كلٍ من

التعليم والصحة والدفاع والأمن. ويتفرع منها الأهداف الفرعية التالية:

1. أثر كلٍ من الإيرادات الحكومية والدخل الفردي والسكان على التعليم.
2. أثر كلٍ من الإيرادات الحكومية والدخل الفردي والسكان على الصحة.
3. أثر كلٍ من الإيرادات الحكومية والدخل الفردي والسكان على الدفاع والأمن.

ولتحقيق الأهداف يتم دراسة ما يلي:

- مشروعات التنمية في التعليم.
- مشروعات التنمية في الصحة.
- مشروعات التنمية في الدفاع والأمن.
- محددات التنمية في التعليم.
- محددات التنمية في الصحة.
- محددات التنمية في الدفاع والأمن.

#### أهمية البحث

تنطلق أهمية الدراسة من أهمية المشكلة، المتمثلة في معرفة أثر كل من الإيرادات الحكومية والدخل الفردي والسكان على كلٍ من الإنفاق في التعليم والصحة والدفاع والأمن في الجمهورية اليمنية، ونتيجة لشحة الدراسات في هذا المجال، تم عمل هذا البحث ليسهم في تحسين كلٍ من قطاعات التعليم والصحة والدفاع والأمن بما يخدم التنمية.

## حدود البحث

الحدود الزمانية: المدة من 1990 \_ 2010م

الحدود المكانية: الجمهورية اليمنية

## منهجية الدراسة

تقوم الدراسة باستخدام أسلوب التحليل الوصفي والقياسي، من خلال التطبيق، وذلك باستخدام معلمات النماذج القياسية لقياس أثر بعض المتغيرات على الإنفاق في قطاع التعليم، وأيضاً أثر بعض المتغيرات في الإنفاق على قطاع الصحة، وأثر بعض المتغيرات في الإنفاق على قطاع الدفاع والأمن، حيث سوف يتم تقدير دالة الإنفاق على التعليم، ودالة الإنفاق على الصحة، ودالة الإنفاق على الدفاع والأمن، من خلال استخدام أسلوب الانحدار المتعدد (Multiple Linear Regression) وطريقة المربعات الصغرى الاعتيادية (OLS) في تقدير المعلمات الإحصائية بين المتغيرات، وتستخدم الدراسة سلسلة زمنية من العام 1990 وحتى العام 2010، ونظراً إلى أن البيانات من العام 2011 إلى الآن ليست متوفرة بشكل حقيقي بسبب أزمة الربيع العربي، والأزمة الحاصلة والحرب، فإن الدراسة ركزت على دراسة توزيع مشروعات التنمية في التعليم والصحة، بالإضافة إلى ذلك تنطبق الدراسة على التعرف على محددات التنمية في كل من قطاع التعليم وقطاع الصحة في اليمن، مع العلم أن التحليل القياسي سوف يعتمد على برنامج SPSS لدراسة وتحليل أثر كل من عدد السكان ومتوسط دخل الفرد، والإيرادات الحكومية في الإنفاق على قطاع التعليم، ودراسة أثر تلك المتغيرات في الإنفاق على قطاع الصحة، وأخيراً أثر تلك المتغيرات في الإنفاق على قطاع الدفاع والأمن.

## الإطار النظري للتحليل القياسي

سوف يتم تقدير كل من دالة الإنفاق على التعليم، ودالة الإنفاق على الصحة، ودالة الإنفاق على الدفاع والأمن من خلال استخدام نموذج الانحدار المتعدد على النحو الآتي:



- أولاً: تقدير دالة الإنفاق على قطاع التعليم

$$TED = F (Pi , POP , T) \quad -$$

$$\ln(TED) = \alpha_0 + \alpha_1 \ln(Pi) + \alpha_2 \ln(POP) + \alpha_3 \ln(T) + U_t \quad (1) \quad -$$

حيث إن:

- TED: تمثل الإنفاق على التعليم.

- Pi : تمثل متوسط الدخل الفردي.

- POP: تمثل عدد السكان.

- T : يمثل الإيرادات الحكومية.

-  $U_t$  : تمثل الخطأ العشوائي.

-  $\alpha_1, \alpha_2, \alpha_3$  : تمثل مرونة الإنفاق على قطاع التعليم لكل من متوسط الدخل الفردي، وعدد السكان، والإيرادات الحكومية.

#### الدراسات السابقة

تم الاستناد إلى بعض الدراسات التي أفادت منها الدراسة، ومن أبرز تلك الدراسات ما يلي:

- دراسة (المالكي وعبيد، 2004)<sup>(3)</sup> هدفت هذه الدراسة إلى قياس العلاقة التبادلية بين التعليم ونمو الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي غير النفطي في السعودية، كما هدفت إلى تحديد وتحليل محددات الإنفاق الحكومي على التعليم في السعودية، وباستخدام نموذج المعادلات الأنية، وتطبيق أسلوب طريقة المربعات الصغرى ذات الثلاث مراحل 3SLS، وقد توصل البحث إلى أنه لا توجد علاقة تبادلية طردية مباشرة بين التعليم والنمو الاقتصادي في السعودية من خلال وجود الإنفاق الحكومي على التعليم والنمو الاقتصادي في السعودية، وهناك علاقات طردية مباشرة بين التعليم والنمو الاقتصادي في السعودية إلا من خلال وجود الإنفاق الحكومي على التعليم، أما العلاقة المباشرة بين المتغيرين فإنها تحققت في اتجاه واحد فقط من الناتج المحلي

غير النفطى إلى المدرجين في التعليم العام ( وذلك في حالة تجاهل الإنفاق الحكومى على التعليم)، كما توصل البحث إلى أن إجمالي عدد السكان يعد عاملاً محدداً آخر للمدرجين في التعليم العام. وتوصل البحث إلى أن الإيرادات الحكومية والمدرجين في التعليم العام والإنفاق التعليمي للسنة السابقة عوامل محددة رئيسة للإنفاق الحكومي على التعليم في السعودية.

- دراسة (حيدر، 2008)<sup>(4)</sup>: هدفت هذه الدراسة إلى دراسة التعليم العالي وسوق العمل، بناء علاقة شراكة مستدامة، حيث تناقش هذه الدراسة العلاقة بين التعليم العالي وسوق العمل وتقترح خطوات عملية لبناء شراكة فاعلة بين الطرفين، وقد تم استعراض أثر العولمة في سوق العمل وانعكاس ذلك على التعليم العالي، مبينة دور مؤسسات التعليم العالي في إكساب المتعلمين المعارف والمهارات الضرورية لسوق العمل، ومن ثم تحويلها إلى منتجات وخدمات قابلة للتسويق، وتم تناول التحديات المعاصرة التي يواجهها التعليم العالي وسوق العمل، وتم التعرض للطلب على التعليم العالي وعدم كفاية التمويل الحكومي لتشغيل الجامعات، والتطورات المتزايدة في تقنيات المعلومات، وضمان جودة البرامج الأكاديمية، وضعف الإعداد الأكاديمي للخريجين وبطالة الخريجين، وفيما يتعلق بسوق العمل فإنه يلاحظ تغير السياسات الاقتصادية، وتغير طبيعة الوظائف والمهن في سوق العمل، وتم مناقشة البنية المشوهة لسوق العمل في المنطقة العربية، ودور مؤسسات التعليم العالي في إصلاحها بما ينعكس إيجاباً على سوق العمل والتعليم العالي ذاته، وتنتقل بعد ذلك إلى عرض أسس بناء شراكة مستدامة بين مؤسسات التعليم العالي وسوق العمل، وأخيراً تم تناول النظرة المستقبلية لبناء شراكة فاعلة بين مؤسسات التعليم العالي وسوق العمل.

- دراسة (النعيمي، 2008)<sup>(5)</sup>: ركزت الدراسة على رؤية مستقبلية لتدعيم مخرجات التعليم وسبل تحقيق المواءمة مع متطلبات سوق العمل، حيث بينت الدراسة أن العلاقة بين مخرجات التعليم ومتطلبات سوق العمل أصبحت مقياساً لإمكانية نجاح الدول والحكومات في تحقيق أهدافها التنموية وخططها المستقبلية باتجاه التقدم والنمو المطرد، وتمثل

الجامعات مصدرا لتوليد الطاقات المتنوعة التي يحتاج إليها المجتمع، إذ إن تطور كل من الجامعة والمجتمع مرهون بمدى تحقيق التفاعل بين مخرجات الجامعة من المؤهلات المطلوبة ومعطيات سوق العمل التي ينبغي أن تكون موجهة لخدمة المجتمع وتطوره.

- دراسة (صالحة، 2006)<sup>(6)</sup>: تبحث هذه الورقة في مدى تحقيق التوافق الكمي والنوعي بين مخرجات التعليم العالي ومتطلبات التنمية الاجتماعية والاقتصادية في سلطنة عمان. إذ إن رفع مستويات مخرجات التعليم العالي كما ونوعاً يتطلب تنمية وتطوير سياسات وأهداف مبنية على المعرفة الأدق لمكونات المجتمع وتوجهاته الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وتوجهات التنمية فيه.

وبعد أن تم استعراض بعض الدراسات حول التعليم فإن هذه الدراسة تتميز بأنها سوف تضيف الإيرادات الحكومية كمتغير مستقل، حيث تركز على تقدير دالة الإنفاق على التعليم كأحد الفرص الاجتماعية ومقارنة ذلك بتقدير دالة الإنفاق على الصحة التي تمثل إحدى الفرص الاجتماعية، ثم مقارنة تلك الفرص الاجتماعية بتقدير دالة الإنفاق على الدفاع والأمن؛ بغية التعرف على تأثير كل من الإنفاق على التعليم والصحة والدفاع والأمن في بعض المتغيرات المستقلة (متوسط الدخل الفردي، وعدد السكان، والإيرادات الحكومية) للتعرف على مدى توزيع تلك الفرص توزيعاً عادلاً.

ثانياً: تقدير دالة الإنفاق على قطاع الصحة

$$TEH = F (Pi, POP, T) \quad -$$

$$\ln(TEH) = \alpha_0 + \alpha_1 \ln(Pi) + \alpha_2 \ln(POP) + \alpha_3 \ln(T) + U_t \quad (2) \quad -$$

حيث إن:

- TEH: تمثل الإنفاق على التعليم.

- Pi: تمثل متوسط الدخل الفردي.

- POP: تمثل عدد السكان.
- T : تمثل الإيرادات الحكومية.
- $U_t$  : تمثل الخطأ العشوائي.
- $\alpha_1, \alpha_2, \alpha_3$  : تمثل مرونة الإنفاق على قطاع الصحة لكل من متوسط الدخل الفردي، وعدد السكان، والإيرادات الحكومية.
- ثالثاً: تقدير دالة الإنفاق على قطاع الدفاع والأمن.

$$TPSDS = F (P_i, POP, T) \quad -$$

$$\ln(TPSDS) = \alpha_0 + \alpha_1 \ln(P_i) + \alpha_2 \ln(POP) + \alpha_3 \ln(T) + U_t \quad (3) \quad -$$

حيث أن:

- TPSDS: تمثل الإنفاق على قطاع التعليم.
- $P_i$  : تمثل متوسط الدخل الفردي.
- POP: تمثل عدد السكان.
- T : تمثل الإيرادات الحكومية.
- $U_t$  : تمثل الخطأ العشوائي.
- $\alpha_1, \alpha_2, \alpha_3$ : تمثل مرونة الإنفاق على قطاع الدفاع والأمن لكل من متوسط الدخل الفردي، وعدد السكان، والإيرادات الحكومية.

#### 1- مشروعات التنمية في التعليم ومحدداتها

1-1 تطور مشروعات التنمية في التعليم: تشير إحدى الدراسات إلى أن العديد من الدول النامية تنتهج سياسات واقعية أكثر التزاماً بالمصلحة الوطنية العامة، وأكثر ابتعاداً عن التحيز الأيديولوجي، وعلى ضوء هذه السياسات أصبحت المشروعات العامة تلعب دوراً ريادياً في عملية

التنمية الاقتصادية في كثير من دول العالم، حيث يمثل المشروع العام الأداة الحاسمة التي من خلالها يمكن للدولة النامية تعبئة وتوجيه عناصر الإنتاج اللازمة التي تكفي حاجات الإنتاج الحديث، ولكن على ما يبدو فإن العديد من المشروعات التي يتم إقامتها في بعض الدول النامية تفتقد إلى الرؤية الواضحة لمبررات وجودها، وعليه، عدم وجود التصور الواضح لكثير من الدول في تحديد سياستها المتعلقة بإنشاء المشروعات العامة الذي يؤدي إلى إعاقة نمو هذه المشروعات وتحديد دورها، ومن هذا المنطلق فإنه عند تتبع تاريخ المشروعات العامة في العديد من المناطق يلاحظ قوة وأثر القرار السياسي والإداري في نشأة تلك المشروعات؛ لأن اتخاذ القرار في كثير من الأوقات يكون استجابة لظروف آنية مختلفة من حالة إلى أخرى، ويرجع ذلك إلى العديد من الأسباب التي من أبرزها النقص في كفاءة أجهزة الدراسات والتخطيط، وعجزها عن مسايرة السرعة الزمنية التي يتوخاها صانع القرار، كما أن بعضها يرجع إلى اجتهاد أو تصرف من بيده القرار؛ بسبب عدم توفر خطة واضحة المعالم من ناحية، وأجهزة التقييم اللاحق من ناحية أخرى<sup>(7)</sup>.

ونظراً إلى أن العديد من البلدان تشهد نمواً متسارعاً للسكان إلا أن هناك في اختلالاً في التوزيع السكاني، حيث انه يلاحظ أن السكان في اليمن يتركز معظمهم في الهضبة الوسطى والجبلية، حيث بلغت نسبتهم نحو 68.3%، بينما يوجد في السواحل الجنوبية والشرقية حوالي 13.4% من السكان، وفي سهل تهامة 12.7%، في حين أن الهضبة الصحراوية يتركز فيها 5.6%، وهنا يظهر وجود تشتت أدى إلى صعوبة إيصال الخدمات الأساسية كالتعليم والصحة إلى كل تجمع سكاني، ولذلك فإن الأمر يتطلب اتخاذ السياسات والإجراءات التي تشجع على تحريك السكان من المناطق ذات الكثافة السكانية إلى تلك المناطق التي تتمتع بميزات نسبية في الموارد الطبيعية والاقتصادية؛ بهدف الدفع بعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومن ثم توليد فرص عمل للعاطلين<sup>(8)</sup>.

ونظراً إلى أن عدد السكان في الجمهورية اليمنية قد ارتفع من 18.3 مليون نسمة في العام 2000 إلى 23.154 مليون نسمة في العام 2010، فإن المجتمع اليمني يتصف بتوزيع نوعي للسكان

شبه متساوٍ وتركيب عمري إذ يقدر السكان ذوو الفئة العمرية (0-15) سنة بنحو 48.8% من مجموع السكان؛ ونتيجة لذلك ارتفع متوسط حجم الأسرة إلى 7.4، فضلاً عن ارتفاع معدل الإعالة الاقتصادية البالغ 477 لكل 100 شخص نشط اقتصادياً، كما أن نمو السكان بلغ 3.02%، وحسب ما ذكر في مؤشرات التعليم في الجمهورية اليمنية للعام 2001-2002 حول التركيب السكاني الذي تم ذكره سابقاً، يظهر أن هناك عبئاً على المجتمع؛ لتنامي احتياجاته من الخدمات الاجتماعية الأساسية كالصحة والتعليم، لاسيما أن معدل الالتحاق بالتعليم الأساسي للجنسين لا يزيد عن 62.2%، منها 53.4% ذكور و46.6% إناث، ولذلك فإن نصيب كل معلم ومعلمة من الطلاب على المستوى الوطني سيتراوح ما بين (1-25) طالباً وطالبة. إلا أنها تتفاوت على مستوى المحافظات في الريف والحضر، وعليه فإن الدولة تعمل على السعي نحو رفع مستوى التحصيل التعليمي، تقديم الخدمات الصحية من خلال بعض السياسات والإجراءات بحسب الاستراتيجيات المستهدفة في الخطط الخمسية على الرغم من أنه لا يوجد أي تقييم لكل خطة عند الانتهاء من فترة تلك الخطة؛ الأمر الذي يشير إلى تراكم الإشكالات التي تؤدي إلى الصعوبة في تشخيص الاختلالات الموجودة في بعض القطاعات، وخاصة قطاعي التعليم والصحة اللذين يمثلان الركيزة الأساسية في التنمية البشرية<sup>(9)</sup>.

وعلى الرغم من إعداد خطط التنمية التي تسعى إلى تحقيق عدالة التوزيع لمشاريع التنمية على كل محافظات الجمهورية فإن هناك مشاريع تخضع لاعتبارات اقتصادية وفنية، مثل المشاريع الصناعية والتجارية، وفي دراستنا هذه يتم التركيز على المشاريع الخدمية المتعلقة بتحسين حياة المواطن واستقراره، المتمثلة في التعليم، حيث تشير المصادر الرسمية الصادرة عن الجهاز المركزي للإحصاء<sup>(10)</sup> إلى ما يلي:

#### أ - مشاريع التنمية في التعليم الأساسي والثانوي

يظهر أن عدد المدارس قد ارتفع من (8931) مدرسة في العام 1993م إلى (15661) مدرسة في العام 2008/2009م، في 21<sup>(11)</sup> محافظة، وكانت محافظة المهرة الأقل في عدد المدارس، حيث بلغ عدد المدارس فيها للعام نفسه 117 مدرسة أساسية وثانوية، في حين أن أكثر

عدد المدارس كانت في محافظة إب، حيث بلغ عدد المدارس نحو 1470 مدرسة، وتفاوت عدد المدارس في باقي محافظات الجمهورية، وفضلاً عن ذلك فقد زاد عدد الفصول الدراسية من (64830) فصلاً في العام 1993 إلى (17513)، وفضلاً في العام 2008/2009، كما أن عدد الطلاب في المرحلتين الأساسية والثانوية ازداد من (2162580) طالباً وطالبة في العام 1993 إلى (4,908,279) طالباً وطالبة في العام 2008/2009، في حين بلغ عدد المدرسين في المرحلتين الأساسية والثانوية في المدارس الحكومية والخاصة 65929 مدرساً ومدرسة في العام 1993 وارتفع عددهم إلى (203,027) مدرساً ومدرسة في العام 2008/2009م حيث كان نصيب محافظة إب 19487 مدرساً ومدرسة لنفس العام، وهي الأكثر من بين محافظات الجمهورية، في حين أن محافظة المهرة كانت الأقل في عدد المدرسين، حيث بلغ عددهم 1192 مدرساً ومدرسة للمدراس الأساسية والثانوية، كما لوحظ أن أعداد المدرسين تتباين من محافظة إلى أخرى، فضلاً عن أن محافظات تفتقر إلى عدد من المدرسين في الرياضيات والكيمياء والفيزياء والأحياء. وبالنظر إلى تلك البيانات المذكورة سابقاً حول الفترة 1993م - 2009/2008 فقد كانت كل مدرسة تتكون من فصلين إلى سبعة فصول إلى اثني عشر فصلاً في المتوسط، وكل مدرسة تضم من 1 إلى 242 طالباً في المتوسط، كما أن كل فصل يضم من 3 إلى 33 طالباً وطالبة، ورغم هذا فهناك بعض المدارس يصل عدد الطلاب في الفصل الواحد إلى أكثر من مائة طالب، كما أن نصيب كل فصل من المدرسين مدرس واحد أو مدرسة واحدة<sup>(12)</sup>.

#### ب- مشاريع التنمية في التعليم الفني والتدريب المهني

يعتبر التعليم الفني والتدريب المهني أحد ركائز تنمية العمالة الماهرة، حيث بدأت الحكومة إيلاء التعليم الفني والتدريب المهني أهمية متزايدة، فقد ارتفع عدد المعاهد والمراكز المهنية والتقنية من 26 معهداً ومركزاً إلى 55 معهداً في العام 2006/2005، وزاد عدد الطلاب من 6567 طالب وطالبة في العام 2000 إلى 20209 طالباً وطالبة في العام 2006/2005، وترجع تلك الزيادة إلى تحويل إدارة وتبعية بعض المعاهد من وزارة التربية والتعليم إلى وزارة التعليم الفني والتدريب المهني، واستحداث بعض التخصصات التقنية، وعلى الرغم من تزايد أعداد الملتحقين بهذا النوع من

التعليم إلا أنها ما زالت دون المستوى المطلوب لتأمين احتياجات سوق العمل من العمالة النسائية الفنية والمتخصصة، حيث بلغت أعداد الطالبات 2300 في العام 2005 / 2006 وبلغت النسبة 11.4% من إجمالي المتحقيين في كل المؤسسات المهنية والمعاهد التقنية وكليات المجتمع<sup>(13)</sup>. وتشير البيانات الواردة في كتاب الإحصاء السنوي للعام 2009 الصادر عن الجهاز المركزي للإحصاء إلى أن عدد المعاهد التقنية والمهنية بلغ 65 معهداً في العام 2009. ونظراً لأهمية التعليم الفني والتدريب المهني فقد تزايدت النفقات على ذلك النوع من التعليم من 4 مليارات ريال في العام 2004 إلى 11.6 مليار ريال في العام 2006، أي أن الزيادة بلغت 186.6%، وعلى الرغم من تلك الزيادة إلا أن هذا النوع من التعليم لا يزال يعاني من ضآلة في النفقات مقارنة بمراحل التعليم الأخرى؛ حيث إن هذا النوع من التعليم تكون تكاليفه عالية مقارنة بالتعليم العام، ولذلك فإنه بالنظر إلى متوسط تكاليف الطالب نجد أن تلك التكاليف قد ارتفعت من 120099 ريالاً في المتوسط للعام 2004 إلى 130979 ريال في المتوسط للعام 2006، ويظهر أن تكلفة الطالب في التعليم الفني والتدريب المهني كانت 5.5 أضعاف تكلفة الطالب في التعليم العام في عام 2004، في حين كانت تلك التكلفة 5 أضعاف تكلفة الطالب في التعليم العام في عام 2006، ويرجع ارتفاع تكاليف الطالب في التعليم الفني والتدريب المهني إلى أن هذا النوع من التعليم له مستلزمات كثيرة لا بد من توافرها، خاصة أنه يتم تطبيق كل ما يتم تعلمه على الأجهزة والمعدات والآلات والورش، والدليل على ذلك أن تكلفة إنشاء معهد تقني واحد مع تجهيزاته يكلف ملياراً ونصف المليار ريال، بينما التعليم العام لا يحتاج إلى مثل تلك المستلزمات، حيث إن تكلفة إنشاء المدرسة الواحدة المكونة من 24 فصلاً دراسياً لا تزيد عن 144 مليون ريال<sup>(14)</sup>.

### ج- مشاريع التنمية في التعليم الجامعي والتعليم العالي

يبدو أن التعليم الجامعي والتعليم العالي وما في مستواهما تحتل أهمية كبيرة بعد التعليم العام من حيث النفقات، حيث ارتفعت من 25.5 مليار ريال في العام 2004 إلى 34.7 مليار ريال في العام 2006، وبلغ معدل النمو السنوي 36.4%، وهذه النسبة تعد مرتفعة، وقد ذكر في مؤشرات التعليم أن ذلك يرجع إلى التوسع في أقسام الكليات بالجامعات الحكومية الثمان، فضلاً عن أن



زيادة أعداد الموظفين إلى الخارج، مع العلم بأن نفقات التعليم العالي وما في مستواه شملت مخصصات نفقات عدد من الجهات التعليمية والبحثية باعتبارها تقدم تعليماً لما بعد الثانوية العامة ومنها الجامعات الحكومية الثمان، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ومستشفى الكويت الجامعي، ومركز الدراسات والبحوث اليمني، والهيئة المركزية للبحث العلمي، والمعهد الوطني للعلوم الإدارية، والمعهد العالي للتربية البدنية، والمعاهد الصحية، ومعهد التدريب والتأهيل الإعلامي ومعهد التوجيه والإرشاد، ولذلك فقد ارتفعت النفقات الجارية للتعليم العالي وما في مستواه من 20 مليار ريال في عام 2004 إلى 25.3 مليار ريال في العام 2006، وقد مثلت تلك النفقات للعامين ما نسبته 3.3% و 2.9% على التوالي من إجمالي النفقات الجارية للدولة، وما نسبته 78.6% و 72.8% على التوالي من إجمالي نفقات التعليم العالي وما في مستواه، وفيما يتعلق بالنفقات الاستثمارية للتعليم العالي وما في مستواه فقد ارتفعت من 5.5 مليار ريال في العام 2004 إلى 9.4 مليار ريال في العام 2006، وهذا يعني أن تلك النفقات للعامين قد بلغت ما نسبته 3.1% و 27.2% من إجمالي النفقات الاستثمارية للدولة، وإجمالي نفقات التعليم العالي وما في مستواه على التوالي<sup>(15)</sup>.

ويظهر من خلال متوسط التكلفة السنوية للطلاب البالغة 97514 ريالاً أي ما يعادل \$490 أن هناك تكاليف باهظة تهدر بسبب أن عدد الباقين للإعادة في كل المستويات بالجامعات الثمان بلغ 40688 طالباً وطالبة في العام 2006/2005، أي أن تكلفة الرسوب / الإعادة السنوية بلغت 4 مليارات ريال، وبما يساوي 19.9 مليون دولار، وهذه التكاليف المهذرة هي مقابل بقاء الطالب سنة واحدة في نفس مستواه الدراسي، ويعزى كل ذلك إلى غياب تطبيق اللوائح الجامعية وغياب الإدارة الجامعية في عملية التقييم والمتابعة السنوية على الكليات التي تحبذ فرض غرامات الرسوب للحصول على موارد لا تساوي الخسائر الكبيرة التي تتكبدها الخزينة العامة للدولة، ولذلك يلاحظ أن هناك الكثير من الطلاب يتخرجون بعد قضاء ست أو سبع سنوات، ونتيجة لذلك فإن التكلفة تصبح مضاعفة، وخاصة بعد التسهيلات التي منحها الجامعات من خلال إتاحة الفرصة الأخيرة للتخلص من الطلاب الذين لا تتناسب إمكاناتهم العلمية ولا قدراتهم المعرفية مع مواصلة الدراسة

الجامعية في التخصصات التي التحقوا بها<sup>(16)</sup>. وفي هذا الجانب يرى الباحث أن تلك المبررات ليست كافية، وإنما هناك جوانب أخرى، من أبرزها ما يلي:

- ضعف مخرجات التعليم الثانوي؛ الأمر الذي يؤدي إلى أن الطالب يصدم بالدراسة المكثفة في الجامعة.
- غالبية الطلاب الذين يرسبون إنما يعود ذلك إلى أنهم موظفون ولا يحضرون معظم المحاضرات.
- معظم الطلاب الباقين للإعادة هم ممن يعولون أسرهم، أي لديهم أسراً تعتمد بشكل رئيس على أولئك الطلاب الموظفين.
- نسبة كبيرة من الطلاب في كليات العلوم الإنسانية يدرسون بنظام الانتساب، وهذا النظام هو شبيه بنظام التعليم عن بعد، الذي يظهر فيه أن الطالب يعتمد بشكل أساسي على الكتاب فقط حيث، لا يحضر المحاضرات مع أستاذ الجامعة.
- معظم الرسوب يكون في المستويات الأولى والثانية؛ لأن الأعداد كثيرة، فضلاً عن عدم معرفة الطالب بأن الدراسة في الجامعة تكون مكثفة، وأن الفصل الدراسي أيضاً قصير.

## 2-1 محددات مشروعات التنمية في التعليم

تؤكد الدراسة التي أجريت على منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أن التعليم يمثل أحد الشروط المهمة لتحقيق النمو الاقتصادي، حيث كان النمو الاقتصادي بنسبة للفرد في المنطقة على مدى السنوات العشرين الماضية منخفضاً نسبياً، وعلى الرغم من وجود بعض التحسينات التي ظهرت على مستوى التحصيل التعليمي في الستينات والسبعينات، فإنه لوحظ أن ارتفاع النمو الاقتصادي قابله انخفاض مستويات التحصيل التعليمي، كما أنه ظهر خلال الثمانينات والتسعينات زيادة في التحصيل التعليمي، إلا أنه لم يسهم كثيراً في زيادة النمو الاقتصادي أو الإنتاجية في منطقة الشرق الأوسط، وعليه تعود العلاقة الضعيفة بين التعليم والنمو الاقتصادي إلى المستوى النسبي وليس المطلق للنواتج التعليمية هو الذي يفسر العلاقة الضعيفة بين التعليم والنمو الاقتصادي في المنطقة، ويرجع ذلك إلى الأسباب التالية<sup>(17)</sup>:

- مستوى التعليم في المنطقة منخفض جدا، ويظهر ذلك في أن التعليم لا يسهم في زيادة النمو والإنتاجية.
  - المستوى النسبي لديه نواتج تعليمية أفضل مع تساوي كافة العوامل الأخرى.
  - التباين في التحصيل التعليمي في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أكبر منه في المناطق الأخرى.
  - العلاقة الضعيفة بين نواتج التعليم والنمو الاقتصادي مرتبطة بارتفاع مستويات التوظيف في القطاع العام، وانخفاض أعداد القطاعات الاقتصادية الديناميكية القادرة على المنافسة الدولية.
- وحسب ما يشير إليه تقرير التنمية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا<sup>(18)</sup> فإنه لوحظ أن نواتج التعليم لأربع عشرة دولة\* يعتبر مؤشرا مركبا للنواتج التعليمية، حيث تدمج الإنجازات في مجالات إمكانية الحصول، والمساواة في الحصول، والنوعية والكفاءة في تقديم التعليم للجميع في جميع المراحل الرسمية الثلاث، مع تصحيح المؤشر لمراعاة نقطة البداية، في حالة إمكانية الحصول، حيث أظهر هذا المؤشر أن لبنان، والأردن، وجمهورية مصر العربية، وتونس قد أبلت بلاء حسنا بشكل خاص بالمقارنة بالجمهورية اليمنية، والعراق، والمغرب، وجيبوتي، في حين كانت بقية البلدان في وسط هذا المؤشر، ويظهر أن التباين بين البلدان مدفوع بصورة رئيسية بالفروق في معدلات التعليم العالي، وقد تم تحليل كل المؤشرات الأربعة في مؤشر عام، حيث ظهر فرق بين أفضل البلدان أداء (الأردن، والكويت) وأدائها أداء (جيبوتي، والجمهورية اليمنية، والعراق، والمغرب) في عينة الدراسة، في حين أن البلدان المتوسطة الأداء هي تونس، ولبنان، وجمهورية إيران الإسلامية، ومصر، وفلسطين، والجزائر.
- وحسب مؤشرات التعليم في الجمهورية اليمنية فقد شهد التعليم والتدريب في الجمهورية اليمنية تطورا ملموسا، حيث استهدف خارطة التعليم بمختلف مستوياته وأنواعه ومراحله وقد

صاحبه ارتفاع في حجم نفقاته الكلية بعد قيام الوحدة ( التي تمت في العام 1990)، وكون التعليم يمثل أحد أهم العوامل التي تساعد على إحداث التطور الحضاري والتنمية الشاملة للمجتمع، فقد ارتفع الإنفاق من 89.6 مليار ريال في عام 2000 إلى 186.3 مليار ريال في العام 2006، ومثلت نسبة الإنفاق على قطاع التعليم والتدريب ما نسبته حوالي 5.62% من الناتج المحلي الإجمالي للعام 2006، كما شكلت ما نسبته 15.92% من النفقات العامة للدولة، وهذا يدل على أن التعليم شهد في السنوات الأخيرة اهتماما ملحوظا، تمثل في توجيه مزيد من المخصصات المالية إلى هذا القطاع باعتباره يشكل مرتكزا للنهوض بالعملية الاقتصادية والاجتماعية، ولذلك يعتبر استثمارا استراتيجيا للدولة على المدى البعيد، ونتيجة لذلك فقد تحقق انتشار وتنوع وتكامل بين مؤسساته، وظهرت جسور الشراكة في الاستثمار الوطني؛ مما خفف على الحكومة العبء، حيث حدث توسع كبير في مجال الخدمات التعليمية في أغلب مديريات ومحافظات الجمهورية، ولذلك فقد اقتضى الأمر أن ترتفع نفقات التعليم والتدريب بمختلف مراحل ومستوياته<sup>(19)</sup>. ومن هذا المنطلق تحاول الدراسة أن تستعرض تطورات التعليم في اليمن.

وعلى الرغم من التطور الملموس الذي شهده قطاع التعليم والتدريب في الجمهورية اليمنية بمختلف مستوياته وأنواعه ومراحله، فإن ذلك التطور قد صاحبه ارتفاع في حجم النفقات الكلية، وخاصة بعد قيام الوحدة المباركة، وعلى أساس أن توجه الدولة كان نحو إحداث تطور حضاري وتنمية شاملة للمجتمع، ولذلك فقد انخفضت النفقات الجارية للتعليم العام من 17.3% من إجمالي النفقات الجارية للدولة في العام 2004 إلى 13.7% في العام 2006 كما انخفضت تلك النفقات من 87.8% من إجمالي نفقات التعليم العام في العام 2004 إلى 84.9% من إجمالي نفقات التعليم العام في العام 2006، وبحسب ما تشير إليه تلك المؤشرات نجد أن متوسط تكلفة الطالب من النفقات الجارية قد ارتفع من 22351 ريالاً في العام 2004 إلى 26313 ريال في العام 2006 ويرجع ارتفاع تكلفة الطالب إلى الأسباب التالية<sup>(20)</sup>:

■ ارتفاع عدد المعلمين المقيدون في كشوفات المرتبات، بسبب وجود عدد من المعلمين الوهميين، ووجود عدد من المدرسين بدون جداول حصص، فضلا عن وجود عدد من المدرسين لا يؤدون

النصاب القانوني من الحصص الأسبوعية، وكذلك تحويل عدد من المدرسين من الأعمال الميدانية إلى الوظائف الإدارية في ديوان الوزارة أو مكاتبها في المحافظات والمديريات، والزيادة الظاهرية في الأجور والمرتبات في ضوء المميزات النسبية التي اشتمل عليها قانون المعلم، وعدم التفريق بين من يتواجد في حقل التدريس والمتفرغين لأي سبب كان، ويظهر أن تضخم الهياكل الإدارية قد أدى إلى التوسع في أعداد الموظفين والمشرفين والمعاونين وبقية الأعمال المساعدة.

■ لقد أدت كثرة الرسوب إلى إهدار الموارد العامة، حيث بلغ عدد الطلاب الباقين للإعادة 361870 طالباً وطالبة منهم 318026 طالباً وطالبة في التعليم الأساسي، وبلغت التكلفة المالية للإهدار ما يقارب 9.5 مليارات ريال، أي ما يساوي 49.8 مليون دولار في العام 2006.

■ بلغت النفقات الاستثمارية للتعليم العام 7% من إجمالي نفقات الدولة الاستثمارية للعامين 2004، 2006 على التوالي، في حين شكلت النفقات الاستثمارية للتعليم العام نحو 12.2% من إجمالي نفقات التعليم العام في العام 2004، وارتفعت إلى 15.1% من إجمالي نفقات التعليم العام في العام 2006م.

ويعاني التعليم الثانوي في الجمهورية اليمنية من بعض الصعوبات التي من أهمها مشاكل المدارس المختلطة، ومواقع تلك المدارس وبعدها عن أماكن السكن للبنات، وغياب خدمة التعليم الثانوي في المناطق الريفية، ويلاحظ أن تلك المشاكل تتراكم من سنة إلى أخرى، ويعود ذلك إلى غياب البرامج التطويرية للتعليم الثانوي. وعلى الرغم من تعدد تلك المشكلات التي يواجهها التعليم الثانوي فإنه قد انخفض عدد الملحقين من 549363 طالباً وطالبة في العام 2003/2002 إلى 525790 طالباً وطالبة في العام 2006/2005، وهنا يظهر من خلال المؤشرات وجود زيادة في عدد الإناث بلغت ما نسبته 7.6% مقارنة بالذكور الذين بلغت نسبة زيادتهم لهم بالسالب نحو (-9.2%) ولهذا فقد بلغت الزيادة الصافية للإناث حوالي 12189 طالبة، في حين أن الانخفاض للذكور بلغ 35762 طالباً<sup>(21)</sup>.

جدول رقم ( 1 )

الإنفاق على التعليم والصحة والناتج المحلي الإجمالي والاستثمار

بالمليون ريال خلال الفترة 2000-2010

2010	2009	2008	2007	2006	2005	2004	2003	2002	2001	2000	المتغير
6374926	5704956	6072272	5099905	4495179	3646557	2885580	2486732	2150895	1895945	1756999	الناتج المحلي الإجمالي
1807195	1341058	2027789	1460500	1484581	1145185	828354	680827	572712	562079	599902	الإيراد الحكومي الكلي والمنح
75955	45404	38116	38910	186278.0	173262.0	149204.0	134221.0	123926.0	9446.00	88852	الإنفاق الاستثماري على التعليم ( النفقات الرأسمالية)
6084495	5416043	5719958	4792960	4252222	3398335	2707697	2421489	2132679	1895927	1764685	الدخل القومي
2267212	1826142	2227475	1733758	1405078	1169641	867615	755855	571767	501882	502440	إجمالي النفقات على القطاعات العامة
108920	74786	70172	59335	55276	47919	46029	29909	23373	24155	20063	الإنفاق على شئون وخدمات الصحة
1.71	1.31	1.16	1.23	1.31	1.60	1.20	1.20	1.09	1.27	1.14	نسبة الإنفاق على الصحة من الناتج المحلي الإجمالي
3.35	2.49	1.71	2.24	13.26	14.81	17.20	17.76	21.67	1.88	17.68	نسبة الإنفاق على التعليم إلى إجمالي الإنفاق على القطاعات العامة
4.80	4.10	3.15	3.42	3.93	4.10	5.31	3.96	4.09	4.81	3.99	نسبة الإنفاق في الصحة إلى إجمالي الإنفاق على القطاعات العامة
4.20	3.39	1.88	2.66	12.55	15.13	18.01	19.71	21.64	1.68	14.81	الإنفاق الاستثماري على التعليم/ الإيراد الحكومي (%)
1.19	0.80	0.63	0.76	4.14	4.75	5.17	5.40	5.76	0.50	5.06	الإنفاق الاستثماري على التعليم من الناتج المحلي الإجمالي (%)

المصدر: كتاب الإحصاء السنوي للأعوام 2000، 2006، 2007، 2008، 2009، 2010. بالنسبة

إلى النسب فقد تم احتسابها من قبل الباحث.

يتضح من خلال البيانات الواردة في الجدول ( 1 ) أن الناتج المحلي الإجمالي قد ارتفع من 1756999 مليون ريال في العام 2000 إلى 6374926 في العام 2010، وهنا نجد أن الناتج قد تضاعف خلال تلك الفترة بسبب زيادة مكونات الناتج المحلي الإجمالي المتمثلة في الإنفاق الحكومي، والاستثمار الإجمالي والاستهلاك، وكذلك زيادة الصادرات، وخاصة ما يتم تصديره من النفط الخام الذي يمثل المصدر الأول في زيادة الناتج المحلي الإجمالي، وقد ساعد في ذلك الارتفاع العالمي لسعر البرميل الواحد الذي وصل إلى 100\$ تقريباً، كما أن الاستثمار الكلي قد ارتفع من 294963 مليون ريال في العام 2000 إلى 616036 مليون ريال في العام 2006، وتشير البيانات أيضاً إلى أن الإنفاق على التعليم قد انخفض من 88852 مليون ريال في العام 2000 إلى 75955 مليون ريال في العام 2010، ومن خلال تلك البيانات يظهر أن نسبة الإنفاق الاستثماري على التعليم إلى الاستثمار الكلي للفترة (2000- 2010) لا يزال منخفضاً، وقد كان ما بين 1.71% كحد أدنى في العام 2008، و21.27% كحد أعلى في العام 2002، وهنا يظهر أن الأهمية النسبية للإنفاق الاستثماري على التعليم في الجمهورية اليمنية ضعيفة، رغم أن مردوده لا يظهر في المدى القصير، وإنما يكون كبيراً في الأجل الطويل، وخاصة الإنفاق الاستثماري في التعليم الفني والتدريب المهني.

وتواجه تنمية الموارد البشرية في اليمن قيوداً عديدة، أبرزها أن نسبة الأمية بلغت 47% من السكان البالغين، ومحدودية المؤسسات التعليمية والتدريبية، فضلاً عن ارتفاع التسرب في التعليم الأساسي والثانوي وخاصة بين الإناث، والفجوات التعليمية بين الذكور والإناث، وبين الحضر والريف، وتدني مستوى مخرجات التعليم، وانخفاض مؤهلات المدرسين، ونتيجة لذلك يظهر تدني الإنتاج، ومن ثم حجم النشاط الاقتصادي الذي يترتب عليه انخفاض الدخل والاستهلاك والادخار وفرص النمو، وكذلك اتساع ظاهرة الفقر والبطالة، كما تواجه تنمية الموارد البشرية في اليمن تحديات كبيرة<sup>(22)</sup>.

ونظراً إلى أن التحديات كانت جمة فقد سعت الدولة جاهدة نحو التركيز على تطوير جانب التنمية البشرية من خلال الاهتمام بمحو الأمية حيث تراجع معدل الأمية للفئة العمرية (10 سنوات فأكثر) من 56% في عام 1994 إلى 45% في العام 2004، ورغم ذلك فقد بلغ إجمالي

الأميين من الذكور والإناث في العام 1994 نحو 5.3 مليون أمي، وكانت الإناث أكثر عدداً من الذكور حيث كان هناك 3.5 مليون أنثى أمية، وقد زاد عدد الأميين إلى 6.2 مليون أمي، وهنا كان عدد الإناث الأميات نحو 4.2 مليون أمية، وقد اعتبرت هذه المعدلات عالية بالمقاييس الدولية، ويعزى ذلك إلى وجود تباين في توزيع الخدمات التعليمية على مستوى المحافظات والمدريات، فضلاً عن انتشار ظاهري الفقر والتسرب في الأرياف وخاصة لدى الإناث، ووجود أعداد غير كافية من مدارس ومدرسي ومدرسات محو الأمية وتعليم الكبار<sup>(23)</sup>.

كما يعاني نظام التعليم في الجمهورية اليمنية بكافة روافده من عدم تمكنه من تخريج أفواج تتوافق مؤهلاتها مع احتياجات الاقتصاد الوطني وأصحاب العمل (سوق العمل)، فضلاً عن ذلك تدني مؤهلات ومهارات العاملين؛ مما يقلل من رفع الكفاءة والإنتاجية، كما أن الطلب على العمالة يعاني من ترهل القطاع الخاص المنظم، ومن بيئة استثمارية غير قادرة على توليد فرص عمل كافية، كما لوحظ زيادة التسرب في التعليم؛ بسبب تدني مستويات الأجور والرواتب مع تحيز واضح للذكور في معدلات المشاركة، وأن التغطية للتأمينات الاجتماعية غير ملائمة، وشروط عملها غير مواتية.

ولما كان التعليم يمثل طاقة إنتاجية متنوعة ومتجددة تؤدي إلى تعزيز النمو الاقتصادي وزيادة القيمة المضافة وكذلك تحسين مستوى الحياة الإنسانية، فقد أوضحت الدراسات أن 34% من النمو الاقتصادي يرجع إلى المعارف العلمية الجديدة، و16% ينتج عن الاستثمار في رأس المال البشري من خلال التعليم؛ بما يجعل 50% من النمو الاقتصادي يرجع إلى التعليم بمفهومه الشامل<sup>(24)</sup>.

وهناك تحديات متعددة يواجهها التعليم في الجمهورية اليمنية، من أبرزها تفشي ظاهرة الأمية؛ بسبب بقاء نسبة كبيرة من الأطفال في الفئة العمرية (6-14) سنة خارج المدارس، واستمرار ظاهرة التسرب من السنوات الأولى من التعليم، وخاصة بين الإناث، وضعف البرامج والأنشطة الإعلامية والثقافية للتعريف بالأمية وخطورتها، ومحدودية برامج محو الأمية وتعليم



الكبار في المناطق الريفية والنائية؛ نتيجة قلة المراكز والمدرسين وانخفاض أجورهم، وتدني المخصصات المالية لجهاز محو الأمية التي لا تتناسب بأي حال مع حجم المشكلة.

كما يواجه التعليم العام تحديات تؤدي إلى تباطؤ في تطويره؛ نتيجة للتشتت السكاني الذي يحد من إمكانية الوصول إلى كافة التجمعات السكانية، فضلا عن ارتفاع النمو السكاني والهيكل الفتي للسكان الذي يؤدي إلى زيادة الطلب على الخدمات التعليمية، وتزايد أعداد الملتحقين بمعدل يفوق قدرة النظام التعليمي، وكذلك عدم كفاية الموارد المالية لتأمين متطلبات التعليم، من منشآت تعليمية ومكتبات ومختبرات وتطوير مناهج، كما أن نفقات التشغيل والصيانة والترميم تعكس مدى تقادم العديد من المباني المدرسية وعدم صلاحيتها، وعلى الرغم من تنامي دور القطاع الخاص في التعليم العام إلا أن استثماراته لم تبلغ مستوى الشراكة المرجوة<sup>(25)</sup>.

وفيما يتعلق بالتحديات التي يواجهها التعليم الفني والتدريب المهني فإن هناك عدة عوائق تحد من زيادة عدد الملتحقين من أهمها انخفاض الطاقة الاستيعابية للمعاهد المهنية والفنية وكليات المجتمع، وتقليدية البرامج ونمطيتها، وضعف أعداد المدرسين والمدرسين، وعدم تأهيلهم بصورة مستمرة لمواكبة التطورات التقنية والعلمية، وبالطبع فقد انعكس ذلك على تدني مستوى المخرجات وعدم ملاءمتها لاحتياجات التنمية، بالإضافة إلى عدم كفايتها، كما يظهر انخفاض الوعي بأهمية التعليم الفني والتدريب المهني في البناء الاقتصادي والاجتماعي، فضلا عن الدور الذي يمكن للمرأة أن تساهم فيه من خلال هذا النوع من التعليم ومحدودية الروابط بين مؤسسات التعليم الفني والتدريب المهني وقطاعات الإنتاج المختلفة<sup>(26)</sup>.

وهناك تحديات يواجهها التعليم العالي والبحث العلمي تتمثل في غياب كل من الفلسفة الواضحة التي تواكب التجديد المعرفي، وكذلك معايير الاعتماد وضبط الجودة وهيمنة التخصصات النظرية والإنسانية، وتقادم المناهج، وضعف سياسة القبول وعدم اتساقها مع احتياجات سوق العمل، فضلا عن ضعف البحث العلمي الذي يعاني إلى حد الآن من صعوبات، أهمها عدم وجود استراتيجية وطنية للبحث العلمي، وقصور التنظيم المؤسس الذي يربط بين مؤسساته،

ومحدودية البنية التحتية اللازمة لتطوير البحث العلمي، وضعف الكادر البشري العامل في هذا المجال، وأخيرا ضعف علاقته بالمجتمع وضآلة التمويل.

### 3-1 تقدير دالة الإنفاق على قطاع التعليم

تقوم الدراسة بتقدير دالة الإنفاق على قطاع التعليم في اليمن من خلال دراسة أثر بعض المتغيرات المستقلة المتمثلة في متوسط دخل الفرد وعدد السكان والإيرادات الحكومية في الإنفاق على التعليم، عن طريق استخدام برنامج SPSS لحساب المرونات بين الإنفاق على التعليم والمتغيرات المستقلة، وسيكون التقدير للمعادلة بطريقة المربعات الصغرى (OLS) من خلال البيانات الواردة في الجدول (2) كما يلي:

$$TED = F (Pi, POP, T)$$

$$\ln(TED) = \alpha_0 + \alpha_1 \ln(Pi) + \alpha_2 \ln(POP) + \alpha_3 \ln(T) + U_t \quad (4)$$

$R = 0.829$ ,  $R^2 = 0.69$ , Adjusted R Square = 0.63, Durbin-Watson = 2.093,  $F = 12.46$ , P-Value = 000,  $n = 21$

$$\ln(TED) = -71.185 - 2.28 \ln(Pi) + 8.18 \ln(POP) + 0.92 \ln(T) \quad (5)$$

$$t\text{-test} \quad (-2.328) \quad (-1.998) \quad (2.332) \quad (1.272)$$

$$P\text{-Value} \quad (0.033) \quad (0.062) \quad (0.032) \quad (0.220)$$

أظهرت نتائج التحليل القياسي لتقدير دالة الإنفاق على قطاع التعليم أن النموذج ذو دلالة إحصائية، حيث كانت قيمة  $F \text{ test} = 12.46$  عند مستوى معنوية  $\alpha = 0.05$  وذلك لأن قيمة P-Value = 000، كما تبين من خلال النتائج أن قيمة معامل التحديد المعدلة (Adjusted R Square = 0.63) وهذا يبين أن مقدار ما تفسره المتغيرات المستقلة المتمثلة في متوسط دخل الفرد، وعدد

السكان، والإيرادات الحكومية بلغ حوالي 63% للمتغير التابع المتمثل في الإنفاق على التعليم، فضلا عن ذلك تبين من خلال قيمة دارين وتسون ( Durbin-Watson = 2.093 ) أنه لا توجد مشكلة ارتباط ذاتي، ومن هذا المنطلق فإن أثر كلٍ من متوسط دخل الفرد وعدد السكان والإيرادات الحكومية كان على النحو الآتي:

- تبين من خلال نتائج التقدير لأثر متغير متوسط دخل الفرد على الإنفاق على التعليم أنه ليس ذو دلالة إحصائية، حيث إن قيمة  $t\text{-test} = -1.998$  عند مستوى معنوية  $\alpha = 0.05$  لأن قيمة  $P\text{-Value} = 0.062$ ، وهي أكبر من مستوى المعنوية، كما تبين أن العلاقة بين متوسط دخل الفرد والإنفاق على التعليم علاقة عكسية، إلا أنه ليس له تأثير ويعني ذلك أن زيادة متوسط دخل الفرد بنسبة 1% لن يؤثر على الإنفاق على التعليم، ويرجع ذلك إلى أن متوسط دخل الفرد منخفض، حيث ارتفع من 10.83 ألف ريال في العام 1990 إلى 275.33 ألف ريال في العام 2010 في حين أن القوة الشرائية منخفضة جدا والأسعار مرتفعة جدا وتكاليف التعليم عالية؛ الأمر الذي أظهر وجود علاقة عكسية بين الإنفاق على التعليم ومتوسط دخل الفرد، وبهذا نقبل الفرضية العدمية التي تنص على أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغير التابع المتمثل في الإنفاق على التعليم وبين المتغير المستقل (متوسط دخل الفرد)، ويتم قبول الفرضية البديلة، ويعزى ذلك إلى أن القوة الشرائية للريال تنخفض بسبب الارتفاع الكبير في الأسعار وارتفاع معدل التضخم.

- تبين من خلال نتائج التقدير لأثر عدد السكان على الإنفاق على التعليم أنه ذو دلالة إحصائية، حيث إن قيمة  $t\text{-test} = (2.332)$  عند مستوى معنوية  $\alpha = 0.05$  لأن قيمة  $P\text{-Value} = (0.032)$ ، وهي اصغر من مستوى المعنوية، وهذا يعني أن زيادة عدد السكان بنسبة 1% سوف يؤدي إلى زيادة 8.18% في الإنفاق على التعليم، حيث إن العلاقة طردية، وهو يتوافق مع النظرية الاقتصادية، وهذا يعني عدم قبول الفرضية العدمية التي تنص على أنه لا توجد علاقة ذات

دلالة إحصائية بين المتغير التابع المتمثل في الإنفاق على التعليم، وبين المتغير المستقل (عدد السكان) وقبول الفرضية البديلة.

- تبين من خلال نتائج التقدير لأثر الإيرادات الحكومية على الإنفاق على التعليم أنه ليس ذو دلالة إحصائية، حيث إن قيمة  $t\text{-test} = (1.272)$  عند مستوى معنوية  $\alpha = 0.05$  لأن قيمة  $P\text{-Value} = (0.220)$  وهي أكبر من مستوى المعنوية، وهذا يعني أن زيادة الإيرادات الحكومية بنسبة 1% لن يؤثر على الإنفاق على التعليم، وهذا يعني قبول الفرضية العدمية التي تنص على أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغير التابع المتمثل في الإنفاق على التعليم وبين المتغير المستقل (الإيرادات الحكومية)، ويعود ذلك إلى أن نسبة الإيرادات الحكومية إلى الناتج المحلي الإجمالي لا تمثل إلا نسبة ضئيلة جدا، كما أن نسبة الإنفاق على التعليم إلى إجمالي الإنفاق العام منخفضة جدا؛ مما أدى إلى عدم تأثير الإيرادات في الإنفاق على التعليم.

## 2- مشروعات التنمية في الصحة ومحدداتها

1-2 مشروعات التنمية في الصحة: يبدو أن موضوع الصحة يأتي في مستوى متدني في سلم الأولويات بالنسبة إلى الميزانيات والبرامج الخاصة بالتنمية في البلدان العربية، حيث لوحظ أن الصحة العامة تعامل باعتبارها مسألة ثانوية، مقارنة بقضايا أخرى مثل الحاجات الأساسية وإيجاد فرص العمل والنمو الاقتصادي، ونتيجة لذلك تعذر على الهيئات الصحية أن تواجه التحديات القائمة أو المحتملة التي تواجه سكان المنطقة في وقت قلما تبذل فيه الجهود لتقصي الخيارات التي تنطوي على تضافر عدة قطاعات ومصادر تمويلية لدعم مقارنة الصحة وأمن الإنسان<sup>(27)</sup>.

وعلى الرغم من أن عدة بلدان عربية أقامت مراكز إقليمية لاجتذاب المرضى الراغبين في التمتع بخدمات طبية ذات تقنية متقدمة، وما دام الأثرياء في البلدان الغنية وحتى الفقيرة هم القادرون أكثر من غيرهم على اجتياز الحدود الوطنية سعيا وراء الرعاية الصحية، فإن السياحة الطبية تستنزف العملة الصعبة الثمينة (الدولار) من بلدانهم الأصلية، ففي اليمن مثلا ينفق على

العلاج في الخارج نحو 29 في المائة من إجمالي الإنفاق من الأموال الخاصة والعامة، وفي حالة المرض تدفع العائلة اليمنية من حسابها الخاص ما يقارب ريالين من كل ثلاثة ريالات يمنية يتم إنفاقها على الرعاية الصحية، ويفرض ذلك بدوره ضغوطا على الحكومات لإقامة مراكز ذات تقنية متقدمة يتم إنشاؤها في معظم الحالات على حساب الخدمات الصحية الوقائية<sup>(28)</sup>.

وتمثل النفقات الصحية في أكثر البلدان العربية ما يتراوح بين 2.4 في المائة و 6 في المائة من الناتج المحلي الإجمالي، وهذه النسبة أعلى في لبنان والأردن (12 و 10 في المائة على التوالي) وهي الأقل في قطر والصومال (2.4 و 2.6 في المائة على التوالي) ويظهر التفاوت الواضح داخل الإقليم في الإنفاق الفعلي على الصحة، إذ يتراوح بين 25 دولارا و 871 دولارا للفرد، كما تؤثر الترتيبات الحالية لتمويل الرعاية الصحية تأثيرا كبيرا في أمن الإنسان، ويستثنى من ذلك بلدان الخليج العربية.

ترصد غالبية الدول العربية مبالغ لا تذكر نسبيا للقطاع الصحي، حيث تتراوح النفقات الخاصة على الصحة بين 20 و 72 في المائة من النفقات الإجمالية في هذا المجال، ولا تنفق الحكومات إلا القليل على القطاع الصحي، وتعد جيبوتي ولبنان من الحالات الاستثنائية المتميزة، حيث إن نسبة الإنفاق العام على الصحة من النفقات الحكومية الإجمالية، تتجاوز المعدل العالمي، أما من حيث مستويات التمويل المطلقة فإن البلدان المنتجة للنفط تستثمر مبالغ مالية ضخمة<sup>(29)</sup>.

ويظهر من خلال البيانات الواردة في الجدول (1) أن نسبة الإنفاق على الصحة إلى الناتج المحلي الإجمالي في الجمهورية اليمنية خلال الفترة 2000 – 2010 ضعيفة جدا؛ حيث تبين أنها كانت بين 1.09% كحد أدنى في العام 2002، وبين 1.71% كحد أعلى في العام 2010، وهذا يعني تأخرها على سلم الأولويات بالنسبة إلى الميزانيات والبرامج الخاصة بالتنمية في اليمن، حيث لوحظ أن الصحة العامة تعامل باعتبارها مسألة ثانوية، فقد أظهرت البيانات الواردة في الجدول أن نسبة الإنفاق على الصحة من إجمالي الإنفاق على القطاعات العامة خلال الفترة نفسها كانت ما بين 3.15% كحد أدنى في العام 2008 وبين 4.81% كحد أعلى في العام 2001، وهذا يشير إلى أن

هذا القطاع مهمل بشكل كبير؛ الأمر الذي أدى إلى أن مئات المرضى يتجهون إلى الخارج من أجل العلاج، مما يؤدي إلى زيادة في النفقات بالعملة الأجنبية.

وفيما يتعلق بالمشروعات في الخدمات الصحية، فقد بلغ عدد المستشفيات العامة الموزعة في كافة محافظات الجمهورية اليمنية للعام 2009 نحو 55 مستشفى، تركزت في عواصم المدن، في حين أن محافظة ريمة لا يوجد فيها مستشفى عام، وبلغ عدد المستشفيات في المديرية نحو 175 مستشفى لنفس العام، وبلغ عدد المراكز الصحية المتوفرة فيها أسرة في كافة المحافظات 40 مركزاً صحياً، بينما بلغ عدد المراكز الصحية التي بدون أسرة 751 مركزاً صحياً، موزعة على كافة أنحاء المحافظات، مع العلم بأن المراكز الصحية المتوفرة فيها أسرة تركزت في كل من حضرموت، ولحج، ومأرب فقط، بينما بقية المحافظات لا تتوفر فيها مراكز صحية بأسرة، وتشير المصادر الرسمية إلى أن عدد المرافق الصحية بلغ 3908 مرافق، في حين أن عدد المرافق الصحية التي تقدم الخدمات الإنجابية كان 2266 مركزاً صحياً، وعلى الرغم من مساهمة القطاع الخاص في تقديم الخدمات الصحية إلا أنه من خلال المؤشرات الإحصائية يبدو أن تلك الخدمات متركزة في المدن الرئيسية التي يتميز سكانها بدخول مرتفعة، وعليه فقد بلغ عدد المستشفيات الخاصة نحو 166 مستشفى، متواجدة في مختلف محافظات الجمهورية، وبلغ عدد المستوصفات 312 مستوصفاً، ووصل عدد المراكز الطبية 441 مركزاً، في حين بلغ عدد عيادات أطباء العموم 686 عيادة، والعيادات التخصصية بلغت 1121 عيادة، وبلغ عدد عيادات الأسنان 662 عيادة، وكان عدد معامل الأسنان نحو 105 معامل، وعدد المختبرات الطبية 1265 مختبراً، وبلغ عدد عيادات الأشعة 230 عيادة، كما أن عدد الصيدليات 2774 صيدلية، وعدد مخازن الأدوية 2540 مخزناً، وفيما يتعلق بتوفر الكادر البشري في مجال الخدمات الصحية فقد كان عدد الأطباء الأخصائيين قليلاً جداً في العام 2009 حيث بلغ عددهم في اليمن 1631 استشارياً، بينما عدد أطباء العموم 4811 طبيباً، وعدد متخصصي المختبرات 1067 متخصص مختبرات، وعدد الصيادلة 945 صيدلياً، وبلغ عدد أطباء الأسنان 587 طبيب أسنان، وبلغ عدد خريجي التمريض الجامعي 430، وفيما يتعلق بالصحة النفسية فقد كان عدد المتخصصين محدوداً حيث بلغ عددهم في العام

2009 حوالي 41 متخصصاً، وأما المتخصصون في الصحة العامة فقد بلغ عددهم 226، وفيما يتعلق بعدد المتخصصين في الأشعة فقد وصل عددهم إلى 66، وعدد المتخصصين في التغذية 19 متخصصاً، وفي التخدير 127، وفي جانب الأطراف الصناعية لا يوجد متخصص في هذا المجال، وبلغ عدد المتخصصين في العلاج الطبيعي 18، وفي طب المجتمع 24 متخصصاً وفي مجال الفيزياء 24 متخصصاً، وبلغ عدد الذين هم غير متخصصين 21 فرداً، وعليه فإن المصادر الرسمية تشير إلى أن إجمالي العدد لكافة التخصصات حوالي 10015، وهذا العدد يمثل نسبة ضئيلة بالنسبة إلى عدد السكان الذي بلغ 22.492 مليون نسمة في العام 2009م<sup>(30)</sup>.

مما سبق يتضح أن اليمن تعاني من فقر كبير في مجال الصحة، وقد أشار تقرير التنمية البشرية إلى أن الدول العربية الأكثر فقراً، مثل السودان والصومال واليمن يقل فيها عدد الأطباء عن خمسين طبيباً لكل مائة ألف من السكان، وهناك دول تتمتع بأعداد مقبولة نسبياً من الأطباء بالنسبة إلى عدد السكان، مع أن غالبية الأطباء العاملين في بلدان الخليج هم من العمالة الوافدة. ومع ذلك، فإن الأطباء لا يتوزعون توزيعاً منصفاً في بلدانهم الأصلية، حيث يتمركز معظمهم في المناطق الحضرية. وثمة نقص شديد في أعداد العاملين في مجال الصحة العامة، وفي أعداد أطباء الأسنان والممرضين والمعاونين الطبيين، الذين لا يتوزعون توزعاً منصفاً على الإطلاق بين المناطق الحضرية والريفية، وبين المستشفيات والمراكز الأساسية. وتعاني المنطقة العربية من ارتفاع معدلات (هجرة الأدمغة)، وبخاصة في أوساط المهنيين في المجال الصحي، سواء من بلدان الدخل المنخفض أم المتوسط إلى البلدان العربية المرتفعة الدخل أو إلى دول أمريكا الشمالية وأوروبا<sup>(31)</sup>.

2-2 محددات مشروعات التنمية في الصحة: تعاني نظم الصحة في البلدان العربية أحياناً من ضعف القدرات في مجال الصحة العامة، وثمة خصائص عدة تدل على هذه الظاهرة، مثل الأداء المتدني للعديد من مؤسسات الصحة العامة، وعدم صلاحية البنية الحالية لنشر الوعي العام حول شؤون الصحة، وندرة المهنيين في مجال الصحة العامة، وإيلاء الصحة العامة القليل من الأهمية في عملية صنع القرار، وينعكس هذا الوضع، بدوره، على الانطباعات والمدرجات الشعبية

السلبية التي تشكّلت بين الناس عن أداء قطاع الصحة العامة. ونظرًا إلى نواحي القصور هذه، يصبح القطاع الصحيّ غير مهياً بما فيه الكفاية لأداء المهمات المطلوبة لضمان الأمن الصحي العام<sup>(32)</sup>.

كما تعاني الإدارة في مؤسسات النظم الصحيّة العربية من بيروقراطية هرمية قاصرة، ذات أهداف سياسية، غالبًا ما تتعارض مع النهوض بالصحة العامة. فكبار المسؤولين أصحاب النفوذ والمصالح خارج المستشفيات والعيادات يمارسون نفوذهم في داخلها أيضا. وغالبًا ما تتحكم في إدارة هذه المؤسسات توجهات ومعايير ونظم بالية، قليلة المعرفة، وأحيانًا بلا قيمة. أما الحوافز في هذه النظم فتعمل عكس المطلوب؛ ما يؤدي إلى كبح الابتكار والمبادرة والارتقاء بمستوى الكفاءة. يضاف إلى ذلك أن التسلسل الهرمي للرقابة قد لا يسمح للمؤسسات الصحية بالتكيف والتجاوب مع المشاركة الشعبية والتمكين الضروري لتحقيق أهداف أمن الإنسان. كما أن النظم الصحية العربية الراهنة لا تؤكد بدرجة كافية المحددات الصحية المهمة وغير المباشرة المتعارف عليها في أوساط المعنيين بالتنمية الإنسانية، مثل الجودة النوعية ودرجة التغطية في مجالات التعليم، وتمكين المرأة، والعدالة الاجتماعية والاقتصادية. وهي غير مهياة ذهنيًا، للتعامل مع العوامل الرئيسية التي تؤثر تأثيرًا واضحًا في أمن الإنسان، مثل الجنس، والطبقة الاجتماعية، والهوية والاعتبارات الاستثنائية<sup>(33)</sup>.

وفي اليمن نجد أن الإنفاق على قطاع الصحة يعاني من انخفاض كبير، حيث مثلت نسبة الإنفاق على الصحة من الناتج المحلي الإجمالي نحو 1.14% في العام 2000، مقارنة بحوالي 1.2% في إثيوبيا، و 3.6% في الأردن، و 6.6% في السويد<sup>(34)</sup>. كما يظهر من الجدول رقم ( 1 ) أن نسبة الإنفاق على قطاع الصحة من إجمالي الإنفاق العام في اليمن كانت حوالي 3.15% كحد أدنى في العام 2008، و 4.80% كحد أعلى في العام 2010. ونظرًا إلى أن تمويل الخدمات الصحية في اليمن يتجه في المقام الأول نحو الرعاية الصحية الأولية، ومحاربة الأمراض المتوطنة، وتوفير الخدمات الوقائية إلا أن تلك الخدمات تعاني من محدودية التغطية والقصور وعدم الكفاءة، كما أن انخفاض نسبة الإنفاق على القطاع الصحي من الناتج المحلي الإجمالي تعتبر من أدنى النسب عالمياً



ومن ثم هناك قصور في تلبية احتياجات الوضع الصحي في اليمن، كما أن زيادة الإنفاق الصحي يعد أمراً بالغ الأهمية نتيجة ارتفاع المخاطر الصحية.

### 3-2 تقدير دالة الإنفاق على القطاع الصحي

تقوم الدراسة بتقدير دالة الإنفاق على قطاع الصحة في اليمن، من خلال دراسة أثر بعض المتغيرات المستقلة المتمثلة في متوسط دخل الفرد، وعدد السكان والإيرادات الحكومية في الإنفاق على الصحة عن طريق استخدام برنامج SPSS لحساب المرونات بين الإنفاق على الصحة والمتغيرات المستقلة، وسيكون التقدير للمعادلة بطريقة المربعات الصغرى (OLS) من خلال البيانات الواردة في الجدول (2) كما يلي:

$$TEH = F (Pi, POP, T)$$

$$\ln(TEH) = \alpha_0 + \alpha_1 \ln(Pi) + \alpha_2 \ln(POP) + \alpha_3 \ln(T) + U_t \quad (6)$$

$R = 0.99, R^2 = 0.99, \text{ Adjusted R Square} = 0.99, \text{ Durbin-Watson} = 1.68, F = 439.54, P\text{-Value} = 0.000, n = 21$

$$\ln(TEH) = -0.825 + 0.972 \ln(Pi) + 0.494 \ln(POP) + 0.119 \ln(T) \quad (7)$$

$$t\text{-test} \quad (-0.107) \quad (3.376) \quad (0.557) \quad (0.651)$$

$$P\text{-Value} \quad (0.916) \quad (0.004) \quad (0.585) \quad (0.524)$$

أظهرت نتائج التحليل القياسي لتقدير دالة الإنفاق على قطاع الصحة أن النموذج ذو دلالة

إحصائية، حيث كانت قيمة  $F \text{ test} = 439.54$  عند مستوى معنوية  $\alpha = 0.05$  وذلك لأن قيمة  $P$ -

$\text{Value} = 0.000$ ، كما تبين من خلال النتائج أن قيمة معامل التحديد المعدلة ( $\text{Adjusted R Square} =$

$0.99$ ) وهذا يبين أن مقدار ما تفسره المتغيرات المستقلة المتمثلة في متوسط دخل الفرد، وعدد

السكان، والإيرادات الحكومية حوالي 99% للمتغير التابع، المتمثل في الإنفاق على الصحة، كما

تبين من خلال قيمة داربن وتسون ( $\text{Durbin-Watson} = 1.68$ ) أنه لا توجد مشكلة ارتباط ذاتي،

ومن هذا المنطلق فإن أثر كلٍ من متوسط دخل الفرد وعدد السكان والإيرادات الحكومية كان على النحو الآتي:

- تبين من خلال نتائج التقدير لأثر متغير متوسط دخل الفرد في الإنفاق على الصحة أنه ذو دلالة إحصائية حيث إن قيمة  $t\text{-test} = 3.376$  عند مستوى معنوية  $\alpha = 0.05$  لأن قيمة  $P\text{-Value} = 0.004$ ، وهي أصغر من مستوى المعنوية، كما تبين أن العلاقة بين متوسط دخل الفرد والإنفاق على الصحة علاقة طردية، ولها تأثير، ويعني ذلك أن زيادة متوسط دخل الفرد بنسبة 1% سوف يؤدي إلى زيادة الإنفاق على الصحة بنسبة 0.972%، وهذا يعني أن الصحة هي أعلى ما يملكه الإنسان؛ لذلك عندما يزداد الدخل فإن كل فرد سيتجه إلى أفضل خدمة صحية، كما أن زيادة الدخل تؤدي إلى تغير نمط حياة الأفراد وزيادة الاهتمام بالصحة التي تعتبر أعلى ما يملك الفرد، ومن ثم القضاء على الأمراض، وبهذا نرفض الفرضية العدمية التي تنص على أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغير التابع المتمثل في الإنفاق على الصحة وبين المتغير المستقل (متوسط دخل الفرد)، ويتم قبول الفرضية البديلة.

- تبين من خلال نتائج التقدير لأثر عدد السكان في الإنفاق على الصحة أنه ليس ذو دلالة إحصائية حيث إن قيمة  $t\text{-test} = (0.557)$  عند مستوى معنوية  $\alpha = 0.05$  لأن قيمة  $P\text{-Value} = (0.585)$ ، وهي أكبر من مستوى المعنوية، وهذا يعني أن زيادة عدد السكان بنسبة 1% لن يؤثر في الإنفاق على الصحة، على الرغم من أن العلاقة طردية، وهذا يرجع إلى أن نسبة الإنفاق على الصحة لا تتجاوز 6% من الإنفاق العام، كما أنه لا يتجاوز 3% من الناتج المحلي الإجمالي، كما أن نسبة الإنفاق من إجمالي النفقات ضئيلة جداً حيث كانت في المتوسط حوالي (4.14%) خلال الفترة 1990 - 2010 وهذا يعني قبول الفرضية العدمية التي تنص على أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغير التابع المتمثل في الإنفاق على الصحة وبين المتغير المستقل المتمثل في عدد السكان.

- تبين من خلال نتائج التقدير لأثر الإيرادات الحكومية في الإنفاق على الصحة أنه ليس ذا دلالة إحصائية حيث إن قيمة  $t\text{-test} = (0.651)$  عند مستوى معنوية  $\alpha = 0.05$  لأن قيمة  $P\text{-Value} = (0.524)$  وهي أكبر من مستوى المعنوية، وهذا يعني أن زيادة الإيرادات الحكومية بنسبة 1% لن يؤثر في الإنفاق على الصحة، ويعود ذلك إلى أن نسبة الإيرادات الحكومية إلى الناتج المحلي الإجمالي لا تمثل إلا نسبة ضئيلة جداً، كما أن نسبة الإنفاق على الصحة أيضاً إلى إجمالي الإنفاق العام منخفضة جداً؛ مما أدى إلى عدم تأثير الإيرادات في الإنفاق على الصحة، وهذا يعني قبول الفرضية العدمية التي تنص على أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغير التابع المتمثل في الإنفاق على الصحة وبين المتغير المستقل (الإيرادات الحكومية).

### 3- مشروعات التنمية في قطاع الدفاع والأمن ومحدداتها

1-3 مشروعات التنمية في الدفاع والأمن: تتكون القوات المسلحة اليمنية النظامية من أربعة أقسام رئيسية، هي: القوات البرية، والقوات الجوية والدفاع الجوي، والقوات البحرية والدفاع الساحلي، قوات حرس الحدود وقوات الاحتياط الاستراتيجي التي تضم العمليات الخاصة والحماية الرئاسية وألوية الصواريخ. تأسس الجيش النظامي للمملكة المتوكلية في 1919، وبدأ تأسيس الجيش الجمهوري في الجمهورية العربية اليمنية عام 1962 وذلك بقيام ثورة 26 سبتمبر، أما في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فقد تأسس الجيش الاتحادي في 1959 قبل قيام ثورة 14 أكتوبر والاستقلال بعدة سنوات، وقد تعثر دمج الجيشين فعلياً بعد قيام الوحدة اليمنية 1990 لأسباب سياسية، وبعد حرب صيف 1994 الأهلية، توحد المواليون للوحدة ضد المواليين للانفصال ولم يعد هناك جيشان بعد ذلك<sup>(35)</sup>.

تتوزع قوات الجيش على سبع مناطق عسكرية، وتتبع غالبية الجيش وزارة الدفاع، وبعضها تتبع رئاسة الجمهورية مباشرة، ويبلغ عدد القوات اليمنية مجتمعة حوالي 86,700 جندي. ويبلغ تعداد القوات البرية حوالي 80,000 مقاتل في 7 مناطق عسكرية وفي الاحتياط الاستراتيجي، ويتوزعون على 30 لواء مشاة، و 11 لواء مشاة ميكانيكاً و 14 لواء مدرعاً، أما قوة الصواريخ

والمدفعية فتتوزع في 6 ألوية، وتمتلك القوات الجوية والدفاع الجوي 6 قواعد عسكرية جوية، وحوالي 3,000 مجند، يتوزعون على ثمانية ألوية طيران، و10 ألوية دفاع جوي، ولواء شرطة جوية، ولواء رادار، ويقدر تعداد القوات البحرية بحوالي 1,700 مجند موزعين على 3 قواعد بحرية ولوائين بحريين<sup>(36)</sup>.

الانضمام للجيش اليمني تطوعي ولا يوجد تجنيد إلزامي، ويفرض على المتطوعين سنتان في الخدمة العسكرية، وتشكل ميزانية القطاع العسكري حوالي 2.9% من الناتج الإجمالي المحلي وقد صنّف الفساد في الجيش اليمني بدرجة "مخاطر فساد حرجة" إلى جانب جيوش: الجزائر، ومصر، وليبيا، وسوريا، وهي أسوأ درجة تقييم في تقرير "مؤشر مكافحة الحكومات والجيش للفساد لعام 2013" الذي أعدته منظمة الشفافية الدولية<sup>(37)</sup>.

في 2 يناير 1983 تم تشكيل "الفرقة المدرعة الأولى" بوصفها أعلى تشكيل عسكري في القوات المسلحة اليمنية، وتتكون من "اللواء الأول مدرع" و"اللواء الثاني مدرع" و"اللواء الثالث مدرع" و"اللواء الرابع ميكانيك" وتم الاعتماد على عدد من الوحدات العسكرية، منها الفرقة الأولى مدرع والتي ظلت حتى 2012، باعتبارها أحد أهم المعسكرات، وبعد ذلك تم التوجه لبناء وتطوير وحدة عسكرية أخرى هي قوات الحرس الجمهوري التي تعتبر ذات أهمية كبيرة، وجرى توسيع وتطوير تلك القوات حتى أصبحت جيشاً قائماً بذاته؛ لتشمل كافة مناطق اليمن، وأنشئت وحدات جديدة تابعة لها أطلق عليها الحرس الخاص، والقوات الخاصة (التي حظيت بدعم أميركي مباشر وقوي)، وجمعت كلها تحت قيادة واحدة، وتم إنشاء وحدات عسكرية جديدة أهمها: اللواء الثامن صاعقة، الدفاع الجوي، الدفاع الساحلي، واتسعت ألوية المشاة على النحو التالي<sup>(38)</sup>.

1. الفرقة الأولى مدرع.

2. القوات الجوية.

3. الدفاع الجوي.

4. اللواء الثالث مشاة مدعم في قاعدة العند.

5. اللواء 130 مشاة مدعم.

6. معسكر خالد، وفيه اللواء الثاني مدرع (33 مدرع حالياً).

7. اللواء الثامن صاعقة.

8. اللواء 56 المقدم، بقيادة.

9. اللواء 1 مشاة جبلي.

10. قوات الأمن المركزي اليمني، وهي قوة ضاربة تأسست في ثمانينات القرن الماضي، وتشكل

من أكثر من عشرة ألوية تتمتع باستقلالية كاملة عن وزارة الداخلية.

2-3 محددات التنمية في قطاع الدفاع والأمن: تتمثل أهم محددات التنمية في الدفاع

والأمن في أنهما كانا يسيران في اتجاهات مشوهة بسبب أن البناء للدفاع والأمن كان للواء

الشخصي لكبار القادة، وليس من أجل الوطن؛ الأمر الذي أدى إلى خلق تباينات كبيرة بين القادة،

مما أدى إلى ظهور الاختلالات الكبيرة في هيكله الجيش والأمن؛ الأمر الذي أدى إلى هشاشة البناء

وضعف كبير في الجانب الأمني، وهذا ظاهر بشكل كبير في واقع الأمن والدفاع، وأصبح

في اليمن عدة جيوش برية في دولة واحدة، أهمها جيش "قوات الحرس الجمهوري والقوات

الخاصة"، وجيش "الفرقة الأولى مدرع" وجيش الدولة المتمثل في القوات البرية التي تتبع وزارة

الدفاع ولا تتمتع بتلك الامتيازات كالفرقة والحرس. كان للفرقة والحرس ألوية

مدرعة ومشاة ومدفعية وصواريخ ودفاع جوي، مع تساوي المهام إلا أن هناك مفارقات بين الجندي

الذي ينتمي إلى الحرس والجندي الذي ينتمي إلى الفرقة، فكان الزي العسكري للحرس مختلفاً عن

الزي الذي يرتديه أفراد القوات البرية وأفراد الفرقة، ويتمتع جندي الحرس بمعاش يزيد عن

معاش جندي القوات البرية أو الفرقة، ويحظى جندي الحرس بتدريبات ودورات أكثر عن غيره،

وقد أدت هذه التفرقة مع الأيام إلى وجود حالة من العداء، كانت أهم أسباب التأييد.

### 3-3 تقدير دالة الإنفاق على قطاع الدفاع والأمن

تقوم الدراسة بتقدير دالة الإنفاق على قطاع الدفاع والأمن في اليمن من خلال دراسة أثر بعض المتغيرات المستقلة المتمثلة في متوسط دخل الفرد وعدد السكان والإيرادات الحكومية في الإنفاق على الدفاع والأمن، عن طريق استخدام برنامج SPSS لحساب المرونات بين الإنفاق على الدفاع والأمن والمتغيرات المستقلة، وسيكون التقدير للمعادلة بطريقة المربعات الصغرى (OLS) من خلال البيانات الواردة في الجدول ( 2 ) كما يلي:

$$TPSDS = F (Pi , POP , T)$$

$$\ln(TPSDS) = \alpha_0 + \alpha_1 \ln(Pi) + \alpha_2 \ln(POP) + \alpha_3 \ln(T) + U_t \quad (8)$$

$R = 0.98, R^2 = 0.95, \text{Adjusted R Square} = 0.95, \text{Durbin-Watson} = 1.31, F = 118.84, P\text{-Value} = 0.000, n = 21$

$$\ln(TPSDS) = 0.927 + 1.032 \ln(Pi) + 0.854 \ln(POP) - 0.173 \ln(T) \quad (9)$$

$$t\text{-test} \quad (0.079) \quad (2.366) \quad (0.637) \quad (-0.627)$$

$$P\text{-Value} \quad (0.938) \quad (0.030) \quad (0.533) \quad (0.539)$$

أظهرت نتائج التحليل القياسي لتقدير دالة الإنفاق على قطاع الدفاع والأمن أن النموذج ذو دلالة إحصائية حيث كانت قيمة  $F \text{ test} = 118.84$  عند مستوى معنوية  $\alpha = 0.05$  وذلك لأن قيمة  $P\text{-Value} = 0.000$ ، كما تبين من خلال النتائج أن قيمة معامل التحديد المعدلة (Adjusted R Square = 0.95) وهذا يبين أن مقدار ما تفسره المتغيرات المستقلة المتمثلة في متوسط دخل الفرد، وعدد السكان، والإيرادات الحكومية حوالي 95% للمتغير التابع المتمثل في الإنفاق على الدفاع والأمن، كما تبين من خلال قيمة داربن وتسون ( $\text{Durbin-Watson} = 1.31$ ) بأنه لا توجد مشكلة ارتباط ذاتي، ومن هذا المنطلق فإن أثر كلٍ من متوسط دخل الفرد وعدد السكان والإيرادات الحكومية كان على النحو الآتي:

- تبين من خلال نتائج التقدير لأثر متغير متوسط دخل الفرد في الإنفاق على الدفاع والأمن أنه ذو دلالة إحصائية حيث إن قيمة  $t\text{-test} = 2.366$  عند مستوى معنوية  $\alpha = 0.05$  لأن قيمة  $P\text{-Value} = 0.030$ ، وهي أصغر من مستوى المعنوية، كما تبين أن العلاقة بين متوسط دخل الفرد والإنفاق على الدفاع والأمن علاقة طردية وله تأثير، ويعني ذلك أن زيادة متوسط دخل الفرد بنسبة 1% سوف يؤدي إلى زيادة الإنفاق على الدفاع والأمن بنسبة 1.032 %، وبهذا نرفض الفرضية العدمية التي تنص على أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغير التابع المتمثل في الإنفاق على الدفاع والأمن وبين المتغير المستقل (متوسط دخل الفرد)، ويتم قبول الفرضية البديلة، ويعزى ذلك إلى أنه بزيادة الثروات والدخول يزداد حرص الأفراد على تأمين ثرواتهم من خلال زيادة توظيف ما يسمى بالأمن والسلامة في العديد من المؤسسات، وأيضا حرص الدولة على خلق حالة من الأمان والاستقرار، وقد بلغ متوسط نسبة الإنفاق على الدفاع والأمن ما نسبته 27.21% خلال الفترة 1990-2010.

- تبين من خلال نتائج التقدير لأثر عدد السكان في الإنفاق على الدفاع والأمن أنه ذو دلالة إحصائية، حيث إن قيمة  $t\text{-test} = (0.637)$  عند مستوى معنوية  $\alpha = 0.05$  لأن قيمة  $P\text{-Value} = (0.533)$ ، وهي أكبر من مستوى المعنوية، وهذا يعني أن زيادة عدد السكان بنسبة 1% لن يؤثر في الإنفاق على الدفاع والأمن، ورغم أن العلاقة طردية إلا أنه يعني قبول الفرضية العدمية التي تنص على أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغير التابع المتمثل في الإنفاق على الدفاع والأمن وبين المتغير المستقل (عدد السكان)، ويعود ذلك إلى أن الحياة السائدة في المجتمع حياة قبلية لا تزال العادات والتقاليد القبلية هي الأكثر سيطرة، كما أن الأحكام العرفية القبلية أكثر هيمنة من القضاء اليميني.

- تبين من خلال نتائج التقدير لأثر الإيرادات الحكومية في الإنفاق على الدفاع والأمن أنه ليس ذو دلالة إحصائية، حيث إن قيمة  $t\text{-test} = (-0.627)$  عند مستوى معنوية  $\alpha = 0.05$  لأن قيمة  $P\text{-Value} = (0.539)$  وهي أكبر من مستوى المعنوية، وهذا يعني أن زيادة الإيرادات الحكومية

بنسبة 1% لن يؤثر في الإنفاق على الدفاع والأمن، وهذا يعني قبول الفرضية العدمية التي تنص على أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغير التابع المتمثل في الإنفاق على الدفاع والأمن وبين المتغير المستقل (الإيرادات الحكومية)، ويرجع ذلك إلى الأسباب التي تم ذكرها سابقا.

## جدول (2)

### المتغيرات المستخدمة في تقدير الدوال للفترة من 1990 - 2010

بالمليون ريال، عدد السكان بالألف نسمة، متوسط دخل الفرد بالألف ريال

متوسط دخل الفرد	الإيرادات الحكومية	عدد السكان	إجمالي الإنفاق العام	% الإنفاق على الدفاع والأمن من الإنفاق العام	الإنفاق على الدفاع والأمن	% الإنفاق على الصحة من إجمالي الإنفاق العام	الإنفاق على الصحة	% الإنفاق على التعليم من إجمالي الإنفاق العام	الإنفاق على التعليم	السنة
10.83	26012	11684	35967	37.49	13485	4.01	1443	17.07	6138	1990
13.00	37999	11610	44070	38.97	17172	4.82	2125	19.31	8512	1991
16.07	34170	11950	57043	38.58	22010	4.36	2486	18.74	10689	1992
19.38	38124	12300	68986	37.15	25625	4.77	3292	19.71	13594	1993
21.00	42857	14588	87120	43.23	37665	3.62	3151	19.22	16743	1994
33.54	93314	15369	119902	39.00	46765	3.77	4515	19.20	23023	1995
46.66	232225	15916	232754	25.54	59455	3.93	9149	16.00	37248	1996
54.39	299752	16489	307568	23.76	73073	3.26	10023	14.99	46110	1997
50.25	244570	17079	301431	24.15	72794	4.61	13904	18.82	56739	1998
65.75	360791	17687	342932	27.03	92710	4.20	14417	19.62	67293	1999



96.22	599902	18261	502440	22.47	112882	3.99	20063	17.68	88852	2000
100.51	562079	18863	501882	23.13	116087	4.81	24155	1.88	9446	2001
110.33	572712	19495	571767	30.01	171581	4.09	23373	21.67	123926	2002
123.36	680827	20158	755855	25.44	192323	3.96	29909	17.76	134221	2003
138.53	828354	20830	867615	23.43	203297	5.31	46029	17.20	149204	2004
169.58	1145185	21504	1169641	19.80	231571	4.10	47919	14.81	173262	2005
202.94	1484581	22150	1405078	20.95	294330	3.93	55276	13.26	186278	2006
240.46	1460500	21209	1733758	22.43	388946	3.42	59335	2.24	38910	2007
277.98	2027789	21844	2227475	19.29	429587	3.15	70172	1.71	38116	2008
253.64	1341058	22492	1826142	22.89	417990	4.10	74786	2.49	45404	2009
275.33	1807195	23154	2267212	6.73	152514	4.80	108920	3.35	75955	2010

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء، كتاب الإحصاء السنوي للأعوام 1990، 1995، 1998، 2000، 2006، 2010.

#### 4- مضامين السياسات المترتبة على النتائج

لكي يتم اقتراح مضامين السياسات اللازمة لمعالجة تلك المشكلة فإن الدراسة سوف تستعرض

أهم النتائج التي تم التوصل إليها وتتمثل فيما يلي:

- تبين من خلال الدراسة أن قطاع التعليم في المناطق الجغرافية غير مغطى بالكوادر المتخصصة في المواد العلمية، كما يعاني من تشتت جغرافي كبير في عدد المدارس.

- يظهر أن الفرص الاجتماعية في الجمهورية اليمنية في قطاعي التعليم والصحة تعاني من العديد من التحديات والصعوبات، ويعود الأمر في ذلك إلى أن اليمن من البلدان النامية التي

يشكل فيما الإنفاق على هذين القطاعين نسبة ضئيلة من الناتج المحلي الإجمالي، ونسبة ضئيلة من الإنفاق العام، فضلاً عن أن العديد من المناطق اليمينية يعاني من سوء في التوزيع وفي تقديم الخدمات في قطاع التعليم وفي قطاع الصحة.

- أظهرت الدراسة أن مشروعات التنمية للفرص الاجتماعية في قطاعي التعليم والصحة ليست موزعة توزيعاً يحقق نوعاً ما من عدالة التنمية في تقديم تلك الخدمات.
- تبين من خلال الدراسة أن هناك العديد من المحددات والصعوبات التي تواجهها المشروعات في قطاعي التعليم والصحة.
- أظهرت الدراسة أن التعليم الجامعي في اليمن يعاني من زيادة في التكاليف المهذرة حيث تصل في العام الواحد إلى 19.9 مليون دولار.
- تبين من خلال الدراسة أن أعداد المعاهد الفنية والمهنية لا تزال محدودة مقارنة بعدد السكان.
- تعاني اليمن من قلة عدد الكوادر في مجال الصحة، حيث بلغ إجمالي الكوادر في كافة التخصصات 10015 متخصصاً، وهذا العدد يمثل نسبة ضئيلة بالنسبة إلى عدد السكان الذي بلغ حوالي 22.492 مليون نسمة.
- تفتقر الخدمات المقدمة في مجال الصحة إلى الخدمات النوعية، وقلة عدد المستشفيات، حيث بلغت نحو 230 مستشفى في كافة أنحاء الجمهورية، مع العلم بأن هناك محافظات لايتوفر فيها مستشفى إلى اليوم، كما أن عدد تلك المستشفيات محدود بالنسبة إلى عدد السكان.
- تبين من خلال تقدير دالة الإنفاق على التعليم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق على التعليم وعدد السكان، بينما العلاقة بين الإنفاق على التعليم وبين كل من متوسط دخل الفرد، والإيرادات الحكومية ليست ذات دلالة إحصائية.

- اتضح من خلال تقدير دالة الإنفاق على الصحة وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق على الصحة ومتوسط دخل الفرد، بينما العلاقة بين الإنفاق على الصحة وكل من عدد السكان والإيرادات الحكومية ليست ذات دلالة إحصائية.

- أظهرت نتائج تقدير دالة الإنفاق على الدفاع والأمن وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق على الدفاع والأمن ومتوسط دخل الفرد، بينما العلاقة بين الإنفاق على الدفاع والأمن وكل من عدد السكان، والإيرادات الحكومية ليست ذات دلالة إحصائية.

وبعد استعراض تلك النتائج فإن مضامين السياسات المترتبة على تلك النتائج ستكون على النحو الآتي: بسبب ارتفاع معدل النمو السكاني في الجمهورية اليمنية فقد زاد عدد الملتحقين في مرحلة التعليم الأساسية، و تطلب الأمر التوسع في بناء المدارس الخاصة بالإناث والمنشآت التعليمية بشكل عام، ولردم فجوة الالتحاق بين الذكور والإناث بشكل خاص، حيث إن عدد الإناث الأميات بلغ نحو 4.2 مليون أمية، ولذا يجب على الدولة أن تتوجه نحو تنوع مصادر الدعم، من خلال التوسع في المنشآت التعليمية وتشجيع الفتيات، واختيار المواقع الملائمة من خلال:

- تعدد مصادر الدعم لتعليم الفتاة عبر البرامج المتعددة، خاصة في المناطق الريفية، بالإضافة إلى برامج توزيع المواد الغذائية، عبر برنامج الغذاء العالمي؛ بهدف تشجيع الأسر على إرسال الفتيات إلى المدارس، وأيضا مشاريع توزيع الحقائق المدرسية المدعومة من منظمة اليونيسف.

- زيادة أعداد الغرف الدراسية الخاصة بالفتيات المزودة بكافة المتطلبات، ولاسيما المرافق الصحية.

- زيادة أعداد المعلمات في المناطق الريفية عبر التعاقد مع معلمات من محافظات أخرى.

- إعفاء الفتيات من الرسوم الدراسية حتى الصف السادس من مرحلة التعليم الأساسي هو الذي بدأ تطبيقه في سبتمبر 2006.

- اختيار مواقع ملائمة للمباني المدرسية للفتيات بالقرب من مواقع سكنهن.
- كما يجب تركيز السياسات والإجراءات على تحسين أحوال الأسر الفقيرة؛ بهدف الحصول على الحد الأدنى من الدخل والغذاء، وأيضاً الحصول على الخدمات الاجتماعية الأساسية، عن طريق تخصيص الموارد نحو تحقيق العديد من الأهداف، التي من أبرزها:
- نشر الوعي بالقضايا السكانية على مستوى التجمعات السكانية والأفراد.
- توفير فرص التعليم للجميع، وخاصة للفتيات في الريف.
- تتبّع مسببات الأمية، والحد من روافدها، وتعزيز برنامج مكافحة الأمية وتعليم الكبار.
- تحسين خدمات الرعاية الصحية الأولية، وخاصة للأمهات والأطفال، ومكافحة الأمراض المعدية.
- تعزيز مكانة المرأة ودورها في النشاط الاقتصادي والسياسي.
- توفير خدمات البنية التحتية الأساسية في الريف لكسر عزلة المناطق النائية.
- ومن السياسات المهمة التي يجب على الدولة أن تتبعها ما يلي:
- ضرورة التوسع والتنوع في خطة التنمية وتشجيع احتياجاتها من القوى العاملة لاستيعاب المزيد من الخريجين.
- دراسة حجم العمالة وخريطة توزيعها في مجال الصحة، وفي مجال التعليم حسب التخصصات المختلفة؛ لاستيعاب خريجي الجامعات والمعاهد الفنية في المجال الصحي وفي مجال التعليم، لاسيما أن اليمن تفتقر إلى الكوادر.
- ومن ضمن السياسات التي يمكن اتباعها من أجل تطوير التعليم والصحة:
- ينبغي أن تزداد نسبة الإنفاق على التعليم من خلال زيادة الموازنة الخاصة بالتعليم، وتوجيه المساعدات والمنح لتطوير هذا القطاع، واتخاذ سياسات رقابية قوية لضبط الكشوفات الوهمية لأسماء المدرسين.
- من الضروري العمل على حل مشكلة التشتت الجغرافي للمدارس الناتج عن التشتت السكاني.

- يتوجب على صانعي القرار أن يتخذوا سياسات داعمة للقطاع الصحي في جانب الإنفاق؛ من أجل زيادة عدد الكوادر في كافة التخصصات؛ كون اليمن تفتقر إلى ذلك.
- ينبغي السعي نحو زيادة عدد المستشفيات في الجمهورية اليمنية وكذلك المراكز الصحية وتوزيعها بشكل يحقق نوعاً من العدالة في التنمية للخدمات الصحية على مستوى محافظات الجمهورية اليمنية.

#### الاستنتاجات والتوصيات

بعد أن تم دراسة أثر كل من الإيرادات الحكومية والدخل الفردي والسكان على كل من الإنفاق على التعليم والإنفاق على الصحة والإنفاق على الدفاع والأمن توصلت الدراسة إلى أهم الاستنتاجات والتوصيات:

#### - الاستنتاجات

- ❖ أظهرت الدراسة أن توزيع التعليم بكافة أنواعه في اليمن يعاني من اختلال كبير سواء على مستوى عدد المدارس في كافة محافظات الجمهورية أم على مستوى توزيع الكادر.
- ❖ تبين من الدراسة أن عدد المدارس الموزعة في كافة محافظات الجمهورية بلغ 15661 مدرسة حتى العام 2009/2008 وكانت محافظة المهرة تمثل الأقل في عدد تلك المدارس.
- ❖ اتضح من خلال الدراسة أن عدد الطلاب كان 4908279 طالبا وطالبة، موزعين على المدارس المذكورة سابقاً، كما تبين أن عدد المدرسين بلغ 203027 مدرسا ومدرسة في المرحلتين الأساسية والثانوية في المدارس الحكومية والخاصة.
- ❖ تبين من الدراسة أن توزيع الأساتذة كان عشوائياً، واتضح أيضاً أن بعض المحافظات فيها فائض كبير من المدرسين في حين أن البعض الآخر من المحافظات يفتقر إلى المدرسين، وخاصة في المواد العلمية.
- ❖ أظهرت الدراسة أن التعليم المهني والفني في اليمن يكلف مبالغ كبيرة عند التأسيس قد تصل إلى مليار ونصف المليار ريال.

- ❖ اتضح من الدراسة أن التعليم الجامعي يكلف الطالب في المتوسط حوالي 490 دولاراً.
- ❖ أظهرت الدراسة أن عدد المستشفيات في الجمهورية اليمنية بلغ نحو 55 مستشفى في العام 2009 تركزت في عواصم المدن.
- ❖ اتضح من خلال التحليل أن محافظة ريمة لا يوجد فيها مستشفى عام، كما تبين أن عدد المستشفيات في المديرية بلغ نحو 175 مستشفى في العام 2009.
- ❖ من خلال الدراسة اتضح أن عدد الأطباء الأخصائيين قليل جداً في العام 2009، حيث بلغ عددهم 1631 أخصائياً، بينما بلغ عدد أطباء العموم نحو 4811 طبيباً وطبيبة، وعدد الأخصائيين في المختبرات 1067 متخصص مختبرات، وعدد الصيادلة 945 صيدلياً وصيدلية، وأما أطباء الأسنان فقد بلغ عددهم 587 طبيباً وطبيبة، وعدد خريجي التمريض الجامعي 430 ممرضاً وممرضة. أما عدد المتخصصين في الصحة النفسية فقد بلغ عددهم 41 متخصصاً، وفي الصحة العامة بلغ عددهم 226، وفي الأشعة وصل عددهم إلى حوالي 66 متخصصاً، وعدد المتخصصين في العلاج الطبيعي حوالي 18 متخصصاً وفي التخدير 127 متخصصاً.
- ❖ أظهرت الدراسة أن هناك العديد من المحددات سواء لقطاع التعليم أم لقطاع الصحة، كما أن الدراسة عملت على مقارنة نسبة الإنفاق على التعليم والصحة بالإنفاق العام ومن الناتج المحلي الاجمالي والذي تبين بان تلك النسبة كانت ضئيلة جداً.
- ❖ أظهرت نتائج تقدير دالة الإنفاق على التعليم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق على التعليم وعدد السكان، بينما العلاقة بين كل من متوسط دخل الفرد، والإيرادات الحكومية ليست ذات دلالة إحصائية.
- ❖ اتضح من خلال تقدير دالة الإنفاق على الصحة وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق على الصحة ومتوسط دخل الفرد، بينما العلاقة بين الإنفاق على الصحة وكل من عدد السكان والإيرادات الحكومية ليست ذات دلالة إحصائية.
- ❖ أظهرت نتائج تقدير دالة الإنفاق على الدفاع والأمن وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق على الدفاع والأمن ومتوسط دخل الفرد، بينما العلاقة بين الإنفاق على الدفاع والأمن وكل من عدد السكان، والإيرادات الحكومية ليست ذات دلالة إحصائية.

#### - التوصيات

- توصي الدراسة بضرورة توزيع التعليم بكافة أنواعه في اليمن بشكل عادل، وخاصة في المناطق التي تعاني من اختلال كبير في عدد المدارس في كافة محافظات الجمهورية أو في توزيع الكادر.
- توصي الدراسة بالاهتمام بتأسيس المدارس وتوزيعها في كافة محافظات الجمهورية ودعم محافظة المهرة التي تمثل أقل المحافظات في عدد تلك المدارس.
- توصي الدراسة بأهمية تنظيم توزيع الأساتذة الذي كان عشوائياً حيث إن بعض المحافظات فيها فائض كبير من المدرسين، في حين أن البعض الآخر من المحافظات يفتقر إلى المدرسين وخاصة في المواد العلمية.
- توصي الدراسة بضرورة الاهتمام بالتعليم المهني والفني في اليمن.
- توصي الدراسة بضرورة الاهتمام بتوزيع عدد المستشفيات في الجمهورية اليمنية بشكل عادل على كل المحافظات.
- توصي الدراسة بضرورة تأسيس مستشفيات في محافظة ريمة، حيث لا يوجد فيها مستشفى.
- توصي الدراسة بضرورة القضاء على المحددات، سواء لقطاع التعليم أم لقطاع الصحة، أم لقطاع الدفاع والأمن.
- توصي الدراسة بأهمية زيادة الإنفاق على التعليم والصحة، حيث إن نسبة الإنفاق عليهما كانت ضئيلة جداً.
- توصي الدراسة بأهمية التنمية في قطاع الدفاع والأمن؛ لما له من أهمية في جذب الاستثمارات إلى البلد.

## الهوامش والإحالات:

- (1) الجهاز المركزي للتخطيط، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، كتاب الإحصاء السنوي للأعوام 1990، 1995، 2000، 2010م.
- (2) الجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، كتاب الإحصاء السنوي للعام 1995.1990، 2000، 2010م.
- (3) المالكي، عبدالله بن محمد، وعبيد أحمد بن سليمان: التعليم والنمو الاقتصادي في المملكة العربية السعودية: دراسة قياسية باستخدام المعادلات الآتية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 114، يوليو 2004، ص 143-176.
- (4) حيدر، عبد اللطيف: التعليم العالي وسوق العمل، بناء علاقة شراكة مستدامة، المؤتمر الثاني للتعليم العالي، مخرجات التعليم العالي وسوق العمل، صنعاء 12-13 مارس، 2008، الجمهورية اليمنية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ملخصات الأبحاث، ص 25.
- (5) النعيمي، صلاح: رؤية مستقبلية لتدعيم مخرجات التعليم وسبل تحقيق المواءمة مع متطلبات سوق العمل: المؤتمر الثاني للتعليم العالي، مخرجات التعليم العالي وسوق العمل، صنعاء 12-13 مارس، 2008، الجمهورية اليمنية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ملخصات الأبحاث، ص 35.
- (6) صالحة، عبد الله يوسف عيسان، جامعة السلطان قابوس، ورقة مقدمة إلى الورشة الإقليمية حول استجابة التعليم لمتطلبات التنمية الاجتماعية، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيكو) مسقط 17-18/12/2006م، ص 1-5.
- (7) الكواري، علي خليفة (1981): دور المشروعات العامة في التنمية الاقتصادية، مدخل إلى دراسة كفاءة أداء المشروعات العامة، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ص 14-17.
- (8) وزارة التخطيط والتعاون الدولي: خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية الثالثة للتخفيف من الفقر 2006 – 2010، الجمهورية اليمنية، أغسطس، 2006، ص 130.
- (9) الجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، كتاب الإحصاء السنوي للأعوام 1990، 1995، 2000، 2010م.
- (10) الجهاز المركزي للإحصاء: كتاب الإحصاء السنوي للأعوام 1990 – 2010.
- (11) عدد محافظات الجمهورية 21 محافظة، هي: (إب، أبين، أمانة العاصمة، البيضاء، تعز، الجوف، حجة، الحديدة، حضرموت، ذمار، شبوة، صعدة، صنعاء، عدن، لحج، مأرب، المحويت، المهرة، عمران، الضالع، ريمة)
- (12) الجهاز المركزي للإحصاء، كتاب الإحصاء السنوي للأعوام 1994، 2010.
- (13) وزارة التخطيط والتعاون الدولي: خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية الثالثة للتخفيف من الفقر 2006-2010، الجمهورية اليمنية، أغسطس 2006، ص 144.
- (14) المجلس الأعلى لتخطيط التعليم ( الأمانة العامة ): مؤشرات التعليم في الجمهورية اليمنية مراحل - أنواعه 2005/2006، الجمهورية اليمنية، رئاسة الوزراء، أغسطس، 2007، ص 11.
- (15) المصدر السابق، ص 13-14.



- (16) المصدر السابق، ص 14.
- (17) البنك الدولي للإنشاء والتعمير: تقرير التنمية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: الطريق غير المسلك، إصلاح التعليم في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ملخص تنفيذي، واشنطن العاصمة، 2007، ص 5-6.
- (18) البنك الدولي للإنشاء والتعمير: مصدر سابق، ص 15-16.
- \* تلك الدول هي: الأردن، الكويت، تونس، لبنان، جمهورية إيران الإسلامية، جمهورية مصر العربية، الضفة الغربية وقطاع غزة، الجزائر، الجمهورية العربية السورية، المملكة العربية السعودية، المغرب، العراق، الجمهورية اليمنية، جيبوتي.
- (19) المجلس الأعلى لتخطيط التعليم (الأمانة العامة): مؤشرات التعليم في الجمهورية اليمنية - مراحل - أنواعه 2005/2006، الجمهورية اليمنية، رئاسة الوزراء، أغسطس، 2007، ص 7، 15.
- (20) المجلس الأعلى لتخطيط التعليم (الأمانة العامة)، مصدر سابق، ص 9، 10.
- (21) المجلس الأعلى لتخطيط التعليم (الأمانة العامة): مؤشرات التعليم في الجمهورية اليمنية - مراحل - أنواعه 2005/2006، الجمهورية اليمنية، رئاسة الوزراء، أغسطس، 2007، ص 27-29.
- (22) الجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، كتاب الإحصاء السنوي للأعوام 1990، 2000م.
- (23) وزارة التخطيط والتعاون الدولي: خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية الثالثة للتخفيف من الفقر 2006-2010، الجمهورية اليمنية، أغسطس 2006، ص 198.
- (24) المصدر السابق، ص 139.
- (25) المصدر السابق، ص 141.
- (26) المصدر السابق، ص 144.
- (27) تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2009، ص 148.
- (28) المصدر السابق، ص 158.
- (29) المصدر السابق، ص 159.
- (30) الجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، كتاب الإحصاء للأعوام 2008، 2009.
- (31) تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2009، ص 158.
- (32) المصدر السابق، ص 148 - 152.
- (33) المصدر السابق، ص 150 - 152.
- (34) دراسة مبادرة 20/20(2003): نحو تخصيص الموارد للخدمات الاجتماعية الأساسية، تمت الدراسة بالتعاون مع وزارة التخطيط والتعاون الدولي، ويتمويل من قبل البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، صنعاء، أبريل، ص 51، وفيما يخص مؤشر نسبة الإنفاق على الصحة في اليمن من الجدول رقم (1).

35) <https://ar.wikipedia.org/wiki>

36) <https://ar.wikipedia.org/wiki>

37) <https://ar.wikipedia.org/wiki>

38) <https://ar.wikipedia.org/wiki>



# Gender, Language and Culture in the Yemeni Society

Dr. Ahmed Alhussami,\*

## Abstract:

The issue of language and gender has become one of the most important issues among the modern cultural studies. This issue is multidisciplinary in scope and of deep cultural background. This paper aims at focusing and analyzing the study from different spectrum. The issue of gender and its relation with culture is a sophisticated matter that needs to be discussed carefully taking into consideration the social as well as the religious norms. Surely, it is an issue that intervenes with some so-called religious legislation of the society. It is due to this overlap and complexity between culture and religion from one side and between sex and gender from the other side that this paper tries to investigate the issue of gender in Arabic society, especially Yemeni. Almost all Arab countries find it difficult to accept the concept of gender in its broad meaning as the West does. It is due to the social norms and religious restrictions that people may interpret the word gender differently or wrongly. Based on their social as well as religious inherited, Arabs with their culture look at the issue of gender as the nightmare that will undermine their moralities and Islamic personality.

---

\* assistant professor of English Linguistics, English Dept. Faculty of Arts Thamar University

## الجنس واللغة والثقافة في المجتمع اليمني

د. أحمد الحسامي

ملخص:

أصبحت صناعة اللغة والنوع الاجتماعي واحدة من أهم القضايا المعاصرة في الدراسات الثقافية الحديثة، فهي قضية متعددة الأوجه والأبعاد؛ نظرا إلى التنوع الثقافي واستخدام اللغة. إذ تقودنا علاقة اللغة بالنوع الاجتماعي (الجنس) إلى دراسة الجانب النسوي (Feminism) واستخدام اللغة. فعندما نركز على استخدام الجانب النسوي للغة نخرج قليلا لنعرف المساحة التي مُنحت للمرأة في التشريعات الدينية والسياسية لتلعب دورا في المجتمع العربي بشكل عام، وفي المجتمع اليمني بشكل خاص، وسيحاول الباحث في هذا البحث الغوص والتحقيق في هذه المسألة باعتبارها ظاهرة اجتماعية في المجتمع العربي عامة، واليمني خاصة. ففي جميع الدول العربية توجد صعوبة في قبول مفهوم النوع الاجتماعي بمعناه الواسع كما يفعل الغرب؛ نتيجة للأعراف الاجتماعية والقيود الدينية. وقد يخطئ البعض في تفسير كلمة الجنس ليفهمها بشكل مغاير أو خاطئ بناءً على ثقافة مغلوبة في استيعاب المفهوم. وهو ما يجعل العرب ينظرون - بثقافتهم وتفسيراتهم الدينية- إلى مسألة النوع الاجتماعي بوصفها كابوسا سيقوض أخلاقهم وشخصيتهم الإسلامية.

### 1. Introduction

By gender we refer to the socially and culturally constructed differences between femininity and masculinity, shaped by countless factors including language, jobs and different social norms. Though the matter of gender is controversial among scholars, many approaches are followed to make a line demarcation between the two terms; femininity and masculinity. Potentially differentiation can be regarded to distinguish between gender and sex. While the sex is physiology, gender is a socially and culturally term. With highly motivation and enthusiasm, this paper endeavors to explore the term gender and examine the influences that social and cultural norms have had upon gender relations, use of language, gendered norms and identities in

Arab countries. The Yemeni society has been taken as a study sample for different considerations. Firstly, it is the native place of the researcher. Secondly, the researcher could collect data, especially the primary data, from different direct resources which are supposed to be both reliable and relevant. The paper will go beyond this scope to investigate the position of women in a patriarchal society like of the Arabic one. Explicitly feminist in focus are explorations of gender positioning in representations in cultural space, and in interaction of some institutions, including the family.

## 2. Gender and Sex:

Talking about gender and language, it is remarkably important to pass through the distinctive difference between sex and gender. Though many researches and studies have been carried out trying to make the notion of sex and gender clear, the line demarcation between the two terms still hazy and fuzzy. For better clarification, both *Sex* and *Gender* can be analyzed under two heads;

### 2-1- Sex-related Variability

Differentiation of speech behavior between males and females related to physiological, neurological and biological factor.

### 2-2- Gender Variability:

Differentiation of speech behavior between males and females related to socially constructed gender roles.

In their book, *Language and Gender*, Penelope Eckert and Sally Mcconnell-Ginet state: “Gender is not something we are born with, and not something we have, but something we do (West and Zimmerman 1987) – something we perform (Butler 1990)”<sup>1</sup>

<sup>1</sup> Eckert, Penelope and sally Mcconnell-Ginet. *Language and Gender*. Cambridge University Press: Penelope Eckert and Sally McConnell-Ginet 2003

In his paper, *Shall we Teach Gender?* L. A. Phillips states:

the first thing to bear in mind is, of course, the distinction between gender and sex. Gender is grammatical; sex, biological. ... We shall know, during our lucid intervals, that gender and sex are not the same thing; that sex is a natural distinction belonging to living objects, while gender is a grammatical distinction, a symbol, an artificial device<sup>2</sup>

The above quotes present clearly the difference between sex and gender. They suggest that while the sex is a biologically born, gender is a cultural and social made.

### 2-2-3 Gender, Identity and Society

As of native Arabic people, we live in a society which is described to be a male-dominated society in which female is always disdained, looked down upon and scorned. There is a big gap between the term masculinity and femininity. It is in this regard that women feel disappointed and lose their social role as human beings. It is under these circumstances that men practice their discrimination in its worst form against women. People use their social set of rules and social norms to impose women to practice their life according to the space given to them by their men. Men always feel arrogant, strong and heroes, however; women, as so called the fare sex, feel weak and marginalized. This ego and man-made rules are the big obstacles in the progress and development of our society, therefore; we lag much

<sup>2</sup> L.A. Phillips. "Shall we teach Gender?". *The English Journal*. Ed: (11.1) 1922,23-7.

behind the developed nations and it will take years to be at equal footings with them.

Many workshops, seminars and TV or radio episodes are held across the country to discuss human rights and gender discrimination, especially to locate women in a right social position, but their efforts go in vain all the time. The social and welfare organizations and other non-governmental organizations spend much money as well as valuable time on programs to make people aware of the women's right and encourage them to involve women in social affairs for better life and prosperity, but no positive results gained. Not only they failed to resolve this issue but also play a strong role behind the screen in driving the female folk to the wrong direction in order to win fame and popularity. The concept of women in Arab countries, especially in Yemen, is deep rooted and goes back to the pre-Islamic era. Woman to them are only container or vessel for sex no more. They maintain that her job is confined only to look after children, doing the washing, cooking and taking care of house pets and work in the land belongs to her family or her husband.

Those who hold discussions and seminars and processions about gender inequality must think seriously that their struggle for gender equality has already destroyed the delicate and sensitive gender (woman). Their sole purpose is to achieve popularity but truly they

have spoiled the society. Women are not safe in their homes now. Struggles must be made to compel men to give their daughters, mothers, wives and sisters their due rights, to look after them and to take due care of them instead of to ask women to fight for their rights.

As Islam is the religion of rights, purity and peace, women still suffer from social discriminative attitude. The woman's rights are restricted and totally under abortion. Islam supports and provides women with all rights and has established gender discrimination in the worldly matters only, for the sake of women's protection. Allah is the creator of both genders and he is the most merciful to both of them. It is the human beings who are the enemies of each other. Both, men and women are born responsible, indeed. But as the worldly matters are concerned, man has greater responsibilities than woman. Certainly, it is the man's duty to protect the woman in the form of daughter, sister, mother and wife.

As the religion of all mankind, Islam is a perfect system of life; it has set perfect rules of life for both man and woman. Islam has provided shelter and canvass to the woman. The rights which the west fights for, has been given to women fourteen hundred years ago. Before Islam, women were considered the worst creation on the face of the earth; they were the greatest sufferers and victims. In order to provide

them with absolute protection and defense in the society, Islam for the first time established women right law.

In addition, verses regarding women rights were revealed and thus this delicate and weak gender will remain till dooms day. Allah says in the Quran, chapter 2 verse 228:

"And they (women) have rights similar to those (of men) over them kindness, and men are a degree above them. Allah is Mighty, Wise."<sup>3</sup>

As the worldly matters are concerned, man and woman are two different genders but as righteousness regards, there is no discrimination between them. If Quran is studied and interpreted well, there will be no biasness in consulting woman and forbid her from her simple rights. Allah, in the Holy Quran says in Sura al-ahzab chapter 33 verse 34

"Lo! men who surrender unto Allah, and women who surrender, and men who believe and women who believe, and men who obey and women who obey, and men who speak the truth and women who speak the truth, and men who persevere (in righteousness) and women who persevere, and men who are humble and women who are humble, and men who give alms and women who give alms, and men who fast and women who fast, and men who guard their modesty and women who

<sup>3</sup> Mary. Wollstonecraft,. *A Vindication of the Rights of Men and A Vindication of the Rights of Woman and Hints*. Cambridge University Press. {Wollstonecraft, 1995 #34}



guard (their modesty), and men who remember Allah much and women who remember - Allah hath prepared for them forgiveness and a vast reward."<sup>4</sup>

### 3. Gender in Yemen

The concept of *gender* in Yemen began for the first time in 1994 during the foundation of 'Center of Practical Research and Feminist Studies' at Sana'a University, Sana'a. This center was supported financially by the Dutch embassy in Sana'a. Due to the rabid spread of the governmental and non-governmental organizations that champion woman's affairs, the term *gender* widely spread. These organizations are formed to protect woman's rights and appealing for equality and justice. These organizations were rejected and were refused to continue their legal requests as they are accused by the regime of exploiting foreign donor organizations to collect money and destroy the morality of the society. It was from 12- 14 September 1999, the center of Feminist Studies held its conference entitles '*Challenges of the Feminists Studies in the 21<sup>st</sup> c*'. It is during this time in which a committee was formed from parliament, academicians and presidential side to visit the center and take a suitable decision. The committee issued its decision that the center should be closed as it will destroy the morality of the society and cause the family dissociation. Under this conservative claim the 'Center of Practical Research and Feminist Studies' was closed and the director of that center accused of being expiation escaped to Netherlands after she was threatened by extremists.<sup>5</sup>

<sup>4</sup> Karlyn, Campbell, Kohrs. *Man Cannot Speak for Her: Volume II; Key Texts of the Early Feminists*. ABC-CLIO. 1989.

<sup>5</sup> <http://arabi.assafir.com/Article/2687>.

Consequently, the first Yemeni conference on gender, prepared by the Yemeni Women union, was conducted in Sana'a in the period 4-6 of March 2013. Only one week after this conference has been conducted, the league of Yemeni clergy issued a statement against the outputs of the said conference claiming that these recommendations go against the Islamic morality and legislations. The Yemeni clergy commission maintained that this conference opens door to homosexuality, adultery, pederast and family rebellion.

Apart of my data collection, I presented this question to a group of my Facebook (FB) female friends from Yemen, "Do you think the Yemeni woman has got some of her rights under the shadow of globalization and Internet? Or do you think the society is still patriarchy?" The answers varied and gave different reviews as follows: The first answer was from Sann'a, 28 year-old, Thamar. She is a university student. She said, "The society still has a despised attitude towards a woman and this is what is called backwardness. Though woman represents half of the society, she cannot develop the man's passive view against her". She seems to one of the victims of wrong beliefs rooted in the min of her contemporaries. On the contrary, Hifa Hassan, 39 year-old, university teacher from Taiz has a different point of view. She said, "the social position of the woman has developed to some extent and even the patriarchal society itself has become aware

that woman's role in the society cannot be ignored". She adds, "At present time, major societies look at both sex; men and women in some equality. It could not be denied that the male-dominant society has decayed, but has become more hospitable to women than before in all fields of life".

Amani Alhemyari, a Ph.D scholar from Yemen in India, says "in my opinion, though the world witnesses great development in information technology, woman still suffers from the male-dominant society. The patriarchy hegemony is still common and the society looks at woman in inferiority. The situation of male-dominance has reflected negatively on woman's way of thinking. She feels that woman has lost her freedom which is resulted from misunderstanding of the Islamic texts related to woman.

Consequently, Amal Alghabery from Al-Mahweet, 40 year-old, computer programmer, has a different point of view, she said "Yemeni society is still backward so that woman is still trapped and restricted. A woman cannot use her mobile freely; her brother, father and husband asks her whom she writes to and what she writes. So if she cannot have her ultimately freedom to use her mobile, how she can have it in the society as whole?" she adds "the society considers her as a mindless being, and not qualified enough to decide or control her life, relation, her writing and even if she wants to use Facebook, she uses a nickname

and block all her relatives from her FB page. Then, if she wants to get marriage, she has to remove all male friends from her Whatsapp or FB page. In my opinion, Yemeni woman up to the moment has no power in her hand and if it happens that some women have some freedom and rights, they have snatched them by force, but that not exceed more than %10. We deliberately use the word **snatch** to show the way that women get their rights; it happens by force”. Ashgan Al-qubati, 29 year-old, Taiz, has stated that “in fact, Woman in all Arab countries, especially in Yemeni society suffers from the inferiority look which is a racism look that makes woman disable to achieve her goals and objectives. That is because the backward thinking by the society that woman whatever she learns, her fortune is only the kitchen. This concept comes from the Yemeni proverb, education is the light, but the end of the educated girl is the oven”. This metaphorical proverb suggests that woman is fit for the kitchen even if she is well educated.

In fact, the simple sampling given above supplies and reflects the real situation that Yemeni woman lives in. The Yemeni feminine informants above, from different governorates of different ages, maintain that they still suffer from the deficient and inferior look of the society. Thus the source of the women’s oppression and injustice does not lie in religion and the legislative principles, instead; it lies in the complex and sophisticated mentality of the society that prevent them from their identity and simple rights.

#### 4. Gender and Language

Language and Gender is a new introduction to the study of the relation between gender and language use, written by two of the leading experts in this field. It covers the main topics, beginning with a clear discussion of gender and of the resources that the linguistic system offers for the construction of social meaning. Gender performances through language are linked to the choices available to particular women; these choices not only empower women but 'widen' the spectrum of the concept of gender, and make it flexible. The interaction of gender and language cannot be treated as sui-generis in a small work, instead; it needs to be grounded in relation to experience and conditionings. For the last decades, many studies carried out on this area to investigate the core of this bilaterally relation (i.e. gender and language).<sup>6</sup>

The theoretical spectrum of this paper is that an understanding of gender perception and women's agency can be achieved only within the structures of power in a specific culture and that language is deemed as an important tool of this power. In the case of Yemeni society, there exist cultural components that interact and constitute superstructures of power. When a Yemeni woman takes part in a conversation, she feels

---

<sup>6</sup> Seale, Clive Gobo, *etl. Qualitative research practice*. Sage. 2004.

that she has no enough power and her participation in a conversation makes her speech trivial and tentative.

From my own experience in Yemen, once upon a time there was a program entitled “Health and Society” exposed every Friday on Al-Saidah channel. Every Friday, the program is devoted to discuss one issue related to the health care. One Friday, the topic of the program was “the weakness of sexuality among some Yemeni men” in which a doctor who is specialized in the area of sexual organism was invited as a guest to deliver episode and answer the audience’s questions and give some general advice related to the real cause of the sexual weakness and gave some directions and solutions. The person who introduced the program was a Yemeni lady. After the doctor finished his speech to watchers, time was given to receive questions from the audience through telephone call to the program. The first call was received by the lady was from a man who started his question as “the topic of the program was really good and useful, but, as a lady, you should not be allowed to introduce this program, you are a lady, weak. Before let him finishes his comment and question, the lady’s face had redden and then she disconnected his interference. Thus, Yemeni woman feel that they are victims of the social fanaticism, lack of egalitarianism and narrow mindedness.

In their book, Penelope Eckert and Sally McConnell-Ginet stats that:

“Lakoff’s article argued that women have a different way of speaking from men--a way of speaking that both reflects and produces a subordinate position in society. Women’s language, according to Lakoff, is rife with such devices as mitigators (sort of, I think) and inessential qualifiers (really happy, so beautiful). This language, she went on to argue, renders women’s speech tentative, powerless, and trivial; and as such, it disqualifies them from positions of power and authority. In this way, language itself is a tool of oppression--it is learned as part of learning to be a woman, imposed on women by societal norms, and in turn it keeps women in their place.<sup>7</sup>

From my own experience, when Yemeni woman is involved in a conversation, she uses a language that is described to be verbose. It can be understood in term of man’s dominance and woman’s subordination. According to Robin Lakoff, because of their subordinate position women use hedges and tag questions more often than men. By the term hedges, we mean expressions like, *I mean, you know, I think, I was wondering, often, usually, sometimes, people say*, etc. These expressions express uncertainty and lack of confidence. On the other hand, tag questions indicate tentativeness; it is used to save one’s speech from being faced threatening. Tag question are also affective, they invite the addressee to confirm the speaker’s ideas. In the case of Yes/No question as they are open ended, they are to force the addressee to take a position. In their book, *Sociolinguistics and Language Education*, Nancy H. Hornberger and Sandra Lee McKay state that:

Lakoff (1975) is well known for her work on ‘women’s language’, which she describes as characterized by features such as greater usage of modals such as should, could and might, more negative politeness (e.g. You wouldn’t mind, would you?) and

<sup>7</sup> Eckert, Penelope and Sally Mcconnell-Ginet. *Language and Gender*. Cambridge university press. 2003. P14.

different vocabulary such as more color terms (e.g. mauve, taupe, ivory) and a distinct set of adjectives (e.g. exquisite, lovely, divine). Taking a feminist perspective, Lakoff argues that women's language is a result of patriarchal social relations and hence is a language that reflects powerlessness and subordination.<sup>8</sup>

Though English has common nouns gender like, *doctor, lawyer, teacher, student, professor, minister, baker, shoemaker, dressmaker, tailor, driver, conductor, stranger, neighbor, inhabitant, fool, liar, aristocrat, poor, worker*, etc. in Arabic the situation is different. In Arabic, the word *doctor* refers to a male doctor, however; the Arabic word *doctorah* is a feminine form and thus refers to a female doctor. Similarly, words like, *mohami* 'lawyer', *modares* 'teacher', *taleb* 'student', *khaiat* 'tailor', *khabez* 'baker', *wazeer* 'minister', are all masculine noun in Arabic but, their feminine forma are *mohamiah* 'female lawyer', *modarsah* 'female teacher', *talebah* 'female student', *khayah* 'female tailor', *khabezah* 'female baker', *wazeerah* 'female minister' respectively. The Arabic female prefix *-h* is always added to make masculine nouns feminine.

## 5. Conclusion

The two terms; sex and gender are different while the first is biological and physiological; the second is social and cultural

<sup>8</sup> Nancy H. Hornberger and Sandra Lee McKay. *Sociolinguistics and Language Education*. British Library Cataloguing in Publication Data A catalogue entry for this book is available from the British Library, 2010. p 372.



formed. In some Arabic societies like Yemeni one cannot assimilate the term gender. They claim the term gender contradicts with their moralities and social as well as religious traditions. Though Yemeni women's rights are guaranteed and assigned by Shari'a and stipulated by law, they still suffer from man's dominance. The social norms that are called in Arabic *Adat wa takaleed* are difficult to be broken even through educational and rightful institutions. Many activists sought to break these social barriers, but their efforts went in vain.

In discussing gender and language in Yemeni case, of course, there are many factors that can be taken into consideration to shed light on this point. These factors are social, economic, political and religious. For example, Yemeni people who live in rural areas always use very poor and trivial language in their everyday conversation. The scope of their interest is very limited and restricted. Men and women discuss issues related to agriculture, family affairs, and home problems. Political and technological issues are rarely discussed except by a very limited educational group like teachers and other employees.

## References

- Christie, Christine. *Gender and Language Towards a Feminist Pragmatics*. Edinburgh: Edinburgh University Press, 2000.
- Cotter, David, Joan M. Hermsen and Reeve Vanneman Websites. "The End of the Gender Revolution? Gender Role Attitudes from 1977 to 2008". *American Journal of Sociology*. (117: 1), July 2011. pp. 259-89.

Dean, Carolyn J. "Gender Complexes". *The Self and Its Pleasures*. Cornell University Press. (1992). 58-97.

Jonathan Charteris-Black. *Gender and the Language of Illness*. The UK: Palgrave Macmillan, 2010.

Koupal, Roya. "How do Language and Gender Interact? (A Critical Study on the Feminist Theory of Language)". *International Journal of Academic Research in Progressive Education and Development*. (3:4) June. 2014.

Karlyn, Campbell, Kohrs. *Man Cannot Speak for Her: Volume II; Key Texts of the Early Feminists*. ABC-CLIO. 1989.

Lakoff, Robin Tolmach. *Language and women's Place*. Oxford; Oxford University Press, 2014

Mayblin, Maya. "People Like Us Intimacy, Distance, and the Gender of Saints". *Current Anthropology*. (55:10), *The Anthropology of Christianity: Unity, Diversity, New Directions* (December 2014), pp. 271-80.

Miller , Daniel, Elisabetta Costa, Nell Haynes, Tom McDonald, Razvan Nicolescu, Jolynna Sinanan, Juliano Spyer, Shriram Venkatraman and Xinyuan Wang. "Gender". *How the World Changed Social Media*. UCL Press. (2016). 114-127.

*Miriam Meyerhoff, Janet Holmes. The handbook of language and gender*. The UK. By Blackwell Publishing Ltd, 2003.

Mary. Wollstonecraft,. *A Vindication of the Rights of Men and A Vindication of the Rights of Woman and Hints*. Cambridge University Press. 1995.

Nancy H. Hornberger and Sandra Lee McKay. *Sociolinguistics and Language Education*. The UK: British Library Cataloguing in Publication Data, 2010.

Penelope Eckert Sally Mcconnell-Ginet. *Language and Gender*. Cambridge. Cambridge University Press, 2013.

Roded, Ruth. “Jewish and Islamic Religious Feminist Exegesis of the Sacred Books: Adam, Woman and Gender”. *Nashim: A Journal of Jewish Women's Studies & Gender Issues*, No. 29, Women's Torah Study (Fall 2015), pp. 56-80.

Walker, M. “Gender and Language: Examining the use of Diagnostic Language in the Discussion of Gender variance”. *International Journal of Child, Youth and Family Studies* (5:2): 332–45 2014.

Wang, Xinyuan. “Social media, politics and gender”. *Social Media in Industrial China*. UCL Press. (2016). P. 127-55.

Websites (Arabic References)

<http://arabi.assafir.com/Article/2687>.

<https://www.youtube.com/watch?v=uQjsLMqZ-Js>



## Contents

- Arabic Feminist Novel Authority of Center and Rebellion of Margin  
Dr. Esam Wasel ..... 5
- The Indicative Expression in ( Dhamarian joke)Deliberative Approach  
Prof. AbdulKareem Musleh Al-Bahla, Abdullah Ali Asabah..... 46
- THE BOASTS PEARLS OF THE LATEST ARABS' NEWS (Arab tribes) attributed to Mohammad Al-Bassam Al-Tamimi Al-Najdi. Critical Review  
Dr. Abdulaziz bin Mohammed Al-Abdullah..... 84
- Symbol and Significance in Design Structure of Imam Yahya bin Humaid al-Din Coins  
Dr. Ghilan Hamood Ghilan .....108
- Reading the Contributions of Dawood Abdu's Grammatical Renewal Efforts  
Abdul Salam Mohamed Hussein Alshanadby .....130
- Isotopy and different in the system of algazal in the poem of ( Banat Suad ) byka'eb bin Zuhair, -  
semeutice study  
Dr. Ali Hamoud Al-Samhi & Moath Ghaled AL-Gohafey ..... 167
- Attitudes of Sana'a University attitudes towards Psychotherapy  
Assoc. Prof. Bilqis Mohammed Jobari .....200
- Guidelines of the Grammatical Interpretation in the Interpretation of the Holy Quran: The Book  
(Al-Baseet) of Al-Wahidi (Exemplar)  
Salem Fadhl Ashoor Bageri ..... 243
- Personal Features Of the Outstanding and Non-outstanding Students of the first High School  
Grade in The Schools Of The Secretariat Of The Capital  
Dr. Salah Aldeen Ahamed Mohammed Al-Gumaei.....269
- The impact of government revenues, per capita income and population on spending In education,  
health, defense and security in the Republic of Yemen "econometrics Analytical study" Prepared  
by the Associate Professor  
Dr. Mohammed Yahia AL-Rafik ..... 305
- Gender, Language and Culture in the Yemeni Society  
Dr. Ahmed Alhussami, .....1

## **Rules of Publication**

The Arts journal is a refereed journal on humanities in Arabic, English and French Languages.

It is published by the Faculty of Arts, Tamar University. The researchers have to take in consideration the following rules:

1-The research paper must be original, follow the proper scientific methodology, and not published elsewhere.

2- The research paper will be judged according to high scientific standards.

3- The research paper has to be written in perfect language with respect for latest research design and accuracy of forms and figures – if included – in word form; font size (14) in (simplified Arabic) for Arabic papers and (Time New Roman) for English and French papers. Title and subtitles has to be boldfaced in (16) font size.

4- Space between lines is (1.5cm) with 2.5 cm. margin in all sides.

5- Research papers are required to be sent in Word and PDF forms to the journal's emails.

6- Abstract in Arabic and English has to be revised linguistically and, attached with.

7- Maximum number of pages is (25) including charts, figures and appendices.

8- Documentation has to be at the end of the research paper as follows:

a. Manuscripts: Name of manuscript, its place, its number and type of paper.

b. Books: Name of the author, title of the book, place and date of publishing, page number.

c. Journals: Author's name, title of the article, name of the journal, date and number of issue, page number.

d. Theses: Researcher's Name, title of the thesis, faculty, University, Date, Page, number.

9- The Psychological and Educational studies have to be documented according to APA.

10- The journal editorship will inform the researchers with the initial approval of their papers after receiving them. Later on, they will be informed with referees reports about validity of publishing, requirement for changes, or rejection.

11- The writers of the approved research papers will be informed with number and date of issue.

12- Research papers will be ordered according to the date of receipting.

13- The research papers received by the journal will not be sent back to the researcher whether published or not.

14- Publishing fee is (20000YR) inside Yemen and (150\$) or its equivalence outside Yemen. Tamar University teaching staff has to pay YR 15000. The scholar also has to pay sending fee for hard copies of the journal.

15- Money has to be deposited to the Journal's account No.(211084) at Yemen commercial Bank – Tamar Yemen.



## Arts

A refereed Journal on  
Humanities Published by  
the Faculty of Arts,  
Thamar University,  
Dhamar, Republic of  
Yemen

Issue: 11

June 2019

International Number:

ISSN: 2616-5864

National Number

( 551 For year 2018)

- All rights reserved.

- It is strictly prohibited to republic any of the papers of the journal without permission of the commission.

-Citation of any of the journal's papers is not allowed without referring to the sources.

# Faculty of Arts

Quarterly Refereed Journal of Humanities

---



Patron

**Prof. Taleb Tahir AL-Nehari**

Editor

**Prof. AbdulKareem Musleh Al-Bahla**

Vice- Editor

**Dr. Esam Wasel**

Managing Editor

**Dr. Fuad Abdulghani Al-Shamiri**

Assistant Editor

**Dr. Fadhl Al-Omaisi**

Editorial Board

**Dr. Nageeb Al-wrafi**

**Dr. Khaldun Numan**

**Dr. Ameen Al-Jabar**

**Dr. Abdullah Ali Al-Ghobasi**

Editorial Secretary

**Dr. Abdullah Ahmed Al-Jarfi**

**Nada Ezzaddin Al-Osaimi**

Financial Officer

**Ali Ahmed Al-Bakhrani**

Advisory Board

**Prof. Adul Kareem Zabeeba**

**Prof. Nasr Al-Hujaily**

**Prof. Ahmed Al-Akwa'a**

**Prof. Husain Al-Amri**

**Prof. Ali Said Saif**

Prof. Ahmed Mohammed Shuga-Addin

**Prof. Ibrahim Al-Silwi**

**Prof. Abdu Faran Al-Hemiari**

Proof-reading

Arabic Section

**Dr. Esam Wasel**

**Dr. Abdullah Ali Al-Ghobasi**

English Section

**Dr. Amin Ali Al-Solei**

Designing & Producing

**Mohammed Mohammed Sobai**



# Arts

ISSN: 2616-5864

Quarterly Refereed Journal of Humanities

**Published by: Faculty Of Arts,  
Thamar University**

Arabic Feminist Novel  
Authority of Center and Rebellion of Margin

Symbol and Significance in Design Structure of  
Imam Yahya bin Humaid al-Din Coins

Attitudes of Sana'a University attitudes towards Psychotherapy

Gender, Language and Culture in the Yemeni Society



ArtsArtsArtsArtsArts